مركز تحقيق التراث

نهاية الأرب

في

فنون الأدب

تأليف

شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري

٦٧٧ - ٧٣٣هـ

الجزء الحادي والثلاثون

تحقيق

د. الباز العريني

مراجعة

د. عبد العزيز الأهواني

الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٤١٢هـ = ١٩٩٢م

أشرف على الطبع والتصحيح

أحمد صلاح زكريا

الباحث الأول بمركز تحقيق التراث

أشرف على الطبع والتصحيح

أحمد صلاح زكريا

الباحث الأول بمركز تحقيق التراث

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

يسر مركز تحقيق التراث بالهيئة المصرية العامة للكتاب أن يقدم الجزء الحادى والثلاثين من كتاب نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى .

وهذا الجزء يقابل الجزء التاسع والعشرين من مخطوطة كوبريلى المحفوظة بدار الكتب تحت رقم ٥٤٩ معارف عامة .

و بالمخطوط اضطراب فى ترتيب الصفحات مما أدى إلى اختلال السياق بين الصفحات ٦٧، ٨٧ وقد أجرى ترتيب صفحات المخطوط بما يتفق مع الترتيب الزمنى للأحداث[1] . و بالمخطوط أيضا الكثير من الأخطاء اللغوية وقد جرى تصويبها بالمتن مع الإشارة إليها بالهامش .

و يشير النويرى إلى تاريخ تأليفه لهذا الجزء بقوله : « ..... إلى حين وضعنا لهذا الجزء ، وذلك فى سلخ شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبعمائة »[2] .

كما يشير أيضا إلى ما اتخذه من نهج فى كتابته ، بأن يورد أولا ما وقع من أحداث بالغة الأهمية فى داخل المملكة ، ثم يذكر ما جرى من الغزوات والفتوحات ، حسب ترتيبها الزمنى ، ثم يشرح بعد ذلك حوادث السنين ، وما وقع فيها من الولاية والعزل والأخبار والوفيات إلى انقضاء الدولة المنصورية[3] .

---

(١) انظر ص ٢٣٥ من هذا الجزء .

(٢) انظر ص ٥٩ من هذا الجزء .

(٣) انظر ص ١٣ من هذا الجزء .

والنويرى فى كل ذلك لم يختلف عن ابن الفرات ، إلا فى ترتيب الأحداث ، أما المـادة التاريخية فتكاد تكون متطابقة .

والمعروف أن ابن الفرات عاش فى زمن لاحق لزمن النويرى ولعله نقل عنه ، أو استخدم مصدرا رجع إليه النويرى ولم يشر إليه ابن الفرات ، وسوف تجرى الإشارة إلى هذا التطابق فى مواضعه .

وهـذا الجزء يبدأ بذكر أخبار السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى ، وهـو السابع من ملوك دولة الترك بالديار المصرية ، وجلوسه على تخت السلطنة بقلعـة الجبـل فى يوم الأحد العشرين من شهر رجب الفرد سنة ثمـان وسبعين وستمائة .

وينتهى بذكر وصول رسل غازان ملك التتار إلى البلاد الشامية ، وحضورهم بين يدى السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون بقلعة الجبـل عشية نهار الثلاثاء سادس عشر ذى الحجة سـنة سبعمائة ، وما وصـل على أيديهم من المكاتبـة وما أجيبوا به .

نسأل الله التوفيق والسداد ،

مركز تحقيق التراث

جمادى الآخر ١٤١٢ هـ

ديسمـــبر ١٩٩١ م

بسم الله الرحمن الرحيم

هو حسبي وكفى

ذكر أخبار السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفي الصالحي النجمي

وهو السابع من ملوك دولة الترك بالديار المصرية. وهو من خالصة القفجاق[1]، من قبيلة برج أغلى[2]. وكان مملوك الأمير علاء الدين أقسنقر الساقي العادلي. اشتراه بألف دينار، فعرف بالألفي. واتفقت وفاة أستاذه[3] في الأيام الصالحية، في يوم الجمعة، الثامن والعشرين، من شهر رجب، سنة ثمان وسبعين وستمائة،

---

(١) القفجاق أو القبجاق، في بعض المصادر العربية، فرع من الترك، مساكنهم الأصلية حوض نهر إرتش، وقد تنقلوا حتى استقروا بحوض نهر إتل (الفلجا) في جنوب الروسيا الحالية، فعرفت تلك الجهة باسم القبجاق، كما عرفت به دولة المغول المسماة بالقبيلة الذهبية.

انظر: القلقشندي: صبح الأعشى ج ٤، ص ٤٥١، ٤٥٦، ٤٦٧ — ٤٦٨.

المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك ج ١، ص ٦٦٣، En. Isl. Art. Kipcak.

(٢) ضبط هذان القفظان من بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ج ٩، ص ١٤١.

(٣) الأستاذ في المصطلح المملوكي، هو السيد الذي ينتمي إليه المملوك و ينتسب إليه، ولذا يعتبر تاجر المماليك أول أستاذ للمملوك الذي يجلبه من خارج الدولة المماليكية. وينتقل المماليك من أستاذ إلى آخر، غير أن أهم الأساتذة هو الذي يستقر المملوك في حوزته بالشراء، و يظل حتى عتقه، و يرتبط المملوك بأستاذه الذي اعتقه بروابط وثيقة، و يظل وفيا مخلصا له حتى آخر يوم في حياته.

انظر العريني: الفروسية في مصر في عصر سلاطين المماليك ص ١٨٠ — ١٨١.

فارتجع إلى المماليك السلطانية[1] هو وجماعة من خشداشيته[2] ، فهم يعرفون بالعلائية .

وكان السلطان الملك المنصور هذا ، فى جملة البحرية الذين خرجوا من الديار المصرية ، بعد مقتل الأمير فارس الدين أقطاى . ثم تنقلت به الحال إلى هذه الغاية . ملك الديار المصرية والبلاد الشامية ، وما مع ذلك . وجلس على تخت السلطنة ، بقلعة الجبل ، فى يوم الأحد ، العشرين من شهر رجب الفرد ، سنة ثمان وسبعين وستمائة . واستحلف[3] الأمراء والمقدمين ، ومن جرت العادة باستحلافه . وخُطب له على المنابر ، وكتب إلى دمشق ، وإلى سائر الممالك يخبرهم بذلك . فوصل البريد إلى دمشق فى الثامن والعشرين من الشهر . وساق

(١) المماليك السلطانية وهم أصلا جند السلطان الذين ينشأون فى الطباق ، ويتولى السلطان تربيتهم : ثم أصبحوا مؤلفين من أربع فئات : الأولى تشمل مشتريات السلطان المستقر فى الحكم ، ويطلق على الثانية المماليك السلطانية لانتهاء أفرادها إلى السلاطين المتقدمين ، والثالثة ، السيفية ، وهى فئة المماليك الذين ينتمون إلى الأمراء السابقين ، والرابعة ، المماليك القرانصة أو القراتيس ، وهم الذين قضت الأحوال بعدم تأميرهم إلا بعد مدة طويلة ، قضوها فى الرق والجندية ، فى خدمة بعض السلاطين ، فعاشوا متمتعين بمكانة خاصة ، إذ أعتبروا فى منزلة أمراء الخمسات لقدم هجرتهم وصلتهم بالديوان ، واستحقاقهم للأمرات الكبيرة دون الوصول إليها .

انظر : العريني ، الفروسية فى عصر سلاطين المماليك ص ١٣٩ — ١٤٧ ،

(٢) الخشداش والخجداش ، معرب اللفظ الفارسى خواجاتاش أى الزميل فى الخدمة أو الرق أو العتق ، وكلما كثرت خشداشية أمير من الأمراء ازدادت مكانته .

انظر : العريني ، الفروسية فى عصر سلاطين المماليك ص ١٨٤ ، المقريزى ، السلوك جـ ١ ص ٣٨٨ حاشية ٣ ، وابن تغرى بردى ، المنهل الصافى جـ ١ ، ص ١٨٣ .

(٣) فى الأصل واستخلف ، وما هنا من تاريخ ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٢ .

[بعض مماليك الملك المنصور][1] من باب الأسطبل السلطانى ، بظاهر قلعة الجبل إلى دمشق ، فى يومين وسبع ساعات . وحلف الناس له بالشام . وخطب له على منابر دمشق ، فى يوم الجمعة ثانى شعبان .

وكان من أول ما اعتمده السلطان عند جلوسه على تخت السلطنة ، أنه أمر بإبطال زكاة الدولية[2] ، بالديار المصرية ، وكانت قد اجحفت بالرعية . وأفرج عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم[3] الصالحى ، ورتبه فى نيابة السلطنة . فتولاها مدة يسيرة ، ثم استعفى منها فأعفاه ، وفوض نيابة السلطنة بعده ، لمملوكه الأمير حسام الدين طرنطاى ، وذلك فى يوم السبت الثالث والعشرين من شهر رمضان من السنة . وأقر الصاحب برهان الدين [السنجارى[4]] على الوزارة ، ورتب مملوكه الأمير علم الدين سنجر الشجاعى فى شد الدولة .

وكان أول ركوب السلطان الملك المنصور بشعار السلطنة ، فى يوم السبت

---

(١) مابين الحاصرتين جرت إضافته من ابن أبى الفضائل : النهج السديد ص ٣١١ .

(٢) كذا فى الأصل ، وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٦٦٤ ، والمواعظ والأعتبار جـ ١ ص ١٠٩ : وهى مال مقرر على كل مستخدم للدواليب (الآلات) فى الرى أو الغزل أو صناعة السكر انظر : المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٦٤ حاشية ٢

Quatremére: Histoire des Sultans Mamlouks del' Egypte. Vol. II I. P. 2 No 3.

(٣) فى الأصل الأقرم ، وماهنا هو الصواب نقلا من جميع المصادر العربية ، وسوف يجرى تصويبه فى كل المواضع ، دون الإشارة إلى ذلك .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٢ .

الثالث من شعبان . وكتب إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر بركوبه ، والكتاب بخط القاضى تاج الدين بن الأثير ، جاء منه[١] :

ولا زالت أيامه بمحابها[٢] تهنى ، وترى من النصر ما كانت تتمنى ، وتتأمل آثارها فتملأها حسنا . وتشاهد من أماير الظفر مايوسع على العباد أمنا . ويستزيد الحمد على ماوهب من الملك ، الذى أولى كُلاًّ مِنَّا مِنَّا .

المملوك يهدى من لطيف أنبائه ، ووظائف دعائه[٣] ، وما استقر من عوارف الله لديه ، وما حباه به من النعم ، التى ملأت يديه ، ما يستروح بنسيمه ، ويستفتح لسان الحمد بتقديمه ، وتزداد[٤] به مسرة نفسه[٥] وابتهاجها ،

---

(١) الملحوظ أن النطابق يكاد يكون تاما بين عبارات النويرى وعبارات ابن الفرات . والمعروف ان ابن الفرات عاش فى زمن لاحق لزمن النويرى ، ولعله نقل عنه ، أو استخدم مصدرا رجع إليه النويرى ولم يشر إليه ، وسوف يرى الإشارة إلى هذا التطابق فى مواضعه . وسمى المقريزى (السلوك ج ١ ، ص ٦٦٤) هذا القاضى باسم عماد الدين إسماعيل بن تاج الدين أحمد بن سعيد بن الأثير ، وقد باشر أبوه أحمد الإنشاء بدمشق ، ثم بمصر لذلك الظاهر بيبرس ، وهو من أسرة أقامت بحلب خدم أفراد منها السلاطين الأوائل للدولة المملوكية الأولى . ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ٨٧ حاشية ٢ .

(٢) فى الأصل بمجابيا ، وما هنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ١٥٢ انظر ما يلى .

(٣) الملحوظ أن المؤلف يرى على إهمال الهمزات ، وأبدل بها حروفا محدودة مناسبة فى أواسط الكلمات ، وحذفها فى أواخرها . وقد أصلح كل ذلك بغير تعليق إلا إذا كان هناك مايدعو إليه ، غير أن فى النسخة أخطاء جوهرية نتيجة لخطأ الناسخين وإهمالهم مما أخرج كلمات عديدة عن المعنى المقصود ، فقام المحقق على تصويبها ، بالإفادة من المصادر الأخرى .

(٤) فى الأصل يزدار ، وما هنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ١٥٣ .

(٥) فى الأصل بنفسه ، وما هنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ١٥٣ .

وتزدان عقود السعود ، وإنما يزين اللآلئ في العقود ازدواجها ، وتقوى به قوى العزائم ، وتمثله الأعداء في أفكارها ، فتكاد تجر ذيول العزائم ، وتبعث الآمال على تمسكها بالنصر ، وتظهر منه المحاب التي[1] لو قصدت الأقلام لحصرها ، لعجزت عن الحصر . وهو أن العلم الكريم ، قد أحاط بالصورة التي استقرت ، من دخول الناس في طاعة المملوك ، واجتماع الكلمة عليه ، واستقلاله بأمر السلطنة المعظمة .

ولما كان يوم السبت ، الثالث من شعبان المبارك ، سنة ثمان وسبعين وستمائة ، ركب المملوك بشعار السلطنة ، وأبهة الملك ، وسلك المجالس العالية ، الأمراء والمقدمون والمفاردة[2] والعساكر المنصورة ، من آداب الخدمة ، وإخلاص النية ، وحسن الطاعة[3] كل مادل على انتظام الأمر واتساق عقد النصر .

ولما قضينا من أمر الركوب وطرا[4] ، وأنجزنا للأولياء وعدا من السعادة منتظرا ، عدنا إلى قلعة الجبل المحروسة ، والأيدى بالأدعية الصالحة لنا مرتفعة ، والقلوب على محبة أيامنا مجتمعة ، والآمال قد توثقت بالعدل واستمراره ، والأبصار قد استشرفت من التأييد مطالع أنواره . وشرعنا من الآن في أسباب الجهاد ، وأخذنا في كل ما يؤذن ، إن شاء الله تعالى ، بفتح ما بأيدى العدو من البلاد .

---

(١) في الأصل الذى ، وما هنا ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٣ .

(٢) المفاردة ، جمع مفردى ، فئة تختلف عن المماليك والأجناد ، وتؤلف جانبا من الحلقة السلطانية ، والمعروف أن الحلقة لفظ يطلق على جند السلطان الأيوبى ، من الأحرار والمماليك ، وظلت الحلقة جند السلطان المختارين أوائل عصر المماليك انظر : العرين . الفروسية ص ١٢٤

(٣) في الأصل كما ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٣ .

(٤) في الأصل وطراه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٣ .

ولم يبق إلا أن تثنى[١] الأعنة، وتسدد[٢] الأسنة، ويظهر ما فى النفوس، من مضمرات المقاصد المستكنة .

[ورسمنا[٣]] بأن تزين دمشق المحروسة ، وتضرب البشائر فى البلاد ، وأن يسمعها كل حاضر وباد، والله تعالى ، يجعل أوقاته بالتهانى مفتتحة ، ويشكر مساعيه ، التى ما زالت فى كل موقف ممتدحة ، إن شاء الله تعالى ، والحمد لله وحده .

ذكر عزل الصاحب برهان الدين السنجارى عن الوزارة، وتفويضها للصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان وغير ذلك .

وفى هذه السنة، فى السادس والعشرين، من شهر رمضان ، عزل السلطان، الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى عن الوزارة ، ولزم مدرسة أخيه قاضى القضاة بدر الدين، بالقرافة الصغرى . واستوزر السلطان بعده، الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان .

وفيها ، فى شعبان ، رسم السلطان باعفاء تقى الدين توبة[٤] التكريتى بيع[٥] الخزانة بدمشق ، من هذه الوظيفة ؛ وأن يسامح بما عليه من البواقى[٦] . وفوض إليه

(١) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٣ تثنى .

(٢) فى الأصل تشد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٣ .

(٣) ما بين الحاصرتين ، جرت إضافته من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٣ .

(٤) فى الأصل بويه التكريتى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٣ .

(٥) كذا فى الأصل ، وابن الفرات جـ ٧ ص ١٥٣ ، ولم يتيسر معرفة المقصود بهذه العبارة ، وأشار المقريزى (السلوك جـ ١ ، ص ٦٦٥) ، إلى هذا الحادث على هذا النحو . وأعفى تقى الدين توبة التكريتى من البواقى ، وفوض إليه نظر الخزانة بدمشق .

(٦) البواقى لفظ اصطلاحى كان يطلق على ما يتأخر كل سنة عند الضمان والمتقبلين من مال الخراج المقريزى ، المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٨٧ .

نظر الخزانة بدمشق فباشرها ، واستمر إلى خامس شوال منها . ثم فوض إليه وزارة الشام ، وخلع عليه خلع الوزراء .

وفيها ، فى أواخر شوال ، حضر الأمير عز الدين ايدمر الظاهرى ، من دمشق ، تحت الاحتياط ، وجرد معه جماعة ، فلما وصل إلى قلعة الجبل اعتقل [بها][1] .

وفيها ، فوض السلطان نيابة قلعة دمشق لمملوكه الأمير حسام الدين لاجين السلاح دار ، وهو المعروف بلاجين الصغير ، فوصل إليها وسكنها ، وذلك فى العشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، فتخيل منه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، نائب السلطنة بالشام . وكان من خروجه من طاعة السلطان ، وسلطنته بدمشق ما نذكره .

وقد رأينا أن نذكر أخباره[2] ، وما كان من أخبار أولاد السلطان الملك الظاهر بالكرك فى هذا الموضع إلى آخر أخبارهم ، ليكون ذلك سياقة . ثم نذكر الغزوات والفتوحات فى الأيام المنصورية بجملتها ، على توال واتساق ، بمقتضى ما يقدمه التاريخ . ثم نشرح بعد ذلك حوادث السنين ، وما وقع فيها من الولاية والعزل والأخبار ، والوفيات ، إلى انقضاء الدولة ، على ما نقف على ذلك إن شاء الله تعالى فى مواضعه .

---

(١) الإضافة عن ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٥٩

(٢) يشير النويرى إلى ما اتخذه من نهج فى كتابته ، بأن يورد أولا ما وقع من الأحداث بالغة الأهمية فى داخل المملكة ، ثم يذكر ما جرى من الغزوات والفتوحات ، حسب ترتيبها الزمنى ، ثم يشرح بعد ذلك حوادث السنين ، وما وقع فيها من الولاية والعزل والأخبار والوفيات إلى انقضاء الدولة المنصورية ، وهو فى كل ذلك لم يختلف عن ابن الفرات إلا فى ترتيب الأحداث ، أما المادة التاريخية فتكاد تكون متطابقة .

ذكر أخبار الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وخروجه عن طاعة السلطان ، وسلطنته بدمشق ، وما كان من أمره إلى أن عاد للطاعة ، ورجع الى الخدمة السلطانية

قد قدمنا أن السلطان الملك المنصور ، فى زمن أتابكيته ، فى سلطنة الملك العادل [بدر الدين](١) سلامش ، جهزه إلى الشام ، نائبا عن السلطنة بدمشق ، وكان قد نقل الأمير جمال الدين أقش الشمسى من دمشق إلى نيابة السلطنة بحلب . فلما ملك السلطان الملك المنصور ، واستقر بالسلطنة ، خطر ببال الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، أن يستبد بسلطنة الشام ، ويصير الأمر على ما كان عليه فى أواخر الدولة الأيوبية . فجمع الأمراء الذين عنده ، وأوهمهم أن الأخبار وصلت إليه ، أن السلطان الملك المنصور قد قتل ، وهو يشرب الخمر(٢) . ودعاهم إلى طاعته ، واستحلفهم لنفسه . فأجابوه(٣) ، وحلفوا له ، وتلقب بالملك الكامل ، وركب بشعار السلطنة ، [وأبهة الملك(٤)] ، بدمشق ، وذلك فى الرابع والعشرين من ذى الحجة سنة ثمان وسبعين وستمائة . وفى الوقت ، قبض على الأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، نائب السلطنة بقلعة دمشق ، وعلى الصاحب

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٢

(٢) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٢ القمز .

والقمز نبيذ يعمل من لبن الخيل والفظ تراه فى الأصل . انظر Dozy : Supp. Dict. Ar. وما به من المراجع .

Jame - Pool : A Historry of Egypt P. 273

(٣) فى الأصل فأجابوا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٢ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٢ .

تقى الدين توبة . وجهز الأمير سيف الدين بلبان الحبيشى[١] ، إلى سائر الممالك الشامية والقلاع، ليحلفّ من بها من النواب وغيرهم . واستوزر الصدر مجد الدين أبا الفدا إسماعيل بن كسيرات [الموصلى[٢]] ، وجعل وزير الصحبة الصدر عز الدين أحمد بن ميسّر [المصرى[٣]] ، وانتقل بأهله من دار السعادة ، التى يسكنها نواب السلطنة [بدمشق[٤]] ، إلى القلعة . وأمر عند انتقال أهله ، بغلق باب النصر ، وفتح باب سر القلعة ، المقابل لدار السعادة ، بجوار باب النصر ، [ففعلوا ذلك[٥]] . فتطاير الناس له بأشياء ، وقالوا : أغلق باب النصر، وانتقل من دار السعادة ، وسكن القلعة ، وولى وزارته ابن كسيرات ، فهذا لا يتم أمره ، وكان كذلك .

ذكر التقاء العسكر المصرى والعسكر الشامى ، وانهزام عسكر الشام ، وأسر من يذكر من أمرائه فى المرة الأولى .

كان السلطان الملك المنصور ، قد جهّز الأمير عز الدين أيبك الأفرم إلى الكرك [على سبيل الإرهاب[٦]] ، عندما بلغه وفاة الملك السعيد ، على ما نذكر ذلك ، إن شاء الله . فبلغ الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، أنه خرج من الديار

(١) فى الأصل الحبشى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ١٦٢ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ص ٦٨١ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٢ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٢ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٢ .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٧ .

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٧ .

المصرية ، فى طائفة من عساكرها ، فظن أنه يقصده . فكتب إليه ينهاه عن التقدم ، ويقول : « إنى مهدت الشام ، وفتحت القلاع ، وخدمت السلطان ، وكان الاتفاق بينى وبينه ، أن أكون حاكما على ما بين الفرات والعريش ، فاستناب أقوش[1] الشمسى بحلب ، وعلاء الدين الكبكى بصفد ، وسيف الدين بلبان الطباخى بحصن الأكراد . وآخر الحال أنه يسيّر إلىّ من يقصد[2] دمشق » .

واتبع سنقر الأشقر كتابه ، بتجريد العساكر . فلما وصل الكتاب إلى الأمير عز الدين الأفرم ، كتبت مطالعة[3] إلى السلطان ، وجهّز الكتاب [الذى أرسله سنقر الأشقر[4]] عطفها[5] . فكتب السلطان إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، وكتب إليه أيضا الأمراء خوشداشيته ، يقبحون عليه فعله ، ويحضونه على الرجوع إلى الطاعة . وتوجه بالكتب الأمير سيف الدين بلبان الكريمى العلائى خوشداشة[6] ، فوصل إلى دمشق فى ثامن المحرم سنة تسع وسبعين وستمائة . فخرج إليه سنقر الأشقر ، وتلقاه وأنزله عنده ، بقلعة دمشق وأكرمه . ومع

---

(١) هذا الاسم يرد عادة بالرسمين أقش وأقوش فى جميع المصادر ، ولذا سوف يبقى على الصورة التى يرد بها فى المتن .

(٢) يطابق ما ورد فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ١٥٠ .

(٣) مطالعة ، المكاتبة الرسمية . انظر القلقشندى : صبح الأعشى ج ٤ ، ص ١٦ ؛ ابن عناتى : قوانين الدواوين ص ٣٢٠ Dozy ; Supp . Dict . Ar.

(٤) الإضافة من ابن الفرات ج ٧ ، ص ١٦٨ .

(٥) عطف المقصود هنا أنه أرفق الكتاب .

(٦) هذا الاسم يرد فى الكتاب برسم ، خشداش ، وخوشداش وخجداش وكلها بمعنى واحد . انظر ما سبق . ص ٨ حاشية ٢ .

ذلك ، لم يصغ إلى قوله ، ولا رجع إلى ما أشار به خوشداشيته .

قال[1]: ولما وصل كتاب سنقر الأشقر إلى الأمير عز الدين الأفرم، رجع إلى غزة . وعاد الأمير بدر الدين الايدمرى من الشوبك، بعد أخذها، على ما نذكره، إن شاء الله تعالى ، فاجتمعا على غزة .

وجمع سنقر الأشقر العساكر ، من حلب وحماه وحمص . واستدعى على الكبكى من صفد ، والعربان من البلاد ، وجهّز جماعة من عسكر الشام ، وقدم عليهم الأمير شمس الدين قراسنقر المعزى ، فتوجه إلى غزة . والتقوا هم والعسكر المصرى . فانكسر عسكر الشام ، وأسر جماعة من أعيان الأمراء ، منهم بدر الدين كنجك[2] الخوارزمى ، وبهاء الدين يحك الناصرى ، وناصر الدين باشقرد الناصرى ، وبدر الدين بيليك الحلبى ، وعلم الدين سنجر التكريتى ، [وسنجر البدرى][3] ، وسابق الدين سليمان صاحب صهيون ، وسُيِّروا إلى السلطان ، فأحسن إليهم ، وخلع عليهم ، ولم يؤاخذهم .

ذكر تجريد العساكر إلى دمشق ، وحرب سنقر الأشقر وانهزامه ، وإخلائه دمشق ، ودخول العسكر المصرى[4] إليها

قال : ولما وصل خبر الكسرة ، إلى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، المنعوت بالملك الكامل ، بدمشق ، أخذ فى الأهتمام وجمع العساكر . وكتب

---

(١) الواضح أن النويرى ينقل عن مؤرخ سابق له ، ولم يشر إلى اسمه صراحة ، بل اكتفى بذكر لفظة قال . وكل ما أورده النويرى ، فصله ابن الفرات .

(٢) فى الأصل كجحك ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٦٧٥ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٨ .

(٤) فى الأصل المنصورى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٩ .

إلى الأمراء الذين بغزة، [من جهة الملك المنصور](١) ، يعدهم و يستميلهم، وعين لكل منهم قلعة . وعسكر بظاهر دمشق . بمجرّد السلطان ، الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، والأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح ، بالعساكر ومن معهما من مضافيهما . فاجتمعا بالأميرين عز الدين الأفرم ، و بدر الدين الايدمرى ومن معهما . وساروا، والمقدم عليهم الأمير علم الدين سنجر الحلبي .

وكان سنقر الأشقر ، قد برز من قلعة دمشق ، بعساكر الشام فى ثانى عشر صفر ، سنة تسع وسبعين وستمائة ، ونزل بالجسورة . ووصل العسكر المصرى إلى الكسوة . وترتبت الأطلاب وتقدمت . والتقى العسكران بالجسورة ، فى خامس عشر الشهر . وعند اللقاء انهزم عسكر حماه والعسكر الحلبي . وانحاز جماعة من الشاميين إلى العسكر المصرى . وحمل [سنجر](٢) الحلبي على سنقر الأشقر ، فانهزم لوقته . وصحبه من الأمراء الأخصاء به ، الأمير عز الدين ازدمر الحاج، والأمير علاء الدين الكبكى ، والأمير شمس الدين قراسنقر المعزى ، والأمير سيف الدين بلبان الحبيشى(٣) . وكان [سنقر الأشقر](٤) ، من عشية يوم الجمعة ، ثالث عشر صفر ، قد جهز أولاده وحريمه وحواصله إلى صهيون . فلما انهزم توجه به العرب إلى الرحبة(٥) ، وكان من خبره ما نذكره .

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٩ .

(٢) الإضافة للتوضيح م

(٣) انظر ما سبق ص ١٥ ، حاشية ١ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٧٠ .

(٥) بشير ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٩ — ١٧٠ ، و بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ١٥٢ ، إلى من قدم إلى سنقر الأشقر من أمراء العرب ، أمثال : الأمير أحمد بن حجى ، ملك العرب بالبلاد القبلية ، والأمير عيسى بن مهنا ، ملك العرب بالبلاد الشرقية ، والشمالية ، وهو الذى لازم خدمته ، ومر به بعد كسرته ، على بيوته ، ونزل به و بمن معه على الرحبة .

قال : ولما انهزم سنقر الأشقر غلقت أبواب المدينة[١] ، مخافة أن ينهبها العسكر المصرى . وامتنعت القلعة أيضا . ونزل الأمير علم الدين الحلبي بالقصر الأبلق ، بالميدان الأخضر ، وبات العسكر حوله إلى اليوم الثانى . فجاء الأمير سيف الدين الجوكندار[٢] ، وهو نائب القلعة ، من جهة الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، إلى الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق ، والأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، والصاحب تقى الدين توبة ، وهم فى الاعتقال بالقلعة ، وعلّفهم أنهم لا يؤذونه إذا أخرجهم ، ولا يؤذون أحدا من مستخدمى[٣] القلعة ، وأمنوا الناس . وكان الأمير علم الدين [الحلبى][٤] قد نادى ظاهر دمشق بالأمان ، ثم فتح الأمير حسام الدين لاجين [المنصورى][٥] باب الفرج ، ووقف عليه ، ومنع العسكر المصرى من الدخول إلى المدينة خوفا أن يشعثوا[٦] . ثم نودى بإطابة قلوب الناس ، وأمر بالزينة ودق البشائر .

وكتب الأمير علم الدين سنجر الحلبي ، إلى السلطان بالنصر . وسير الأمراء الذين قبض عليهم ، فأحسن إليهم ، ولم يؤاخذهم . وتوجه بالبشائر إلى السلطان

---

(١) المقصود مدينة دمشق . ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٧١

(٢) يتكرر ورود هذا الاسم برسم الجوكان دار والجوكندار وكلاهما صحيح ، والجوكندار هو الذى يحمل جوكان السلطان أثناء لعبة الكرة . والجوكان هو المحجن الذى تضرب به الكرة ، ويعبر عنه بالصولجان أيضا . وكانت الجوكان عصى مدهونة طولها نحو من أربعة أذرع ورأسها خشبة مخروطة معقوفة تزيد على نصف ذراع . انظر القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ، ص ٤٥٨

(٣) فى الأصل مستخدمين ، وما هنا هو الصواب لغويا ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٧١ المستخدمين بالقلعة .

(٤) الإضافة للتوضيح .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٧١ .

(٦) فى ابن الفرات جـ ٧ ، ١٧١ (يشغبوا)

الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى ، أمير سلاح ، فأنعم السلطان عليه . وأمّره بعشرة طواشية[1] . ثم كان من أمر دمشق وأخبار أهلها ، وما استقر من أمر النيابة بها ، ماذكره إن شاء الله تعالى ، فى حوادث السنين .

ذكر توجه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى صهيون وتحصنه بقلعتها

قال : لما انهزم الأمير شمس الدين المشار إليه ، من دمشق ، كما تقدم توجه إلى الرحبة ، ففارقه أكثر من كان معه ، وامتنع الأمير موفق الدين خضر الرحبي ، النائب بقلعة الرحبة ، من تسليمها إليه . فعند ذلك كاتب أبغا بن هولاكو[2] ، ملك التتار ، يعرفه بما وقع بين العساكر الإسلامية من الاختلاف ، وحثه على قصد البلاد بجيوشه ، ووعده الانحياز[3] إليه ، والإعانة والمساعدة على ذلك وكتب إليه[4] ، الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا ، بمثل ذلك وكان ماذكره إن شاء الله تعالى .

قال : وكان سنقر الأشقر ، لما تغلب على الشام ، كاتب نواب القلاع .

---

(١) الطواشية ، والمفرد طواشى ، ويقصد به هنا الجندى الفارسى ، ويتقاضى راتبا يتفاوت بين ٧٠٠ ، ١٠٠٠ دينار ، ويبلغ فى بعض الأحوال ١٢٠ دينارا . وله برك ، وغلام يحمل سلاحه فى الحرب . انظر المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٨٦

(٢) يقابل ماورد فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ١٥٤ .

(٣) فى الأصل الانحاز ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٩ ، ص ١٢ .

(٤) المقصود هنا أبغا أيضا .

فمنهم من أطاعه، ومنهم من امتنع عليه . وكان ممن أطاعه نائب صهيون وبرزية[1] وبلاطنس والشغر وبكاس[2] ، وشيزر وعكار[3] وحمص . فلما انهزم [سنقر الأشقر[4]] ، جرّد السلطان خلفه جيشا صحبة الأمير حسام الدين [ايتمش[5]] بن أطلس خان . فبادر هو، وعيسى بن مهنا، بالهرب إلى صهيون، وذلك فى جمادى الأولى[6] من السنة المذكورة . وعاد ابن أطلس خان ومن معه ، واستقر سنقر الأشقر بصهيون .

ذكر انتظام الصلح بين السلطان الملك المنصور، وبين سنقر الأشقر ، وما استقر بينهما، وانتقاض ذلك ، وأخذ صهيون منه

وفى سنة ثمانين وستمائة ، انتظم الصلح بين السلطان الملك المنصور ، والأمير شمس الدين سنقر الأشقر . وذلك أن السلطان جرّد الأمير عز الدين أيبك الأفرم، والأمير علاء الدين كشتغدى[7] الشمسى إلى شيزر، فترددت الرسائل بين السلطان وبين سنقر الأشقر، وطلب منه تسليم شيزر، فطلب منه الشغر وبكاس،

(١) برزية ، حصن قرب اللاذقية ، على سن جبل شاهق . والرسم المثبت هنا هو ماتردده العامة ، والصحيح برزويه ، انظر ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ، ص ٥٦٥ .

(٢) فى الأصل الشعره، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ص ١٧٢ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٧ .

(٣) فى الأصل عكاره ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٧٢ عكا ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٧ ، و بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٥٤ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٧٢ .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٧٢ .

(٦) فى الأصل الأول ، وما هنا هو الصواب ، ولم يحفل الناسخ بأصول اللغة ولذا جرى تصحيح ما تصادف وقوعه من الأخطاء النحوية ، دون الإشارة إلى ذلك ، إلا إذا انتضت الأحوال بالإشارة .

(٧) فى الأصل كشغدى ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٧ .

وكانتا قد أخذتا منه، وطلب معهما [فامية](١) ؛ وكفرطاب [وأنطاكية](٢) و بلادها، فأجيب إلى ذلك . وتقرر أن يقسم [شمس الدين سنقر الأشقر](٣) ، على هذه البلاد ، [وعلى ما بيده قبل ذلك من البلاد، وهى صهيون و بلاطنس واللاذقية](٤) بستمائة(٥) فارس ، لنصرة الإسلام ، و إن الأمراء الذين معه ، إن أقاموا عنده ، يكونون من أمرائه ، وإن حضروا إلى السلطان يكونون آمنين ، ولا يؤاخذون.

وحضر عنده الأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، بنسخة اليمين على ما تقرر ، فحلف السلطان على ذلك . وكتب له تقليدا بالبلاد ، وسأل [سنقر الأشقر](٦) ، أن ينعت بلفظ الملك ، فما أجاب السلطان إلى ذلك ، ونعت بالإمرة . وسير السلطان ، الأمير فخر الدين [أباز](٧) المقرى [الحاجب](٨) فحلفه ، وسير إليه السلطان من الأقمشة والأوانى والأنعام شيئا كثيرا . وانتظم الصلح والاتفاق .

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٩ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٧ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٩ والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٦٨٧ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٩ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٩ .

(٥) فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٩ (ستمائة) ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٧ للتوضيح .

فالمعروف أن مرتبة أمير مائة كانت أعلا مراتب الأمراء فى دولة المماليك ، ينال صاحبها إقطاعا يعيش عليه مائة فارس . وكلما تزايد عدد الفرسان ، زاد إقطاع الأمير . وما يقصده الأمير سنقر الأشقر هنا ، أن يعطيه السلطان من الاقطاعات ما يساوى إقطاعات ستة من أكابر الأمراء . (المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٦٨٧ حاشية ١) .

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٩

(٧) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٩ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٨

(٨) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٩ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٨

وحضر مع السلطان فى مصاف[1] حمص، وعاد إلى صهيون على ما نذكره إن شاء الله تعالى ؛ واستمر ذلك إلى سنة أربع وثمانين وستمائة .

فلما حضر السلطان لحصار المرقب ، وهى بالقرب من صهيون ، لم يحضر الأمير شمس الدين إلى خدمة السلطان . فتنكر السلطان لذلك ، وحنق [عليه[2]] بسببه . وأرسل سنقر الأشقر ولده ناصر الدين محمد إلى خدمة السلطان يتلافى ذلك ، فمنعه السلطان من العود إلى والده . واستمر إلى سنة ست وثمانين وستمائة . فجرد السلطان نائبه [بالديار المصرية[3]] ، الأمير حسام الدين طرنطاى ، إلى صهيون ، فى جماعة كثيرة من العساكر ، فنازلها ، وراسله فى تسليمها ، وذكر له مواعيد السلطان له . فامتنع من ذلك ، فضايقه ، ونصب المجانيق حتى أشرف على أخذ حصن صهيون عنوة . فلما رأى [الأمير شمس الدين سنقر الأشقر[4]] ذلك ، أرسل فى طلب الأمان والأيمان . فحلف له الأمير حسام الدين طرنطاى ، إن السلطان لا يضمر له سوءا . فنزل إلى الأمير حسام ، وسلّم إليه الحصن . فأخبرنى[5] من ذكر أنه شهد كيف كان نزوله إليه ، وما عامل كل منهما الآخر به ،

---

(١) فى الأصل مصنف ، وما هنا هو الصحيح . فالمعروف أن سنقر الأشقر ، اشترك مع السلطان المنصور قلاوون فى قتال التتار عند حمص فى هذه السنة ، ٦٨٠ هـ (انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٩٣) .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٩ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٩

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٩ .

(٥) اورد ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٩ العبارة على النحو التالى . . حكى من ذكر أنه شهد كيف نزول . والرواية مطابقة لما أورده النويرى ، ولم يختلف عنه إلا فى تغيير الضمير . وفى ذلك دليل على اتفاقهما فى مصدر واحد .

فقال: بينما الأمير حسام الدين جالس فى خيمته، إذ قيل له، هذا الأمير شمس الدين قد جاء. فوثب وأسرع المشى، وخرج إليه وتلقاه، فترجل الأمير شمس الدين. وخلع الأمير حسام الدين قباء كان عليه، وبسطه على الأرض، ليمشى الأمير شمس الدين عليه. فرفعه الأمير شمس الدين عن الأرض، وقبّله ولبسه. فأعظم الأمير حسام الدين طرنطاى ذلك، وعامل الأمير شمس الدين بأتم الخدمة وغاية الأدب. ورتّب فى الحصن نائبا ووالياً ورجّاله. وسار هو والأمير شمس الدين إلى الديار المصرية. فلما قرب من قلعة الجبل، ركب السلطان وولداه الملك الصالح علاء الدين على، والملك الأشرف صلاح الدين خليل، وأولاد الملك الظاهر، والعساكر. وتلقاه الأمير شمس الدين وعانقا، وطلعا إلى القلعة، وحمل السلطان إليه الخلع والأقمشة والجواهر الذهب والتحف، وساق إليه الخيول، وأمّره بمائة فارس، وقدّمه على ألف. واستمر فى الخدمة السلطانية، من أكابر أمراء الدولة.

فهذا ما اتفق له، فى خروجه وعوده على سبيل الاختصار. ثم كان من أخباره بعد ذلك، ما نذكره إن شاء الله تعالى فى مواضعه. فلنذكر حال الملك السعيد وأخيه المسعود.

ذكر خبر الملك السعيد
وما كان من أمره بالكرك واستيلائه
على الشوبك واستعادتها منه.

قال المؤرخ[1]: لما توجه الملك السعيد إلى الكرك، كان السلطان الملك

(١) لازال النويرى يشير إلى المصدر الذى أخذ عنه، دون أن يذكر صراحة اسم المؤلف وعنوان الكتاب، على أنه يلجأ عادة إلى تلخيص الرواية، بينما حرص ابن الفرات على الاسهاب والتفصيل؛ وا كتفى هنا بان قال: قال المؤرخ.

المنصور، قد شرط عليه، أنه لا يكاتب الأمراء، ولا يفسد العساكر، ولا يتطرق إلى غير الكرك . فلما استقر بها حركه مماليكه، وحسنوا له التطرق إلى الحصون وأخذها، أولا فأولا، فوافقهم على ذلك . وكاتب النواب وصير الأمير حسام الدين لاجين، رأس نوبة الجمدارية، إلى الشوبك، فتغلب عليها، وأقام بها . فكاتبه السلطان الملك المنصور، ونهاه فلم ينته، فجرد الأمير بدر الدين بيليك الايدمرى إلى الشوبك، فنزل عليها، وضايق أهلها، وتسلمها فى العاشر من ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وستمائة، ورتب بها نائبا وعاد عنها .

ذكر وفاة الملك السعيد، وقيام أخيه الملك المسعود خضر مقامه بالكرك .

قال[1] : وفى سنة ثمان وسبعين وستمائة، ركب الملك السعيد، إلى الميدان بالكرك، ولعب بالكرة، فتقنطر عن فرسه، فصدع وحمّ [أياما قلائل][2]، فمات . وكانت وفاته، رحمه الله تعالى، فى ثالث عشر ذى القعدة، من السنة .

وعمل السلطان الملك المنصور له عزاء، بقلعة الجبل، فى الثانى والعشرين من الشهر . وحضره وعليه ثياب البياض، وحضر الأمراء والقضاة والعلماء، والوعاظ . ولما توفى صُبِّر، ووضع فى تابوت مدة، ثم حمل إلى التربة الظاهرية بدمشق، وذلك فى سنة ثمانين وستمائة، ووصلت والدته إليها فى ثامن

(١) يكتفى النويرى بالإشارة إلى مرجعه، بأن يورد لفظة « قال » .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧، ص ١٦ .

عشرين شهر ربيع الآخر ، والسلطان الملك المنصور يوم ذاك بالشام . فادخل التربة الظاهرية ليلاقى تابوت ، ولم يدخلوا به من باب المدينة ، وإنما رفعوا تابوته من أعلا السور ، ودلّوه من الجانب الآخر ، ووضع فى قبره ، وألحده القاضى عز الدين بن الصائغ ، كما ألحد والده .

وحضر السلطان الملك المنصور فى بكرة دفنه إلى التربة الظاهرية ، ومعه القضاة والعلماء والقراء والوعاظ ، وأظهر الحزن عليه ، وذلك فى سلخ شهر ربيع الآخر[1] . ومولده بمنزلة العش[2] ، من ضواحى القاهرة ، فى صفر سنة ثمان وخمسين وستمائة .

قال[3] : وكان الملك السعيد ، لما استقر بالكرك ، رتب فى النيابة بها الأمير علاء الدين ايدغدى الحرانى الظاهرى ، لما فارقه الأمير علاء الدين الفخرى النائب بها إلى الديار المصرية . فلما مات اتفق [نائبه الأمير علاء الدين ايدغدى] الحرانى[4] ومن معه ، وأقاموا أخاه خضرا مقامه ، ولقب بالملك المسعود . فشرع المماليك ، الذين حول الملك المسعود نجم الدين خضر ، فى سوء التدبير ، ففرقوا أموال الذخائر[5] ، وأرادوا أن يستجلبوا بها الناس ، وانضم إليه كل من قطع رزقه . وتوجه منهم جماعة إلى الصلت فاستولوا عليها ،

(١) هذه الرواية تتفق مع رواية ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١١ ، غير أن النويرى يحرص دائما على تلخيص ما يقع تحت يده من المصادر .

(٢) منزلة العش ، من ضواحى القاهرة (ابن أبى الفضائل : النهج السديد ص ٢٩١) .

(٣) الراجح أنه يشير إلى المصدر الذى ينقل عنه .

(٤) ما بين المعقوفتين للتوضيح @

(٥) الذخائر ، المقصود بها هنا المؤن .

وأرسلوا إلى صرخد ، وقصدوا الاستيلاء عليها ، فعجزوا عن ذلك . وشرعوا فى استفساد الناس ، وتسامع بهم العربان والطماعة ، أنهم يبذلون الأموال ، فقصدوهم من كل الجهات ، وهم يبذلون الأموال لمن يقصدهم و يصل إليهم . فكان جماعة من العربان وغيرهم يقصدونهم من أطراف البلاد ، ويجتمعون ويحضرون إلى الملك المسعود ، و يبذلون له الطاعة ، و يتقربون إليه بالنصيحة . فإذا وثق بهم ، وأنفق فيهم الأموال ، وحصلوا عليها ، و بلغوا الغرض مما راموه تسللوا وفارقوه ، وعادوا من حيث جاءوا وتفرقت جماعاتهم . وهو ومن عنده لا يرجعون عن بذل المال لمن يصل إليهم ، إلى أن فنيت أكثر تلك الذخائر ، التى كانت بالكرك ، التى حصنها السلطان الملك الظاهر ، وجعلها بهذا الحصن ذخيرة لأوقات الشدائد ، فنفقوها فيما لا أجدى نفعا ، بل جلب ضررا ، وغلّت الخواطر . ثم كاتبوا الأمير شمس الدين سنقر الأشقر [نائب السلطنة بدمشق][1] فى الموافقة [معهم][2] . واتصل ذلك بالسلطان ، فجرد الأمير عز الدين أيبك الأفرم إلى الكرك على سبيل الإرهاب . وكان بينه و بين الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ماقدمناه[3] .

ذكر الصلح بين السلطان والملك المسعود وانتقاض ذلك و إخراجه من الكرك .

وفى سنة ثمانين وستمائة ، وردت رسل الملك المسعود إلى السلطان فى طلب الصلح ، والزيادة على الكرك ، وأن يكون له ما كان للناصر داود ، فلم يجبه

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٠

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ١٦٠ .

(٣) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٦٠ .

السلطان إلى ذلك ، ولا إلى إقامته بالكرك بالأصالة . وترددت رسائله إلى السلطان ، وسأل أن يقر بيده الكرك وأعمالها من حد الموجب[1] إلى الحسا[2] . فأجابهم السلطان ، وحلف لهم ، والتمسوا شروطا : منها تجهيز الإخوة الذكور والإناث ، أولاد الملك الظاهر إلى الكرك ، وردّ الأملاك الظاهرية عليهم ، وتمّ الصلح وحلف السلطان عليه .

وتوجه الأمير بدر الدين بيليك المحسنى السلاح دار ، والقاضى تاج الدين ابن الأثير ، إلى الكرك ، وحلفا الملك المسعود . وكوتب من ديوان الإنشاء ، كما يكاتب صاحب حماه ، واستمر الأمر على ذلك إلى سنة اثنتين وثمانين [وستمائة][3] ، فبلغ السلطان أنهم نقضوا ما كان قد تقرر . وحضر الأمير علاء الدين ايدغدى الحرانى ، نائب الملك المسعود بالكرك ، وأنهى إلى السلطان ما اعتمدوه ، مما يغلّ الخواطر . فكتب السلطان إلى الملك المسعود ومن معه ينهاهم عن ذلك ، فلم ينتهوا . فجرد إلى الكرك فى هذه السنة[4] الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى ، أمير سلاح ، وأمره بمراسلتهم ، فراسلهم ، فلم يرجعوا عن اعتمادهم ، فضايق الكرك ، ورعت خيول العسكر تلك الزراعات كلها ، ثم عاد عن الكرك .

وتراخى الأمر ، واستمر الملك المسعود بالكرك إلى سنة خمس وثمانين وستمائة . فجرد السلطان الملك المنصور ، الأمير حسام الدين طرنطاى ، نائب السلطنة ،

(١) الموجب ، وهو بلد بين القدس والبلقاء . (ياقوت : معجم البلدان جـ ٤ ، ص ٦٧٨ .

(٢) الحسا ، وهو واد قرب الكرك . Le Strange : Palestine Under Moslems P. 450.

(٣) الإضافة للتوضيح .

(٤) أورد ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١ ، هذا الخبر فى أحداث سنة ٦٨٣ .

بجيش كثيف ، وأمره بمنازلة الكرك ومحاصرتها[1] فتوجه إليها ، وأحضر آلات الحصار ، من الحصون الإسلامية ، وضايقها وقطع المـيرة عنهـا . واستدعى بعض الرجّالة[2] ، وأحسن إليهـم ، فوافقوه[3] على الملك المسعود . فلما رأى الملك مسعود نجم الدين خضر ، وأخوه بـدر الدين سلامش الحال على ذلك ، أرسل الملك المسعود إلى الأمـير حسام الدين طرنطاى ، فى طلب الأمان ، فأمّنه عن السلطان . فقال لا بد من أمان السلطان وخاتمـه . فطالع الأمـير حسام الدين السلطان بذلك ، فأرسل السلطان بأمانه الأمـير ركن الدين بيبرس الداوادار المنصورى ، فاجتمع بهما ، وأبلغهما أمان السلطان ، فـنزلا من قلعة الكرك ، إلى الأمير حسام الدين طرنطاى ، وذلك فى صفر سنة خمس وثمانين [وستمائة][4] .

فرتب الأمـير حسام الدين ، عز الدين أيبك الموصلى المنصورى ، فى نيابة السلطنة بالشوبك منذ استعيدت من الملك السعيد .

ورحل الأمير حسام الدين طرنطاى ، وولدا الملك الظاهر صحبته ، فلما وصلوا إلى الديار المصرية ، وقربوا من قلعـة الجبل ، ركب السلطان ، وتلقاهما وأقبل عليهما ، وطلعا إلى القلعة ، وذلك فى يوم الثلاثاء ثانى عشر ربيع الأول . وأمّر كلا منهما [إمرة][5] مائة فارس . واستمرا يركبان معـه فى الموكب والميدان ، ونزلهما[6] منزلة أولاده . ثم بلغه عنهما ما تنكر له ، فقبض عليهما واعتقلهما ، وبقيا فى الاعتقال فى أيام السلطان الملك الأشرف ، فسيرهما إلى القسطنطينية .

(١) فى الأصل وحصاراتها ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٥ .
(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ص ٣٥ رجالة الكرك .
(٣) فى الأصل ، فوافقه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٥ .
(٤) الإضافة للتوضيح .
(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٧ .
(٦) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٧ ، وانزلهما .

هذا ما كان من أخبار هؤلاء المناوئين فى الملك، فلنذكر الفتوحات والغزوات، ونوردها فى الترتيب، على حكم السنين، إن شاء الله تعالى.

ذكر الفتوحات والغزوات التى شهدها السلطان بنفسه، والتى ندب إليها عساكره المؤيدة

ذكر[1] عبور التتار إلى الشام، والمصاف الذى وقع بينهم وبين العساكر المنصورة، بحمص وانهزام التتار.

قال المؤرخ[2]: وفى سنة ثمانين وستمائة، وردت الأخبار بدخول منكوتمر[3]، إلى بلاد الروم، بعساكر المغل، وأنه نزل بين قيسارية وابلستين، فتوجه كشافة من عين تاب، فوقعوا بفرقة من التتار بالقرب من صحراء هوتى[4]، الذى كسر الملك الظاهر التتار عليها. فظفروا منهم بإنسان يسمى حلتار بهادر[5] [أمير][6] آخور أبغا ابن هولاكو، كان قد توجه لكشف المروج، فأمسكوه وأحضروه إلى السلطان

(١) هذا العنوان، يندرج تحت العنوان السابق الذى يتعلق بفتوحات السلطان المنصور قلاون وغزواته.

(٢) دأب النويرى على الإشارة إلى المصدر الذى استقى منه المعلومات، بما أورده من عبارات قال، وقال المؤرخ. وتطابق رواية النويرى مع رواية ابن الفرات (جـ ٧ ص ٢١٢ — ٢١٣)، مما يدل على استقائهما من مصدر واحد.

(٣) فى الأصل من كوتمر، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧، ص ٢١٢. وهذا الرسم هو الذى يرد عادة فى المصادر العربية. وهو أخ أبغا بن هولاكو (المقريزى، السلوك جـ ١، ص ٦٩٠).

(٤) صحراء هوتى كذا فى الأصل، وفى المقريزى: السلوك جـ ١، ص ٦٢٨ وفى ابن أبى الفضائل: كتاب النهج السديد ص ٢٥٩ صحراء البلستين، وهى الابلستين وهى مدينة ببلاد الروم اسمها الحالى البستان وهى قريبة من انيسوس. (ياقوت: معجم البلدان جـ ١، ص ٩٤).

(٥) فى ابن الفرات جـ ٧، ص ٢١٢ حلتار، واكتفى المقريزى: السلوك جـ ١، ص ٦٩٠، بأن أشار إلى أن كشافة السلطان أسروا من التر شخصا، وبعثوا به إلى السلطان.

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧، ص ٢١٣.

إلى دمشق . فوانسه السلطان ، وسأله عن الأخبار ، فذكر أنهم فى عدد كثير يزيدون على ثمانين ألف فارس من المغل ، وعزمهم أنهم يقصدون البلاد ، قولا جزما ، ويركبون من منزلتهم أول شهر رجب .

ثم ورد الخبر فى جمادى الآخرة ، أنهم ركبوا من منزلتهم ، وأنهم يسيرون برفق ، وأن فرقة منهم توجهت صحبة أبغا إلى الرحبة ، ومعه صاحب ماردين ، فسير السلطان كشافة إلى الرحبة ، صحبة بجكا(١) العلائى . وركب السلطان من دمشق ، ووصل العدو المخذول إلى صوب حارم . وراسل السلطان الأمير شمس الدين سنقر الأشقر عدة مراسلات ، إلى أن تقرر أنه ينزل من صهيون بمن معه للغزاة ، بشرط أن يعود إليها ، إذا انقضى المصاف . فنزل ووافى السلطان على حمص ، هو ومن كان عنده من الأمراء ، وهم ايتمش السعدى ، وازدمر الحاج ، وسنجر الداوادارى ، وبجق البغدادى ، وكراى ، وشمس الدين الطنطاش وابنه ، ومن معهم من الظاهرية . ففرح المسلمون بحضورهم ، وكان ذلك قبل المصاف بيومين .

ثم ورد الخبر أن منكوتمر على حماه بعساكر التتار ، فى ثمانين ألف ، منهم خمسون ألف من المغل ، وبقيتهم مرتدة وكرج(٢) وروم وأرمن(٣) وفرنج ، وأنه نفر

---

(١) فى الأصل نحكا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٣ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٩١ .

(٢) كانت فئة الكرج بقيادة ملكهم دمزى الثانى . انظر

Allen: A History of theGeorgian People P. 118 note 3.

(٣) كان الأرمن بقيادة منكم ليون ــ انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٩٢ حاشية ١ .

إليهم مملوك من مماليك الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الصالحى الجالق، ودلّهم على عورات المسلمين وأخبرهم بعددهم .

ورحلوا ليلة الخميس عن حماه ، ورتبوا جيشهم . فكان طرف ميمنتهم حماه، وطرف ميسرتهم[ ][1]، وساقوا طالبين اللقاء، والمقدم عليهم من قبل أبغا ، منكوتمر [بن][2] هولاكو ، أخو أبغا .

ورتب السلطان الملك المنصور عساكره، وبات المسلمون على ظهور خيولهم . واتفق أن شخصا من عسكر التتار، دخل حماه، وقال للنائب بها: «اكتب الساعة إلى السلطان، على جناح طائر، وعرفه أن القوم ثمانون ألف مقاتل فى القلب ، منهم أربعة وأربعون ألف من المغل وهم طالبون القلب ، وميمنتهم قوية جدا ، فتقوى ميسرة المسلمين ، وتحترز على الصناجق» . فكتب النائب بذلك إلى السلطان . فلما قرأ الكتاب ركب عند إسفار الصباح ، فى يوم الخميس رابع عشر شهر رجب ، سنة ثمانين وستمائة ، وهو يوم اللقاء . ورتب العساكر المنصورة الإسلامية ، على ما نذكره، بمقتضى ما أورده الأمير ركن الدين بيبرس الداوادار المنصورى فى تاريخه[3] وهو :

---

(١) بعد ميسرتهم بياض بالأصل ، ولم يستطع المحقق بما لديه من المصادر التى اسعفت فى شرح الوقعة ، أن يملأ هذه الفجوة ؛ ولم يرد فى ابن الفرات (ج ٧ ، ص ٢١١) الذى تطابق روايته ما أورده النويرى ، واكتفى بالإشارة إلى الميسرة ، وكذا جرى بيبرس الدوادار ، فى زبدة الفكرة على نهج ابن الفرات .

(٢) الإضافة من ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢١٥ .

(٣) هذه العبارة واردة بنصها فى ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢١٥ ، وفى ذلك دليل على ما لجأ إليه ابن الفرات من النقل عن النويرى أو المصدر الذى استند إليه وهو بيبرس الدوادار . انظر ما يلى .

الميمنة المنصورة[١] ، فيها الملك المنصور صاحب حماه ، والأمير بدر الدين بيسرى الشمسى ، والأمير علاء الدين طيبرس الوزيرى والأمير عز الدين أيبك الأفرم ، والأمير علاء الدين كشتغدى[٢] الشمسى ومضافوهم[٣] ، والأمير حسام الدين لاجين نائب الشام والعسكر الشامى . وفى رأس الميمنة الأمير شرف الدين عيسى ابن مهنا وآل فضل وآل مرى ، وعربان الشام ، ومن انضم إليهم .

الميسرة المباركة ، فيها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ومن معه من الأمراء ، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى ، والأمير بدر الدين بكتاش أمير سلاح ، والأمير علم الدين سنجر الحلبى ، والأمير بجكا العلائى ، والأمير بدر الدين بكتوت العلائى ، والأمير سيف الدين خبرك[٤] التترى ، ومن معهم من المضافين . وفى رأس الميسرة التركمان بمجموعهم وعسكر حصن الأكراد .

ذكر الجاليش وهو مقدمة القلب[٥] ، فيه الأمير حسام الدين طرنطاى ، نائب السلطنة ، ومن معه من مضافيه ، والأمير ركن الدين اياجى[٦] الحاجب ، والأمير

(١) وردت العبارة بخط كبير ، على الصورة التى وردت فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، ولذا جرى وضع خط تحتها .

(٢) فى الأصل السعدى ، وما هنا من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٦٩٢ .

(٣) فى الأصل ومضافيهم ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٥ حبرك ، وفى بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ١١٤ ب جبرك .

(٥) الملحوظ أنه فى ترتيب العساكر فى الجيش ، أورد الناسخ بخط كبير اسم أحد كبار الأمراء ، بعد عنوان الوضع العسكرى الذى ينتمى إليه كالميمنة والميسرة والجاليش ، للدلالة على مكانته بين سائر الأمراء .

(٦) فى الأصل اباجى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٦ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٦٩٣ .

بدر الدين بكتاش بن كرمون ، ومن معهم من المماليك السلطانية . ووقف السلطان تحت الصناجق ، وحوله مماليكه وأزامه وأرباب الوظائف .

وأشرفت كراديس التتار . وكان الملتقى بوطأة حمص ، بالقرب من مشهد خالد بن الوليد . فالتقى الجمعان ، فى الساعة الرابعة ، من نهار الخميس ، وجاءت ميسرة العدو ، تجاه الميمنة الإسلامية ، وصدموا[1] الصدمة الأولى ، فثبت المسلمون . وانكسرت ميسرة التتار كسرة تامة ، وانتهت إلى القلب الذى للتتار ، وبه منكوتمر .

وأما الميسرة الإسلامية ، فصدمتها ميمنة التتار ، فلم تثبت لترادف كراديسهم . وساق التتار وراء المسلمين ، حتى انتهوا إلى تحت حمص . ووقعوا فى السوقة والعوام ، فقتلوا منهم خلقا كثيرا . ولم تعلم المسلمون ما تهيأ لليمنة من النصر ، ولا علم التتار ما أصاب ميسرتهم . فاستقل بعض من انهزم إلى دمشق ، وبعضهم إلى قرب صفد . ومنهم من وصل غزة .

ولما رأى التتار ، أنهم قد استظهروا ، نزلوا[2] عن خيولهم فى المرج الذى عند حمص ، وأكلوا الطعام ، ونهبوا الأثقال[3] والوطاقات[4] ، والخزانة . وانتظروا

---

(١) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ص ٢١٦ وصدموها .

(٢) فى الأصل ولوا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٦

(٣) الأثقال ، جمع ثقل وهو متاع الفارس والجندى ، وما يتعلق به من الحشم .
Dozy : Supp Dict. Ar.

(٤) الوطاقات ومفردها وطاق (وفى التركية أوتاق وأوطاق ، وأوتاغ) وليس المقصود بالوطاق الخيمة فحسب ، بل خيام عديدة تعتبر معسكر الجيش Dozy: supp. Dict. Ar.

قدوم بقيتهم ، فلما ابطأوا عنهم ، أرسلوا من يكشف خبرهم ، فعاد الكشافة وأخبروهم[أن[١]] منكوتمر هرب ، فركبوا خيولهم ، وكروا راجعين .

هذا والسلطان ثابت فى موقفه ، فى نفر يسير من المماليك ، والعسا كر قد تفرقت . منهم من تبع التتار الذين انهزموا ، ومنهم من استمر به الهرب. فلما رجعت ميمنة التتار ، أمر السلطان أن تلف الصناجق ، وتبطل الكوسات[٢] ، فمروا ولم يقدموا عليه . وأخذوا على طريق الرستن، ليلحقوا بأصحابهم . [وعندما تقدموه قليلا ، ساق عليهم ، فانهزموا لا يلوون على شىء . وكان ذلك تمام النصر ، وهو عند غروب الشمس من يوم الخميس . ومرّ هؤلاء المنهزمون من التتار نحو الجبل ، يريدون منكوتمر . وكان ذلك من تمام نعمة الله على المسلمين و إلا لو قدر الله أنهم رجعوا على المسلمين ، لما وجدوا فيهم قوة . ولكن الله نصر دينه ، وهزم عدوه مع قوتهم وكثرتهم . وانجلت هذه الواقعة عن قتل كثيرة من التتر لا يحصى عددهم][٣] . وكتبت البطائق بالنصر .

وعاد السلطان من يومه إلى المنزلة ، [بعد انفصال الحرب[٤]] . وكان قد فرق ما بالخزانة من الذهب ، فى أوساط مماليكه ، فسلم بجماته . وبات السلطان بالمنزلة ليلة الجمعة . فلما كان عند السحر، ثار صياح بالوطاقات ، فظن الناس عود العدو ، فركب السلطان ومعه من وكان بالوطاقات ، فانكشف الخبر بعد

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٦

(٢) فى الأصل الكوتثينات ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٧

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٧ — ٢١٨ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٦٩٥

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٨

ساعة ، أن جماعة من العسكر ، الذين تبعوا التتار عند الهزيمة رجعوا . وقتل من التتار فى الهزيمة ، أكثر من الذين قتلوا فى المصاف ، واختفت منهم طائفة بجانب[1] الفرات . فأمر السلطان أن تضرم النيران بالأزوار[2] التى على الفرات ، فأحرق أكثر من اختفى فيها . وهلكت فرقة منهم ، كانوا سلكوا درب سلمية .

ولما وصلت البطائق إلى الرحبة ، بخبر النصر وهزيمة التتار ، كان أبغا ملك التتار يحاصرها ، فدقت البشائر ، وأعلن الناس بالنصر ، ففارقها أبغا وتوجه إلى بغداد .

وعاد الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى صهيون . ورجع إلى الخدمة السلطانية ممن كان معه ، ايتمش السعدى ، وسنجر الداوادارى وكراى التتارى وولده ، وتماجى[3] ، وجماعة من الأمراء الذين كانوا عنده . وعاد السلطان إلى دمشق ، فكان وصوله إليها ، فى يوم الجمعة ثانى عشر شهر رجب الفرد ، وامتدحه الشعراء ، وأكثروا المدائح والهناء بهذا النصر .

وخرج السلطان من دمشق ، عائدا إلى الديار المصرية ، فى يوم الأحد ثانى شعبان . وكان وصوله إلى قلعة الجبل ، فى يوم السبت الثانى والعشرين من الشهر ، فزينت له المدينة . ودخل ، وبين يديه الأسرى ، وبعضهم يحمل صناجقهم المكسورة وطبولهم . وخلع السلطان على الأمراء والأكابر .

(١) فى الأصل بجنب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٨ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٩٥

(٢) الأزوار والأزيار ، جمع زارة ، وهى الأجمة ذات الماء والحلفاء والقصب (لسان العرب)

(٣) فى الأصل تماحى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٢١ .

واستشهد فى هذه الواقعة من الأمراء من نذكر : منهم الأمير عز الدين ازدمر الحاج . وهو الذى جرح منكوتمر ، وكان من أعيان الأمراء ، وكانت نفسه تحدثه أنه يملك . والأمير بدر الدين بكتوت [الخازندار ، والأمير سيف الدين بلبان الرومى الداوادار الظاهرى ، والأمير شهاب الدين توتل[1]] الشهرزورى ، رحمهم الله تعالى .

هذا ما كان من خبر هذه الواقعة .

ذكر فتوح قلعة قطيبا[2]

وهذه القلعة كانت فى الزمن الأول محسوبة فى جملة قلعة آمد ، ثم صارت فى يد ملك الروم ، وصارت فى يد العدو المخذول [من[3]] التتار ، وفيها نوابهم . وكانت مُضِرَّة بقلعة كركر والثغور المجاورة لها ، وما كان يمكن أخذها بحصار ، فتلطف النواب ، واستمالوا من كان بها .

فلما كان فى سنة اثنتين وثمانين وستمائة . خلت هذه القلعة من الغلال . فورد السلطان إليها رجالة كركر ، فضايقوها . فسأل[4] أهلها مراحم[5] السلطان فأجيبوا إلى ملتمسهم . وتسلمها نواب السلطان ، وأحضروا إليها جماعة من الرجالة من

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٩ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٩٦

(٢) انظر الأنس الجليل ، جعل الفتوحات تحت عنوان واحد ، وخص كل فتح بعنوان بخط كبير ، جرت كتابة العنوانات بالخط العادى ، على أن يكون تحتها خطوط .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٣ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٦٩٦

(٤) فى الأصل ، فسألوا ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٣ .

(٥) فى الأصل ، تراحم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٣ .

قلعة البيرة وعين تاب والروندان . وجعل فيها مايحتاج إليه من الغلال والسلاح والعدد . وصارت من حصون الإسلام المنيعة .

ذكر فتوح ثغر الكحتا

وفى سنة اثنتين وثمانين وستمائة أيضا ، فتحت قلعة الكحتا . وهى من أمنع الحصون وأعلاها وأتقنها بنية[1] . فاجتهد السلطان فى تحصيلها و إضافتها إلى الحصون الإسلامية . ووعد من بها المواعيد الجميلة . فأجابوا بالسمع والطاعة . وقتلوا النائب بها ، وهو الشجاع موسى . وراسلوا نائب السلطنة الشريفة بالمملكة الحلبية ، وبذلوا تسليم القلعة . فجهز إليهم الأمير جمال الدين الصرصرى[2] ، والأمير ركن الدين بيبرس السلاح دار ، والأمير شمس الدين أقش الشمسى العيتابى ، ومن معهم . فتسلموا الحصن ، وحلفوا من به للسلطان ولولده الملك الصالح ، والبسوهم التشاريف ، ثم جهزوا من كان بها ، طائفة بعد أخرى إلى الأبواب الشريفة السلطانية . فأحسن السلطان إليهم ، وأقطع منهم من يستحق الإقطاع ، وجهزت إليها الزردخانات ، وآلات الحصار ، واستقرت فى جملة الحصون الإسلامية . وصارت هذه القلعة تجبى فى حلق الأرمن ، وحصل الاستظهار بها على الغارات .

وذكر الإغارة على بلاد سيس

وفى سنة اثنتين وثمانين وستمائة أيضا ، كتب السلطان إلى نائب السلطنة

(١) فى الأصل بنية ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٣ .

(٢) فى الأصل الصرودى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٤ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧١٤ .

بالمملكة الحلبية ، أن يوجه من يغير[1] على بلاد سيس ، بسبب ما كان الأرمن اعتمدوه ، من إحراق جامع حلب ، لما جاءوا صحبة التتار . وجرد السلطان عسكرا من الديار المصرية ، ومن عسكر الشام لذلك . فتوجهوا وأغاروا ، ووصلوا إلى مدينة أياس ، فقتلوا من أهلها جماعة ، ونهبوا وخربوا . فلما عادوا ووصلوا إلى باب اسكندرونه ، أتاهم عسكر الأرمن فاقتتلوا . فانهزم الأرمن ، وتبعهم العسكر إلى تل حمدون ، واقتلعوا جماعة من خيالتهم ، وعاد العسكر الإسلامى بالظفر والغنيمة .

ذكر فتوح حصن المرقب

وفى سنة أربع وثمانين وستمائة ، توجه السلطان الملك المنصور إلى المرقب ، ونازله فى أوائل شهر ربيع الأول . وذلك أن أهله فعلوا ما يوجب نقض الهدنة ، التى كانت حصلت بينهم وبين السلطان ، على ما نذكرها فى حوادث السنين ، ولم يتفقوا عند شروطها . فحاصر السلطان الحصن ، وعملت النقوب ، وأشرفت الفرنج على أنه يفتح عنوة . فطلبوا الأمان ، وسلموا الحصن . فتسلمه السلطان ، وذلك فى الساعة الثامنة من نهار الجمعة سابع[2] عشر شهر ربيع الأول . وكان هذا الحصن لبيت الاسبتار ، وجهز أهله إلى طرابلس .

ذكر غزوتى النوبة الأولى والثانية

كانت الغزوة الأولى فى سنة ست وثمانين وستمائة . وذلك أن السلطان الملك المنصور ، جهز الأمير علم الدين سنجر المسرورى ، المعروف بالخياط ، متولى

(١) فى الأصل يغار ، وما هنا هو الصواب لغويا ؟

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨ تاسع عشر شهر ربيع الأول ؟

القاهرة والأمير عز الدين الكوراني، وجماعة من أجناد الولايات، بالوجه القبلي والقراغلامية[1]. وجرد الأمير عز الدين أيدمر السيفي، السلاح دار، متولي الأعمال القوصية، بعدته ومن عنده من المماليك السلطانية، المركزين بالأعمال القوصية، وأجناد مركز قوص، وعربان الإقليم وهم: أولاد أبي بكر، وأولاد عمر، وأولاد شريف، وأولاد شيبان، وأولاد الكنز، وجماعة من العربان الريسية[2] وبني هلال. فتوجه الأمير علم الدين الخياط بنصف الجيش من البر الغربي. وتوجه الأمير عز الدين ايدمر بالنصف الثاني من البر الشرقي، وهو الجانب الذي فيه مدينة دنقلة. وكان متملك النوبة في ذلك الوقت اسمه سماموون[3]، وكان ذا دهاء ومكر وبأس، بالنسبة إلى أمثاله.

فلما وصل الجيش إلى أطراف البلاد، أخلا سماموون البلاد، وأرسل إلى نائبه بجزائر ميكائيل وعمل الدر[4]، وهو جريس[5] - ويسمى من يتولى هذه الولاية، عند النوبة، صاحب الجبل[6] - فأمره بإخلاء البلاد التي تحت يده أمام الجيش. فكانوا يرحلون أمام الجيش منزلة بمنزلة، إلى أن انتهوا إلى متملك النوبة بدنقلة.

---

(١) القراغلامية. وهم سائر الأجناد. العربي: مصر في عصر الأيوبيين ص ١٥٤ حاشية ٢

(٢) كذا في الأصل، وفي ابن الفرات جـ ٨، ص ٥٢ البرلسية ولم يرد في المصادر ما يحقق هذا الاسم.

(٣) في الأصل سامون، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٥٣، والمقريزي: السلوك جـ ١، ص ٧٣٧ انظر ما يلي حيث ورد الاسم صحيحا.

(٤) كذا في الأصل، والمقريزي: السلوك جـ ١، ص ٧٣٧.

(٥) كذا في الأصل، والمقريزي: السلوك جـ ١، ص ٧٣٧

(٦) في الأصل الخيل، وما هنا من المقريزي: السلوك جـ ١، ص ٦٢٢.

فأقام بها إلى حيث وصل الأمير عز الدين ومن معه ، فالتقوا واقتتلوا ، فانهزم سماموں ، وقتل من أصحابه خلق كثير . واستشهد من المسلمين أناس قلائل .

ولما انهزم [سماموں][1] ، تبعه الجيش إلى مسيرة[2] خمسة عشر يوما من دنقلة ، فادركوا جريس ، فأخذوه ، وأخذوا ابن خاله متملك النوبة ، وهو من أعيان أصحابه ، وممن يرجع إليه الملك[3] . فرتب الأمير عز الدين ، ابن أخت الملك ملكا ، ورتب جريس فى النيابة عنه ، وجرد معهما جماعة من العسكر ، وقدر[4] عليهما قطيعة ، يحملونها إلى الأبواب السلطانية فى كل سنة . وعاد الجيش [بعد أن][5] غنموا غنائم كثيرة من الرقيق ، والخيل ، والجمال ، والأبقار ، والأكسية .

ولما فارق الجيش النوبة وعاد ، وتحقق سماموں عودهم ، رجع إلى دنقلة ، وقاتل من بها ، وهزمهم واستعاد البلاد . فحضر الملك المستجد وجريس ، ومن كان معهما من العسكر المجرد ، إلى الأبواب السلطانية ، وأنهوا ما اتفق من سماموں . فغضب السلطان لذلك ، وجرد جيشا كثيفا .

ذكر تجريد الجيش فى المرة الثانية إلى النوبة

قال[6] : وجرد السلطان الأمير عز الدين أيبك الأفرم ، أمير جاندار إلى

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٣ .

(٢) فى الأصل ميسرة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٣ .

(٣) فى الأصل جمع ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٣ .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٣ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٣٧ قرر .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٣ .

(٦) يشير هنا إلى المصدر الذى نقل عنه .

النوبة ، وصحبته من الأمراء ، الأمير سيف الدين قبجق المنصورى ، والأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار ، والأمير عز الدين أيدمر ، متولى الأعمال القوصية . وجرد أيضا من أطلاب[1] الأمراء ، من نذكر : طُلْب الأمير زين الدين كتبغا المنصورى ، وطُلْب الأمير بدر الدين بيدرا ، وطُلْب الأمير سيف الدين بهادر ، رأس نوبة الجمدارية ، وطُلْب الأمير علاء الدين الطيبرس ، وطُلْب الأمير شمس الدين سنقر الطويل . وسار أجناد المراكز بالوجه القبلى ، ونواب الولاة من العربان بالديار المصرية ، من الوجهين القبلى والبحرى ، وعدتهم أربعون ألف راجل . وجهز معهم متملك النوبة ، ونائبه جريس .

وكان توجه الجيش من الأبواب السلطانية ، فى يوم الثلاثاء ، [ثا][2] من شوال ، سنة ثمان وثمانين . وصحب هذا الجيش من الحراريق والمراكب الكبار والصغار ، لحمل الأذواد ، والزردخاناة والأثقال ، ما يزيد على خمسمائة مركب .

ولما وصل العسكر إلى ثغر أسوان ، مات متملك النوبة ، فدفن بأسوان . وطالع الأمير عز الدين الأفرم [السلطان][3] بذلك . فأرسل إليه ، من أولاد أخت الملك داود رجلا ، كان بالأبواب السلطانية . ورسم له أن يملكه

---

(١) الأطلاب ومفردها طلب ، والطلب أصلا هو الأمير الذى له علم معقود وطبلخاناة ، ويخضع لأوامره مائتا فارس أو مائة أو ستون فارسا . وإذ شاع استخدام هذا اللفظ اصطلاحا فى مصر والشام زمن الأيوبيين ، صار يطلق على فئة من الجيش كثيرة العدد ، يتولى قيادتها أحد الأمراء انظر Dozy: snpp. Dict. Ar. وما به من المراجع . المقريزى ، المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٨٦ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨٣ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨٣ .

بالنوبة، فأدركهم على خيل البريد، قبل رحيل العسكر من أسوان . ولما وصل إليهم أقسم العسكر نصفين على العادة . فكان الأمير عز الدين الأفرم، والأمير سيف الدين قبجاق[1]، ونصف العسكر ونصف العربان بالبر الغربى، والأمير عز الدين أيدمر، متولى الأعمال القوصية، والأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار، ونصف العسكر ونصف العربان بالبر الشرقى .

وتوجهوا ورسم الجريس نائب النوبة أن يتقدمهم، منزلة بمنزلة، ومعه أولاد الكنز، أمراء أسوان، ليطمئنوا أهل البلاد ويؤمنوهم[2]، ويجهزوا الإقامات للعسكر . فكان الجيش إذا وافى بلدا، خرج من بها من المشايخ وأعيانها، وقبلوا الأرض بين يدى الأمراء، وأخذوا أمانا واستقروا ببلدهم، وذلك من الدو إلى جزائر ميكائيل[3]، وهى البلاد التى كانت تحت يد جريس، صاحب الجبل . وأما ما عدا ذلك من البلاد، التى لم يكن لجريس عليها ولاية، فإنها أخليت[4]، طاعة لمتملك النوبة . فكان العسكر ينهب ما يجده بها، ويقتل من تخلف من أهلها بها، ويرعون[5] زروعهم، ويحرقون[6] سواقيهم ومساكنهم، إلى أن انتهوا إلى مدينة دنقلة . فوجدوا الملك قد أخلاها، وأجلى أهلها، ولم يجد الأمراء بها إلا شيخا كبيرا وعجوزا . فسألوهما عن أخبار الملك، فذكرا أنه توجه إلى جزيرة وسطى، فى بحر النيل، مسافتها من دنقلة خمسة عشر يوما . واتساع هذه الجزيرة

(١) سبق أن ورد هذا الاسم برسم قبجق، وسوف يبقى كلا اللفظين دون الإشارة إليهما .

(٢) فى الأصل يأمنوهم، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٨٣ .

(٣) انظر ما سبق ص ٤٠ حاشية ٤ .

(٤) فى الأصل أخلت، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٨٣ .

(٥) فى الأصل، ويرعوا، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) فى الأصل، ويحرقوا، وما هنا هو الصواب لغويا .

مسافة ثلاثة أيام طولا . فتبعهم الأمير عز الدين ومن معه إلى الجزيرة المذكورة ولم يصحبهم حراق ولا مركب ، لتوعر البحر بالأحجار . فلما انتهوا إلى قبالة الجزيرة ، شاهدوا بها عدة من مراكب النوبة ، وجمعا كثيرا . فسألوهم عن الملك ، فأخبروهم أنه بالجزيرة المذكورة ، فعرضوا عليه الدخول فى الطاعة والحضور ، وبذلوا له الأمان ، فأبى ذلك . فأقام العسكر ثلاثة أيام ، وأوهموه[1] أنهم أرسلوا يطلبون المراكب والحراريق ، ويعدون إليه ويقاتلونه . فانهزم من الجزيرة إلى جهة الأبواب ، وهى مسافة ثلاثة أيام من الجزيرة ، وليست داخلة فى مملكته . ففارقه من كان معه من السواكرة[2] ، وهم الأمراء ، وفارقه أيضا الأسقف والقسوس ، ومعه الصليب الفضة ، الذى يحمل على رأس الملك ، وتاج المملكة ، وطلبوا الأمان ، ودخلوا تحت الطاعة . فأمنهم عز الدين المتولى ، وخلع على أكابرهم ، ورجعوا معه إلى دنقلة ، وهم فى جمع كثير . ولما وصلوا إليها ، عدّى الأمير عز الدين الأفرم ، والأمير سيف الدين قبجاق ، إلى البر الشرقى ، دون من معهما من العساكر .

واجتمع الأمراء بدنقلة ، ولبست العساكر آلة الحرب ، وطلّبوا من الجانبين وزينت الحراريق فى البحر . ولعب الزارقون بالنفط ، ومدّ [الأمراء[3]] الأخوان [العياط[4]] فى كنيسة أسوس[5] ، وهى أكبر كنيسة بدنقلة . فلما أكلوا الطعام ، ملّكوا الملك الواصل من الأبواب السلطانية . والبسوه التاج ،

(١) فى الأصل ، وأرهموا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩١ .
(٢) السواكرة ، أمراء النوبة . المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٥٢
(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩١ .
(٤) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٥٢
(٥) كنيسة أسوس ، ضبط هذا الاسم على منطوقه فى Quatremèra. op: Cit. II. I. P.108 حيث جاء أيضا أن هذه التسمية مأخوذة من لفظ عيسى Jesus .

وحلّفوه للسلطان . وحلّفوا له أهل البلاد . وتقرر عليه البقط[1] المستقر أولا ، والبقط هو المقرر . وجرّد عنده طائفة من العسكر[2] . وقدّم عليهم ركن الدين بيبرس العزى ، أحد مماليك الأمير عز الدين متولى قوص .

وعاد العسكر ، وكان وصوله إلى القاهرة فى جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وستمائة ، وكانت مدة غيبته منذ خرج من ثغر أسوان ، إلى أن عاد إليه ستة أشهر ، وغنموا غنائم كثيرة .

فلما عاد العسكر من دنقلة ، حضر سماعون إليها لبلا ، وصار يقف على باب كل سوكرى[3] بنفسه ويستدعيه . فإذا خرج ورآه ، قبّل الأرض بين يديه وحلف له . فلما طلع الفجر حتى ركب معه جميع العسكر النوبى . فزحف بهم على دار الملك ، وقبض على الملك . وأرسل إلى ركن الدين بيبرس [العزى][4] . أن يتوجه إلى مخدومه ، بحيث لا يلتقيان[5] . فتوجه ركن الدين ، ومن معه إلى قوص . [واستقر[6] الملك] سماعون بدنقلة . وأخذ الملك

---

(١) فى الأصل النقط ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩١ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٥ ، والبقط ، ماتقرر من الإتاوة على بلاد النوبة منذ فتحها أيام إمارة عمرو بن العاص على مصر وذلك وفقا للمعاهدة المعقودة فى رمضان سنة ٣١ هـ (مايو ٦٥٢) . وتألفت من أعداد من الرقيق والهدايا ، على أن النوبيين كانوا يتلقون من القمح والشعير والنبيذ والملابس والخيول والهدايا مايعتبر مقابلا للبقط انظر : En. Isl. Art. Bàkr.

(٢) فى المقريزى . السلوك جـ ١ ، ص ٧٥٢ : وعينوا طائفة عنده من العسكر تقيم عنده .

(٣) سوكرى ، انظر ماسبق ص ٤٤ حاشية ٢ .

(٤) الإضافة عن المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٥٣ .

(٥) فى الأصل يلتقيا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٢ .

الذى ملكه العسكر ، فعراه من ثيابه ، وذبح ثورا ، وقد جلده [سيورا][1] ، ولفها عليه طريّة ، وأقامه مع خشبة . فيبست عليه تلك السبور فمات . وقُتل جريس أيضا .

وكتب سمامون إلى السلطان الملك المنصور يستعطفه ويسأله الصفح عنه ، والترم[2] أن يقوم بالبقط[3] المقرر فى كل سنة ، وزيادة عليه . وأرسل من الرقيق والتقادم عدة كثيرة ، فوصل ذلك فى أواخر الدولة المنصورية . وحصل اشتغال السلطان بما هو أهم من النوبة . فاستقر سمامون بالنوبة إلى أيام العادلية الزينية كتبغا ، وكان من أمره ، ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر فتوح طرابلس الشام

كان فتح طرابلس ، فى الساعة السابعة ، فى يوم الثلاثاء الرابع من شهر ربيع الآخر ، سنة ثمان وثمانين وستمائة ، عنوة . وذلك أن السلطان الملك المنصور توجه إلى الشام ، فى شهر المحرم من هذه السنة ، وعزم على غزو طرابلس . لأن أهلها كانوا قد نقضوا قواعد الصلح ، ونكثوا أسباب[4] الهدنة . فكتب

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٢ .

(٢) فى الأصل والزم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٢ .

(٣) فى الأصل النقط ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٢ .

(٤) المعروف أنه تقرر عقد هدنة فى ١٦ يولية سنة ١٢٨٢ ، بين المنصور قلاون وبوهمند السابع كونت طرابلس لمدة عشرة سنوات ، كيما يتفرغ لقتال المغول ، وليمنع تحالفهم مع الفرنج فى عكا وطرابلس ، على أن ما وقع من النزاع على وراثة الحكم فى طرابلس ، بعد وفاة بوهمند السابع سنة ١٢٨٧ ، وانحياز الاسبتارية بحصن المرقب إلى جانب الملك الأرمنى لهو ، والمغول ، كل ذلك حمل المنصور قلاون على التدخل فى أحداث طرابلس ، ومهاجمتها سنة ١٢٨٩ . انظر

Runciman; The Hisfory of the Crusdes pp 381-408.

السلطان إلى النواب بالممالك الشامية ، والحصون الإسلامية ، بتجهيز الجيوش إليها ، وإنفاذ المجانيق وآلات الحصار .

ووصل السلطان إلى دمشق ، بعساكر الديار المصرية ، فى يوم الاثنين ثالث عشر صفر من هذه السنة . وتوجه منها فى العشرين من الشهر ، ونازل طرابلس بالجيوش وحاصرها . ووالى الزحف والحصار والرمى بالمجانيق . وعملت النقوب ، فنقبت(١) الأسوار ، وافتتحت عنوة فى التاريخ المذكور . وكانت مدة المقام عليها ، أربعة وثلاثين يوما . وكانت عدة المجانيق التى نصبت عليها ، تسعة عشر منجنيقا ، وهى فرنجية ستة ، [و(٢)] قرابغا ثلاثة عشر . وعدة الحجارين والزراقين ألف وخمسمائة نفر .

ولما فتحت المدينة ، فرت طائفة من الفرنج إلى جزيرة تعرف بجزيرة(٣) النخلة ، حيال طرابلس فى البحر ، لايتوصل إليها إلا فى المراكب . فكان(٤) من

(١) فى الأصل ، فنقبت ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨٠ .

(٢) الإضافة للتوضيح ، والمنجنيق لفظ أعجمى معرب ، وهو آلة من خشب له دفتان قائمتان بينهما مهم طويل ، رأسه ثقيل ، وذنبه خفيف ، تقذف منه الحجارة ، فما أصاب شيئا إلا أهلكه . والمنجنيقات زمن صلاح الدين على أنواع ثلاثة ، منها العربى ، والتركى ، والفرنجى . وفى زمن المماليك ، جرت الإشارة إلى نوع آخر ، وهو المعروف بقرابغا ، وهو المغولى . انظر : ابن واصل ، مفرج الكروب جـ ١ ، ص ١٨٠ ، حاشية ٢ وما بها من المراجع .

(٣) فى الأصل بحرية ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨٠ . واسم هذه الجزيرة فى المراجع الأوربية سنت نقولا St. Nicholas ، انظر

King: The knights Hospitrllers in the Holy Land. P.118,

وأشار أبو الفدا ، المختصر فى أخبار البشر جـ ٥ ، ص ٩٠ إلى أنه كان بهذه الجزيرة كنيسة تسمى كنيسة سنطماس (St. Thames) وأنه شهد القتال مع والده الملك الأفضل ، وابن عمه الملك المظفر صاحب حماه (انظر المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٤٧ حاشية ٢) .

(٤) فى الأصل ، وكانت ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨٠ .

السعادة الأزلية للمسلمين ، أن البحر زجر وانطرد عن طرابلس فظهرت للناس المخائض . فعبر الفارس والراجل إلى هذه الجزيرة ، وأسروا وقتلوا من فيها ، وغنموا ما كان معهم . وكان جماعة من الفرنج قد ركبوا فى مركب وتوجهوا ، فألقتهم الريح إلى الساحل ، فأخذهم الغلمان والأوشاقية . وقتل منهم خلق كثير وغنم المسلمون غنائم كثيرة .

وكان السلطان أمر بإبقاء المدينة ، وإنزال الجيش بها . فأشير عليه أن هدمها أولى من بقائها ، فأمر بهدمها فهدمت . وكان عرض سورها بمقدار ما يسوق عليه ثلاثة فرسان بالخيل . ووصل إلى الزردخاناة السلطانية من الأسرى ، ألف أسير ومائتا أسير . واستشهد عليها من المسلمين ممن يعرف ، الأمير عز الدين معن[1] ، والأمير ركن الدين منكورس الفارقانى ، ومن الحلقة ، خمسة وخمسون نفرا ، رحمهم الله تعالى .

وحكى[2] الشيخ قطب الدين اليونينى فى تاريخه قال : ولما فتح السلطان طرابلس ، تسلم أنفة[3] ، وأمر بإخراب حصنها ، وكان حصنا منيعا . وأبقى على أخت البرنس صاحب طرابلس قريتين من قراها .

---

(١) فى الأصل معن وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٠ والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٤٧

(٢) ما أورده النويرى عن هذا الحادث يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨٠

(٣) أنفة بلد على الساحل ، شرقى جبل صهيون . ياقوت : معجم البلدان .

قال، وحضر إلى السلطان، وهو بظاهر طرابلس ولد سيركى صاحب جبيل،[1] وكان صاحب طرابلس قتل أباه فى سنة إحدى وثمانين وستمائة . فخلع السلطان عليه، وأقر جبيل عليه، على سبيل الإقطاع، وأخذ منه معظم أموالها . وتسلم السلطان البترون[2]، وجميع ما بتلك الخط من الحصون والمعاقل . ثم عاد السلطان بعد النصر إلى دمشق ، وكان من خبره ما نذكره ، إن شاء الله تعالى فى حوادث السنين .

ذكر أخبار طرابلس الشام ، منذ فتحها المسلمون فى خلافة عثمان إلى وقتنا هذا

وإنما ذكرناه فى هذا الموضع ملخصا مختصرا ، لتكون أخبارها مجتمعة[3] ، فنقول وبالله التوفيق :

كان ابتداء فتح طرابلس ، أنه لما استخلف عثمان بن عفان

(١) كان صاحب جبيل تلك السنة ، بارتولومبو امبرياكو Barhalomew Embriaco يطمع فى الظفر بكونتية طرابلس ، وقد صارت إليه جبيل ، بعد أن تزوجب ابنته من ابن عمه بعارس ، ابن جاى الثانى (سيركى فى المصادر العربية) . اليونينى : مرآة الزمان حوادث سنة ٦٨١ هـ . والذى لقى مصرعه على يد بوهيمند السابع سنة ٦٨١ ، وقدم إلى قلاون ممثلون لبار تلميون وهو جنوى والبندقية . وأشار البنادقة ، إلى أنه متى سيطرت جنوة على طرابلس ، فسوف تسيطر على الشرق الأدنى ، وسوف يخضع لها تجارة الإسكندرية ، وإذ أدرك قلاون ما يجرى من أحداث فى طرابلس وانتقاض الهدنة من جانب الفرنج ، عزم على الاستيلاء على طرابلس انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ص ٣١٦ ، ٣٢٠ — ٣٢١ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٤٧

stevenson: The Crusaders in the East p. 349
Runciman: op. cit III PP.404-405
Gronsset: op cit III. PP. 740-742

(٢) كذا فى الأصل ، وفى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ، ص ٣٢٢

(٣) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٦

رضى الله عنه ، وأقر معاوية بن أبى سفيان على الشام ، ووجه معاوية إلى طرابلس سفيان بن نجيب[1] الأزدى ، وكانت إذ ذاك ثلاث[2] مدن مجتمعة ، فبنى فى مرج على أميال منها حصنا ، سمى بحصن سفيان . وقطع الميرة عن أهل طرابلس ، وحاصرها . فلما اشتد الحصار على أهلها ، اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة ، وكتبوا إلى ملك الروم ، يسألونه أن يمدهم ، أو يبعث إليهم بمراكب ينهزمون فيها . فسير إليهم مراكب كثيرة ، فركبوها ليلا وهربوا . فلما أصبح سفيان ، وتقدم لقتالهم على عادته ، وجد الحصن خاليا ، فملكه ، وكتب إلى معاوية بالفتح . فأسكنه معاوية جماعة كثيرة من اليهود ، وهو الحصن الذى فيه المينا ثم بناه عبد الملك بن مروان وحصنه .

وكان معاوية يوجه فى كل سنة جماعة من الجند ، يشحنها بهم ، ويوليها نائبا . فإذا غلق[3] البحر ، عاد الجند وبقى النائب فى جماعة يسيرة . فلما برح أمرها كذلك ، حتى ولى عبد الملك بن مروان . فقدم بطريق فى بطارقة الروم ، ومعه خلق كثير . فسأل أن يعطى الأمان ، على أن يقيم بها ، ويؤدى الخراج ، فأجيب إلى ذلك . فلم يلبث غير سنتين أو أكثر بأشهر ، عند عود الجند منها ، حتى أغلق بابها ، وأسر من بقى بها من الجند ، وعدة من اليهود ، وتوجه هو وأصحابه إلى بلاد الروم . فقدر الله ، عز وجل

(١) فى الأصل مخنف ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٦ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ، ص ٣٢٢

(٢) فى الأصل ثلاثة ، وما هنا هو الصواب لغويا ، وفى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ، ص ٣٢٢ ثلاثة حصون .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٧

أن ظفر به المسلمون بعد ذلك ، فى البحر وهو متوجه فى مراكب كثيرة ، فأسر وأحضر إلى عبد الملك ، فقتله وصلبه . وقد قيل إنه إنما كان تغلبه عليها ، وقتل من بها ، بعد وفاة عبد الملك . ثم فتحها الوليد بن عبد الملك .

ولم يزل فى طرابلس نواب الخلفاء ، مدة أيام بنى أمية ، وأيام بنى العباس ، إلى أن استولى العبيديون ملوك مصر على دمشق ، على ما قدمنا ذكر ذلك فى أخبارهم[1] . فأفردوا طرابلس عن دمشق ، وكانت قبل ذلك مضافة إليها . وولوا عليها من جهتهم ريان[2] الخادم ، ثم سند الدولة ثم أبا السعادة ، ثم على بن عبد الرحمن بن حيدرة[3] ، ثم نزال[4] ، ثم مختار الدولة بن نزال . [ثم تغلّب عليها قاضيها أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار[5]] . ولم يزل بها إلى أن توفى ، فى سنة أربع وستين وأربعمائة . وكان ابن عمار هذا ، رجلا عاقلا ، سديد الرأى . وكان شيعيا ، من فقهائهم . وكانت له دار علم بطرابلس ، فيها مايزيد على مائة ألف كتاب وقفا . وهو الذى صنّف كتاب « ترويح الأرواح ومصباح السرور والأفراح »[6] ، المنعوت بجراب الدولة[7] . ولما مات [أمين الدولة] ، كان بطرابلس ، سديد الملك بن منقذ ، هرب من محمود بن صالح . فساعد جلال الملك أبا الحسن على بن محمد بن عمار وعضده بمماليكه ، وبمن كان معه من

(١) عدل ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٧ ، العبارة ، على النحو الذى يتفق مع كتابته بأن جعلها « على ما هو مذكور فى أخبارهم »

(٢) فى الأصل زيان ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٧

(٣ ، ٤) فى الأصل يزال ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٧ ، وابن الاثير : الكامل جـ ٩ ، ص ٦٠

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٧

(٦) فى المكتبة الأهلية فى باريس ، مخطوطة برقم 3527 بهذا العنوان — انظر Brockelman : Geschichte der arabischen literatur supp. I P. 599.

(٧) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٧

أصحابه . فأخرجوا أخا أمين الدولة من طرابلس ، وولى جلال الملك . فلم يزل متوليا عليها، حتى مات فى سلخ شعبان، سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة، وملكها بعده أخوه فخر الملك عمار بن محمد [بن عمار](١) ، واستقر بها ، إلى أن نازلها صنجيل ، واسمه ميمنت(٢) وهو ميمون . وصنجيل(٣) اسم مدينة نسب إليها . فنزل صنجيل بجموعه على طرابلس ، فى شهر رجب سنة خمس وتسعين وأربعمائة ، وحاصرها وضايقها ، وابتنى عليها حصنا ، يقاتل أهلها منه ، ويصرف به إلى وقتنا هذا .

فبعث فخر الملك الهدايا والتحف إلى الملوك واستنجدهم واستنصرهم ، فلم ينجده أحد منهم . فلما أيس منهم، بذل لصنجيل فى رحيله عنه أموالا ، وبعث إليه مرة ، فلم يجبه إلى ذلك . فلما ضاق ذرعا بالحصار ، وعجز عن دفعه ، خرج من طرابلس، بعد أن استناب بها ابن عمه، أبا المناقب ، ورتب معه سعد الدولة قتيان ابن الأغر . وانفق(٤) فى العسكر ستة شهور . وسار يقصد السلطان محمود بن ملكشاه السلجوقى . فجلس أبو المناقب فى بعض الأيام ، وعنده وجوه طرابلس وأكابرها ، فغلط فى كلامه . فنهاه سعد الدولة بلطف فجرد سيفه ، وضرب سعد الدولة فقتله . وانهزم من كان فى المجلس . وقام أبو المناقب ، وصعد على السور ، وصفق بإبطيه ، فأمسكه أهل البلد وحبسوه ، ونادوا

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٧ .

(٢) كذا فى الأصل ، وابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٧ ، والواضح ان المقصود هنا هو ريموند سان جيل Sanit Gilles ، كونت تولوز الذى اشترك فى الحملة الصليبية الأولى . انظر Runciman : op. Cit. I . p 106 .

(٣) فى الأصل صنجيل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٧ ، وأورد النويرى هذا اللفظ فيما بعد فى صورته الصحيحة .

(٤) فى الأصل نفق ، وما هنا هو الصواب .

بشعار الأفضل أمير الجيوش ، [شريك الخليفة الفاطمي صاحب مصر][1] ، وذلك فى شهر رمضان سنة خمسمائة .

ثم مات صنجيل فى ثامن وعشرين رمضان ، وتولى مكانه مقدم اسمه السردانى[2] . ولما نادى أهل طرابلس بشعار الأفضل ، [وبلغه ذلك[3]] حضر إليهم جيشا فى البحر ، وقدم عليهم تاج العجم . فلما وصل إلى طرابلس ، أخذ جميع الأموال ، وما يحفظ به البلد . وبلغ الأفضل أنه يقصد العصيان بطرابلس . فقبض على ما كان حصّله ، وولّى بدر الدولة ابن أبى الطيب الدمشقى . فوصل إلى طرابلس ، وكان أهلها قد ضاقت صدورهم ، من طول الحصار . ثم رأوا من خلفه[4] ، ما رغبهم عنه ، ونفرهم منه ، فعزموا على طرده . ثم رأوا إبقاءه ، لأنهم لا ملجأ لهم إلا من جهة المصريين .

ثم وصلت مراكب من مصر بالغلات والرجال ، فقرر المذكور مع مقدم[5] الأسطول ، القبض على أعيان البلد ، وأصحاب فخر الملك بن عمار وحريمه . فأخذهم وسيّرهم فى البحر إلى مصر . وبعث معهم ما كان فى طرابلس من السلاح والذخائر ، ما لم يكن عند أحد من الملوك مثله . وبعث مائة ألف دينار عينا . فلما وصلوا إلى مصر ، اعتقل [الأفضل[6]] أهل بنى عمار .

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٨ .

(٢) السردانى ، المعروف أن ريموند صنجيل مات فى ٢٨ فبراير سنة ١١٠٥ ، ولم يبلغ طفله الفونسو جوردان إلا بضعة شهور . فاختار أجناده وليم جوردان كونت سردانى ، ابن عم ريموند ، الذى قدم حديثا ، ليتولى الإمارة . انظر Runciman op. cit. II p. 51. اسامة بن منقذ ، الاعتبار ص ٥٠ حاشية ٦٢

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٨ .

(٤) فى الأصل تخلفه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٨ .

(٥) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٨ مقدّمى .

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٨ .

وأما فخر الملك بن عمار ، فإنه وصل إلى بغداد ، واجتمع بالسلطان محمود . وأقام ببغداد ، فما تهيأ له منه ما طلبه ، وبلغه رجوع أمر طرابلس إلى المصريين ، وأن حريمه وأمواله وذخائره وسلاحه نقل إلى مصر . فرجع إلى دمشق ، فدخلها فى نصف المحرم ، سنة اثنتين وخمسمائة ، فأكرمه أتابك طغتكين[1] صاحب دمشق . فسأله أن يعينه على الدخول إلى جبله ، فسير معه عسكرا فدخلها .

وأما الفرنج ، فإنهم لازموا الحصار ، وضايقوا البلد حتى ملكوه ، وقتلوا وأسروا ونهبوا وسبوا ، وذلك فى يوم الثلاثاء ثالث ذى الحجة سنة اثنتين وخمسمائة . وقد تقدم أن أخذها كان فى يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة سنة ثلاث وخمسمائة ، والله أعلم .

وحكى[2] أن السبب فى أخذ طرابلس ، أنه لما ضايقها الفرنج ، كتب من بها إلى الديار المصرية ، يستنجدون الخليفة ، ويسألونه الميرة ، وأقاموا ينتظرون ورود الجواب بالمدد والميرة . فبينما هم فى ذلك ، إذا بمركب قد أقبل ، فما شكوا أن فيه نجدة . فطلع منه رسول ، وقال قد بلغ الخليفة ، أن بطرابلس جارية حسنة الصورة ، وأنها تصلح للخدمة ، وقد أمرنا بإرسالها إليه ، وأرسلوا إليه من حطب المشمش ما يصنع منه عيدان للملاهى . فعند ذلك آيسوا من نصره ، وضعفت قواهم ، وخارت نفوسهم وذلوا ، وملكها الفرنج [فى التاريخ المذكور[3]] . وكانت مدة الحصار سبع سنين وأربعة أشهر .

(١) فى الأصل طغرلين ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ : ص ٧٨ .

(٢) يطابق ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٨ ، والملحوظ أنه لم تجر الإشارة إلى المصدر الأصلى ، بل اكتفى النويرى وابن الفرات ، بإيراد لفظة حكى .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٨ .

ولما ملكها السردانى ، تحكم[1] فيها واستقل بملكها . فبينما هو كذلك ، وإذا بمركب[2] قد وصل إليها ، وفيه صبي ادّعى أنه ولد الملك صنجيل ، واسمه تبران[3] ، ومعه مشايخ من أصحاب والده ، يخدمونه ويدبرون أمره . فطلعوا إلى السردانى ، وقالوا له هذا ولد صنجيل ، وهو يريد تسليم[4] مدينة والده التى فتحها عسكره . فأنكر السردانى ذلك ، وقام ورفس الصبي وأخرجه . فأخذه أصحابه ، وجعلوا يطوفون به على الفرسان . فرحموه ، وتذكروا أيمانهم لأبيه ، وقالوا : إذا كان نهار الغد ، ونحن عنده ، فاحضروا وتحدثوا معه ، ففعلوا . وتحدث الصبي ابن صنجيل ، فصاح به السردانى ، فقام الفرسان كلهم على السردانى ، وأخرجوه من المملكة ، وسلموها إلى الصبي [ابن صنجيل[5]] . فأقام ملكا حتى قتله بزواج[6] ، وذلك فى يوم الأحد ، لأربع خلون من شهر رجب ، سنة إحدى

(١) فى الأصل وتحكم ، وما هنا من ابن الفرات ، جـ ٨ ، ص ٧٨ .

(٢) فى الأصل « وإذا هو بمركب » ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٩ .

(٣) المقصود هنا برتران Bertrand ، وهو ابن غير شرعى لريموند كونت تولوز ، وتولى أمر أملاكه فى تولوز ، أثناء وجود ريموند فى الشرق . فلما توفى ريموند ، حرص الابن الشرعى الفونسو جوردان على أن يحوز ارثه فى جنوب فرنسا ، فتنازل من أملاكه فى الشرق لبرتران ، الذى ارتحل إلى الشرق سنة ١١٠٨ ، فى اسطول حتى ينتزع أملاكه من وليم جوردان . ولقى المساعدة من ملك بيت المقدس ، بأن تكون له طرابلس بعد فتحها سنة ١١٠٩ . انظر

Runcilman; op. cit II P61, 65-70.

ابن القلانسى : ذيل تاريخ دمشق ص ١٦٣ .

(٤) كذا فى الأصل وابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٩ ، والمقصود هنا تسلم مدينة والده . انظر الحاشية السابقة .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٩ ، والمقصود هنا بوزابن برترانفد الذى ولى كونتية طرابلس بعد وفاة ابيه سنة ١١١٢ .

(٦) فى الأصل برواج ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٩ ، وهو الذى قتل بوزسنة ١١٣٧ . انظر .

Runciman: op. Cit. II. pp202-203 .Grousset: op. cit II pp. 367-368

العريني : الشرق الأوسط والحروب الصليبية جـ ١ ، ص ٤٤٣ .

وثلاثين وخمسمائة . وقتل أكثر أصحابه ، وأسر بطرس الأعور . واستخلف فى طرابلس ولد القومص بدران[1] ، فأسره أتابك زنكى ، [لما كان فى صحبة متملك القدس فلك[2] بن فلك ، وذلك بالقرب من قلعة بعرين ، فطلع الملك وجماعة معه إلى قلعة بعرين ، فحاصرهم زنكى[3]] وضايقهم ، فصالحه الملك على تسليم حصن بعرين ، واستخلص القومص صاحب طرابلس وجميع الأسرى . وعاد القومص إلى طرابلس ، وأقام حتى وثب عليه الإسماعيلية ، فقتلوه . فتولى بعده ريمند[4] ، وهو صبى ، وحضر الحرب مع الفرنج على حارم . فكسرهم الملك العادل نور الدين [محمود[5]] الشهيد [بن زنكى] ، وقتل منهم[6] مقتلة عظيمة وأسر . وكان من أسر ، القومص ريمند ، وذلك فى سنة تسع وخمسين وخمسمائة ، وبقى فى اعتقاله إلى أن ملك الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . فأعتقه فى

(١) المقصود هنا ريموند الثانى الذى ولى كونتية طرابلس بعد أبيه بوزمند سنة ١١٣٧ ، ولقى مصرعه على أيدى الإسماعيليه سنة ١١٥٢ انظر Seltan: History of Crusades. I, p. 535

(٢) وهو فولك أنجو الذى حكم مملكة بيت المقدس من ١١٣١ حتى ١١٤٣ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٩ . دارت هذه المعركة عند حصن بعرين فى يوليه سنة ١١٣٧ ، وأحرز زنكى انتصارا باهرا انظر : ابن القلانس : ذيل تاريخ دمشق ص ٢٥٩ .
ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ، ص ٣٣ — ٣٤ .
ابن الأثير : التاريخ الباهر فى الدولة الأتابكية ص ٩٠ — ٩٢ .
William : of Tyre II pp. 91 - 92 Grousset: op. cit II pp. 72 - 73.
Runciman: op. cit II pp. 203 - 204,205 .

(٤) وهو ريموند الثالث كونت طرابلس ١١٥٢ — ١١٨٧ ، وقع فى أسر نور الدين محمود سنة ١١٦٤ وبقى فى الأسر حتى ١١٧٤ ، بالرغم من إطلاق سراحه ، بعد أن بذل فدية كبيرة . انظر
Seltan: op. Cit I. P. 524, 561
Runciman op. Cit. II pp 369 - 370,390
ابن الأثير : الكامل جـ ١١ ، ص ١٩٩ — ٢٠٥
ابن الأثير : التاريخ الباهر ص ١٢٢ — ١٢٦
ابن العديم : زبدة الحلب جـ ٢ ، ص ٣١٨ — ٣٢٤
العريني : الشرق الأوسط جـ ١ ، ص ٦٧١

(٥ ، ٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٩

تاسع عشرى[1] شهر ربيع الأول سنة سبعين وخمسمائة[2]. وبقى المُلْكُ بيده، ويد أولاده من بعده، إلى أن فتحت هذا الفتح المبارك [سنة ثمان وثمانين وستمائة][3] فى الأيام المنصورية وهدمت المدينة[4].

واستقر العسكر على عادته بحصن الأكراد والنائب عن السلطنة الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى، وكان البزك[5] ينزل إلى طرابلس، من حصن الأكراد. ثم عمّر المسلمون مدينة مجاورة للنهر. واختلفوا[6] بها، وعمّروا فيها حمامات وقياسر ومساجد ومدارس للعلم. وأجريت المياه فى دورها بقساطل[7] وعمرت دار السلطنة، ينزلها نائب السلطنة بالمملكة، وهى عالية مشرفة على المدينة.

واستمر الأمير سيف الدين الطباخى فى النيابة، إلى أن نقل إلى حلب، فى الدولة الأشرفية، فى سنة إحدى وتسعين وستمائة. وولاّها [السلطان][8] الأمير سيف الدين طغريل الإيغانى، فأقام أياما، واستعفى فاعفاه السلطان الملك الأشرف. ورتب فى النيابة، الأمير عز الدين أيبك الخزندار المنصورى، فبقى فى النيابة إلى الأيام العادلية الزينية كتبغا المنصورى، فعزله عنها فى سنة أربع وتسعين وستمائة. ودفن بتربته التى أنشأها، وهى بجوار حمامه بطرابلس

(١) فى الأصل عشرين وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٧٩.

(٢) انظر ما سبق ص ٥٦ حاشية ٤.

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ٧٩.

(٤) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨، ص ٧٩.

(٥) البزك: لفظ فارسى، المقصود به الطلائع والكشافة.

(٦) كذا فى الأصل: وابن الفرات جـ ٨: ص ٧٩: ولعل المقصود اختطوابها.

(٧) القساطل، والمفرد قسطل، وهو انبوب من الخزف يجرى فيه الماء.

(٨) الإضافة للتوضيح.

وفوضت النيابة بها بعده إلى الأمير سيف الدين كرت الحاجب ، فلم تطل أيامه إلى أن كان من دخول التتار البلاد ، ما نذكره إن شاء الله تعالى ، فى أخبار الدولة الناصرية ، فشهد الوقعة وعدم ، وربما استشهد رحمه الله تعالى . ثم فوضت النيابة بعد خروج التتارمن الشام ، إلى الأمير سيف الدين قطلبك المنصورى ، فتوجه إليها ، وأقام بها ، إلى سنة سبعمائة . واستعفى من النيابة فأعفى ، واستقر فى جملة الأمراء بدمشق .

وفوضت نيابة السلطنة إلى الأمير سيف الدين استدمر كرجى المنصورى ، فاستمر بها إلى سنة تسع وسبعمائة.[1] وعمر بها حماما عظيما، أجمع التجار ومن يجوب البلاد ، أنه ما عمر مثله فى بلد من البلدان ، وعمر قيسارية وطاحونا . وأنشأ مماليكه بها مساكن حسنة البناء ، تجرى إليها المياه بالقنوات ، وتجرى فى طباقها ، وعمر أيضا بعض القلعة ، وأقام أبراجا . وهذه القلعة مجاورة لدار السلطنة بطرابلس . وتمكن استدمر تمكنا كثيرا ، وتامر صدره من مماليكه ، ثم نقل إلى حماه .

وفوض السلطان الملك الناصر نيابة المملكة الطرابلسية وما معها إلى الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحاجب ، كان المعروف بالحلبى فاقام بها إلى أن توفى فى ثامن عشر شهر ربيع الأول سنة عشر وسبعمائة[1] . وفوضت النيابة بها إلى الأمير جمال الدين أقش الأفرم ، فأقام بها إلى مستهل المحرم سنة ثنتى عشرة وسبعمائة وفارقها ، وتوجه إلى بلاد التتار ، على ما تذكر ذلك ، إن شاء الله تعالى فى أخبار الدولة الناصرية .

---

(١) فى الأصل : وتسعمائة ، وما هنا هو الصواب .

وفوضت النيابة بعده إلى الأمير سيف الدين كستاى الناصرى ، فأقام بها ، إلى أن توفى فى شهر رجب سنة ست عشرة وسبعمائة . وفوضت النيابة بعده إلى الأمير شهاب الدين قرطاى الصالحى ، وهو النائب بها الآن ، إلى حين وضعنا[1] لهذا الجزء ، وذلك فى سلخ شهر رجب ، سنة خمس وعشرين وسبعمائة . وسنذكر إن شاء الله تعالى ، أخبار هؤلاء النواب فى موضعها من هذا الكتاب على ما سنقف عليه . وإنما أوردناها فى هذا الموضع ، لتكون اخبار طرابلس سياقة ، وإن كانت على سبيل الإجمال والاختصار . ولنرجع إلى سياقة أخبار الدولة المنصورية .

(١) فى الأصل وضعها ، وما هنا هو الصواب ، فالمعروف أن النويرى هنا يتحدث عن تأليف الكتاب .

ذكر ما اتفق فى الدولة المنصورية على حكم السنين خلاف ما ذكرناه من إقامة النواب ، ومهادنة الفرنج ، والحوادث الغريبة ، التى يتعين ايرادها والوفيات

سنة ثمان وسبعين وستمائة

[٦٧٨ = ١٢٧٩]

قد قدمنا بعض حوادث هذه السنة ، فى ابتداء الدولة المنصورية ، وبقى منها تتمة نذكرها فى هذا الموضع .

فى هذه السنة فوض السلطان الملك المنصور نيابة السلطنة ، بحصن الأكراد ، وما معه من الفتوحات ، لمملوكه الأمير سيف الدين بلبان الطباخى .

وفيها ، فى ذى القعدة ، فوض نظر الدواوين بدمشق ، للصدر[1] جمال الدين إبراهيم بن صصرى ، وذلك بعد وفاة الناظر بها ، القاضى علم الدين محمد بن العادلى . وكانت وفاته فى يوم الأربعاء خامس عشرين شوال . وتوفى أيضا قبله ، أخوه القاضى تاج الدين ناظر حلب ، بها فى حادى عشرين شهر رمضان .

---

(١) المقصود بالصدر ، صدر الدين .

وفى هذه السنة، توفى الأمير بدر الدين محمد ابن الأمير حسام الدين بركة خان الخوارزمى ، خال الملك السعيد . وكانت وفاته بدمشق ، فى تاسع شهر ربيع الأول . وصلى عليه الملك السعيد ، بسوق الخيل ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

وفيها ، لما كان العسكر ببلاد سيس ، فى الأيام السعيدية ، توفى جماعة من الأمراء ، أصحاب الطباخانات ، منهم سيف الدين البطاح ، وعلم الدين بلبان المشرفى[1] ، وناصر الدين بلبان النوفلى ، وسيف الدين جمق[2] ، وسيف الدين قلاحا الركنى ، وجمال الدين أقش الشهابى وغيرهم ، رحمهم الله تعالى .

وفيها ، فى يوم الأحد ، ثامن شوال ، توفى شيخ الشيوخ شرف الدين أبو بكر عبد الله ابن شيخ الشيوخ تاج الدين ، أبى محمد عبد السلام ، ابن شيخ الشيوخ عماد الدين عمر بن على بن محمد حمويه بدمشق ، ودفن بقاسيون ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل المشرق ، وما هنا من المقريزى « السلوك جـ ١ ، ص ٦٧٤ .

(٢) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٧٤ حق .

واستهلت سنة تسع وسبعين وستمائة

[٦٧٩ — ١٢٨٠]

فى هذه السنة ، فى يوم الاثنين خامس المحرم ، توفى الأمير جمال الدين أفش الشمسى ، نائب السلطنة بالمملكة الحلبية . وهو خوشداش[1] الأمير بدر الدين بيسرى ، كلاهما كان مملوك الأمير شمس الدين سراسنقر الكاملى . ففوض بعد وفاته ، نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية ، للأمير علم الدين سنجر الباشقردى .

وفى هذه السنة ، كان من خبر الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، وانهزامه من دمشق ، وتوجهه إلى صهيون ما قدمناه . وكان بدمشق بعد مفارقته لها ، أمور نذكرها فى هذا الموضع .

ذكر ما تجدد بدمشق ، بعد أن فارقها الأمير شمس الدين سنقر الأشقر .

لما انهزم الأمير شمس الدين ، المشار إليه ، كما تقدم ، دخل العسكر المصرى إلى دمشق . ونزل الأمير علم الدين سنجر الحلبى بالقصر الأبلق ، بالميدان الأخضر . وكان هو المشار إليه فى الولاية والعزل ، والعطاء والمنع وغير ذلك . فرسم بإيقاع الحوطة على مجد الدين إسماعيل بن كسيرات ، وزير سنقر الأشقر ، وجمال الدين بن صصرى ناظر الدواوين بدمشق ، وأخذ خطوطهما بجملة .

---

(١) فى الأصل حواش دائما ، وما هنا هو الصواب ، وهذا اللفظ يرد ايضا برسم خشداش ، وخجداش ، ولا يتطلب ذلك التغيير أو التعديل انظر ما سبق ص ٨ حاشية ٢ .

ورسم على قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان . وضرب زين الدين وكيل بيت المال، ومحيي الدين بن النحاس . ثم ورد بعد ذلك كتاب السلطان بأمان أهل دمشق .

ذكر تفويض[1] نيابة السلطنة بالشام للأمير حسام الدين لاجين، وشد الدواوين للأمير بدر الدين بكتوت العلائى، والوزارة للصاحب تقى الدين توبة التكريتى .

كان الأمير بدر الدين بكتوت العلائى، قد وصل إلى دمشق، فى جملة الجيش المجرد إليها، لدفع سنقر الأشقر عنها، صحبة الأمير علم الدين الحلبى. فلما استقر أمر دمشق للسلطان، تحدث فى نيابة السلطنة بدمشق . واستند فى ذلك، إلى أن السلطان الملك المنصور، لما جرده رسم له بها[2] مشافهة . إلا أنه كان فى نيابته يلزم الأدب مع الأمير علم الدين الحلبى . واستمر الأمر على ذلك، إلى حادى شهر ربيع الأول من هذه السنة . فلما كان فى هذا اليوم، ورد من الباب السلطانى، سبعة نفر على خيل البريد، ومعهم تقليد للأمير حسام الدين لاجين [الصغير][3] المنصورى، بنيابة السلطنة بالشام، وتقليد للأمير بدر الدين بكتوت العلائى، بشد الدواوين، وتقليد للصاحب تقى الدين توبة التكريتى بوزارة الشام، ولكل منهم تشريف[4]، وتشريف[5] لصاحب حماه .

(١) يتفق التوبرى مع ابن الفرات، فى العنوان والرواية، وفى ذلك ما يؤيد ما سبق الإشارة إليه من الاستناد إلى مصدر واحد .

(٢) فى الأصل «به» وما هنا هو الصواب، وبه يستقيم المعنى .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ص ١٧٦ .

(٤، ٥) فى الأصل تشريفا، وما هنا هو الصواب لغويا .

فلما كان فى يوم الخميس ، ثانى عشر الشهر ، اجتمع سائر الأمراء بالميدان الأخضر . ولبس الأمير حسام الدين لاجين تشريف النيابة ، [ولبس[1]] الأمير بدر الدين بكتوت تشريف الشد . وركب الأمير علم الدين الحلبى ، والأمير عز الدين الأفرم ، والأمير بدر الدين بيليك الأيدمرى ، وسائر الأمراء والعساكر المصرية والشامية ، وساقوا كلهم فى خدمة الأمير حسام الدين . فلما انتهوا إلى باب سر القلعة ، ترجلوا بأجمعهم ، وقبّل الأمير حسام الدين عتبة باب السر ، ثلاث مرات . ثم تقدم الأمير علم الدين الحلبى ، [والأمير[2]] عز الدين الأفرم ليعضداه حتى يركب ، ويمشيان فى خدمته ، إلى دار السعادة . فسلك سبيل الأدب معهما ، وامتنع من الركوب ، واستمر ماشيا ، والأمير علم الدين عن يمينه ، والأمير عز الدين الأفرم عن يساره ، وبقية الأمراء والعساكر ، بين يديه ، وكذلك القضاة والأعيان والأكابر . ولم يزل ماشيا ، إلى أن دخل دار السعادة ، وجلس بها فى رتبة النيابة ، وقرىء تقليده . ثم خلع فى هذا النهار ، بعد الظهر ، على الصاحب تقى الدين توبة ، وأعطى دواة الوزارة بالشام .

ذكر عزل قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان عن القضاة بدمشق واعادته ، وما اتفق فى هذه السنة الحادثه

كان السلطان الملك المنصور ، قد رسم بشنق قاضى القضاة شمس الدين ابن خلكان لأنه بلغه أنه أفتى الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، بجواز قتال

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) الإضافة للتوضيح .

السلطان . فلما ورد كتاب السلطان بأمان أهل دمشق ، قرىء بحضور القاضى شمس الدين . فقال الأمير علم الدين الحلبى : هذا كتاب أمان لمن سمعه ، وقد سمعه القاضى ، فهو آمن . ثم عزله فى حادى عشر صفر ، وفوض القضاء لقاضى القضاة ، نجم الدين ابن قاضى القضاة صدر الدين سنى الدولة . وكان ابن خلكان بالمدرسة العادلية ، فطالبه القاضى نجم الدين بإخلاء مسكنها ليسكن فيه ، وكرّر عليه الطلب . وكان ابن سنى الدولة ، قد أرسل إلى حلب ، لاحضار أهله . فاتفق وصولهم إلى ظاهر دمشق ، فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر ربيع الأول . فخرج لتلقيهم ، ورسم على القاضى شمس الدين بن خلكان ، إلى أن ينتقل من المدرسة ، وضيق عليه ، وبقى فى شدة بسبب ذلك . وسئل ابن سنى الدولة ، أن يمهل عليه أياما ، إلى أن ينتقل إلى مكان آخر ، فامتنع وشدد فى ذلك ، وصمم عليه .

وبقى القاضى شمس الدين فى الترسيم ، إلى الرابعة من النهار المذكور ، وهو يجمع كتبه ، ويعبّى قماشه للنقلة ، ونقل بعضه . فبينما هو كذلك ، وإذا بجماعة من الجاندارية حضروا فى طلبه ، فظن أن ذلك بسبب خلو المكان فأراهم أنه يهتم فى النقلة (١) . فقالوا له ، أنك لم تُطلب لذلك ، وإنما قد حضر بريدية من باب السلطان ، فطلبت لذلك . وظن أن الطلب لأمر هو أشد من النقلة . وخاف ، وتوجه إلى نائب السلطنة . فإذا كتاب السلطان قد ورد ، وهو ينكر ولاية ابن سنى الدولة القضاء وهو أطروش . ويقول (٢) نحن بيننا وبين القاضى شمس الدين

(١) فى الأصل « مهم » بدون نقط ، وما هنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ١٧٤

(٢) فى الأصل ونقول ، وما هنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ١٧٥

معرفـة ، من الأيام الصالحية . وسيّر إليـه تقليدا بالقضاء على عادته . فرجع إلى المدرسـة قاضيا واستقر بها . وعدّت هذه الواقعة من الفرج بعد الشدة. ويقال إن ابن سنى الدوله كان قد أعطى الحلبى على ولايته القضاء ألف دينار ، والله أعلم .

ذكر إعادة الصاحب برهان الدين السنجارى إلى الوزارة وعزله

وفى هذه السنة ، فى أواخر جمادى الآخرة ، أعيـد الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى إلى الوزارة ، وعزل الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان ، فعاد إلى ديوان الإنشاء . وكتب من جملة الكتاب ، وتصرف عن أمر صاحب الديوان . وولى الصاحب برهان الدين الوزارة ، واستمر إلى أن عزل وقبض عليه ، وعلى ولده وأُلزَامه ، فى شهر ربيع الأول سنة ثمـانين وستمائة . واعتقل إلى يوم عرفة من السنة ، فأفرج عنه فى اليوم المذكور ولزم داره .

وفيها ، جرد السلطان ، الأمير عز الدين أيبك الأفرم لحصار[(١)] شيزر ، وبها الأمير عز الدين أيبك كرجى من قبل الأمير شمس الدين سنقر الأشقر . فبينما هو يحاصرها ، وردت الأخبار ، أن التتار قد وصلوا على ثلاث فرق[(٢)] : [فرقة][(٣)] من جهة الروم ، ومقدمتهم صمغار[(٤)] ، وتنجى[(٥)] ، وطونجى[(٦)] ، وفرقة من الشرق ومقدمتهم

(١) فى الأصل لحار وما هنا هو الصواب وبه يستقيم المعنى .

(٢) فى الأصل ثلاثه وما هنا هو الصواب لغويا

(٣) الإضافة يتطلبها التوضيح ، انظر ما يلى .

(٤) فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٨٠ ومقدمهم

(٥) هذا الاسم وارد بهذا الرسم فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٨٥ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٩١

(٦) فى الأصل ورد هذا الرسم وسحى وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٨٥ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨١

(٧) فى الأصل طرنجى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٨٥ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨١ .

بيدو[١] بن طوغاى[٢] بن هولاكو ، وصحبته صاحب ماردين ، والفرقة الثالثة فيها معظم العسكر ، شرة[٣] المغل صحبة منكوتمر بن هولاكو . فرحل الأمير عز الدين عن شيزر ، وكتب السلطان إلى سنقر الأشقر يستميله ، وذلك قبل انتظام الصلح بفتح إلى السلم ، ونزل من صهيون ، على عزم إنجاد[٤] المسلمين . وجفل عسكر حلب وحماه وحمص . ولم يحصل قتال التتار هذه السنة .

ذكر[٥] تفويض السلطنة ولاية العهد للملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور

فى هذه السنة ، فى شهر رجب[٦] ، فوّض السلطان الملك المنصور ولاية عهده وكفالة السلطنة لولده السلطان الملك الصالح علاء الدين أبى الفتح على ، وذلك عندما عزم على التوجه للقاء التتار . وركب [الملك الصالح[٧]] بالقاهرة بشعار السلطنة ، وخطب له على سائر المنابر بعد والده . وكُتب تقليده بذلك ، وهو من إنشاء المولى محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر وبخطه ، أجاد فيه وأبلغ ، تركنا إيراده اختصاراً[٨] .

(١) فى الأصل بيدر ، وماهنامن ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٨٥ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٦٨١

(٢) فى الأصل طرغاى ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨١

(٣) فى الأصل وشره ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٨٥ والمقصود شرار المغل حسبما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨١

(٤) فى الأصل وإيجاد ، وما هنا هو الصواب لغويا

(٥) هذا العنوان يتفق مع العنوان الوارد فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٨٦

(٦) فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٨٦ ، وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٩ فى سابع عشر جمادى الآخرة

(٧) الإضافة للتوضيح

(٨) وردت صورة لهذا التقليد فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ١٨٧ — ١٩٠ ، وفى القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١٠ ، ص ١٧٣ — ١٧٧ .

وفيها، فى شهر رمضان، عزل السلطان القاضى صدر الدين عمر ابن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز، عن القضاء بالديار المصرية. وكان قد سلك فى ولايته، طريق الخير والصلاح والصلابة، وتحرى الحق والعدل فى أحكامه. ثم مات رحمه الله تعالى، فى عاشر المحرم سنة ثمانين وستمائة. ولما عزل، أعيد قاضى القضاة تقى الدين محمد بن الحسين بن رزين إلى القضاء بالديار المصرية[1].

ذكر توجه السلطان إلى غزة، وعوده إلى الديار المصرية

وفى هذه السنة، توجه السلطان إلى الشام، وصحبته العساكر الإسلامية، لدفع التتار، فوصل إلى غزة. وكان التتار قد وصلوا[2] إلى عين تاب وبغراس والدر بساك، وتقدموا إلى حلب، فوجدوها خالية، وقد جفل العسكر وأهلها منها، فأحرقوها وذلك فى العشر الأوسط من جمادى الآخرة. ولما بلغهم اهتمام السلطان وخروجه، تفرقوا إلى مشاتيهم. وعاد السلطان إلى الديار المصرية، لاستحقاق الربيع.

وجرد الأمير بدر الدين بكتاش النجمى إلى حمص، والأمير علاء الدين أيدكين البندقدار الصالحى، إلى الساحل لحفظ البلاد من الفرنج.

وفيها، كتب الأمير سيف الدين بلبان الطباخى، نائب السلطنة الشريفة بحصن الأكراد، إلى السلطان يستأذن فى غزو الفرنج بالمرقب، لأنهم لما بلغهم

---

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٧، ص ١٩٥.

(٢) فى الأصل وصل، وما هنا هو الصواب لغويا.

قدوم التتار ، قويت نفوسهم ، وامتد طمعهم . فأذن السلطان له فى ذلك . بجمع جيوش الحصون ، وأمر التركمان والرجالة ، واستصحب المجانيق وآلات الحصار . وتقدم إلى حصن المرقب ، ونزل بالقرب منه ، فاختفى أهله ، ولم يتحركوا فى مبدأ الحال . فقوى طمع العسكر فيهم ، وتقدموا إلى جانب الحصن ، فرشقهم الفرنج بالسهام والجروخ[1] من أعلا الحصن ، وسهام المسلمين لا تصل[2] إليهم . فاضطرب العسكر ، وأمرهم الطباخى أن يتأخروا عن الحصن ، فظنوها هزيمة وولوا ، فما أمكنه إلا أن يتبعهم . وخرج الفرنج فى أعقابهم ونالوا من المسلمين ، وجرحوا منهم جماعة ، ونهبوا وأسروا جماعة من الرجالة . وبلغ السلطان ذلك ، فأنكره وكبر لديه ، وعزم على السفر .

ذكر توجه السلطان الى الشام .

وفى سنة تسع وسبعين وستمائة أيضا ، عاد السلطان إلى الشام . وكان خروجه من قلعة الجبل ، فى مستهل ذى الحجة . ونزل بها ولده الملك الصالح ، ورتب فى خدمته الامير علم الدين سنجر الشجاعى ، لاستخراج الأموال ، وغير ذلك .

وفى هذه السنة ، فى ذى الحجة ، وصل الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا من العراق ، إلى خدمة السلطان . وعاود الطاعة ، وسأل الصفح ، عن ما فرط من ذنبه ، من إعانة سنقر الأشقر ، وما كان عزم عليه من الانضمام إلى التتار ، وكان اجتماعه بالسلطان بمنزلة الروحاء . ولما وصل إلى الخدمة ، ركب السلطان إليه ، وتلقاه وأكرمه ، وبالغ فى إكرامه وأحسن إليه .

---

(١) الجروخ : والمفرد جرخ ، نوع من القسى يرمى عنه السهام والفوط ، ويقال لمستخدمه من الجند جرخى .

(٢) فى الأصل لا يصل وماهنا هو الصواب لغويا .

وفيها ، فى يوم الأربعاء ، وقت العصر ، رابع عشر المحرم ، توفى الشيخ نور الدين أبو الحسن على ابن الشيخ جلال الدين أبى العزائم همام ابن راجى الله سرابا بن أبى الفتوح ناصر بن داود الشافعى ، إمام الجامع الصالحى بظاهر القاهرة ، خارج باب زويلة ، ودفن من الغد بسفح المقطم ، رحمه الله تعالى . وولى الإمامة بالجامع الصالحى بعده ، ولده الشيخ تاج الدين أبو محمد عبد الله محمد .

وفيها ، فى يوم الثلاثاء ، ثانى عشر شوال ، توفى الأديب جمال الدين أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن على المصرى ، المعروف بالخرّاز الشاعر المشهور ، مولده بمصر ، سنة إحدى وستمائة . سمع أبا الفضل أحمد بن محمد الحباب ، وروى وسمع من غيره . وكان أديبا فاضلا ، جيد البديهة حلو المجون ، حسن المحاضرة ، كثير النادرة ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى الأمير سيف الدين أبو بكر ، المعروف بابن اسباسلار ، متولى مصر . وكان قد سمن ، وأفرط به السمن ، حتى منعه الأطباء من الرقاد على فرش وطى ، ومن النوم إلا إغفاء ، وقالوا إنه متى استغرق فى النوم مات . فكان كذلك إلى أن مات . وكانت وفاته فى شهر ربيع الآخر ، ودفن بتربته بالقرافة . وله فى ولايته بمصر أخبار كثيرة مشهورة من المصريين ، سامحه الله تعالى .

وفيها ، توفى الأمير نور الدين على بن عمر الطورى . كان من أبطال المسلمين وشجعانهم وفرسانهم . وله صيت عظيم عند الفرنج ، ومعرفة بالبلاد الساحلية ومرابطة وآثار جميلة ، ومواقف محمودة . وكان ممن جمع الله له ، بين قوة البدن والقلب . كان يقاتل بلت (١) حديد ، لا يستطيع الشباب حمله ، ولازم المرابطة

(١) اللت ، لفظ فارسى ، وجمعه لتوت ، ومعناه القدوم أو الفأس الكبيرة ، محيط المحيط ، Dozy ; Supp. Dict. Ar.

ببلاد الساحل ، فى وجه العدو سنين كثيرة . وكان كريما دينًا ، وتنقل فى الولايات بالشام . وكان محترما فى الدول ، مكرما عند الملوك ، يعرفون قدره ، وحضر المصاف الكائن بين عسكر مصر وسنقر الأشقر ، فجرح ووقع تحت حوافر الخيل . ومات فى أواخر صفر أو أوائل شهر ربيع الأول ، بجبل الصالحية وقد ناف على تسعين سنة ، رحمه الله تعالى .

واستهلت سنة ثمانين وستمائة

[١٢٨١ — ٦٨٠]

ذكر ما تقرر من المهادنات مع الفرنج و بيت الاسبتار[1]

فى هذه السنة ، وصل إلى السلطان ، وهو بمنزلة الروحاء ، رسل الفرنج يسألون تقرير الهدنة ، والزيادة على الهدنة الظاهرية . وما زالوا يترددون إلى أن تقررت الهدنة ، بين السلطان وولده معا ، ومع مقدم[2] بيت الاسبتار ،

---

(١) هذا العنوان يقابل العنوان الوارد عند ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٠٤ .

(٢) الاسبتار ، من الطوائف الدينية العسكرية . فالمعروف أنه حدث سنة ١٠٧٠ أن أنشأ جماعة من الأمالفيين ، اشتهروا بالتقوى والصلاح ، دارا فى بيت المقدس ، لينزل بها الحجاج الفقراء . وأجاز والى بيت المقدس من قبل الخليفة الفاطمى المستنصر لقنصل آمالفى ، بأن يختار موضعا مناسبا ، يقيم عليه الدار التى اتخذت داعما لها ، القديس حنا المتصدق بطريرك الإسكندرية فى القرن السابع الميلادى ، وكان معظم القائمين على هذه الدار من الرهبان الأمالفيين ، وخضعوا لإدارة مقدم ، استمد سلطته من الهيئات البندكتية بفلسطين . وكان جيرار مقدما على هذه الدار عند استيلاء الصليبيين على بيت المقدس .

استطاع جيرار أن يقنع حكومة الفرنج بأن توقف على هذه الدار أحباسا . وانضم إلى طائفته عدد كبير من الحجاج ، الذى اشتهروا فى المصادر العربية باسم الاسبتارية والاسبتار . وأضحى الاسبتار مستقلين ، ولم يخضعوا إلا قليلا فحصلت طائفتهم على هبات كثيرة — وتطورت هذه الطائفة ، فصار من أهم واجباتها اعداد الفرسان الذى يلتزمون الزهد والتقشف والطهارة والطاعة ، وينذرون أنفسهم للقتال . وجعلوا شارتهم قطعة من النسيج الأبيض يرسم الصليب فوق سترتهم التى يختفى تحتها السلاح .

والواضح أن مقدمى طائفتى الاسبتارية ، والدارية ، كانوا أمراء مستقلين لهم قادتهم واستحكاماتهم وجيوشهم الخاصة ، ومن أملاك الاسبتار ، معظم بلاد طرابلس .

انظر العريني ، الشرق الأوسط والحروب الصليبية ج ١ ، ص ٣٥٧ — ٣٥٩

Rey : Ies Colonies Franques de Syne anx xII et xIII sieeles p. 110, 113.

و جميع الإخوة الاسبتارية ، [بعكا](١) ، لمدة عشر سنين كوامل متتابعات ، وعشرة شهور ، وعشرة أيام ، وعشرة ساعات ، أول ذلك يوم السبت ثانى عشر المحرم سنة ثمانين وستمائة ، الموافق للثالث من شهر أيار ، سنة ألف وخمسمائة واثنتين وتسعين للإسكندر بن فيلبس(٢) اليونانى ، [وذلك(٣)] على جميع بلاد السلطان ، وما اشتملت عليه من الأقاليم والممالك والقلاع والحصون ، والمدن والبلاد والقرى ، والمزارع والأراضى ، والموانى والبحور ، والمراسى والثغور ، وسائر البلاد من الفرات إلى النوبة ، وعلى التجار المسافرين فى البر والبحر ، والسهل والجبل ، فى الليل والنهار ، وعلى قلعة المرقب ، والربض المرقبى بحقوقه وحدوده .

وتقررت الهدنة مع متملك طرابلس ، بيمند(٤) بن بيمند ، لمدة عشر(٥) سنين كوامل متواليات ، أولها يوم السبت السابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ثمانين وستمائة ، الموافق للخامس من تموز سنة ألف وخمسمائة واثنتين وتسعين ، للإسكندر . وذلك على بلاد السلطان الملك المنصور والملك الصالح ولده ، قريبها وبعيدها ، سهلها وجبلها ، غورها ونجدها ، قديمها ومستجدها ، وما هو مجاور

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٤ .

(٢) فى الأصل فيلس ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٥ وفى ملحق ٦ الوارد فى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٩٧٤ — ٩٧٧ .

(٣) الإضافة يتطلبها السياق — انظر ما يلى .

(٤) المقصود هنا بوهمند السابع ، الذى خلف على الحكم أباه بوهمند السادس ، وانعقدت الهدنة فى ١٦ يولية سنة ١٢٨١ .

(٥) فى الأصل عشرة ، وما هنا الصواب لغويا .

لطرابلس ومحادد لها ، من المملكة البعلبكية ، وجبالها وقراها الدخلية[١] والجبلية ، وجبال الضنيين والقصبين[٢] ، وما هو من حقوق ذلك ، وعلى الفتوحات المستجدة : وهى حصن الأكراد وافليس والقليعات وصافيتا ، وميعار ، واطليعا ، وحصن عكار ومرقية[٣] ، ومدينتها وبلادها ، ومناصفاتها ، وهى بلاد اللكمة[٤] ، وجميع بلاد هذه الجهات التى ذكرناها ، ومناصفات المرقب التى دخلت فى الصلح مع بيت الاسبتار وبلده ومدينته ، وما هو محسوب منها ومعروف بها من حصون وقرى ، وبلاد الست وبلاطنس وبلادها ، وقرقص[٥] وبلادها ، وجبلة ولاذقية وأنطاكية والسويدية وبلاد ذلك ، وحصن بغراس ، وحصن ديركوش وصهيون وبرزية ، وحصون[٦] الدعوة ، وغير ذلك من سائر الممالك الإسلامية ، وما سيفتحه الله تعالى ، على يد السلطان ويد ولده ، وعلى الموانى والسواحل والأبراج وغير ذلك ، وعلى بلاد الإبرنس[٧] ، وعلى طرابلس وما هو

(١) كذا أيضا فى بيبرس المنصورى ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ١٩٥ وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٥ ٢ ، ولعل المقصود القرى الواقعة على طريق القوافل والرحلة Dozy. Supp Dict Ar

(٢) فى بيبرس المنصورى ص ١٩٦ العضيين .

(٣) فى الأصل ومن فيه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٥ و بيبرس المنصورى : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ١٢٥ أ .

Grousset : Histoire des Croissades III . P. G 98.

(٤) فى الأصل وفى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٥ ، وبيبرس المنصورى : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ١٢٥ أ .

(٥) فى بيبرس المنصورى : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ١٢٥ أ قرفيص .

(٦) حصون الدعوة ، وهى حسبما أورده بيبرس المنصورى جـ ٩ ، ص ١٢٥ أ : القدموص والكهف والمنيقة والخوابى ، والرصافى ، والقليعة ، والعليقة .

(٧) بلاد الابرنس ، وهى طرابلس ، وما هو داخل بها ، ومحسوب منها ، بيبرس المنصورى : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ١٢٥ أ .

داخل فيها ، وأنفه والبترون وجبيـل و بلاد ذلك ، وعرقا و بلادها المعينـة فى الهدنة ، وعدتها إحدى وخمسون ناحية ، وما هو للخيّالة والكنائس وعدّتها أحد وعشرون بلدا ، وما هو للفارس ووجار دلا[1] لولاى ، من قبل طرابلس ، يكون مناصفة ، وعلى أن يستقر برج اللاذقية وميناؤها فى استخراج الحقوق والجنايات[2] والغلات وغيرها مناصفة ، ويستقر مقامهـم باللاذقية على حـكم شروط الهدنة الظاهرية[3] ، وعلى أن يكـون على جسر أرتوسية[4] ، من غلمان السلطان ليحفـظ الحقوق ، ستة عشر نفـرا وهم : المشد والشاهد والكاتب وثلاثة[5] غلمان لهم ، وعشرة رجّالة فى خدمة المشد ، ويكون لهـم فى الجسر بيوت يسكنونهـا ، ولا يحصل منهم أذية لرعية الإبرنس ، وإنمـا يمنعون[6] مايجب منعـه من الممنوعات ، ولا يمنعون[7] مايكون من عـرقا ، من الغلات الصيفية والشتوية وغيرها ، لايعارضهم المشد فيه . وماعدا ذلك مما يعبر[8] من بلاد السلطان ، يؤخذ عليـه الحقوق . ولا يدخل إلى طرابلس غلة محمية للإبرنس ولا غيره ، إلا [و] يؤخذ الموجب عليها ؛

(١) لعل المقصود أملاك Roger de la Calee سهد القليعات انظر
Grousset. op. Cit IIIP. 688

(٢) الجنايات ، ما تقرر من أموال على سبيل العقوبة ، على أشخاص مذنبين
Dozy: Supp .Dict .Ar

(٣) الهـدنة الظاهرية ، وهى التى عقـدها السلطان الظاهر بيبرس البندقدارى سـنة ٦٦٩ (١٢٧٠ م) مع برهمند السادس صاحب طرابلس ، انظر المقريزى : السـلوك جـ ١ ، ص ٩٧٢ — ملحق ٤ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ١٥٢ .

(٤) وكذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٦ .

(٥) فى الأصل ، وابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٦ ، ثلاث

(٦) فى الأصل ؛ وابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٦ يمنعوا

(٧) فى الأصل ، وابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٦ ولا يمنعوا

(٨) فى الأصل يغير ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٦ ، وبيبرس المنصورى جـ ٩ ، ص ١٢٥ ب

وعلى أن البرنس لا يستجد خارج ما وقعت الهدنة عليه ، بناء يدفع ولا يمنع ، وكذلك السلطان لا يستجد بناء قلعة ينشئها من الأصل فى البلاد ، التى وقعت الهدنة عليها ، وعلى الشوانى من الجهتين أن تكون آمنة ، كل طائفة من الأخرى . ولا ينقض ذلك بموت أحدهما . ولا بتغييره ، وأن لا يُحسِّن لأحد من أعداء مولانا السلطان ، ولا يتفق عليه ، برمز ولا خط ، ولا مراسلة ولا مكاتبة ولا مشافهة . وتقررت الحال على ذلك وعادت الرسل ، وتوجه الأمير فخر الدين أياز الحاجب ليحلف الفرنج ومقدم بيت الاسبتار . على ما انعقد عليه الصلح ، فحلفهم .

ذكر حادثة[1] الأمير سيف الدين كوندك ومن معه ، والقبض عليه

وفى هذه السنة ، بلغ السلطان وهو بمنزلة الروحاء ، أن الأمير سيف الدين كوندك وجماعة من الأمراء الظاهرية ، قد توافقوا على الغدر به . ووصلت إلى السلطان كتب المناصحين من عكا يقولون له احترز على نفسك ، فإن عندك جماعة من الأمراء قد اتفقوا على قتلك ، وكاتبوا الفرنج ، وقالوا لهم لا تصالحوا فالأمر لا يبطىء . وعزم كوندك ومن معه ، أن يهجموا بالليل على السلطان فى الدهليز و يغتالونه . ووافقهم جماعة من الظاهرية الجوانية[2] . فاحترز السلطان

(١) هذا العنوان يطابق الوارد فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٦

(٢) فى الأصل الخوابة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٧

ورحل[١] من الروحاء . وتقدم وتلاطف الأمر ، حتى اجتمع[٢] الأمراء عنده بحمرة[٣] بيسان ، فوبخ كوندك ومن معه ، وذكرلهم ما اعتمدوه من مكاتبة الفرنج فاعترفوا بذلك ، وقرروا به . وسألوه العفو . فأمر السلطان بالقبض عليهم ، فقبض [على][٤] كوندك[٥] وايدغمش الحكيمى وبيبرس الرشيدى ، وساطلمش السلاح دار الظاهرى فى الدهليز ، وأمر السلطان بإعدامهم . وسير إلى الخيام فأمسك من كان قد وافقهم من [الأمراء][٦] البرانيين والمماليك الجوانية ، وكانوا ثلاثة وثلاثين نفرا ، وخاف جماعة فهربوا ، فساق العسكر خلفهم . فأحضر بعضهم من جبال بعلبك ، وبعضهم من ناحية صرخد .

وفيها ، هرب الأمير سيف الدين أيتمش[٧] السعدى . وسيف الدين بلبان

---

(١) فى الأصل ودخل ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٧ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٦

(٢) فى الأصل اجمع ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٧

(٣) فى الأصل بحمرة بيسان ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٧ وابن أبى الفضائل : النهج السديد ص ٣٢٢ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٧

(٥) فى الأصل اوندك ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ : ص ٢٠٧ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٦ .

(٦) الاضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٧ والأمراء البرانيون والبرانية ، هم الذين لم يكونوا من الخاصكية المعروفين بالجوانية — المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ، ص ٢١٧ : أما الخاصكية فهم الذين يلازمون السلطان ، ويتجهزون فى المهمات الشريفة ، والمتقربون فى المملكة — المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٦٤٤ حاشية ٤

(٧) فى الأصل ايتامش ، والرسم المثبت هنا هو الذى يرد عادة فى المخطوطات ، وفى هذا الكتاب أيضا . انظر مايلى .

الهارونى[1] ، وجماعة من البحرية الظاهرية . والتتار الوافدية[2] ، يقال كانوا نحو ثلثمائة فارس . وتوجهوا إلى صهيون ، ولحقوا بالأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، وذلك قبل انتظام الصلح الذى قدمناه . وجرد السلطان خلفهم ، الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى ، والأمير ركن الدين بيبرس طقصوا[3] وجماعتهم فلم يدركوهم .

ورحل السلطان إلى دمشق ، وكان وصوله إليها فى يوم السبت العشرين من المحرم ، وهو أول دخوله إليها . وكان من انتظام الصلح بين السلطان والأمير شمس الدين سنقر الأشقر والملك المسعود ما قدمناه[4] . وكانت الوقعة مع التتار على حمص ، وقد تقدم ذكرها فى الغزوات[5] .

وفى هذه السنة ، فى يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم ، والسلطان بدمشق ، فوّض السلطان قضاء القضاة بدمشق ، على مذهب الإمام الشافعى ، لقاضى القضاة عز الدين بن الصائغ ، وعزل القاضى شمس الدين أحمد ابن خلكان . وفوّض أيضا قضاء الحنابلة بدمشق للقاضى نجم الدين أحمد ابن الشيخ شمس الدين عبد الرحمن الحنبلى . وكان القضاء على مذهب أحمد ، قد

(١) فى الأصل الهدونى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٧ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٦

(٢) التتار الوافدية ، والمستأمنة أو المستأمنون ، هم طوائف من التتار قدمت إلى مصر فى العصر المملوكى الأول ، وكانوا أحرارا ، ودخل عدد كبير منهم فى خدمة الأمراء ، ولم يلحق بفرق المماليك السلطانية والخاصكية إلا عدد قليل منهم والعربى : الفروسية فى مصر فى عصر سلاطين المماليك ص ٢٠٥

(٣) فى الأصل تقصوا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٠٧ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ٦٨٦

(٤) انظر ما تقدم ص ٢١ ، ص ٢٧ من هذا الجزء (المصحح) .

(٥) انظر ما تقدم ص ٣٠ من هذا الجزء (المصحح) .

شغر[1] ، منذ عزل الشيخ شمس الدين نفسه من القضاء ، وتوجه إلى الحجاز ، فى سنة ثمان وسبعين وستمائة ، ففوضه السلطان الآن لولده المذكور ، بإشارة والده وخلع على القاضيين ، واشترط القاضى عن الدين شروطا ، فأجيب إليها .

وفيها ، فى العشر الأوسط من شهر ربيع الأول ، دارت الجهة المفردة[2] بدمشق وأعمالها وضمنت . فقيل[3] إنها ضمنت فى كل سنة بسبعمائة ألف درهم . ثم تزايد فيها الضمان حتى بلغت ألفى ألف درهم فى كل سنة . فلما كان فى يوم الأحد ، الخامس والعشرين من الشهر ، خرج مرسوم السلطان بإراقة الخمور وإبطال [هذه] الجهة [الخبيثة] فبطل ذلك ولله الحمد[4] .

وفيها ، فى شعبان ، فوض السلطان شاد الدواوين بالشام ، للأمير علم الدين سنجر الدوادارى و [فوض[5]] نظر النظار للقاضى تاج الدين عبد الرحمن بن الشيرازى .

---

(١) فى الأصل ، من غير نقط ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٠٨ ؛ والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٧

(٢) الجهة المفردة : المقصودة بها هنا ضريبة مفرده ، جرى اشهارها فى المزاد لمن يتعهد بها . المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٨ حاشية ٥ ، Quatremère: op. Cit. ii. I. P.31

(٣) فى الأصل فقال ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٠ ، قيل ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٤) هذا الخبر أورده محقق كتاب ابن الفرات ، جـ ٧ ، ص ٢١٠ ، حاشية ٤ لأنه لم يرد الأعلى الهامشين الأيسر والأيمن من المخطوطة . ولعل ناسخ الكتاب لم يفطن إلى وضع علامة تشير إلى ما سقط سهوا عند الكتابة كما يفعل كثير من النساخ . والإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢١٠ حاشية ٤ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ص ٦٨٨

والملحوظ أيضا أن الاتفاق يكاد يكون تاما بين رواية النويرى ، ورواية ابن الفرات ، وفى ذلك دليل على استنادهما إلى مصدر واحد ، أفاد كل منهما منه بأسلوبه الخاص .

(٥) الإضافة يتطلبها السياق .

وفى هذه السنة ، وصلت رسل الملك المظفر يوسف بن عمر ، صاحب اليمن إلى السلطان بالهدايا والتحف . وكان من جملة سؤال صاحب اليمن أن يرسل السلطان إليه قميص أمان[1] ، ويكتب عليه هو وابنه الملك الصالح ، فأجابه السلطان إلى ذلك . وجهّز له هدايا وتحفا وقطعة زمرد وخيلا من خيل التتار الأكاديش[2] ، وشيئا من عددهم[3] .

وفيها ، فى شهر رمضان ، قبض السلطان على الأمير ركن الدين أياجى[4] الحاجب . وفى ذى القعدة ، قبض على الأمير سيف الدين أيتمش[5] السعدى ، وجماعة من الأمراء ، وقبض بدمشق على الأمير سيف الدين بلبان الهارونى ،

(١) أورده بيبرس المنصورى : (زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٢٣ ا أ — ب) نسخة هذا الأمان ومنه يتضح أن ملك اليمن كان يبغى عقد حلف مع السلطان المنصور قلاون ، ونصه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا أمان الله سبحانه وتعالى ، وأمان سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وأماننا لأخينا السلطان الملك المظفر شمس الدين يوسف بن عمر صاحب اليمن المحروس : إنا داعون له ، ولأولاده ، مسالمون من سالمهم معادون من عاداهم ناصرون من نصرهم ، خاذلون من خذلهم لا نرضى له ولأولاده إلا ما رضيناه لأنفسنا و إنا لا نقبل فى حقه سعاية ساع ولا قول واش ، ولا تناله منا مضرة مدى الدهر وأعمارنا ، مادام ملازما لشروط مودتنا ، التى شافهنا بها الأمير مجد الدين .

والمعروف أن الأمير مجد الدين ابن أبى القاسم كان من رسل ملك اليمن . (انظر ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٢٨) .

(٢) الأكاديش جمع أكديش ، وهو لفظ فارس الأصل ، معناه الإنسان أو الحيوان الذى من يكون أبوه من جنس وأمه من جنس آخر ، وأطلقه المؤرخون على خيول التتار ، لاستخدامها فى حمل الأثقال Dozy: supp. Dict. Ar. Quatremere: op. Cit. II. 1. p. 46. note 37.

(٣) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٢٨

(٤) فى الأصل اباجى ، وما هنا فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٢٨

(٥) انظر ما سبق ص ٧٨ هامش ٧ .

وسنقر الكردى وغيرهم . وكان أيتمش والهارونى ، قد عادا إلى الخدمة من جهة سنقر الأشقر بعد المصاف ، كما تقدم ذكر ذلك[1] .

وفيها ، رسم السلطان بإبطال زكاة الدولبة[2] ، والزكاوات المقررة بالديار المصرية . وكان الناس يجدون مشقة كبيرة لذلك ، لأن المال كان ينفد والزكاة باقية ، وإذا مات رجل طولب ورثته بالزكاة المقررة عليه .

ذكر وفاة قاضى القضاة تقى الدين رزين ، وولاية القاضى وجيه الدين ، واستعفائه من قضاء القاهرة ، وولاية القاضى شهاب الدين الخوبى[3] .

وفى هذه السنة ، فى ليلة الأحد ثالث شهر رجب ، كانت وفاة قاضى القضاة ، تقى الدين أبى عبد الله محمد بن الحسين بن رزين بن موسى بن عيسى ، ابن موسى بن نصر الله بن هبة الله العامرى الشافعى ، ودفن بالقرافة . ومولده فى يوم الثلاثاء ، ثالث شعبان سنة ثلاث وستمائة بحماه ، رحمه الله تعالى . وفضائله وعلومه مشهورة ، وسماعاته عالية . ولما مات ، فوّض السلطان قضاء

---

(١) فى ابن الفرات . جـ ٧ ، ص ٢٣٤ ، كما قدمنا شرحه ، وفى ذلك ما يؤيد ما سبق الإشارة إليه ، من التطابق بين روايات النويرى وابن الفرات .

(٢) زكاة الدولبة . مال مقرر على كل ما يستخدم من آلات رى الأراضى ، وغزل الحرير ، وصناعة السكر . Doze ; Supp. Dict. Ar

(٣) الأصل الحوبى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٤٧ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٠٦ ولعله ينتمى إلى خوبة من بلاد اذربيجان (ياقوت : معجم البلدان) .

القضاة بالديار المصرية ، للقاضى وجيه الدين عبد الوهاب بن حسين البهنسى المهايى ، فى سلخ شعبان ، فولى ذلك إلى آخر جمادى الآخرة ، سنة إحدى وثمانين [وستمائة][1] . ثم استعفى من قضاء القاهرة والوجه البحرى ، وذكر أنه يضعف عن الجمع بين قضاء المدينتين والوجهين . فأعفى من قضاء القاهرة والوجه البحرى ، وفوض السلطان ذلك إلى القاضى شهاب الدين الحويى[2] ، وكان يلى قضاء الغربية . فنقل إلى قضاء[3] القضاة بالقاهرة والوجه البحرى . واستمر إلى أن نقل إلى الشام ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى .

وفيها ، توفى قاضى القضاة ، نفيس الدين أبو البركات محمد ، ابن القاضى المخلص ، ضياء الدين هبة الله ابن القاضى كمال الدين أبى السعادات أحمد بن شكر المالكى ، قاضى قضاة المالكية بالديار المصرية ، فى يوم الجمعة مستهل ذى الحجة ، ومولده فى سنة خمس وستمائة . وَوَلِّى القضاء من بعده للقاضى تقى الدين أبى على الحسين ، فى سنة تسع وستين وستمائة . ولما مات ، فوض السلطان القضاء بعده ، للقاضى تقى الدين أبى على الحسين ابن الفقيه شرف الدين أبى الفضائل عبد الرحيم ابن الفقيه الإمام مفتى[4] الفرق جلال الدين أبى محمد عبد الله ابن شاس الجذامى السعدى المالكى .

---

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) انظر ما سبق ص ٨٢ ، حاشية ٣ .

(٣) فى الأصل قاضى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٤٧ .

(٤) فى الأصل سنى الفرق ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٣٥ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٠٤ .

وفيها ، توفى قاضى القضاة نجم الدين أبو بكر محمد ابن قاضى القضاة صدر الدين أبو العباس أحمد ابن قاضى القضاة شمس الدين أبى البركات[1] يحيى ابن هبة الله ، المعروف بابن سنى الدولة . وكانت وفاته بدمشق ، فى ثامن المحرم ، ودفن بتربة جده ، بقاسيون ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، فى ثالث عشر شهر ربيع الآخر تو ، فى الشيخ الصالح مجد الدين عبد العزيز ابن الحسين بن إبراهيم الخليلى الدارى بدمشق ، ودفن بقاسيون[2] . وهو والد الصاحب الوزير فخر الدين عمر الخليلى .

وفيها ، فى سحر يوم الجمعة ، ثامن ذى الحجة ، توفى الشيخ الإمام ، بقية العلماء ، علم الدين أبو الحسن محمد ابن الإمام أبى على الحسين بن عتيق بن عبد الله بن رشيق الربعى المالكى الفقيه ، شيخ مشايخنا . ودفن بالقرافة ، وكانت جنازته مشهودة . ومولده فى يوم الأحد ، العشرين من شهر رجب ، سنة[3] خمس وتسعين وخمسمائة بمصر ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى الأمير بهاء الدين ابن الأمير حسام الدين بيجار[4] ، وكان من أعيان الأمراء وأكابرهم . وكانت وفاته بغزة ، وهو منصرف إلى الديار المصرية ،

---

(١) فى الأصل أبو الركات وما هنا هو الصواب من ناحية الإعراب .

(٢) انظر ترجمته فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٣٩ — ٢٤١ وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٠٤

(٣) انظر ترجمته فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٤١

(٤) فى الأصل بدون نقط ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٦٦ بيجار ، ٢٣٧ ، وفى أصل السلوك جـ ٧ ، ص ٦٢٥ حاشية ٣ ، بجار . وما هنا جرى ضبطه من ابن الفرات ، واليونينى : ذيل مرآة الزمان جـ ٢ ، ص ٢٠٢ .

فى رابع عشر شعبان ، وهو فى عشر السبعين تقريبا ، ووالده الأمير حسام الدين البابيرتى[1] باق ، وقد كف بصره .

وفيها ، توفى الأمير شمس الدين سنقر الألفى . وهو الذى ولى نيابة السلطنة بالديار المصرية ، بعد الأمير شمس الدين أقسنقر الفارقانى كما تقدم . وكانت وفاته فى معتقله بثغر الإسكندرية ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى الأمير نور الدين أحمد ، ويدعى رباله ، ابن الملك الظاهر على ابن الملك العزيز محمد ، ابن الملك الظاهر غياث الدين غازى ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب . وأمه زوجة الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى المعروفة ، بوجه القمر . وكانت وفاته بالقاهرة ، فى شوال ، و[كان][2] عمره يومئذ ستا وعشرين سنة . وكان بديع الحسن ، تام الخلقة ، عنده شجاعة وكرم وسكون ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى موفق الدين خضر بن محاسن الرحبى ، النائب بالرحبة . وكان يعد من رجال الدهر شجاعة وإقداما وحزما ، وتدبيرا ومكرا ، وحيلا ومداراة وسياسة . وكان فى بدايته حماسا[3] بالرحبة ، لإنسان من أهلها ، فمات ، فتزوج بامرأته ، وحاز موجوده ، فصلحت حاله . وخدم من جملة قراغلامية[4] الرحبة لما كانت الرحبة للملك الأشرف ، صاحب حمص . وخدم النواب بالرحبة ،

(١) كذا أيضا فى ابن الفرات ج ٧ ، ص ٣٧ ، نسبة إلى بابيرت ، ابن أبى الفضائل ، النهج السديد ص ٢٣٩ .

(٢) الإضافة للتوضيح .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٣٨ ، ولعل المقصود هنا جزار وهو الشخص الذى يقوم بعمل القساطيط وآلة الجمازات (الرواحل) — انظر .

Dozy: Supp. Dict Ar.

(٤) قراغلامية انظر ماسبق ص ٤٠ حاشية ١

وتنقلت به الأحوال ، وترقى إلى أن ولى نيابة السلطنة بالرحبة . وكانوا بعد ذلك يسمونه الموفق صاحب الرحبة . فلما كان فى هـذه السنة ، حضر إلى دمشق ، يتقاضى مواعيد كانت سـبقت له من السلطان بالإمرة ، فمات بدمشق ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وعمره نحو سبعين سنة ، رحمه الله .

واستهلت سنة إحدى وثمانين وستمائة

[٦٨١ = ١٢٨٢]

ذكر تفويض نيابة السلطنة بحلب للأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى

فى هذه السنة ، فوض السلطان نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية ، إلى الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصورى . فاستأذن السلطان فى عمارة جامع مدينة حلب وقلعتها ، وكان التتار قد أخربوهما[1] فأذن له فى ذلك ، فعمّرهما[2] أحسن ما كانا .

وفيها ، فى حادى شهر ربيع الآخر ، فوّض السلطان الوزارة للقاضى الصاحب نجم الدين حمزة بن محمد الأصفونى ، وكان قبل ذلك يلى نظر الدواوين . وكان فى ابتداء ترقيه يلى نصف مشارفة الأصل[3] ، بالأعمال القوصية . ثم ولى فى الدولة الظاهرية ، نظر الأعمال القوصية ، ثم وضع إلى نظر الأعمال الأخميمية . ثم تنقّل فولى نظر النظار بالديار المصرية ، ثم الوزارة . ولم تطل مدة وزارته ، فإنه مات بعد سنة من يوم وزارته ، رحمه الله تعالى . وفوضت الوزاره بعده ، للأمير علم الدين سنجر الشجاعى المنصورى .

---

(١) فى الأصل أخربوها ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٠٨ .

(٢) فى الأصل فعمرها ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥ ، والمقريزى . السلوك جـ ١ ، ص ٧٠٨ .

(٣) مشارفة الأصل ، من وظائف الديوان ، ولأهميتها انقسمت إلى مشارفة أصل ، ومشارفة مباشرة ، وما يتحصل من الأموال ينتهى إلى المشارف بعد الفراغ من تسجيلها . انظر ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٢٣ ، والنويرى . نهاية الأرب جـ ٨ ، ص ٢٠٤ القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ، ص ٤٦٦

وفيها، وفد إلى خدمة السلطان ، شخص من أولاد الأويراتية[1] ، يسمى الشيخ على . كان قد دخل فى دين الإسلام ، وخدم المشايخ ، وعانى أسباب الرياضة والانقطاع . فظهرت له كرامة من كرامات الفقراء ، فتبعه جماعة من أولاد المغل . فخرج بهم من تلك البلاد إلى الشام ، ثم إلى الديار المصرية . ومثلوا بين يدى السلطان، فأحسن إليهم ، منهم الأقوش وتمر وعمر، ثلاثة إخوة ، وجوبان[2] وجماعة ، رتب السلطان بعضهم فى جملة الخاصكية، وتنقلوا إلى الإمرة. ثم ظهر من الشيخ على أمور أنكرت عليه فسجن ، ثم سجن الأقوش ، ومات تمر وعمر فى الخدمة .

وفى هذه السنة ، فى صفر ، قبض السلطان على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى ، والأمير علاء الدين كشتغدى الشمسى وغيرهما ، واعتقلوا . واستمر الأمير بدر الدين بيسرى فى الاعتقال إلى الدولة الأشرفية، فأفرج عنه ، على ما نذكره فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيها ، فى يوم عرفة ، قبض بدمشق على الأمير عز الدين أيبك كرجى ، والأمير علم الدين الروباسى[3]، والأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير عز الدين أيدمر

---

(١) فى الأصل الأويرانية ، وما هنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٥٥ ، والأويراتية أو الكالموك ، جماعة من الوافدية ، كانت تنزل أصلا منطقة بغداد ، وصل منهم إلى الرحبة سنة ٦٩٥ (١٢٩٥ م) نحو عشرة آلاف بيت من عسكر بيدو بن طرغاى بن هولاكو ، عصبة طرغاى زوج حفيدة هولاكو ، بعد أن تعرضوا لهجمات عساكر غازان ، فبادر نائب دمشق لاستقبالهم بناء على أوامر السلطان كتبغا . ولما وصلوا إلى القاهرة، بالغ كتبغا فى إكرامهم وأنزلهم بالحسينية، وأنعم على مقدميهم بالتقادم والإقطاعات . انظر العينى . الفرومية فى مصر ص ٢٤ ، المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨١٢ .

(٢) فى الأصل جوبان ، وماهنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٥٠

(٣) فى الأصل الزوباشى ، وماهنا من ابن الفرات ج ٧ ، ٢٥١ .

الظاهرى . نائب السلطنة ، والده بدمشق كان[1] ، وعلى زين الدين ابن الشيخ هدى[2] ، واعتقلوا .

وفيها ، فى حادى عشرين ، شهر رمضان احترق سوق اللبادين وسوق جيرون بدمشق ، إلى حيطان الجامع . واتصل الحريق إلى حمام الصحن ، ودار الخشب . وكان ابتداء الحريق من وقت المغرب ، واستمر ثلاثة أيام ، وركب بسببه نائب السلطنة وسائر الأمراء ، والعسكر ، والمجارين والنجارين ، حتى خرّبوا[3] قدام النار فانقطعت . واحترق سوق الكتبيين ، فكان ما احترق فيه لشمس الدين إبراهيم الجزرى الكتبي ، خمسة عشر ألف مجلد ، غير الكراريس والأوراق . وكان سبب هذا الحريق ، أن بعض الذهبيين[4] غسل ثوبه ونشره ، وجعل تحته مجمرة نار وتركها ، وتوجه للفطور ، فتعلقت النار بالثوب ، واتصلت ببارية[5] كانت معلقة ، ومنها إلى السقف . وسلم أربعة دكاكين من ناحية درج اللبادين .

ذكر وصول رسل أحمد سلطان ، وهو توكدار ابن هولاكو ، ملك التتار .

وفى هذه السنة ، وصل رسل أحمد سلطان بن هولاكو ، وهو الذى ملك بعد أبغا ، وهم قطب الدين محمود الشيرازى ، قاضى سيواس ، والأمير بهاء الدين

(١) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥١ ، والواضح أن العبارة مضطربة ، والمقصود أن والده كان نائب السلطنة بدمشق .

(٢) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥١ وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٠٩ الشيخ على .

(٣) فى ابن الفرات جـ ٧ : ص ٢٥٠ أخربوا .

(٤) الذهبيون ، جماعة يشتغلون بطلاء المعدن بالذهب . القاموس المحيط .

(٥) البارية ، الحصير المنسوج ، القاموس المحيط .

أقابك السلطان مسعود صاحب الروم ، والصاحب شمس الدين محمد ابن الصاحب ، وهو من أصحاب صاحب ماردين . وعند ورود الخبر بوصولهم إلى البيرة ، أمر السلطان ، الاحتراز عليهم ، بحيث لايشاهدهم أحد . فساروا بهم فى الليل ، إلى أن حضروا بين يدى السلطان . واحضروا كتابا من أحمد سلطان ، يتضمن أنه قد ملك التتار ، وهو مسلم . وقد أمر ببناء المسجد والمدارس والأوقاف ، وأمر بتجهيز الحاج ، إلى غير ذلك من أنواع وجوه البر والقربات . وطلب اجتماع الكلمة ، وإخماد نار الفتن والحروب . وذكر أن أصحابه وجدوا جاسوسا فى زى الفقراء فسكوه ، وإن عادة مثله القتل . وجهزه إلى الأبواب السلطانية . وقال إنه لاحاجة إلى الجواسيس ولا غيرهم ، بعد الاتفاق واجتماع الكلمة ، إلى غير ذلك مما فيه استجلاب خاطر السلطان . وظهرت رغبته فى الصلح ، وأنه كتب من واسط ، فى جمادى الأولى . فاجابه السلطان جوابا حسنا ، يتضمن تهنئته بالإسلام ، وأجابه إلى ما طلب من الصلح ، وأعاد رسله مكرمين . فوصلوا إلى حلب فى سادس شوال ، وتوجهوا إلى بلادهم (١) .

وفيها ، بنى السلطان ببنت (٢) سكتاى بن قراجين بن جنغان نوين . وكان سكتاى هذا ، قد ورد إلى الديار المصرية ، هو وقرمشى ، فى سنة أربع وسبعين وستمائة ، صحبة بيجار (٣) الرومى ، فى الدولة الظاهرية . وهذه هى والدة السلطان الملك الناصر .

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٤٨ — ٢٤٩ ، وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٠٧ — ٧٠٨ ، وبيبرس المنصورى ، فى بدة الفكرة جـ ٩ ص ١٣١ أ — ١٣٧ أ .
انظر أيضا ابن أبى الفضائل : كتاب النهج السديد ص ٣٣٥ وما بعدها .

(٢) فى الأصل بيت ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥١ .

(٣) فى الأصل بانيجار وما هنا من اليونينى ذيل مرآة الزمان جـ ٢ ص ٢٠٢ . انظر ما سبق ص ٨٤ حاشية ٤ .

وفيها ، تزوج الملك الصالح ابن السلطان الملك المنصور بمنكبك[1] ، ابنة الأمير سيف الدين نوكية بن شان[2] قطمان . وكان نوكيه إذ ذاك معتقلا بثغر الإسكندرية . فرسم السلطان بالإفراج عنه ، وأحضره إلى الأبواب العالية ، وشمله الإنعام . وتقرر العقد على خمسة آلاف دينار عينا ، قُدِّم منها ألفا دينار .

وفيها ، استقرت الهدنة بين السلطان والمقدم افرير كليام دياجوك[3] ، مقدم بيت الديوية بعكا والساحل وديوية[4] انطرطوس[5] ، لمدة عشر سنين ، أولها خامس المحرم ، سنة إحدى وثمانين وستمائة .

ذكر الظفر بملك من ملوك الكرج وإمساكه .

وفيها ، بلغ السلطان الملك المنصور ، أن ملكا من ملوك الكرج ، خرج من بلاده ، لزيارة القدس الشريف ، ويعود خفية ، واسمه توما سوطياس[6] كلياري . ووضعت له صفته ، ومعه رفيق يسمى طيبغا بن انكوار ، وأنهما ركبا المراكب من ساحل

---

(١) في الأصل مبلبك وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥١ .

(٢) في ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥١ سان قطمان

(٣) في الأصل دياخول ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٥٢ ، والمقريزي : السلوك جـ ١ ، ص ٩٨٦ ، وهو مقدم الدارية بعكا ، انظر Grousset : op. cit P. 689 - 690

(٤) في الأصل ديومه وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥٢ .

(٥) في الأصل انطروس ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥٢ .

(٦) في الأصل توما سوطياس كلياري ، وفي ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥١ ورد بهذا الرسم نوبا سوطبا كلاري ، وفي المقريزي : السلوك جـ ١ ، ص ٧١٠ ، موفاطبا بن كلاري ، وفي الترجمة الفرنسية للسلوك Touma Sauta Fils de Kalliari ، وما هنا جرى تصويبه من المصادر المتقدمة Quatremère : op. cit II. I. P. 56

بوط[1]، فحفظت عليه الطرقات من كل جهة ، فلم يصل إلى موضع إلا وخبره قد سبق إلى السلطان. فلما وصل إلى القدس الشريف ، أمسك هو وترجمانه[2] ، وأحضرا[3] إلى الديار المصرية ، واعتقلا بها .

وفى هذه السنة ، ولى القاضى بدر الدين محمد ابن الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن جماعة الكنانى الشافعى ، تدريس المدرسة القيمرية . وذكر الدرس بها ، فى تاسع عشر شوال . وحضر دروسه القضاة والعلماء .

وفيها ، فى يوم الثلاثاء ، ثامن شهر رجب ، كانت وفاة الشيخ الإمام العالم الزاهد ، زين الدين أبى محمد عبد السلام بن على بن عمر الزواوى المالكى ، بدمشق . ومولده بظاهر بجايه فى سنة تسع أو ثمان وثمانين وخمسمائة . ووصل إلى دمشق فى سنة ست عشرة وستمائة ، وأقام بها إلى حين وفاته . وولى القضاء فى الدولة الظاهرية ، بعد امتناع منه ، كما تقدم . ولم يأخذ عنه جامكية ، ولا لبس تشريفا . ثم عزل نفسه ، فى سنة ثلاث وسبعين وستمائة . وحلف ألا يلى القضاء بعدها . فأقر السلطان نائبه وصهره القاضى جمال الدين يوسف ، وقد تقدم ذكر ذلك فى مواضعه . وكان رحمه الله تعالى ، كثير التواضع ، يشترى حاجته ويحملها[4] بنفسه .

---

(١) فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥١ حاشية ١ بوط بدون نقط .

(٢) فى الأصل فترجمانه ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥٢ ، قبض عليه وعلى ترجمانه ، وما هنا جرى تصويبه من ابن الفرات .

(٣) فى الأصل وأحضروا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥٢ .

(٤) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥٦ .

وفيها ، فى يوم الأحد سادس عشرين شعبان ، توفى الشيخ شرف الدين أبو عبد الله محمد ابن شيخ الإسلام ، عز الدين أبى محمد عبد العزيز بن عبد السلام ، ودفن بتربة والده بالقرافة . ومولده بدمشق ، فى سنة خمس وستمائة ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى الملك الظاهر شادى ابن الملك الناصر داود ابن الملك المعظم سيف الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل ، سيف الدين أبى بكر محمد ابن أيوب . وكانت وفاته بالغور ، فى السابع والعشرين من شهر رمضان . ونقل إلى البيت المقدس ، فدفن به . ومولده بقلعة دمشق ، بعد صلاة الجمعة ، سابع عشر ذى الحجة ، سنة خمس وعشرين وستمائة .

وفيها ، توفى القاضى شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبى بكر بن خلكان البرمكى . الشافعى الاربلى . وكان وفاته بالمدرسة النجيبية بدمشق ، فى عشية يوم السبت سادس عشر شهر رجب . ومولده بمدينة إربل ، فى يوم الخميس بعد صلاة العصر ، حادى عشر ، شهر ربيع الآخر ، سنة ثمان وستمائة . وقد تقدم ذكر ولايته[1] القضاء بالشام . وكان رجلا عالما ، وحاكما عادلا ، وأديبا بارعا ، ومؤرخا جامعا ، وكريما سمحا ، جوادا مداريا . يحب الرفق بالناس ، وكان طاهر المجلس ، لا يغتاب أحد أحدا فى مجلسه . وله مناقب مشهورة ، وحكايات مذكوره ، تدل على حسناته وستره ، رحمه الله تعالى[2] .

---

(١) فى الأصل ولاية ، وما فى المتن به يستقيم المعنى .

(٢) هذه الترجمة واردة فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥٣ — ٢٥٥ وفى ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ، ص ٣٥٣ — ٣٥٤ وفى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧١٤ .

وفيها ، توفى الشيخ الصالح ، أبو الفـدا إسماعيل بن إسماعيل بن جوسلين البعلبكى بها ، فى يوم الأربعاء الرابـع والعشرين من صفر . ومولده سـنة أربع وستمائة . سمع صحيح البخارى ، على ابن الزبيدى واسمعه ، رحمه الله تعالى (١) .

وفيهـا ، كانت وفاة السديد هبة الله النصرانى القبطى المعروف بالمـاعز ، سـتوفى الصحبة بالديار المصرية . وكان قـد تمكن فى هذه الوظيفة عنـد الملك الظاهر ، وتقدم على أبناء جنسه . وله معرفة تامة بالديار المصرية والبلاد الشامية ، لم يشاركه أحد فى زمانه من أبناء جنسه كلّهم ، قد أقر له بالفضل فى صناعته ، وكان متعففا عن الأموال ، وعنده ستر على الكتاب والمتصرفين . ولمـا مات ، رتب السلطان فى وظيفته ، ولده الأسـعد جرجس . وتمكن الأسـعد فى الدولة المنصورية تمكنا كثيرا ، ما سمع بمثله لمثله .

(١) يقابـل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٥٦ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٧ ، ص ٣٥٦ .

واستهلت سنة اثنتين وثمانين وستمائة

[٦٨٢ - ١٢٨٣ / ١٢٨٤]

فى هذه السنة ، توجه السلطان إلى البحيرة ، لحفر الخليج المعروف بالطيرية[١] . وتوجه صاحب حماه فى خدمته ، وكان قد وصل إلى الأبواب السلطانية فى هذه السنة . لحفر هذا الخليج، وكان طوله ستة آلاف [و][٢] ستمائة قصبة ، وعرضه ثلاث قصبات ، وعمقه أربع قصبات ،بالقصبة الحاكية[٣] . وكان نجازه فى عشرة أيام ، وروى بسببه من أعمال البحيرة[٤] ، ما لم يكن يروى قبله ، فى سنة من السنين .

وفيها، فى عاشر شهر ربيع الأول، فوّض السلطان إلى الصاحب برهان الدين الخضر السنجارى ، النظر والتدريس ، بمدرسة الإمام الشافعى [بالقرافة[٥]] ، بالحامكية[٦] والجراية[٧] . والرسم الشاهد به ، كتاب الوقف الصلاحى ، يوسف

---

(١) فى الأصل الطبرية ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٦٠ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧١٢ ، وترعة الطبرية تخرج من النيل قرب قرية سماة بهذا الاسم ، وهى الآن ترعة الحاجر . انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ٧١٢ حاشية ٢ ،
Omar Tousson: Anciens Branches du Nil pp. 106 - 107

(٢) فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٦٠ ، وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ٧١٢ ، وخمسمائة.

(٣) القصبة الحاكية من المقاييس المستعملة فى تقدير مساحة الأراضى الزراعية فى مصر ، وقد جرى تحريرها زمن الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمى فنسبت إليه ، ومقدارها ستة أذرع .
انظر القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٤٤٦ .

(٤) فى الأصل البحرية ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٦٠ .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٢ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧١٣ .

(٦،٧) فى الأصل بالحاكية والخزانة ، وما هنا من ابن الفرات ، جـ ٧ ، ص ٢٧٢ .

ابن أيوب ، رحمه الله تعالى ، وهو عن [معلوم[1]] التدريس ، فى كل شهر أربعون دينارا معاملة ، صرف [كل[2]] دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم وعن النظر عشرة دنانير [والجراية[3]] ، والرسوم فى كل يوم ، من الخبز ستون[4] رطل ، بالرطل المصرى ، وراويتان[5] من الماء الحلو . وكانت هذه المدرسة ، خلت من مدرس ، من ثلاثين سنة ، وأكتفى فيها بالمعيدين[6] ، وهم عشرة . واستمر الحال على ذلك ، إلى سنة ثمان وسبعين وستمائة . فولى تدريسها قاضى القضاة تقى الدين بن رزين ، عند عزله من القضاء ، وقرر له نصف المعلوم . ثم انتقلت بعد وفاته إلى غيره بربع المعلوم ، وبقى الأمر على ذلك إلى الآن[7] ، ففوضت إليه بتوقيع شريف سلطانى منصورى .

ذكر توجه السلطان إلى الشام وعوده

وفى هذه السنة توجه السلطان إلى الشام ، فى النصف من جمادى الأولى ، ووصل إلى غزة ، فى سابع جمادى الآخرة . وأقام بها أياما ، ثم رحل[8] إلى دمشق . فدخلها فى ثامن شهر رجب ، ونزل بالقلعة .

---

(١) الإضافة من ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٧٢ .

(٢) الإضافة من الفرات ج ٧ ، ص ٢٧٢ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٧٢ .

(٤) فى الأصل ستين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٥) فى الأصل واوتين وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) فى الأصل بالمعتدين وما هنا ، هو الصواب ، من ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٧٢ .

(٧) الملحوظ المطابقة التامة بين النويرى وابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٧٢ ، فهذه العبارة وردت بالذات عند كليهما ، على الرغم من أنهما يعيشان فى زمنين مختلفين ، فالنويرى سابق على ابن الفرات .

(٨) فى الأصل دخل وما هنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٧٤ .

ذكر عزل قاضى القضاة عز الدين ابن الصائغ الشافعى عن القضاء ، وتولية قاضى القضاة بهاء الدين يوسف بن الزكى

كان سبب عزل قاضى القضاة عز الدين ابن الصائغ عن القضاء بدمشق ، أن تاج الدين بن السنجارى قاضى [قضاة[1]] حلب ، أثبت[2] محضرا ، أن الطواشى ريحان الخليفتى ، أودع شرف الدين بن الإسكاف ، ثمانية آلاف دينار ، وأن ذلك انتقل إلى يد القاضى عز الدين المذكور بحكم الوصية . فطلب القاضى عز الدين ، فى يوم الجمعة حادى عشرين شهر رجب ، وكان قد حضر إلى الجامع الأموى ، لسماع خطبة القاضى جمال الدين بن عبد الكافى ، وكان قد ولى الخطابة والإمامة بدمشق . فتوجه من الجامع إلى القلعة ، وحضر[3] إلى الأمير بدر الدين الأقرعى مشد الصحبة ، والقاضى شهاب الدين بن الواسطى ، الناظر بالصحبة . فرسم المشد على القاضى بمسجد الحبالة[4] ، ولم يصل الجمعة . ثم شدد عليه الأمر ، وعزل عن القضاء فى يوم الأحد ثالث عشرين الشهر . وفوض القضاء للقاضى بهاء الدين يوسف ابن القاضى محيى الدين بن الزكى . ومنع الناس عن الدخول على القاضى عز الدين والاجتماع به ، إلا من لابد منه . ثم ادعى

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٥

(٢) فى الأصل است ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٥

(٣) فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٥ وأحضر

(٤) فى الأصل الخيالة ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٥

عليه أن عنده حياصة[١] وعصابة[٢] ، القيمة[٣] عنهما خمسة وعشرون[٤] ألف دينار ، وأنهما كانا عند عماد الدين ابن الشيخ محيى الدين بن العربى[٥] للملك الصالح إسماعيل بن أسد الدين شيركوه ، وانتقل ذلك إلى عماد الدين ابن الصائغ ، ومنه إلى أخيه القاضى عز الدين . ثم ادعى عليه ، أن الأمير ناصر الدين ابن الأمير عز الدين أيدمر ، نائب السلطنة ، والده ، كان أودع عنده جملة كثيرة ، واشتد عليه الأمر ، ووكل الملك الزاهر[٦] فى مطالبته ، فظهر الأمر بخلاف ذلك . وهو أن القاضى عز الدين أثبت عداوة تاج الدين السنجارى ، الحاكم [بحلب[٧]] ، وعجز الخصم عن تحقيق حال العصابة والحياصة ، ومافيهما من اللؤلؤ والبلخش[٨] . وظهرت براءته من الوديعة بأمور يطول شرحها . وانتصر له الأمير حسام الدين لاجين ، نائب السلطنة بالشام . واستمال حسام الدين طرنطاى ، فخاطبا السلطان فى أمره فأفرج عنه ، فى ثامن عشرين شعبان من السنة ، واستمر معزولا إلى

(١) فى الأصل خاصة ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٥

(٢) العصابة ، راية عظيمة من الحرير ، مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان أو الأمير (القلقشندى صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٧ — ٨ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٤٤٣ حاشية ١

(٣) فى الأصل القيامة ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٥

(٤) فى الأصل وعشرين وماهنا هو الصواب لغويا

(٥) فى الأصل ابن المغربى وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٥

(٦) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٥

(٧) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٥

(٨) البلخش ، من الأحجار الكريمة ، يستخرج من موضع يقع بالقرب من بدخشان بإقليم ما وراء النهر ، وهو أحمر شفاف يضاهى الياقوت فى اللون واللونق ، ويقل عنه فى الصلابة : ومنه ما يميل إلى البياض ، ومنه ما يميل إلى اللون البنفسجى ، ومنه ما يزيد وزن القطعة الواحدة على المائة درهم ، ويقبل الناس على شراء البلخش لحسنه . انظر ابن الأكفانى ، نخب الذخائر فى أحوال الجواهر ص ١٥ — ١٦ — نشر الأب أنستاس مارى الكرملى القاهرة ١٩٣٩ . وانظر كذلك كتاب أزهار الأفكار فى جواهر الأحجار التيفاشى ص ٢٥٧ ، تحقيق د . محمد يوسف حسن ، د . محمود بسيونى خفاجة ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٧٧ (المصحح) .

أن مات ، وكانت وفاته بحمص ، ظاهر دمشق ، فى عشية يوم الأحد ، تاسع شهر ربيع الآخر ، سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، وقد بقى من النهار ساعة . ودفن فى يوم الاثنين بتربته بقاسيون ، رحمه الله تعالى .

وأما السلطان ، فإنه أقام بدمشق ، إلى أن رتب أحوالها ، وقدر مصالحها ثم عاد إلى الديار المصرية ، وكان استقلال ركابه من دمشق ، فى يوم الأربعاء ثانى شهر رمضان ، ووصل إلى قلعة الجبل ، فى الخامس والعشرين من الشهر .

وفيها ، وصلت رسل عكا ، وتقررت الهدنة مع الديوية والاسبتار والملك [المنصور](١) لعشر سنين ، وعشرة شهور ، وعشرة أيام ، وعشر ساعات . أولها خامس شهر ربيع الأول منها .

وفيها ، تزوج السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور باردكين ابنة الأمير سيف الدين نوكيه ، وهى أخت زوجة أخيه الملك الصالح .

ذكر وصول الشيخ عبد الرحمن ومن معه من جهة احمد سلطان ، ووفاة مرسلهم ، وما كان من خبرهم

وفى هذه السنة ، وصل الشيخ عبد الرحمن ، من جهة أحمد سلطان ملك التتار ، وصحبته صمداغوا(٢) ، والأمير شمس الدين محمد بن التيتى(٣) ، المعروف بابن الصاحب وزير صاحب ماردين ، وجماعة فى صحبتهم نحو مائة وخمسين نفرا .

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٦٢ ، وقد أورد نص هذه الهدنة (جـ ٧ ، ص ٢٦٢ — ٢٧٢) ونقل Quatremère ; op. Cit. 11 1 pp. 179 هذا النص من كتاب اسمه سيرة السلطان قلاون — انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٨٥ — ملحق ٨ @

(٢) فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٩ صمداعوا

(٣) فى الأصل من غير نقط ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٩

وكان هذا الشيخ قدوة أحمد سلطان ملك التتار . وهو الذى استسلمه ، وقرر قواعد الصلح بينه وبين السلطان ، وبلغ منه مبلغا عظيما ، إلى أن كان يقف بين يديه ، وظهرت منه أمور للغل استمالهم بها . وتحدث فى سائر الأوقاف وعظم ذكره ببلاد الشرق . وركب بالجتر(١) والسلاح دارية والجمدارية . وظن أنه إذا حضر إلى السلطان تمكن منه ، ويتم له فى هذه المملكة ، ما تم له بالعراق . فلما وصل إلى البيرة ، تلقاه الأمير جمال الدين أقش الفارسى ، أحد الأمراء بحلب ، ومنعه من حمل الجتر والسلاح ونكب به عن الطريق المسلوك ، إلى أن أدخله إلى حلب ، ثم إلى دمشق . كان وصوله إلى دمشق ، فى ليلة الثلاثاء ، ثانى عشر ذى الحجة ، ولم يتمكن أحد من الناس أن يراه ولا يكلمه .

ولما وصل إلى دمشق ، أنزل فى قلعتها بقاعة رضوان ، إلى أن وصل السلطان إلى دمشق . ويقال إنه رتب للشيخ ولمن معه ، فى كل يوم ألف درهم نفقة وأطعمة وحلوى ، وغير ذلك بألف درهم أخرى . واستقر بالقلعة ، إلى أن وصل السلطان إلى دمشق ، فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين ، فاستدعاهم ليلا . ووقف بين يدى السلطان ألف مملوك وخمسمائة مملوك ، عليهم الأقبية الأطلس الأحمر ، بالطرز(٢) والكلوتات(٣) الزركش . ووقد بين يديه ألف شمعة وخمسمائة

(١) الجتر : من شعار السلطنة ، ويعرف أيضا بالمظلة ، التى هى قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب (انظر القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٧ — ٨) .

(٢) الطرز ، المقصود هنا أنها معلمة ومرقمة بالزركش (القاموس المحيط) ؛ انظر Grohman: Tivaz (E n .1 s)

(٣) الكلوتات ، مفردها كلوته ، وهى غطاء الرأس ، تلبس وحدها أو بعمامة ، وتسمى أيضا كلفة وكلفتاة ، وكلفتة ، ويقابلها فى الفرنسية Calotte وهى فارسية الأصل ، واستحدث سلاطين الأيوبيين لبس الكلوته بمصر ، فكانوا يلبسون الكلوتات الجوخ الصفر على رءوسهم بغير

شمعة. وحضر الشيخ عبد الرحمن والأمير صمداغوا وشمس الدين ابن الصاحب، وأدوا الرسالة فسمعها السلطان، وأعادهم إلى مكانهم، ثم استحضرهم مرة ثانية وثالثة، حتى استوعب ما عندهم من الأخبار، وماوردوا به من الرسالة. ثم أعلمهم السلطان فى المرة الثالثة، أن مرسلهم قد قتل، وجلس على تخت المملكة أرغون بن أبغا. وكانت القصاد قد وصلت بهذا الخبر.

ونُقلوا من قاعة رضوان، إلى بعض قاعات القلعة، ورُتب لهم بقدر الكفاية. ثم سيّر إليهم الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، استاذ الدار، وقال: قد رسم السلطان بانتقالكم إلى غير هذا المكان، فليجمع كل واحد منكم قماشه، ففعلوا ذلك. فلما صاروا فى دهاليز الدار فتشوا، فأخذ منهم جملة كثيرة من اللؤلؤ وغيره. ويقال إنه كان بيد الشيخ عبد الرحمن سبحة لؤلؤ، قيمتها تزيد على مائة ألف درهم، فأخذت فى جملة ما أخذ، واعتقلوا. فمات الشيخ عبد الرحمن، فى ثامن عشرين شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين بقلعة دمشق، ودفن بمقابر الصوفية. وهذا الشيخ المذكور، هو تلميذ شيخ الإسلام موفق الدين الكواشى، ثم رباه الشيخ المشار إليه، واشتغل عليه وخدمه. وقيل إنه علم منه الاسم الأعظم، ويقال إن الشيخ أعطاه كتابا فى علم السيمياء(١). وقال له توجه بهذا إلى النهر واغسله،

= عمائهم، وكذلك كان يفعل امراؤهم وجندهم ومماليكهم، وظل هذا التقليد مستمرا إلى أواسط دولة المماليك البحرية، حينما أضاف السلطان المنصور قلاون لبس الشاش على الكلوتة. انظر القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٤، ص ٥ — ٦، المقريزى: المواعظ والاعتبار، جـ ٢، ص ٩٨، السلوك جـ ١، ص ٤٩٣ حاشية ١، Dozy : Supp. Dict. Ar

(١) فى الأصل السمياء، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧، ص ٢٧٨ والسيمياء لفظ مشتق من سياء، وإيما بمعنى العلامة والشارة أما اللفظ الذى جرى الاصطلاح عليه، بأنه من أنواع السحر، فإنه مشتق من لفظة سريانية بمعنى العلامات والحروف. واللفظ معنيان، الأول بمعنى السحر والطلسمات، =

فأخذه وأخفاه. وعاد إلى الشيخ، وأخبره أنه غسله. ثم اشتغل بهذا العلم، وتوجه إلى التتار، واجتمع بالخوانين وأراهم من هـذا العلم، ما اقتضى تمسكهم به، وحظى عند والدة السلطان أحمد، فى صِغَر أحمد، وتألّف به. فلما ملك التتار، حكّمه فى سائر ممالكه. ورسم له أن يركب بالجتر، فركب به، ثم جهزه فى هذه الرسالة فمات. وبقى أصحابه فى الاعتقال مدة، وضُيِّق عليهم. ثم كتب الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بالشام، إلى السلطان بسببهم، فرسم باطلاقهم. واستمر الأمير شمس الدين فى الاعتقال، ونقل إلى قلعة الجبل، واعتقل بها مدة طويلة. ثم أفرج عنه بعد ذلك، وولى نيابة دار العدل بالديار المصرية.

وفى سنة اثنتين وثمانين أيضا، وصل من جهة تدان منكو[1]، الجالس على كرسى الملك، ببيوت بركة، نفران من فقهاء القفجاق، وهما مجد الدين أطا ونور الدين وأحضرا على أيديهما كتابا من جهته بالخط المغلى، فقرئ فكان مضمونه، أنه دخل فى دين الإسلام، وأنه أقام شرائع الملة المحمدية، وأوصى على الفقيهين[2] الواصلين بكتابه، وأن يساعدا[3] على الحج المبرور. وذكرا من ألستهما مشافهة، أن الملك سأل السلطان، أن ينعته نعتا، يتسمى به من أسماء المسلمين،

= وهى استعدادات تقتدر النفوس البشريه بها على التأثيرات فى عالم العناصر. والمعنى الثانى يسميه ابن خلدون علم اسرار الحروف، ومحاولة الفلاة من المتصوفة الإفادة منه فى كشف حجاب الحس، وظهور الخوارق على أيديهم. انظر ابن خلدون: المقدمة طبعة القاهرة ١٩٣٠ ص ٤٢٢

Macdonld: Simya. En. I s.

(١) فى الأصل تدان مسكو، وما هنا من المقريزى، السلوك ج ١، ص ٧٠٨، ٧١١ حاشية ٢، ٧١٦. ولى دولة القبجاق بعد وفاة أخيه منكوتمر فى جمادى الآخرة سنة ٦٨٠، وامتد حكمه حتى سنة ٦٨٦، (المقريزى: السلوك ج ١، ص ٧٠٨ حاشية ٢

Lame poole, : Muhammadan Dynastes p. 230

(٢) فى الأصل الفقهاء، وما هنا يتطلبه اللغة.

(٣) الأصل يساعدوا، وما هنا يتطلبه اللغة.

ويرسل إليه علما خليفتيا ، وعلما سلطانيا ، يقاتل بهما أعداء الدين . فجهز السلطان الفقيهين[١] إلى الحجاز ولما عادا جهزهما[٢] إلى مقصدهما[٣] .

وفيها ، أمسك تبرك[٤] ، كان بالحدث من جبال طرابلس . وكانت شوكته قد قويت ، وانضم إليه جماعة كثيرة من أهل تلك الجبال ، وتحصن بالحدث ، فقصده التركمان ، وتحيلوا عليه ، حتى تمكنوا منه وأسروه وأحضروه[٥] ، وكفى الله المسلمين شره .

وفيها ، خرج صاحب[٦] قبرص غازيا ، لقصد الساحل ، فرمته الريح إلى جهة بيروت ، فخرج منها ، وقصد الإغارة على تلك الجهات . فكمن له أهل جبل الخروب ، وخرجوا عليه ، فقتلوا وأسروا من جماعته ثمانين رجلا ، وأخذوا له شيئا كثيرا من المال والخيل والبغال ، وركب فى البحر ، وتوجه إلى صور ، ولم يلبث أن هلك .

وفيها ، وصل إلى السلطان رسول أبو نكيا[٧] ، ملك سيلان ، وأحضر كتابا

---

(١) فى الأصل الفقهاء ، وماهنا يتطلبه اللغة

(٢) فى الأصل جهزهم ، وماهنا يتطلبه اللغة

(٣) فى الأصل مقصدهم ، وماهنا يتطلبه اللغة

(٤) تبرك ، كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٧ ، ورد بهذا الرسم « برل »

(٥) فى الأصل وحضروه ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٧

(٦) كان على رأس هذه الحملة الملك هيو الثالث ، ملك قبرص و بيت المقدس وكان ذلك الملك قد انسحب من الشام إلى قبرص ، منذ سنتين ، لكثرة مؤامرات القوى الصليبية ضده . فعاد تلك السنة إلى الشام ، يريد محاولة استرداد حقوقه فى مملكة بيت المقدس من مغتصبيها من الصليبيين .
المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧١٦ حاشية ٣ .
انظر King : The Knights Hospitrllers in the Holy Land p. 280

(٧) أبو نكيا ملك سيلان ، وفى المقريزى ، السلوك جـ ١ ص ٧١٣ ، أبو نكية ، والمعروف أن الدولة المملوكية أخذت منذ زمن السلطان بيبرس البندقدارى تهتم بشئون التجارة مع الشرق ، وأحس =

فى حُق مِنْ ذَهب . وقال الرسول ، وهو الحاج أبو عثمان ، هـذا الكتاب بخط الملك ، فلم يوجد من يقرأه . فسألوا عن مضمونه . فقال مضمونه . إن سيلان مصر ، ومصر سيلان ، وأنه قـد ترك صحبة صاحب اليمن ، فى محبـة السلطان . وقال أريد رسولا من جهة السلطان ، يُحْضره رسولى (١) ، ورسولا يقيم (٢) فى عدن . والجواهر واليواقيت واللؤلؤ عندى كثير ، والمراكب والقماش وغـيره عندى . والبقـم والقرفة وجميع ما يجلبه الكارم (٣) [عندى (٤)] . والرماح الكثيرة (٥) عنـدى . وعندى الفيلة (٦) . ولو طلب السلطان كل سنة عشرين مركبا ، سيرتها إليه وأطلق

= ملك اليمن ، وقتذاك ، وهو المظفر يوسف ، بأهمية إنشاء علاقات تجارية فى الشرق أيضا ، فأرسل إلى ملك سيلان يعرض عليه حلفا تجاريا ، غير أن ملك سيلان آثر التجارة مع مصر ، ولهذا أرسل سفارته إلى السلطان قلاون عن طريق الخليج العربى والعراق والشام ، حتى تتجنب إجتياز بلاد اليمن .

انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧١٣ حاشية ٣ ،

Heyd : Historie du Commerce du Levant I. P. 426.

(١) كذا فى الأصل ، ووردت العبارة فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٦١ على هذا النحو : ويسأل أن يحضر إليه رسول من عنـد مولانا السلطان صحبة رسـله إلى عنده ، ورسول آخر إلى عدن ، ينتظر حضورهم من تلك الجهة على تلك الطريق (هورمز) .

(٢) فى الأصل مقيم ، وما هنا نستقيم به المعنى .

(٣) الكارم ، فئة من التجار ، تعمل فى تجارة البهار الوارد إلى مصر من الهند ، وكان معظمهم فى الأصل من أهل بلاد الكانم الإسلامية ، التى تقع بين بحر الغزال وبحيرة تشاد بالسودان العربى ، فنسبوا إلى أصلهم الجغرافى بعد تحـريفه إلى « الكارم » ثم أطلق ذلك اللفظ على جميع من مارس تلك التجارة بمصر .

انظر القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٤٦١ ، ٤٦٨ .

Heyd : op. cit IIP . 59

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٦١ .

(٥) فى الأصل لشانها ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٦١ .

(٦) فى الأصل الفيول ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٦١ .

تجار السلطان . وأنا لى سبع[1] وعشرون قلعة، [وفيها معادن[2] :] جواهر ويواقيت. والمغاص[3] ، وكل ما يحصل منها فهولى . فاكرم السلطان هذا الرسول ، وكتب جوابه وجهزه .

وفيها ، نجزت عمارة تربة ، كان السلطان قد رسم [لشاد الأمير علم الدين سنجر الشجاعى[4]]بعمارتها لوالده وولده الملك الصالح ، بالقرب من مشهد السيدة نفيسة وعمرت . ونزل السلطان وولده إليها ، وتصدقا ، ورتبا وقوفها . ورسم السلطان بعمل تربة ومدرسة وبيمارستان بالقاهرة .

ذكر عمارة التربة المنصورية والمدرسة والبيمارستان ومكتب السبيل

قال[5] ، ولما رأى السلطان الملك المنصور التربة الصالحية ، أمر بانشاء تربة

---

(١) فى الأصل سبعة وعشرين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٦٢ .

(٣) فى الأصل المغاضات ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٦٢ .

(٤) ما بين القوسين جرى نقله إلى هذا الموضع حتى يستقيم المعنى ، ويتفق فى ذلك مع ابن الفرات جـ ٧ : ص ٢٧٧ ، على حين أن الرواية الأصلية مضطربة ، ونصها .

« وفيها نجزت عمارة تربة ، كان السلطان قد رسم بعمارتها لوالده وولده الملك الصالح ، بالقرب من مشهد السيدة نفيسة ، وعمرت لشاد الأمير علم الدين سنجر الشجاعى . »

(٥) العنوان والرواية واردة فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٨ ولم يشر النويرى إلى مصدره ، بل اكتفى بلفظة « قال » وتردد ذلك مرات عديده . وسار على نهجه ابن الفرات ، وفى ذلك دليل على ما سبق الإشارة إليه من علاقة بين النويرى وابن الفرات ، والراجح أن ابن الفرات نقل عن النويرى ، أو عن مصدره .

[له[١]] ، ومدرسة و بيمارستان ومكتب سبيل . فاشترت الدار القطبية[٢] ، وما يجاورها — وهى بين القصرين — من خالص مال السلطان ، وعوض سكان الدار القطبية[٣] بالقصر المعروف بقصر الزمرد . وكان انتقال الدار القطبية[٤] منها إلى قصر الزمرد ، ثانى عشر ربيع الأول من السنة[٥] .

ورتب الأمير علم الدين الشجاعى مشدا على العمارة ، فاظهر من الاهتمام بالعمارة والاحتفال ، ما لم يسمع بمثله . فعمرت فى أيسر مدة ، ونجزت العمارة فى شهور سنة ثلاث وثمانين وستمائة . وإذا شاهد الرائى هذه العمارة العظيمة ، وسمع أنها عمرت فى هذه المدة القريبة ، ربما أنكر[٦] ذلك .

ولما كملت العمارة ، وقف السلطان من أملاكه القياسر والرباع[٧] ، والحوانيت والحمامات ، والفنادق والأحكار وغير ذلك ، من[٨] الضياع بالشام ، ما يحصل من أجر ذلك وريعه وغلاته ، فى كل شهر جملة كثيرة . وجعل أكثر ذلك على البيمارستان ثم [التربة بالقبة[٩]] . ورتب وقف المدرسة ، إلا أنه يقصر عن كفايتها . ورتب لمكتب السبيل ، من الوقف بالشام ما يكفيه .

ولما تكامل ذلك ، ركب السلطان وشاهده ، وجلس بالبيمارستان ومعه الأمراء ، والقضاة والعلماء . فأخبرنى بعض من شهد السلطان ، وشهد عليه ،

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٨ .

(٢ ، ٣ ، ٤) فى الأصل القبطية ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٨ .

(٥) المقصود سنة ٦٨٢ هـ .

(٦) فى الأصل انكرت ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٧) فى الأصل « الدباغ » ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٧٨ .

(٨) فى الأصل « والضياع » ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ص ٢٨٨ .

(٩) فى الأصل القبة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩ .

عليه ، أنه استدعى قدحا من الشراب فشربه . وقال قد وقفت هذا على مثلى ، فمن دونى . وأوقفه السلطان على الملك والمملوك ، [والجندى والأمير والوزير[1] والكبير والصغير ، والحر والعبد ، والذكر والأنثى . وجعل لمن يخرج منه ، من المرضى ، عند برئه كسوة . ومن مات جهّزه ، وكفّن ودفن. ورتب فيه الحكماء الطبائعية[2] والكحالين والجرائحية والمجبرين ، لمعالجة الرمدى والمرضى والمجرحين والمكسورين من الرجال والنساء . ورتّب[3] به الفراشين والفراشات ، والقومة ، لخدمة المرضى ، وإصلاح أماكنهم وتنظيفها ، وغسل ثيابهم ، وخدمتهم فى الحمام . وقرر لهم على ذلك ، الجامكيات الوافرة .

وعملت التخوت والفرش والطراريح والأنطاع والمخدات واللحف والملاوات لكل مريض فرش كامل . وأفرد لكل طائفة من المرضى أمكنة تختص بهم . فجعلت الأواوين الأربعة المتقابلة للمرضى بالحميات وغيرها ، وجعلت قاعة للرمدى ، وقاعة للجرحاء ، وقاعة لمن أفرط به الامهال ، وقاعة للنساء ، ومكان حسن للمورورين[5] من الرجال ومثله للنساء ، والمياه تجرى فى أكثر هذه الأماكن . وأفردت أماكن ، لطبخ الطعام ، والأشربة والأدوية ، والمعاجين وتركيب الأكحال ، والشيافات[6] ،

(١) الإضافة من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٩ .

(٢) فى الأصل . الطبايعة . . وماهنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٩ ، بعد إثبات الهمزة والطبايعية ، وهم الطبائعية ، والمفرد طبائعى ، وهو المعروف الآن باسم طبيب الأمراض الباطنية .

(٣) ابتداء من هذا الموضع ، انفرد النويرى بإيراد التفاصيل ، لأنه تولى البيمارستان .

(٤) فى الأصل « الحايات » .

(٥) المقصود بالمورورين ، والمفرد مرور ، من غلبت عليه المرة وهى المادة الصفراء ، تفرزها المرارة (محيط المحيط) .

(٦) الشيافات ، والأشياف أيضا ، جمع شياف ، وهو دواء مسحوق ، يستعمل للعيون ، والشياف أيضا دواء يجعل قمعا أو تليسة أو فرزجه (Suppositoire) ، لمعالجة أمراض المستقيم . انظر : Dozy; supp. Dict. A r.

والسفوفات ، وعمل المراهم والأدهان ، وتركيب الترياقات[١] ، وأماكن لحواصل العقاقير ، وغيرها من هذه الأصناف المذكورة . ومكان يفترق منه الشراب ، وغير ذلك من جميع مايحتاج إليه . ورُتب فيه مكان يجلس فيه رئيس الأطباء ، لإلقاء درس طب ، ينتفع به الطلبة ، ولم يحصر[٢] السلطان ، أثابه الله ، هذا المكان المبارك بعده فى المرضى ، يقف عندها المباشر ، ويمنع من عداها ، بل جعله سبيلا ، لكل من يصل إليه ، فى سائر الأوقات ، من غنى وفقير . ولم يقتصر أيضا فيه ، على من يقيم به للمرضى ، بل يرتب لمن يطلب ، وهو فى منزله مايحتاج إليه ، من الأشربة والأغذية والأدوية ، حتى أن هؤلاء زادوا فى وقت من الأوقات ، على ماتبين ، غير من هو مقيم بالبيمارستان .

ولقد باشرته[٣] فى شوال سنة ثلاث وسبعمائة ، وإلى آخر رمضان سنة سبع وسبعمائة . فكان يصرف منه ، فى بعض الأيام ، من الشراب المطبوخ خاصة ، مايزيد على خمسة قناطير بالمصرى ، فى اليوم الواحد ، للمرتبين والطوارىء ، غير السكر والمطابيخ من الأدوية وغير ذلك من الأغذية والأدهان والترياقات وغيرها ورتب فى البيمارستان من المباشرين والأمناء ، من يقوم بوظائفه ، واتباع ما يحتاج إليه من الأصناف ، وضبط مايدخل إلى المكان ، ومايخرج منه خاصة ، من غير أن يكون لهم تعلق فى استخراج الأموال . وإنما يتباعون الأصناف ، ويحيلون بثمنها على ديوان صندوق المستخرج ، ويكتبون فى كل شهر ، عمل استحقاق[٤]

(١) فى الأصل الدرقات ، والدرياقات . وماهنا من المجوسى ، كامل الصناعة فى الطب ج ٢ ، ص ٥٣٦ — ٥٢٧ (مطبعة بولاق ١٢٩٤ = ١٨٧٧) وهو دواء مركب من عناصر مختلفة ، وهو على أنواع ، يستخدم كل منها فى معالجة المرض الذى ركب من أجله .

(٢) فى الأصل يحضر ، وماهنا يستقيم به المعنى .

(٣) ظل النويرى متوليا لهذا البيمارستان نحو أربع سنوات .

(٤) عمل استحقاق ، المقصود هنا إجراء سجل أو جريدة بما هو مستحق لأرباب الجامكيات والجرايات انظر : النويرى ، نهاية الأرب ج ٨ ، ص ٢٧٨ . Dozy: supp Dict. Ar

لسائر أرباب الجامكيات والجرايات من سائر أرباب الوظائف والمباشرين ، يكتبه[1] العامل ، ويكتب عليه الشهور . ويأمر الناظر بصرفه ، ويخلد [في][2] ديوان الصندوق[3] ويصرف على حكمه . وهذه الطائفة من المباشرين بالبيمارستان ، هم مباشرو الإدارة .

وأما مباشرو[4] الصندوق والرباع ، فإليهم يرجع تحرير جهات الأوقاف ، في الخلق والسكون والمعطل ، واستخراج الأموال ، ومحاسبات المستأجرين وصرف الأموال ، بمقضى حوالة مباشرى الإدارة ، ومباشرة العمارة ، وعمل الاستحقاق لا يتصرفون في غير ذلك ، كما لا يتصرف مباشرو الإدارة ، في صرف الأموال ، إلا حوالة[5] بأوراقهم .

وأما العمارة ، فلها مباشرون ينفردون بها ، من ابتياع الأصناف ، واستعمال[6] الصناع ، ومرمة[7] الأوقاف ، وغير ذلك مما يدخل في وظيفتهم ، كما يفعل في الإدارة ، وينقل عليهم من الصندوق من المال ، ما يصرفونه لأرباب الأجر

(١) في الأصل بكتبة ، وما هنا يستقيم به المعنى . (٢) الاضافة يقتضيها الأسلوب .

(٣) صندوق المستخرج ديوان الصندوق ، وهو حسبما ورد فيما بعد يختص بالنظر في جهات الأوقاف ، وما طرأ عليها من زيادة أو ركود أو تعطيل ، وفي استخراج الأموال ، ومحاسبات المستأجرين وصرف الأموال . انظر Dozy: supp. Dict .Ar.

(٤) في الأصل مباشرى ، وما هنا هو الصواب لغويا

(٥) الحوالة وثيقة تجيز لحاملها أن ينال ما هو مستحق له من المرتبات ، من المتحصل من جهة من الجهات المقررة له بها — انظر النويرى : نهاية الأرب ج ٥ ، ص ٢١٩ .

(٦) في الأصل « الصباغ » . Dozy: supp. Dict. Ar.

(٧) في الأصل برمة ، وما هنا هو الصواب ، انظر وصف المدرسة الناصرية والقبة التي كان انشاءهما السلطان الناصر محمد سنة ٧٠٣ (١٣٠٣) نقلا من النويرى : نهاية الأرب (مخطوط) ج ٣٠ ، ص ٣٤١ ب وما يليها انظر الجزء ٣١ من نهاية الأرب تحقيق الأستاذ فهيم شلتوت الجارى طبعه بمركز تحقيق التراث (المصحح) — وورد هذا الوصف في ملحق ١٧ ، في المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ١٠٤٠ — ١٠٥٠

خاصة . ويكتبون فى كل شهر ، عمل استحقاق ، بثمن الأصناف وأرباب الأجر ، ويخصمونه بما أحالوا به على الصندوق ، وما وصل إليهم من المال ويسوقونه إلى فائض أو متأخر .

وترفع كل طائفة من هؤلاء المباشرين حسباناتهم ، مباومة ومشاهرة ومساناة إلى الناظر(١) والمستوفى(٢) .

هذا ما يتعلق بالمارستان .

وأما القبة المباركة المنصورة ، وهى التربة(٣) ، فإنه رُتِّب فيها خمسون مقرئا ، يقرأون كتاب الله تعالى ، ليلا ونهارا بالنوب . وجُعِل لكل منهم ، فى كل شهر عشرون درهما . ورتب بها إمام ، على مذهب الإمام أبى حنيفة ، رحمه الله تعالى ، وله فى كل شهر ثمانون درهما من أصل الوقف ، وفى كل سنة فى ليلة ختم صلاة قيام رمضان ، خلعة من خزانة السلطان ، كاملة مستجبة(٤) مقتدرة(٥) ورُتِّب بها ريس ومؤذنون(٦) ، يعلنون(٧) الأذان ، بالمأذنة الكبرى ، ويقيمون

(١) الناظر : وهو عادة رئيس ديوان الجيش ، ويختص بالنظر فى أصول ما يتحصل من الأموال وما يجرى صرفه ، والفائض منها والمتأخر ، وتقدير الخراج ، والكشوف الجيشية . ويفحص ما يقوم به الموظفون من الأعمال والحسابات (النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ، ص ٢٩٩ .

(٢) المستوفى . ويلى الناظر فى الوظيفة ، ومن أعماله مطالبة المستخدمين بما يجب عليهم دفعة من الحسابات فى أوقاته ، ويراجع ما يرد عليه من الحساب ويستوفيه ، ويضبط ايرادات الدولة ومصروفاتها .

انظر النويرى : نهاية الأرب ج ٨ ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ ؛ ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٠٢ ، القلقشندى : صبح الأعشى ج ٥ ، ص ٤٦٦ ؛ Dozy: Supp. Dict. Ar.

(٣) هذه العبارة جعلها الناسخ بخط كبير لتوضيح أهميتها ، ويصح الاكتفاء هنا بجعل خط تحتها .

(٤) فى الأصل مستجبة . وما هنا هو الصواب ، ذلك أنه جرى اتخاذها من فراء السنجاب انظر الدميرى : حياة الحيوان ج ٢ ، ص ٤١ .

(٥) فى الأصل مقتدرة ـ وما هنا هو الصواب ، لا تخاذها من جلد القندر أو السمور . الدميرى : حياة الحيوان ج ١ ، ص ٢٦٣

(٦) فى الأصل مؤذنين

(٧) فى الأصل يقلبون وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٠ .

الصلاة ، ويبلغون خلف الإمام . وهم سبعة نفر . الرئيس ، وله فى كل شهر أربعون درهما ، والمؤذنون ستة ، لكل منهم فى كل شهر ستون درهما .

ورتب بها درس تفسير لكتاب الله تعالى ، فيه مدرس[1] يلقيه ، رتب له فى كل شهر [مائة درهم ، وثلاثة وثلاثون درهما وثلث درهم ، ومعيد[2] له] فى كل شهر أربعون درهما ، وطلبة عدتهم ثلاثون [نفرا][3] ، لهم فى كل شهر ثلاثمائة درهم ، ودرس حديث يذكر فيه حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، له مدرس ومعيد وطلبة ، لهم فى كل شهر نظير ما لمدرس التفسير ومعيده وطلبته ، وزيادة على ذلك قارىء ، يقرأ الحديث ، بين يدى المدرس ، فى أوقات الدروس ، ويقرأ ميعادا[4] للعوام بين يديه أيضا ، فى صبيحة كل يوم أربعاء ، رتب له فى كل شهر ثلاثون درهما . ورُتِّب لخازن كتبها فى كل شهر أربعون درهما ، ولخزانة كتبها من الختمات الشريفة ، والربعات المنسوبة الخط ، وكتب التفسير والحديث والفقه واللغة ، والطب والأدبيات ، ودواوين الشعر شىء كثير[5] . ورُتب بها [ا][6] لخدام أزمة ، يقيمون بالقبة ، لحفظ حواصلها ، ومنع من يعبر إليها فى غير أوقات الصلوات ، وهم ستة ، لكل منهم فى كل شهر خمسون درهما ، وغير هؤلاء من القومة والفراشين والبوابين .

---

(١) فى الأصل درس ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠

(٤) ميعاد للعوام ، المقصود هنا درس فى الدين يجرى القاؤه على العوام . انظر

(٥) فى الأصل شيئا كثير ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) فى الأصل ، وابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠ لخدام ، وما هنا يستقيم به المعنى .

وأما المدرسة المباركة المنصورية ، فإنه رتب بها إماما شافعى المذهب ، له فى كل شهر ثمانون درهما ، وريسا[١] ومؤذنين[٢] ، يعلنون بالأذان بالمئذنة الكبرى المذكورة ، هم ومؤذنو[٣] القبة بالنوبة[٤] ، وهم ريس وأربعة مؤذنين[٥] ، لهم فى كل شهر نظير مالمؤذنى القبة . ورُتّب بها متصدر لإقراء كتاب الله ، عز وجل ، ورتب له فى كل شهر أربعون درهما . ورتب بها دروس للمذاهب الأربعة ، الشافعية والمالكية والحنفية والحنابلة ، لكل طائفة مدرس ، له فى كل شهر مائتا درهم ، وثلاثة معيدين لكل منهم خمسة وسبعون درهما ، وغير هؤلاء من القومة والفراشين و بواب[٥] .

وأما مكتب السبيل ، فإنه رُتّب فيه فقيهان يعلمان [ستين[٦]] صغيرا من أيتام المسلمين ، كتاب الله تعالى . ورتب لهما جامكية فى كل شهر ، وجراية فى كل يوم ، وهى لكل منهما فى كل شهر ثلاثون درهما ، وفى كل يوم من الخبز ثلاثة أرطال ، وكسوة فى الشتاء ، وكسوة فى الصيف . ورُتّب للأيتام ، لكل منهم ، فى كل يوم رطلان خبزا ، وكسوة فى الشتاء ، وكسوة فى الصيف . وتنوّع

---

(١) فى الأصل ريس ، وماهنا هو الصواب لغويا .

(٢) فى الأصل وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥ مؤذنون وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى الأصل بالتربة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥ .

وما يلفت النظر هنا أن الأخطاء اللغوية وقع فيها كل من النويرى وابن الفرات ، وهذا يؤكد صلتهما بمصدر أو مصادر اطلع كل منهما عليها .

(٤) فى الأصل مؤذنون ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٥) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥ ونواب بجوامك مخصصة بهم .

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥ .

للسلطان ، أجزل الله ثوابه ، فى وجوه البر والقربات . وهذه الجهات المباركة المبرورة باقية مستمرة ، يزيد وقفها وينمو ، بحسن[1] نية واقفها . قدّس الله روحه ، ونوّر ضريحه .

ولنرجع إلى بقية حوادث سنين اثنتين وثمانين وستمائة .

وفيها ، كانت وفاة الشيخ الإمام ، عماد الدين أبو الفضل محمد ابن قاضى القضاة ، شمس الدين أبى نصر محمد بن هبة الله الشيرازى ، ببستانه[2] بالمزه ، فى فى يوم الاثنين ، سابع عشر صفر . وصلى عليه بعد صلاة العصر ، بجامع الجبل ، ودفن بتربة فيها قبر أخيه علاء الدين ، رحمهما الله تعالى . وكان شيخ الكتابة ، أتقن الخط المنسوب ، وبلغ فيه مبلغا عظيما ، حتى يقال إنه أتقن قلم المحقق[3] ، وكتبه أجود من شيخ الصناعة ابن البوّاب[4] .

---

(١) فى الأصل الحسن ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠ .

(٢) فى الأصل بنستانه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٦ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ٧١٨ .

(٣) فى الأصل علم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٦ ، أشار القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ١٥ — ١٣٢ إلى أنواع الخطوط المستعملة فى ديوان الإنشاء ، ومنها الخط المنسوب ، نسبة للساحة التى يخط عليها قلم الطومار ، ومنها قلم المحقق ، الذى تجرى فى طغراوات كتب القائمات .

(٤) ابن البواب ، وهو أبو الحسن على بن هلال ، من أشهر الخطاطين ببغداد ، هذب طريقة ابن مقلة فى الكتابة ، وكساها رونقا وجمالا . نسخ القرآن نحو ٦٤ مرة ، ومنها نسخة بالخط الريحانى محفوظة بمكتبة لا له لى بالقسطنطينية .

ابن خلكان : وفيات الأعيان جـ ١ ، ص ٣٤٥ ، ابن كثير : البداية والنهاية جـ ١٢ ، ص ٤٤ ، الزركلى : الأعلام جـ ٥ ، ص ١٨٣ .

وفيها ، توفى الصاحب مجد الدين أبو الفدا إسماعيل بن إبراهيم بن أبى القاسم ابن أبى طالب بن كسيرات الموصلى . وكانت وفاته فى سابع عشرين شهر رمضان ، بداره بجبل الصالحية . وكان رحمه الله كثير المروءة ، واسع الصدر ، كثير الهيبة والوقار ، جميل الصورة ، حسن المنظر والشكل ، كثير التعصب لمن يقصده ، محافظا على مودّة أصحابه وقضاء حوائجهم ، كثير التفقد لهم ، وأصله من الموصل ، من بيت الوزارة . كان والده ، وزير الملك المنصور عماد الدين زنكى ابن الملك العادل نور الدين أرسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكى بن آقسنقر . ثم باشر نظر الخزانة ، للملك الرحيم بدر الدين لؤلؤ [صاحب الموصل](١) ثم نقله إلى نظر الجزيرة العمرية(٢) ، لما فتحها . ووصل إلى الشام صحبة الملك المجاهد سيف الدين اسحاق ، لما وصل فى الدولة الظاهرية . وسكن دمشق ، وولى نظر البر بها(٣) . ثم نقل إلى نظر نابلس ، ثم أعيد إلى دمشق فباشر نظر الزكاة بها . ثم انتقل إلى صحابة الديوان بالشام ، إلى أن ملك سنقر الأشقر دمشق ، فاستوزره كما تقدم . وتعطّل(٤) بعد ذلك عن المباشرة ، وسكن داره التى أنشأها بجبل قاسيون ، جوار البيمارستان ، فكان بها إلى أن مات .

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٣ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧١٨ — ٧١٩ .

(٢) المقصود جزيرة ابن عمر ، وهى بلدة شمال الموصل ، يحيط بها نهر دجلة إلا من جهة واحدة واكتملت إحاطة الماء بها ، بعد حفر خندق استمد ماءه من دجلة ، ويرتفع إليها . ز الأثير العلماء الأدباء . انظر . ياقوت : معجم البلدان .

(٣) نظر البر — يتحدث متولى هذه الوظيفة فى أمر الشرطة ، فى ظاهر دمشق ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ١٨٧

(٤) فى الأصل عطل وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٣ .

قال شمس الدين الجزرى[١] : قلت له يوما — وقد أضرته[٢] البطالة — يامولانا لو ذكرت واحدا من أصحابك الأمراء ، حتى يذكر بك السلطان ، أو نائب السلطنة ، فكاتب فى أمرك فإن لك خدما[٣] وتفضلا[٤] على الناس ، فنظر إلى وأنشد :

لذ خمولى وحلا مره وصانى عن كل مخلوق
نفسى معشوقى ولى غيرة تمنعنى عن بذل معشوقى[٥]

وفيها ، فى يوم الخميس عاشر شهر رمضان ، توفى الملك العادل سيف الدين أبو بكر ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ، ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب . وكانت وفاته بدمشق ، وصلى عليه بعد صلاة الجمعة ، ودفن بالتربة المعظمية . وكان رحمه الله تعالى ، قد جمع بين الرئاسة والفضيلة ، والعقل الوافر ، والخصال الجميلة . وكان مجانب الناس ، محبوب الصورة ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، فى سادس عشر بن شعبان ، توفى القاضى عز الدين إبراهيم ابن الصاحب الوزير الأعز ، فخر الدين أبى الفوارس مقدام ابن القاضى كمال الدين أبى السعادات ، أحمد بن شكر[٦] [المصرى] . وكان قد ولى نظر الجيوش ، بالديار المصرية ، فى شهر رمضان ، سنة خمس وسبعين وستمائة ، كما تقدم ، رحمه الله تعالى .

---

(١) هذا مصدر اشترك فيه النويرى وابن الفرات .

(٢) فى الأصل وأضربه البطالة ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٣

(٣) فى الأصل خدم ، وماهنا هو الصواب لغويا .

(٤) فى الأصل تفضل ، وماهنا هو الصواب لغويا .

(٥) هذه الترجمة واردة فى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٣

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨١ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٠ .

وفيها ، توفى الشيخ الإمام العلّامة ، العابد الزاهد ، شمس الدين أبو محمد عبد الرحمن ابن شيخ الإسلام ، أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسى ، شيخ الحنابلة بالشام . وكان قد ولى قضاء القضاة على كره منه ، فى سنة أربع وستين كما تقدم . ثم ترك الحكم ، وتوفر على العبادة والتدريس ، وأشغال الطلبة ، والتصنيف . ويقال إنه قطب بالشام . واستدل على ذلك بمرائى[1] توافقت عليها ، جماعة تعرفه[2] ، فى سنة سبع وسبعين وستمائة أنه قطب ، وكان أوحد زمانه . وكانت وفاته فى يوم الاثنين ، سلخ ربيع الآخر منها . ودفن بقاسيون ، بتربة والده ، قدس الله روحه . ومولده فى السابع والعشرين من المحرم سنة سبع وتسعين وخمسمائة . ولما مات رثاه المولى الفاضل شهاب الدين محمود كاتب الإنشاء بقصيدة أولها .

ما للوجود وقد علاه ظلام ... أعراه[3] خطب أم عداه سقام

أم قد أصيب بشمسه فغدا وقد ... لبست عليه حدادها الأيام

جاء منها :

لكم الكرامات الجليلات التى ... لاتستطيع جحودها الأقوام

وهى قصيدة تزيد على ستين بيتا ، ورثاه جماعة ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل بمرأى ، وماهنا من ابن الفرات ، جـ ٧ ، ص ٢٨٦ .

(٢) فى الأصل بفرقة ، وما هنا من ابن الفرات ، جـ ٧ ، ص ٢٨٦ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٠ .

(٣) فى الأصل أعراه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٦ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٠ .

وفيها ، توفى الأمير علاء الدين كندغدى[١] المشرق الظاهرى ، المعروف بأمير مجلس . كان من أعيان الأمراء بالديار المصرية . وظهر قبل وفاته بمدة يسيرة ، أنه باق على الرق . فاشتراه السلطان الملك المنصور بجملة وأعتقه ، وقربه لديه . وكان شجاعا بطلا مقداما . وكانت وفاته بالقاهرة ، فى يوم الجمعة مستهل صفر . ودفن بمقابر باب النصر ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى الأمير شهاب الدين أحمد بن حجى بن يزيد البرمكى ، أمير آل مرى[٢] ، وكانت وفاته ببصرى . وكانت غاراته تنتهى إلى أقصى نجد والحجاز . وأكثرهم يؤدون[٣] إليه إتاوة فى كل سنة ، فمن قطعها منهم أغار عليه . وكان يدعى أنه من نسل جعفر البرمكى ، من العباسة أخت الرشيد . ويقول إنه تزوجها ورزق منها أولادا . ولما جرى على البرامكة ما جرى ، هرب أولاده منها إلى البادية ، فأحدهم جده ، والله أعلم . وكان يقول للقاضى شمس الدين بن خلكان [البرمكى[٤]] ، أنت ابن عمى . وكانت بينهما مهاداة . وانتفع ابن خلكان به وباعتنائه ، عند السلطان .

وفيها ، فى سابع عشرين المحرم ، كانت وفاة القاضى شمس الدين عيسى ابن الصاحب برهان الدين الخضر[٥] السنجارى . كان ينوب عن والده فى الوزارة

(١) كذا فى الأصل وفى ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٥ . وفى ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة جـ ٧ ، ص ٣٥٨ كشتندى المشرق .

(٢) كذا فى الأصل وفى القلقشندى ، نهاية الأرب فى معرفة أنساب العرب ص ١١١ ، آل مرا .

(٣) فى الأصل يردون ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٢ .

(٥) فى الأصل الخضرى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٧ ، ص ٢٨٥ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٢١ .

الأولى ، فى سنة ثمان وسبعين وستمائة . وولى نظر الأحباس ، ونظر خانقاه سعيد السعداء . ثم ولى بعد ذلك تدريس المدرسة الصلاحية المعروفة بزين التجار[1] ، ثم قبض عليه مع والده ، بعد انفصاله من الوزارة الثانية ، كما تقدم . فلما أفرج عنه[2] سكن المدرسة المعزية بمصر ، وكان بها إلى أن توفى . وكان حسن الصورة والشكل ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، فى سادس عشر شوال ، توفيت زوجة السلطان الملك المنصور ، والدة ولده ، الملك الصالح علاء الدين على ، رحمهما الله تعالى .

وفيها ، فى يوم الأحد ، ثانى عشر جمادى الأولى ، توفى الشيخ ظهير الدين جعفر بن يحيى بن جعفر القرشى الترمنتى الشافعى ، مدرس المدرسة القطبية بالقاهرة ، وأحد المعيدين بمدرسة الشافعى ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، فى يوم السبت ، ثانى عشرين شهر رجب ، توفى الأمير علم الدين سنجر أمير جاندار ، أحد الأمراء بالديار المصرية . وكانت وفاته بدمشق لما كان السلطان بها . ودفن بظاهرها ، عند قباب التركمان ، بميدان الحصار[3] ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل البحار ، وما هنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٨٥ .

(٢) فى الأصل فرج ، وما هنا من ابن الفرات ج ٧ ، ص ٢٨٥ .

(٣) وكذا فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٧٢١ وفى ابن الفرات ج ٧ ص ٢٨٤ : ميدان الحصا .

واستهلت سنة ثلاث وثمانين وستمائة

[٦٨٣ = ١٢٨٤]

ذكر توجه السلطان إلى الشام وعوده

فى هذه السنة ، توجه السلطان الملك المنصور إلى الشام ، وكان وصوله إلى دمشق ، فى يوم السبت ثانى عشر جمادى الآخرة ، ونزل بقلعتها . وكان جل توجهه إلى الشام ، بسبب رسل السلطان أحمد ، فاستحضرهم وسمع رسالتهم ، كما قدمنا[1] ذكر ذلك . وأقام السلطان بدمشق ، إلى أن رتب أحوالها . وعزل الأمير علم الدين سنجر الداوادارى ، من وظيفته شاد الدواوين بدمشق ، وأضاف هذه الوظيفة إلى الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، وكان استاذ دار السلطنة بالشام . فاجتمع له شاد الدواوين واستاذ الدارية . ونقل أيضا الأمير ناصر الدين الحرانى ، من ولاية مدينة دمشق إلى نيابة السلطنة بحمص ، وأضاف ولاية مدينة دمشق ، إلى الأمير سيف الدين طوغان ، متولى[2] البر . ثم عزم على الرحيل ، والعود إلى مقر ملكه ، فبرز الأمراء أثقالهم إلى ظاهر قلعة دمشق ، فكانت حادثة السيل .

ذكر حادثة السيل بدمشق

وفى يوم الأربعاء ، العشرين من شعبان ، سنة ثلاث وثمانين وستمائة ، الموافق لأول تشرين الثانى ، وهو خامس هاتور ، أمطرت السماء ، فى أول

---

(١) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤

(٢) انظر ما سبق ص ١١٤ من هذا الجزء .

الليل، وتوالى المطر وهطل وكثر، واشتد صوت الرعد، وتوالى البرق طول الليل إلى أول النهار. ثم أقبل السيل وارتفع، حتى بلغ إلى حد السيل الذى ذكرناه فى سنة تسعة وستين وستمائة[1]. وحمل جميع أثقال من برز نفسه من الأمراء المصريين والجند، وحمل الخيل والجمال والصناديق وغير ذلك. فيقال إنه عدم للأمير بدر الدين بكتاش النجمى، ما تزيد قيمته على أربعمائة ألف درهم وخمسين درهم، وصدم السيل باب الفراديس، فكسر أقفاله، وما خلفه من المتاريس، ودخل الماء إلى المدرسة المقدمية[2]، وبقى كذلك حتى ارتفع النهار. ثم جف الماء فى يومى الأربعاء والخميس. ثم جاء مطر شديد، وهو دون المطر الأول، فهدم عدة مساكن، فى جبل قاسيون، وبظاهر دمشق وحواضرها[3]. ثم انحط الماء، وتوجه السلطان بعد أن نضب الماء، إلى الديار المصرية. واستقل ركابه من دمشق، فى يوم السبت الثالث والعشرين من شعبان، ووصل إلى قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء التاسع عشر من شهر رمضان من السنة.

ذكر وفاة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وشىء من أخباره، وأمر ولده الأمير حسام الدين مهنا

فى هذه السنة، كانت وفاة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا بن مانع بن حذيفة أمير العرب. وصُلّى عليه بدمشق صلاة الغائب، فى يوم الجمعة تاسع عشر ربيع الأول. وقد ذكرنا ابتداء إمرته، فى إبتداء الدولة الظاهرية. وكان رحمه الله رجلا دينا خيرا، انتفع الإسلام به، فى مواطن كثيرة. وصلحت العربان

(١) انظر جـ ٣٠، ص ١٧٦ من نهاية الأرب تحقيق د. محمد عبد الهادى شعيره، مركز تحقيق التراث، ١٩٩٠. (المصحح).

(٢) فى الأصل خف، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٧

(٣) فى الأصل، وظواهرها، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٧

فى أيامه ، وقل فسادهم ، بل كاد[1] يعدم ، مع لينه وحسن سياسته . وكانت الإمرة قبله لابن عمه الأمير على بن حذيفة . وكان كثير السفك للدماء ، ويقتل مفسدى[2] العرب ، بأنواع القتل ، فكانت له قدر كبيرة منصوبة ، لا تزال على النار مملوءة ماء ، والنار توقد تحتها ، فمتى وقع له مفسد من العرب ألقاه فيها حيًّا ، فيسقط لحمه لوقته . وقتل خلقا كثيرا بذلك وبغيره من أنواع العذاب . هذا والفساد فى أيامه مستمر ، وأمر العرب لا يزداد إلا شدة . فلما ولى الأمير شرف الدين عيسى بعد وفاته ، أنزل القدر وامتنع من سفك دم إلا بحكم الله . فعلم الله صدق نيته ، وأصلح له من أمر العرب ما فسد فى أيام غيره ، وصلحت سيرتهم فى أيامه ، وانحسمت مادة أذاهم للقفول[3] وغيرها ، مَنًّا من الله تعالى .

ولما مات رحمه الله تعالى ، فوض السلطان إمرة العرب بعده ، لولده الأمير حسام الدين مهنا . وزاده السلطان إقطاعا ، وبسط يده ، فسلك سبيل والده فى الخير والإحسان . وأطاعه العرب كافة ، وعظم شأنه عند الملوك وغيرهم . وهو على ذلك إلى وقتنا هذا ، الذى وضعنا فيه هذا الكتاب[4] .

ذكر وفاة الملك المنصور صاحب حماه وولاية ولده الملك المظفر

فى حادى عشر شوال من هذه السنة ، توفى الملك المنصور ناصر الدين أبو المعالى محمد ابن الملك المظفر ، تقى الدين محمود ابن الملك المنصور محمد ابن الملك

(١) فى الأصل كان ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٢ .

(٢) فى الأصل مفسدين وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى الأصل للقفول ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٣ والقفل اسم الجمع والقافلة الرفقة (القاموس المحيط) .

(٤) فى هذا إشارة إلى تحديد زمن تأليف كتاب نهاية الأرب .

المظفر تقى الدين عمر ابن شاهانشاه بن أيوب ، صاحب حماه ، رحمه الله تعالى. ومولده فى الساعة الخامسة ، من يوم الخميس لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول ، سنة اثنتين وثلاثين وستمائة . فتكون مده حياته ، إحدى وخمسين سنة ، وستة أشهر ، وأربعة عشر يوما . وملك حماه يوم السبت ثامن جمادى الأولى ، سنة اثنتين وأربعين وستمائة ، وهو اليوم الذى توفى فيه والده ، فتكون مدة مملكته بحماه ، إحدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وأربعة أيام .

ولما ورد الخبر بوفاته ، رسم السلطان الملك المنصور ، بتفويض ملك حماه ، لولده الملك المظفر تقى الدين محمود ، وأجراه مجرى والده فى التشاريف والمكاتبات . وجهّز إليه التشريف والتقليد ، صحبة الأمير جمال الدين أقوش الموصلى الحاجب ، وجهّز معه عدة تشاريف لعمه الملك الأفضل ، وابن عمه الأمير عماد الدين ، وجماعة من أهل بيته وأمرائه .

وفيها ، فى نصف ذى الحجة ، توجه السلطان إلى الشام .

وفيها ، فى ثالث شهر رمضان ، توفى الملك السعيد فتح الدين عبد الملك ، ابن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب ، رحمه الله تعالى . ودفن بتربة جدته ، والدة السلطان الملك الصالح ، داخل دمشق .

وفيها ، توفى قاضى القضاة نجم الدين أبو محمد عبد الرحيم ابن قاضى القضاة شمس الدين أبو الظاهر إبراهيم بن هبة الله بن المسلم بن هبة الله بن حسان بن محمد بن منصور بن أحمد البارزى ، الجهنى الشافعى ، الحموى ، قاضى حماه . وكانت وفاته ليلة الخميس عاشر ذى القعدة ، سنة ثلاث وثمانين وستمائة . ومولده

يوم الأربعاء ، السادس والعشرين ، من المحرم سنة ثمان وستمائة بحماه . وتوفى بطريق الحجاز ، وحمله أولاده إلى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدفن بالبقيع . وكان رحمه الله تعالى ، ممن صنّف التصانيف المفيدة ، وسمع وحدّث ، وولى قضاء حماه ، بعد أبيه مدة طويلة . ثم عزل مدة يسيرة . وله نظم حسن ومشاركة فى العلوم الكلامية والحكمية ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى قاضى القضاة جمال الدين أبو يعقوب يوسف بن أبى محمد عبد الله بن عمر الزواوى ، قاضى المالكية بدمشق . وكانت وفاته بطريق الحجاز ، قبل الحج بالقرب من تبوك ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى القاضى ناصر الدين أبو العباس أحمد بن أبى المعالى ، محمد ابن منصور بن أبى بكر قاسم بن مختار الجذامى[1] الحروى[2] المالكى الإسكندرى المعروف بابن المنير . وكانت وفاته بالإسكندرية ، فى ليلة الخميس ، مستهل شهر ربيع الأول . ودفن بتربة والده ، عند الجامع الغربى . ومولده بالإسكندرية ، فى ثالث ذى القعدة ، سنة عشرين وستمائة . وكان فاضلا عالما ، وله اليد الطولى فى علم العربية والأدب ، جيد النظم . باشر بالثغر عدة جهات . ثم ولى القضاء بالثغر ، وولى الخطابة مدة يسيرة . ثم نكب فى سنة ثمانين وستمائة . وهجم داره ، ويقال إن الذين هجموا الدار ، أدخلوا معهم قنانى خمر ، تحت ثيابهم ، وادعوا أنها وجدت عنده ، فعزل عن مناصبه . ثم توجه إلى باب

---

(١) فى الأصل الجداى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢ .

(٢) فى الأصل الحروى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٧ .

السلطان . وسعى فيمن سعى به ، فنال بعضهم . وأعيدت إليه مناصبه ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى الأمير شمس الدين محمد ابن الأمير بدر الدين أبى المفاخر باخل ابن عبد الله بن أحمد الهكارى ، متولى ثغر الإسكندرية . وكانت وفاته بالثغر ، فى يوم السبت حادى عشر شهر رجب . ودفن يوم الأحد ، عند رباطه خارج باب رشيد ، رحمه الله تعالى[1] .

وفيها ، فى ليلة الجمعة ، ثالث عشرين ذى الحجة ، توفى الشيخ الصالح العارف القدوة ، أبو القاسم ، وينعت وقار الدين ، بن أحمد بن عبد الرحمن المراغى . والمراغة التى ينسب إليها ، [بلدة][2] معروفة باقليم[3] إخميم ، من البر[4] الغربى . ودفن بالقرافة ، بزاويته المشهورة ، فى يوم الجمعة ، بعد الصلاة ، رحمه الله وأبانا .

---

(١) انظر ترجمته فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥ — ١٦ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤ .

(٣) فى الأصل بلد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤ .

(٤) فى الأصل من البلد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤ .

واستهلت سنة أربع وثمانين وستمائة

[٦٨٤ – ١٢٨٥]

والسلطان الملك المنصور متوجه إلى الشام . فوصل إلى دمشق فى يوم السبت ، ثانى عشر المحرم . وتوجه إلى المرقب ، وافتتح الحصن على ما تقدم ذكره .

ذكر مولد السلطان الملك الناصر

كان مولده المبارك الميمون ، بقلعة الجبل ، فى يوم السبت الخامس عشر من شهر المحرم ، سنة أربع وثمانين وستمائة ، الموافق للثامن والعشرين من برمهات من شهور القبط . وطالع الوقت السرطان . فوردت البشائر على والده[1] السلطان بمولده ، وهو بمنزلة خربة[2] اللصوص ، قبل وصوله إلى دمشق . فاستبشر السلطان بمولده ، وتيمن به ، وبلغ مقصوده ، من فتح المرقب .

وفيها ، بعد عود السلطان من فتح المرقب ، دخل إلى الخزانة بدمشق ، فى يوم الخميس سابع جمادى الأولى . وولى القاضى محيى الدين بن النحاس الوزارة بدمشق ، عوضا عن الصاحب تقى الدين [توبة التكريتى[3]] . وكان

---

(١) فى الأصل والدة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٢ .

(٢) خربة اللصوص ، موضع يقع على الطريق بين دمشق وبيسان ، انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٨١ حاشية ١ ، أبو شامة : كتاب الروضتين ص ١٩٢ ؛ Rec. Hist. Or. v فى

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢ والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٢٩ .

محيي الدين إذ ذاك ، ناظر الخزانة . فخلع عليه خلعة الوزارة ، وكانت الخلعة جبة عتابى[١] حمراء ، وفوقها فرجية زرقاء ، مسنجبة[٢] مقندرة وطرحة[٣] . وعزل الأمير سيف الدين طوغان ، عن ولاية مدينة دمشق ، وأقره على ولاية[٤] البر خاصة . وولى مدينة دمشق الأمير عز الدين محمد بن أبى الهيجا ، فى يوم الجمعة ، خامس عشر جمادى الأولى . ثم توجه إلى الديار المصرية ، فى بكرة نهار الاثنين ، ثامن عشر الشهر . ووصل إلى قلعة الجبل ، فى يوم الثلاثاء تاسع عشرين شعبان . وكان قد أقام مدة بتل العجول .

وفيها ، وصلت رسل ملوك الفرنج ، وأحضروا بين يدى السلطان ، فى يوم الثلاثاء سابع شهر رمضان . وقدموا ما معهم من التقادم ، وهى : ما هو من جهة الأنبرور[٥] ، ما حمله اثنان وثلاثون جملا[٦] ، سنجاب وسمور أربعة عشر ، [و] سقلاط خمسة ، [و] أطلس و بندق ثلاثة عشر . وما هو من جهة الجنوية ، سارسينا[٧] حملان[٨] ، [و] سنافر ستة ، [و] كلب أبلق ، ذكر أنه

(١) فى الأصل عنابى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢ .

(٢) فى الأصل منسجبة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢ .

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢ طراحة . وهى قطعة من الملابس التى تميز زى الطبقة الرفيعة من رجال الدين الموظفين ، وهى عبارة عن وشاح يلبس فوق العمامة ويلتف حول الرقبة و يسترسل على الكتفين . الملابس المملوكية ص ٩٣ تأليف ل . ا . ماير ترجمة صالح الشيتى ، الهيئة المصرية للكتاب ، ١٩٧٢ (المصحح) .

(٤) البر ، المقصود هنا حسبما أورده القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٩٧ ، ضواحى دمشق التى تؤلف وحدة إدارية مستقلة .

(٥) فى الأصل الأنبروز ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ص ٢٢ ، والمقريزى السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٩ وكان امبراطور الدولة الغربية تلك السنة هو دودلف هبسبرج (١٢٧٣ — ١٢٩١) Rec. Hist. Crois. Hist. Or. T. I.P. 348

(٦) فى الأصل حالا ، وما هنا هو الصواب .

(٧) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢ .

(٨) فى الأصل حلين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

أكبر من الأسد . وما هو من جهة الأشكرى[1] ، حمل أطلس ، وأربعة أحمال بسط . فقبلت تقادمهم ، وأجروا على عاداتهم فى الإحسان والصلة .

وفيها ، وصل رسول صاحب اليمن ، وصحبته الهدايا والتقادم ، وأحضر إلى بين يدى السلطان ، فى يوم السبت مستهل ذى القعدة ، وأحضر من الهدية على ما نقل ، ما هو[2] : خدام[3] أزمة ثلاثة عشر ، خيل خصول عشرة ، فيل واحد ، كركدن واحد ، نعاج يمنية ثمانية ، طيور ببغاء ثمانية[4] ، قطع عود كبار ثلاثة ، حملت كل قطعة منها على رجلين ، رماح قنا أربعون حمل جمل . ومن أصناف البهار ما حمل على سبعين جملا ، ومن القماش ما حمل على مائة قفص ، ومن تحف اليمن ما حمل على مائة طبق نحاس ، فقبل ذلك [منه[5]] ، وأنعم على رسله وعليه على العادة .

وفيها ، فى سادس ذى الحجة ، وقع الحريق بقلعة الجبل المحروسة ، فاحترقت الخزانة السلطانية والقاعة الصالحية .

---

(١) والأشكرى ، هو امبراطور الدولة البيزنطيه ، وكان وقتذاك اندرونيكوس الثانى بالبولوغش (١٢٨٣ — ١٣٣٢) . Andrmicus II Paleoloyus

وهو الذى أورده العينى ، عقد الجمان جـ ٥ حوادث ٦٨٢ ، على أنه اندرونيكوس ، الذى تتوج ولقب الدوقس الأنجالوس ، الثارلوفس .

(٢) فى الأصل وهو ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٣) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٩ ، ثلاثة عشر طواشيا ، وتقابل خدام أزمة .

(٤) فى الأصل ثلاثة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٨ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٩ .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٩ والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٩ .

وفيها ، فى سلخ شهر رمضان ، كانت وفاة الأمير سيف الدين أيتمش[١] السعدى فى محبسه .

وفيها ، كانت وفاة الأمير علاء الدين أيدكين البندقدارى الصالحى ، بالقاهرة ، ودفن بتربته بالشارع الأعظم .

وفيها ، فى يوم الأربعاء ، سابع عشر صفر ، توفى الصاحب المشير عز الدين محمد بن على بن إبراهيم بن شداد الأنصارى الحلبى ، بالقاهرة ، ودفن بسفح المقطم . وكان فاضلا دينا ، رئيسا مؤرخا ، معظّما عند الأمراء الأكابر محبوبا إليهم . ولازم الصاحب بهاء الدين مدة حياته . وكان الأمراء الأكابر يحملون إليه فى كل سنة دراهم وغلة وكسوة وغير ذلك ، رحمه الله تعالى[٢] .

وفيها ، فى منتصف شعبان توفى الأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير افتخار الدين أباز[٣] بن عبد الله الحرانى ، بمدينة حمص ، وهو يومئذ نائب السلطنة بها ، وحمل إلى دمشق ، ودفن بقاسيون ، فى يوم الخميس سابع عشر الشهر[٤] .

وفيها ، فى يوم الأربعاء ، سلخ شعبان ، توفى الطواشى شبل[٥] الدولة كافور الصفوى الخزندار بقلعة دمشق . ودفن يوم الخميس مستهل شهر رمضان ، بتربته بسفح قاسيون . كان رجلا صالحا ، كثير الصدقة والمعروف والإحسان ، رحمه الله تعالى ، والحمد لله وحده[٦] .

---

(١) فى الأصل ايباش ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٣ أيتامش ، وهذا هو الرسم الذى يرد كثيرا فى هذا الكتاب وسائر المصادر العربية المعاصرة .

(٢) انظر ترجمته فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٣ — ٣٤ .

(٣) فى الأصل ابان ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٤ .

(٤) انظر ترجمته فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٤ .

(٥) فى الأصل سهل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٣ .

(٦) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٣ .

واستهلت سنة خمس وثمانين وستمائة

[٦٨٥ - ١٢٨٦]

فى هذه السنة ، أعيد الأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، إلى شد الشام ، عوضا عن الأمير شمس الدين سنقر الأعسر . وباشر الديوان فى بكرة يوم الاثنين خامس عشر المحرم .

وفيها ، فى سلخ ربيع الآخر ، وصل تقى الدين توبة التكريتى من الديار المصرية إلى دمشق . وقد أعيد إلى الوزارة بالشام ، عوضا عن الصاحب محيى الدين بن النحاس .

ذكر حادثة غريبة اتفقت بحمص

وفى هذه السنة ، فى سابع عشر صفر ، ورد إلى الأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، نائب السلطنة بالشام ، كتاب من الأمير بدر الدين بكتوت العلائى وكان مجردا بحمص ، وصحبته من عسكر دمشق ألفا[1] فارس ، من مستهل هذه السنة ، مضمونه بعد البسملة :

يقبل الأرض وينهى أنه لما كان فى يوم الخميس رابع عشر صفر ، وقت العصر ، حصل بالفسولة[2] إلى جهة عيون القصب ، غمامة سوداء إلى الغاية ،

---

(١) فى الأصل ألفى ، وماهنا هو الصواب لغويا .

(٢) الفسولة ، منزل للقوافل بين حمص وقارا بالشام بالقرب : معجم البلدان ج ٣ ، ص ٨٠٢ — ٨٠٣ .

وأرعدت رعدا كثيرا زائدا . وظهر من الغمامة شبه دخان أسود ، من السماء متصل بالأرض ، وصور من الدخان ، صورة أصلة[١] هائلة ، مقدار العمود الكبير ، الذى لايحضنه جماعة من الرجال ، وهى متصلة بعنان السماء ، تلعب بذنبها فيتصل بالأرض ، شبه الزوبعة الهائلة . وصارت تحمل الحجارة الكبار المقادير ، وترفعها فى الهواء ، كرمية سهم نشاب وأكثر . وصار وقعها[٢] ، وتلاطم الحجارة بعضها ببعض[٣] ، يسمع له صوت هائل ، من المكان البعيد . ومابرح ذلك مستمرا فى قوته ، واتصل بأطراف العسكر المنصور . وماصادف شيئا إلا رفعه فى الهواء ، كرمية نشاب وأكثر . وما صادف شيئا من الأشياء ، من السروج والجواشن[٤] ، والعدد والسيوف ، والتراكيش[٥] والقسى ، والقماش والشاشات[٦] . والكلوتات[٧] ، والنحاس ، والأسطال ، إلا صار طائرا فى الهواء كشبه الطيور .

---

(١) الأصلة حية قصيرة ، وتسارر الإنسان وتنفخ ، فلا تصيب شيئا بنفختها إلا أهلكته (لسان العرب) .

(٢) فى الأصل وقفها ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٧ .

(٣) فى الأصل بعضها بعض ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٧ .

(٤) الجواشن ، ومفردها جوشن ، وهو الدرع (محيط المحيط) .

(٥) التراكيش ، والمفرد تركاش ، لفظ فارسى الأصل ، ومعناه الكنانة أو الجعبة التى توضع فيها النشاب . انظر : Dozy : supp. Dict. Ar.

(٦) فى الأصل الشابشات ، وما هنا ابن الفرات جـ ٨ ص ٣٧ .

(٧) الكلوتات والمفرد كلوتة ، وهى غطاء الرأس تلبس وحدها أو بعمامة ، واستحدث الأيوبيون لبس الكلوتة بمصر ، وكانت من الجوخ الأصفر . ومنذر بن السلطان المنصور قلاون ، أضاف إليها الشاشات — المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٩٨ ، القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٤ ص ٥ — ٦ . انظر الملابس المملوكية — المرجع السابق — ص ٥١ وما بعدها (المصحح) .

ومن جملة ذلك ، أنه كان فى اسطبل المملوك ، خرج آدم ملآن تطابيق[1] بيطارية حمله فى الهوا والجو ، كرمية نشاب . ودفع من جملة مادفعه ، عدة من الجمال بأحمالها ، قدر رمح وأكثر . وحمل جماعة من الجند والغلمان ، وأهلك شيئا كثيرا من السروج ، التى صدفها[2] ، والرماح ، وطحن ذلك ، إلى أن بقى لا ينتفع به . وأتلف شيئا كثيرا مما صادفه فى طريقه ، وأضاع[3] أشياء كثيرة من العدد والقماش ، لمقدار مائتى نفر من الجند وأصحاب الأمراء ، إلى أن صاروا بغير عدة ، ولا قماش[4] . وغابت تلك الحيلة عن العين ، فى عنان السماء ، فتوجهت فى البرية ، صوب الشرق . والذى عدم من قماش الجند ، منه ما راح فى الغمامة السوداء ، ومنه ما أخذه بعض الجند ، مع أن المملوك ركب بنفسه ، ودار فى المعسكر المنصور ، واستعاد[5] كثيرا مما عدم ، وبعد هذا ، عدم ما تقدم ذكره . وهذه الوقعة ما سمع بمثلها أبدا ، ثم وقع بعد[6] هذا يسير من مطر . ثم إن اللواحيق[7] الكبار ، حملها الهواء وهى منصوبة ، وصارت مرتفعة فى الجو ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

---

(١) تطابيق والمفرد تطبيقه ، صفيحة من الحديد يغل بها حافر الدابة لوقايته . انظر القاموس المحيط Dozy : Supp. Dict. Ar.

(٢) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٨ ، والمقصود صادفها .

(٣) فى الأصل رضاع ، وماهنا به يستقيم المعنى .

(٤) فى الأصل قناش ، ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٨ .

(٥) فى الأصل واستمار ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٨ .

(٦) فى الأصل بعدها ، وما هنا يستقيم به المعنى .

(٧) فى الأصل الواجيق ، وما هنا هو الصواب ، والمفرد لحوقى وهو الإناء الذى يجرى فيه تسوية الطعام . Dozy ; Supp. Dict. Ar .

وفى هذه السنة ، فى جمادى الأولى ، أفرج السلطان عن الأمير شمس الدين قطلبجا أخى الرومى .

وفيها ، رسم السلطان بهدم القبة الظاهرية ، التى بقلعة الجبل بالرحبة . فحصل الشروع فى هدمها ، فى يوم الأحد ، عاشر شهر رجب . وأمر ببناء قبة فى مكانها ، فعمرت ، وكان الفراغ منها فى شوال [من هذه السنة](١) .

ذكر توجه السلطان الى الكرك وما رتبه من أمر النيابة وعوده

فى هذه السنة ، فى يوم الخميس ، سابع شهر رجب ، توجه السلطان إلى غزة ، ثم توجه من بعدها جريدة(٢) إلى الكرك ، فوصل إليها فى شعبان ، وصعد إلى قلعتها ، ورتب أحوالها . ورسم بتنظيف البركة التى فيها من الطين ، فنظفت . وعمل فيها جميع من كان فى خدمة السلطان ، من المماليك والحاشية مدة سبعة أيام . واستناب بها الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار المنصورى . ونقل الأمير عز الدين الموصلى منها إلى نيابة السلطنة بغزة ، وتقدمة العسكر بها . ولم يطل مقامه بها ، فإنه نقل منها إلى نيابة قلعة صفد .

وعاد السلطان من الكرك ، ونزل بغابة أرسوف ، فأقام بها إلى أن وقع الشتاء ، وأمن حركة العدو ، وعاد إلى الديار المصرية . وكان وصوله إلى قلعة الجبل ، فى يوم الاثنين رابع عشر شوال منها .

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٨ .

(٢) جريدة — المقصود هنا أنه سار دون أن يصحب معه متاعه وغلمانه وحشمه (انظر ماورد من المعانى المختلفة لهذا اللفظ فى Dozy : Supp. Dict. Ar.

وفيها ، فى شـوال ، أفرج عن الأمير بدر الدين بكتوت الشمسى ، والامير جمال الدين أقوش الفارسى .

ذكر وفاة قاضى القضاة وجيه الدين ، وتفويض القضاء بمصر والوجه القبلى ، لقاضى القضاة ، تقى الدين ابن بنت الأعز

فى هـذه السنة ، فى يوم الأربعـاء ، مستهل جمـادى الأولى[1] ، كانت وفاة قاضى القضاة وجيه الدين عبد الوهاب ابن القاضى سديد الدين الحسين المهلبى ، المعروف بالبهنسى ، قاضى القضاة بمصر والوجه القبلى . وولى بعده ، قاضى القضاة ، تقى الدين بن عبد الرحمن ابن بنت الأعز ، فى يوم الأربعاء خامس عشر الشهر . وكان قاضى القضاة بالقاهرة والوجه البحرى القاضى شهاب الدين الحوبى[2] .

ذكر وفاة قاضى القضاة تقى الدين بن شاس المـالكى وتفويض القضاء لقاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى

وفى هـذه السنة ، فى ذى القعدة ، كانت وفـاة قاضى القضاة تقى الدين الحسين ابن الفقيـه شرف الدين أبى الفضل عبـد الرحيم ابن الفقيه الإمام مفتى الفرق جلال الدين أبى محمد عبـد الله بن شاس الجذامى السعدى المالكى ، قاضى قضاة المـالكية بالديار المصرية . وفوض السلطان القضاء بعـده ، على مذهب الإمام مالك بن أنس ، لقاضى القضاة زين الدين أبى الحسن على ابن الشـيخ

(١) فى الأصل الأول ، وما هنا هو الصواب . ووقع الناسخ أو المؤلف فى أخطاء لغوية عديدة من هذا القبيل ، وجرى تصويبها دون التنبيه إلى ذلك .

(٢) فى الأصل الخـوبى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٣٩ ، والمقريزى ، السـلوك جـ ١ ، ص ٧٣٢ .

رضى الدين أبى القاسم مخلوف ابن الشيخ تاج الدين أبى المعالى ناهض النويرى المالكى ، وهو يومئذ ناظر الخزانة السلطانية . وكان فى ابتداء ترقيه إلى أمانة الحكم العزيز بالقاهرة . فاتفق أن السلطان الملك المنصور ، فى حال إمرته ، ابتاع منه ، من تركة بعض الأمراء ، عدة بجملة ، كانت الغبطة فيها للأيتام . فطالبه القاضى زين الدين بالمال ، فتوقف عن أدائه ، وقصد ردما ابتاعه . وتحدث فى ذلك مع القاضى زين الدين فامتنع عن رده . واقتضى الحال ان شكاه للملك الظاهر ، والزم بالقيام بالثمن . فبقى ذلك فى خاطر السلطان . فلما ملك ، انتفع بذلك عنده غاية النفع ، ورتبه فى الخزانة ، ووثق به ، وتمكن عنده تمكنا عظيما . ثم فوض إليه القضاء ، وأقره[1] معه على الخزانة . واستمر فى القضاء إلى أن توفى ، على ما نذكره ، إن شاء الله تعالى ، فى أخبار الدولة الناصرية .

ذكر وفاة قاضى القضاة بهاء الدين بن الزكى وشىء من أخباره

وفى هذه السنة ، فى يوم الاثنين ، حادى عشر ذى الحجة ، توفى بدمشق قاضى القضاة بهاء الدين أبو الفضل يوسف ، ابن قاضى القضاة محيي الدين أبى الفضل يحيى ، ابن قاضى القضاة محيي الدين أبى المعالى محمد ، ابن قاضى القضاة ، ركن الدين أبى الحسن على ابن قاضى القضاة ، مجد الدين أبى المعالى محمد ابن قاضى القضاة ركن الدين أبى الفضل يحيى بن على بن عبد العزيز العثمانى الأموى القرشى ، المعروف بابن الزكى ، قاضى قضاة الشافعية بدمشق . اجتمع فيه وله ما لم يجتمع فى غيره ، ولا له . كان من أحسن الناس صورة ،

(١) فى الأصل وأقبره : وما هنا به يستقيم المعنى .

وأكملهم قواما، رهيئة وهيبة. وكان من العلماء الفضلاء فى المذهب وعلم الأصولين[1] والعربية، والمنطق، وعلم الكلام، والحساب، والفرائض، والنظم، وعلم البيان، وحل المترجم[2]، والكتابة الجيدة الحسنة، مع الذكاء المفرط. وكان له دنيا عريضة من المال والعقار. وكانت داره بباب البريد، من أحسن الدور بدمشق وبستانه بالسهم الأعلى من أصح الغوطة وأطيبها هواء. وضيعته الملك قرية الميدانية، من غوطة دمشق. [وكانت[3]] زوجته من أحسن النساء صورة و [كان[4]] أولاده تامّين الصورة. وجُمع له من المدارس بدمشق أجلها، وهى العزيزية والنفوية والفلكية والعادلية والمجاهدية والكلّاسة وغيرها. وأنظار أوقاف كثيرة، وقضاء قضاة دمشق وسائر أوقافها. فلما كمل له ذلك. أتاه الموت الذى لاحيلة فيه ولا دافع له، رحمه الله تعالى.

وفيها، توفى الأديب الفاضل، الشاعر المجيد، شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم بن يوسف بن أحمد الأنصارى اليمنى المحتد[5] المصرى الدار والمولد، الشافعى الصوفى، المعروف بابن الخيمى، الشاعر المشهور، المبرز على نظرائه. وكانت وفاته بالقاهرة المعزية، بمشهد الحسين، فى التاسع والعشرين من شهر رجب الفرد، سنة خمس وثمانين وستمائة. ومولده تخمينا[6] فى سنة اثنتين

(١) فى الأصل الأصولين وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٤٧

(٢) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٨، ص ٤٧

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ٤٨

(٤) الإضافة للتوضيح

(٥) فى الأصل المحتدى، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٢٤

(٦) فى الأصل تخمينا، وفى ابن الفرات جـ ٨، ص ٤٦ بخمينا، والمثبت هنا هو الصواب.

وستمائة . روى عن ابن باقا ، وسمع من ابن البنا وغيره ، وحدّث . وكان يعانى الخدم الديوانية ، وله نظم كثير جيد . فمنه قصيدته المشهورة البائية ، التى ادعاها الشيخ نجم الدين بن اسرائيل . وقد رأينا أن نذكر هذه القصيدة ، وما وقع فى أمرها ، وما قيل فى وزنها ورويها ، وكيف حكم بها للذكور . وأول[1] القصيدة :

يا مطلبا ليس لى فى غيره أرب ... إليك آل التقصى وانتهى الطلب

وما طمحت لمرأى[2] أو لمستمع ... إلا لمعنى إلى علياك ينتسب

وما أرانى[3] أهلا أن تواصلنى ... حسبى علوا ، بأنى فيك مكتئب

لكن ينازع شوقى تارة أدبى ... فأطلب الوصل ، لما يضعف الأدب

ولست أبرح فى الحالين ذا قلق ... باد وشوق له فى أضلعى لهب

وناظر كلما كفكفت أدمعه ... صونا لحبك يعصينى وينسكب

ويدعى فى الهوى دمعى مقاسمتى ... وجدى وحزنى ونجوى وهو مختضب[4]

كالطرف يزعم توحيدا لحبيب ولا ... يزال[5] فى ليله للنجم يرتقب

يا صاحبى قد عدمت المسعدين فصا ... عدنى على وصبى لا مسّك الوصب

---

(١) هذه التفاصيل واردة فى ترجمة كاملة للشاعر ، فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٢ - ٤٦ .

(٢) فى الأصل لمرأ ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٢ .

(٣) فى الأصل رآنى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٢ وابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٢٣١ .

(٤) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٢ متخضب .

(٥) فى الأصل يراك وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٢ .

بالله إن جزت كثبانا بذى سَلَم[1] قف بى عليها ، وقل لى هذه الكثب
ليقضى الحد فى أجراعها وطرا من تربها وأؤدى بعض ما يجب
ومل إلى البان من شرقى كاظمة فل إلى البان من شرقيها طرب
وخذ يمينا لمغنى[2] تهتدى بشذا نسيمه[3] الرطب إن ضلت بك النجب
حيث الهضاب[4] وبطحاها يروضها دمع المحبين لا الأنداء والسحب
اكرم به منزلا تحميه هيبته عنى وأنواره لا الصمر والقضب
دعنى أعلل نفسا عز مطلبها فيـ[5] ـه ، وقلبا لعذر ليس ينقلب
ففيه عاهدت قدماحب من حسنت به الملاحة واعتزت به الرتب
دان وأدنى وعز الحسن يحجبه عنى وذلى والإجلال والرهب
أحيا إذا مت من شوق لرؤيته لأننى لهواه فيه منتسب
ولست أعجب من حبى[6] وصحته من صحتى إنما سقمى هو العجب
يالهف نفسى[7] لو يجدى تلهفها عونا ووا حربا[8] ، لو ينفع الحرب

---

(١) فى الأصل ، وابن الفرات جـ ٤ ص ٤٢ جئت ، وما هنا من ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٢٢١ .

(٢) فى الأصل لمعنى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٣ .

(٣) فى الأصل بشيمة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٣ .

(٤) فى الأصل الرضاب وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٣ .

(٥) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٢ لغدر .

(٦) فى ابن شاكر : فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٢٢١ جسمى .

(٧) فى الأصل لم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٣ .

(٨) فى الأصل حزنا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٣ .

يمضى الزمان وأشواق مضاعفة ... يا للرجال ولا وصل ولا سبب
هبت لنا نسمات من ديارهم ... لم يبق فى الركب من لا هزه الطرب
كدنا نطير سرورا من تذكرهم ... حتى لقد رقصت من تحتنا النجب
يا بارقا بأعالى[1] الرقتين بدا ... لقد حكيت ولكن فاتك الشنب[2]
أما خفوق[3] فؤادى فهو عن سهب ... وعن خفوقك[4] قل لى ما هو السبب
و يانسيما سرى من جو كاظمة ... بالله قل لى كيف البان والعذب
وكيف جيرة ذاك الحى هل حفظوا ... عهدا أراعيه إن شطوا و إن قربوا
أم ضيعوا ومرادى منك ذكرهم ... هم الأحبة إن أعطوا و إن سلبوا
إن كان يرضيهم ابعاد عبدهم ... فالعبد منهم بذاك البعد مقترب
والهجر إن كان يرضيهم بلا سبب ... فإنه من قبيل الوصل محتسب

ولما بلغت هذه القصيدة نجم الدين محمد بن إسرائيل ، ادعاها لنفسه . فاجتمع هو وابن الخيمى بعد ذلك بحضرة جماعة من الأدباء ، وجرى الحديث فى ذلك ، فأصر ابن إسرائيل على أنها له . فتحاكما إلى الشيخ شرف الدين عمر ابن الفارض ، رحمه الله ، وكان يومئذ هو المشار إليه فى معرفة الأدب ونقد الشعر . فأشار أن ينظم كل واحد منهما أبياتا على الوزن والروى فنظم ابن الخيمى :

(١) فى الأصل بأمل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٢ ، ومن ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٢٣١ .

(٢) فى الأصل الشبب وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٣ وابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٢٣١ .

(٣) فى الأصل حقوق وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٢ .

(٤) فى الأصل حقوقك ، وما هنا من الفرات جـ ٨ ، ص ٤٢ .

لله قـــوم بجـرعاء الحمى غيب ... جنوا علىّ ، ولما أن جنوا عتبوا

يا قوم[1] هم أخذوا قلبي فلم يعظوا ... وانهم غصبوا عيشي هام غضبوا

هم العريب بنجد مذ عرفتهم ... لم يبـق لى معهم مال ولانسب

شا كون للحرب لكن من قدودهم ... وفاترات اللحاظ السمر والقضب

فما ألمّوا[2] بحى أو ألم[3] بهـــم ... إلا أغاروا على الأبيات وانتهبوا

عهدت فى دمن[4] البطحاء عهدهوى ... إليهـــم وتمادت[5] بيننا حقب

فما أضاعوا قديم العهد بل حفظوا ... لكن لغيرى ذاك العهد قد نسبوا

مَنْ منصفى من لطيف فيهم خنج ... لدن القـوام لاسرائيـل ينتسب[6]

مبدل القول ظلما لايفى بمـــوا ... عيد الوصال ومنه الذنب والغضب

فى لثغـة الراء منه صدق نسبته ... والمَنّ منه برور الوعد والكذب

موحد فيرى كل الوجـــود له ... ملكا و يبطل ما يقضى به النسب

فعن عجائبـه حدث ولا حرج ... ما ينتهى فى المليح المطلق العجب

بدر ولكن هلالا لاح اذهـو ... بالوردىّ[7] من شفق الخدين منتقب

فى كاس مبسمه من حلو ريقته ... خمـــر ودر ثناياه بهـا حبب

---

(١) فى ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ج ٢ ، ص ٢٣٢ بارب .

(٢) فى الأصل بجى ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤ .

(٣) فى الأصل إذ ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤ .

(٤) فى الأصل زمن ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤ .

(٥) فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤ وعادت .

(٦) فى الأصل تنتسب وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤ .

(٧) فى الأصل بالدردى وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤ .

فلفظه أبدا سكران[1] يسمعنا ... من معرب اللحن ماينسى له الأدب

تجنى[2] لواحظه فينا ومنطقه ... جنايه يجتنى من مُرّها الضرب

قد أظهر السحر[3] فى أجفانه سقما ... البرء منه إذا ماشاء والعطب

حلو الأحاديث وألفاظ ساحرها ... تلق[4] إذا نطق الألواحُ والكتب

لم يبق منطقه قولا يروق لنا ... لقد شكت ظلمه الأشعار والخطب

فداؤه ما[5] جرى فى الدمع من مهج[6] ... وماجرى فى سبيل الحب محتسب

وبيح المتيم شام بارق من أضم ... فهزه كاهتزاز البارق الحرب

واسكن البرق من وجد ومن كلف ... فى قلبه فهو فى أحشائه لهب

فكلما لاح منه بارق بعثت ... قطر المدامع من أجفانه سحب

وما أعادت نسيمات الغوير له ... أخبار ذى الأثل إلا هزّه الطرب

واهاً له أعرض الأحباب عنه وما ... أجدت وسائله الحسنى ولا القرب

ونظم الشيخ نجم الدين محمد بن اسرائيل [رحمه الله تعالى][7] .

لم يقض من حبكم بعض الذى يجب ... قلب متى ماجرى تذكاركم يجب

---

(١) فى الأصل سلوان ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤ ، وابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات ج ٢ ، ص ٢٣٣ .

(٢) فى الأصل يحيى وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤

(٣) فى الأصل من ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤

(٤) فى الأصل يلقى ، وماهنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤

(٥) فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤ مداده

(٦) فى الأصل ملج وماهنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٤ ، وابن شاكر الكتبى فوات الوفيات ج ٢ ، ص ٢٣٣

(٧) الإضافة من ابن الفرات ج ٢ ، ص ٤٤

ولى ، وَفِى لرسم الدار بعدكمُ ... دمع متى جادضلت[1] بالحيا السحب

أحبابنا والمنى تدنى مزاركم[2] ... وربما حال من دون المنى الأدب[3]

مارابكم من حياتى بعد بعدكم ... وليس لى فى حياة بعدكم أدب

قاطعتمونى فأحزانى مواصلة ... وحلتم[4] فخلالى فيكم التعب

[رحتم بقلبى وما كادت لتسلبه ... لولا قدودكم الخطية السلب][5]

يا بارقا ببراق[6] الحزن لاح لنا ... أأنت أم أسلمت أقمارها النقب

ويانسيما سرى والعطر يصحبه ... أجزت[7] حين مشين الخرد[8] العرب

أقسمت بالمقسمات الزهر يحجبها[9] ... سمر العوالى والهندية القضب

لكدت تشبه برقا من ثغورهم ... مادر[10] دمعى لولا الظلم والشنب

وجيرة جار فينا حكم معتدل ... منهم ولم يُعتبوا لكنهم عتبوا

---

(١) فى الأصل صلت ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٥

(٢) فى الأصل مرازتكم ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٥

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٦ الأرب .

(٤) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٥

(٥) الإضافة من ابن شاكر ، فوات الوفيات جـ ٣ ، ص ٢٢٣ .

(٦) فى ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٢٣٣ . ببريق .

(٧) فى الأصل احرت ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٥ .

(٨) فى الأصل الحرد وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٥

(٩) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٥ تحجبها .

(١٠) كذا فى الأصل وابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٥ أما فى ابن شاكر الكتبى ، فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٢٣٢ بادر .

ماحيلتى قـربونى من محبتهـم وحال دونهم التقريب والخبب[1]

وعُرِضتا على الشيخ شرف الدين بن الفارض ، فأنشد مخاطبا لابن اسرائيـل عجز بيت من أبيات ابن الخيمى :

* لقد حكيت ولكن فاتك الشنب *

وحكم بالقصـيدة لابن الخيمى . واسـتحسن بعض من حضر المجلس من الأدباء أبيات ابن اسرائيل ، وقال : من ينظم مثل هذه الأبيات ، ما الحامل له على ادعاء ما ليس له ؟ . فقال ابن الخيمى : هذه سرقة عادة ، لا سرقة حاجة . وانفصل المجلس . وفارق الشيخ نجم الدين بن إسرائيل من وقته الديار المصرية ، وتوجه إلى الشام . ولمـا بلغت هذه الواقعة القاضى شمس الدين أحمد بن خلكان وهو إذ ذاك يتولى نيابة الحكم بالقـاهرة ، خلافة عن قاضى القضاة بدر الدين السنجارى ، رحمهما الله تعالى ، أرسـل إلى الشـيخ شهاب الدين ابن الخيمى ، يطلب منـه الأبيات التى نظمهـا ، وادعاها ابن اسرائيـل ، فذيلهـا بأبيات وهى :

إن كان يرضيهم إبعاد عبـدهم فالعبد منهم بذاك البعد مقترب

والهجر إن كان يرضيهم بلاسبب فإنه من لذيذ الوصـل محتسب

وإن هم احتجبوا عنى فإن لهـم فى القلب مشهور حسن ليس يحتجب

---

(١) فى الأصل والخب وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٥ .

التقريب والخب ، التقـريب نوع من العـدو ، بأن يرفع الفرس يديه معا ، ويضعهما معا ، أما الخبب ، فهو الاسراع فى المشى ، بأن ينقل الفـرس أيامنه جميعا وأياسره جميعا ، (القـاموس المحيط) .

قد نزّه[1] اللطف والإشراق بهجته ... عن أن تمنعها[2] الأستار والحجب

لا ينتهى نظرى منهم إلى رتب ... فى الحسن إلا ولاحت فوقها رتب

وكلما لاح معنى من جمالهم ... لبّاه شوق إلى معناه منتسب

أظلّ[3] دهرى ولى من حبهم طرب ... ومن أليم اشتياقى نحوهم حرب

فالقلب يا صاح منى بين ذاك وذا ... قلب لمعروف شمس الدين منتهب

إن الحديث شجون فاستمع عجبا ... حديث ذا الخبر[4] حسنا كله عجب

وشرع فى مدحه وذكر أوصافه . إلى نهاية سبعة وثلاثين بيتا ، تركنا ايراد بقيتها اختصاراً[5] . وشعره ، رحمه الله تعالى ، كثير جيد مشهور . فلنرجع إلى سياق أخبار الدولة المنصورية .

---

(١) فى الأصل نوه ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٥

(٢) فى الأصل يمنعها ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٥

(٣) فى الأصل أطل ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ص ٤٥

(٤) وكذا أيضا فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٥

(٥) هذه العبارة بنصها ، أوردها ابن الفرات ج ٨ ص ٤٦ ، وهذا دليل آخر على اقتباسه من النويرى أو من مصدر النويرى .

واستهلت سنة ست وثمانين وستمائة

[١٢٨٧ - ٦٨٦]

فى هذه السنة ، تسلم الأمير حسام الدين طرنطاى صهيون ، وعاود الأمير شمس الدين سنقر الأشقر الطاعة[1] . وقد تقدم ذكر ذلك .

وفيها ، كانت غزوة النوبة الأولى . وقد تقدم ذكرها .

ذكر تفويض قضاء القاهرة والوجه البحرى للقاضى برهان الدين السنجارى ، ونقلة القاضى شهاب الدين الحوبى إلى الشام ووفاة السنجارى ، وإضافة قضاء القاهرة للقاضى تقى الدين ابن بنت الأعز

كان سبب هذه الولايات ما قدمناه ، من وفاة قاضى القضاة بدمشق ، بهاء الدين بن الزكى ، فى حادى عشر ذى الحجة ، سنة خمس وثمانين . فلما اتصل خبر وفاته بالسلطان ، رسم بتعيين قاض للشام . فعين قاضى القضاة شهاب الدين الحوبى[2] لذلك ، فيما بلغنى ، القاضى شرف الدين إبراهيم[3] بن عتيق ، وكان إذ

---

(١) أورد المقريزى فى السلوك ج ١ ، ص ٧٢٤ — ٧٢٥ الرواية بالتفصيل ، وهى تلخيص واضح لما ورد فى النويرى . انظر أيضا بيبرس الدوادار المنصورى : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٤٩٢ وما بعدها .

(٢) فى الأصل الحوبى ، وماهنا من ابن الفرات ، ج ٨ ص ٤٨ ، والمقريزى ، السلوك ج ١ ، ص ٧٢٤

(٣) فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ٤٨ شرف الدين محمد .

ذلك ينوب عنه ، وأحضره لذلك . وسعى قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز ، أن ينقل القاضى شهاب الدين الخوبى إلى الشام ، ويستقل هو بقضاء المدينتين والعملين ، فنتج سعيه الآن فى أخذ الطرفين . وذلك أن القاضى شهاب الدين الخوبى ، طلع فى يوم الأحد ، خامس عشر المحرم ، من هذه السنة ، إلى قلعة الجبل ، وصحبته القاضى شرف الدين بن عتيق ، الذى عينه لقضاء الشام . وحضر قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز المجلس ، وطلب [السلطان](١) قاضى القضاة برهان الدين الخضر السنجارى ، فخلع عليه ، وفوض له قضاء القاهرة والوجه البحرى ونقل القاضى شهاب الدين الخوبى إلى قضاء الشام ، فتوجه إلى دمشق ، فى ثالث عشر صفر ، ووصل إليها فى يوم الاثنين ثالث عشر شهر ربيع الأول . وأما القاضى برهان الدين ، فإنه جلس للحكم بالقاهرة بالمدرسة المنصورية . وتقدم فى الجلوس بدار العدل ، على قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز ، فتألم لذلك ، وندم على سعيه فى نقلة القاضى شهاب الدين الخوبى إلى الشام ، وسعى أن يتوفر من حضور دار العدل . فبينما هو فى ذلك ، توفى قاضى القضاة برهان الدين السنجارى . وكانت وفاته فى تاسع صفر من السنة ، بالمدرسة المعزية بمصر ، ودفن بتربة أخيه بدر الدين بالقرافة . فكانت مدة ولايته أربعة وعشرين يوما ، ومولده فى سنة ست عشرة وستمائة . ولما مات ، فوض السلطان قضاء القاهرة والوجه البحرى لقاضى القضاة ، تقى الدين عبد الرحمن ابن قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز . وخلع عليه ، وجمع له القضاء بالمدينتين والعملين . وبلغنى أنه صلى على القاضى برهان الدين ، وعليه خلعة القضاء(٢) .

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٨

(٢) هذه الرواية تطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٤٩ ، ٥٠ وفى ذلك دليل على ما بين المصدرين من الاتفاق .

ذكر خبر واقعة ناصر الدين بن المقدسى واعيان دمشق ، ومصادرة أكابر دمشق ، وتوكيل ناصر الدين بن المقدسى عن السلطان

وفى هذه السنة ، وصل ناصر الدين محمد ابن الشيخ عبد الرحمن المقدسى ، إلى الأبواب السلطانية . وكان قد حضر ، ليرفع[1] على قاضى القضاة بهاء الدين ابن الزكى أمورا . فاتفقت وفاة قاضى القضاة كما تقدم ، فبطل عليه ما دبره من أمره ، فعدل عن ذلك إلى غيره . واجتمع بالأمير علم الدين [سنجر[2]] الشجاعى ، وزير الدولة ، وتحدث معه فى أمر بنت[3] الملك الأشرف موسى ابن السلطان الملك العادل ، وأنها أباعت أملاكها بدمشق ، وأنه ثبت أنها حالة البيع كانت سفيهة ، وقد حجر عليها عمها الملك الصالح ، عماد الدين إسماعيل ، ويستعيد الاملاك ممن ابتاعها ، ويرجع عليهم بما تسلموه من الريع ، فى المدة الماضية ، ويشترى هذه الأملاك للخاص[4] السلطانى ، فأجابه إلى ذلك . وكتب يطلب سيف الدين أحمد السامرى من دمشق ، وكان قد ابتاع منها

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٠ ، ليرافع قاضى القضاة .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٠ .

(٣) فى الأصل بيت ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٠ والمقصود هنا ، حسبما ورد فى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٥ ، حاشية ٢ ، ملكة خاتون ، أوصى لها أبوها بجميع جواهره ، ووقف دار السعادة وبستان النسيرب ، وتزوجها الجواد يونس ، ثم طلقها ، فتزوجها المنصور محمد ابن الصالح إسماعيل ، فولدت له ولدين ، وتوفيت سنة ٦٩٤ .

(٤) فى الأصل الخاص ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥٠ ، والمقريزى . السلوك جـ ١ ، ص ٧٢٥ .

حرزما[1] . فحضر فى شهر رمضان ، والسلطان إذ ذاك بغزة ، فسيره إلى الديار المصرية . فطلب منه ابتياع حرزما ، فادعى أنه وقفها من مدة . فعند ذلك ، سطر محضر ، يتضمن ابنة الملك الأشرف ، كانت فى مدة كذا وكذا سفيهة ، وذلك فى زمن البيع . ولم تزل مستمرة السفه ، إلى تاريخ كذا وكذا . ثم صلحت واستحقت رفع الحجر عنها من مدة كذا وكذا . ولفّق بيّنة شهدت بذلك ، وثبت على أخذ قضاء القضاة بالديار المصرية ، وقد شاهدت[2] أنا هذا المحضر . ولما ثبت ذلك فى وجه سيف الدين السامرى ، بطل البيع من أصله . ثم طولب[3] بما تحصل[4] له من الريع ، لمدة عشرين سنة ، وكان مائتى ألف درهم وعشرة آلاف درهم ، بعد الاعتداد له ، بنظير الثمن الذى دفعه . فاشترى منه سبعة عشر سهما ، من قرية الزنبقية ، بسبعين ألف درهم ، وحمل مائة ألف وأربعين ألف درهم . وقوض السلطان وكالته ، لناصر الدين المقدسى المذكور ، فشرع فى أذى أهل دمشق وأعيانها ، فطلب جماعة منهم ، فى سنة سبع وثمانين ، وهم الصدر عز الدين حمزة بن القلانسى ، والصدر نصير الدين بن سويد ، وشمس الدين ولد جمال الدين بن يمن ، وجمال الدين بن صصرى . وطلب أيضا قاضى القضاة حسام الدين الحنفى ، والصاحب تقى الدين توبة ، وشمس الدين ابن غانم ، فصودر هؤلاء . فأخذ من الصدر عز الدين بن القلانسى ، فيما قيل ،

(١) حرزم ، اسم بليدة تقع بين ماردين ورأس عين ، من أعمال الجزيرة (ياقوت : معجم البلدان جـ ١ ، ص ٢٣٩) .

(٢) لم ترد هذه العبارة فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٥١ ، على الرغم من اتفاق روايته مع النص الوارد فى النويرى ، والواضح أن النويرى وقف على المحضر الذى جرى تحريره .

(٣) فى الأصل طولب له ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٤) فى الأصل يحصل ، وما هنا به يستقيم المعنى .

مائة ألف درهم وخمسون ألف درهم، ومن جمال الدين بن صصرى، ثلاثمائة ألف درهم، قيمة ملك ودراهم. وحمل [من][1] نصير الدين ثلاثون ألف درهم، ومن ابن يمن، عن قيمة أملاك، مائة ألف درهم وتسعون[2] ألف درهم، ومن شمس الدين بن غانم خمسة آلاف درهم، ومن قاضى القضاة حسام الدين ثلاثة آلاف درهم. واعتذر أكابر الدماشقة، أنهم حضروا على خيل البريد، وأن أموالهم وموجودهم بدمشق. وسألوا أن يقرر عليهم ما يحملونه. فطلب الأمير علم الدين [سنجر الشجاعى وزير الديار المصرية[3]]، جماعة من تجار الكارم[4]، وأمرهم أن يقرضوا الدماشقة مالا يحملونه، ففعلوا ذلك. وكتب عليهم الحجج، وأعيدوا إلى دمشق، وقاموا بالمبلغ لأربابه. وإنما فعل الأمير علم الدين الشجاعى ذلك، خشية أنهم إذا توجهوا إلى دمشق، استشفعوا فيسامحوا. فأراد أن يكون ذلك فى ذمتهم، لغير بيت المال. ثم عاد الدماشقة إلى دمشق، وولى جمال الدين بن صصرى نظر الدواوين بدمشق، وذلك فى سنة سبع وثمانين وستمائة.

---

(١) الإضافة يتطلبها السياق.

(٢) فى الأصل تسعين، وما هنا به يستقيم المعنى.

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ٦٢.

(٤) الكارم، ويقال أيضا الكارمية والأكارمية، فئة التجار الذين كانت بيدهم تجارة البهار الوارده إلى مصر من الهند عن طريق ثغوره اليمن. وكان معظمهم فى الأصل من أهل بلاد الكانم الإسلامية، الواقعة بين بحر الغزال وبحيرة تشاد بالسودان الغربى، فنسبوا إلى موطنهم بعد تحريف اللفظ إلى الكارم. ثم صار هذا الأسم يطلق على الذين يمارسون هذه التجارة بمصر. انظر Dozy:supp. Dict. Ar، القلقشندى: صبح الأعشى جـ ٣ ص ٤٦١، ٤٦٨، ٤٦٩، جـ ٤ ص ٣٢، جـ ٥ ص ٢٤ — ٢٨١. Heyd. op. cit II .p. 59

وفى سنة ست وثمانين وستمائة أيضا، توجه السلطان إلى جهة الشام، واستقل وكابه من قلعة الجبل، فى يوم الخميس سابع عشرين شهر رجب، ووصل إلى غزة، وأقام بتل العجول، ثم عاد إلى قلعة الجبل. وكان وصوله إليها، فى يوم الاثنين ثالث عشرين، شوال من السنة.

وفيها، فى تاسع عشر محرم، كانت وفاة علاء الدين ابن الملك الناصر، صاحب الشام، الذى كان فى الاعتقال. وكان قد اعتقل، فى أوائل الدولة المنصورية، فى سابع عشر رمضان، سنة ثمان وسبعين وستمائة. وكان قد حصل له مرض المالنخوليا. فلما اشتد به، قتل نفسه. ومولده فى سنة ثلاث وخمسين وستمائة.

وفيها، فى ليلة السبت، الثامن والعشرين، من شهر المحرم، توفى الشيخ الإمام، قطب الدين أبو بكر، محمد بن أحمد بن على بن الحسين بن عبد الله ابن أحمد بن ميمون القيسى الشاطبى، المعروف بابن القسطلانى، بالمدرسة الكاملية، دار الحديث بالقاهرة، وهو مدرسها، ودفن من الغد، بالقرافة الصغرى. وكانت جنازته مشهورة، رحمه الله تعالى.(١)

وفيها، كانت وفاة الأمير سيف الدين قجقار(٢) المنصورى، نائب السلطنة بالمملكة الصفدية. وكان السلطان قد رباه فى صغره، كالولد، رحمه الله تعالى.

---

(١) وردت له ترجمة مسهبة فى ابن الفرات جـ ٨، ص ٥١ — ٦١.

(٢) فى الأصل قخفار، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٥٩.

وفيها، كانت وفاة الأمير علم الدين سنجر الباشقردى الصالحى بالقاهرة ، فى ليلة الثلاثاء ، تاسع عشر ، شهر رمضان ، ودفن بالقرافة . وكان من أكابر الأمراء المقدمين بالديار المصرية . وتولى نيابة السلطنة بحلب كما تقدم ، وعزل بالأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى .

(١) بقابل ما ورد فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ٦٣ .

واستهلت سنة سبع وثمانين وستمائة

[٦٨٧ - ١٢٨٨]

ذكر عزل الأمير علم الدين سنجر الشجاعى عن الوزارة ومصادرته ، وتفويض الوزارة لقاضى القضاة ، تقى الدين ثم إلى الأمير بدر الدين بيدرا

وفى هذه السنة ، فى يوم الخميس ، ثانى عشر شهر ربيع الأول ، عزل السلطان الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، عن الوزارة ، وصادره وأخذ أمواله . وكان سبب ذلك ، أن النجيب المعروف بكاتب بكجرى ، أحد مستوفى[1] الدولة ، برزله ، وانتدب لمرافعته ، بموافقة تقى الدين بن الجوجرى ، ناظر[2] الدواوين ومباطنته[3] له ، وحاققه[4] بين يدى السلطان . وكان من جملة ما حاققه[5] عليه ، وأضرى السلطان به ، أنه قال للسلطان بحضوره ، إنه أباع جملة من الرماح والسلاح ، الذى كان فى الذخائر السلطانية للفرنج . فاعترف الأمير علم الدين بذلك . وقال نعم أنا بعته بالغبطة[6] الوافرة ، والمصلحة الظاهرة . فالغبطة أنى

---

(١) فى الأصل مستوفين ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٧٢٩ .

(٢) فى الأصل ناضر ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٦٣ .

(٣) فى الأصل ومناطسه ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٦٣ .

(٤ ، ٥) فى الأصل وخاققه ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٦٣ ، والمقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٧٢٩ .

(٦) الغبطة ، المقصود هنا الربح والمكسب . Dozy: supp. Dict. Ar

أبعتهم من الرماح والسلاح ، ما عتق وفسد ، وقل الانتفاع به ، وبعته بأضعاف قيمته . والمصلحة ، ليعلم الفرنج أنا نبيعهم السلاح هوانا بهم ، واستحقارا لأمرهم ، وعدم مبالاة بهم . فكاد السلطان يصغى إلى ذلك . فأجابه النجيب عن ذلك ، بأن قال له يا مكثل[1] ، الذى خفى عنك أعظم مما لمحت هذا الكلام ، الذى صورته أنت بخاطرك ، وأعددته جوابا . وإنما الفرنج والأعداء لا يحملون بيع السلاح لهم ، على ما ظننت أنت وزعمت . وإنما الذى يشيعونه بينهم وينقله الأعداء إلى أمثالهم ، أن يقولوا ، قد احتاج صاحب مصر ، حتى باع سلاحه لأعدائه ، أو ما هذا معناه من الكلام . فعند ذلك أحتد السلطان عليه ، غاية الاحتداد ، وأشتد غضبه ، وأمر بمصادرة الأمير علم الدين ، على حملة كثيرة من الذهب ، والزمه أن لا يبيع فيما طلب منه ، شيئا من خيله وسلاحه ولا [من][2] مدة الإمرة ورختها[3] ، وأنه لا يحمل المطلوب منه إلا عينا ، ففعل ذلك . وبلغ السلطان ، أن الأمير علم الدين ، قد ظلم الناس وصادرهم ، وأن فى اعتقاله جماعة كثيرة ، قد مر عليهم شهور وسنون ، وباعوا موجو دهم ، وصرفوه فى أجرة المترسمين[4] عليهم .

---

(١) فى الأصل بامتكل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ص ٦٣ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٤٠ . والملحوظ أن عبارة السلوك هنا أيضا مشابهة فى ترتيبها وألفاظها لما يقابلها فى نهاية الأرب . والمكثل ، السلة والقفة . Dozy: Supp. Dict. Ar

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٣ .

(٣) الرخت ، لفظ فارسى معناه المتاع ، وهو المقصود هنا فى هذا الموضع ، انظر ما ورد من المعانى الأخرى . Dozy: Supp. Dict. Ar. والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٥٩٠ .

(٤) الترسيم ، الأمر الذى يصدر من الجهة المختصة بالتحفظ على شخص ، فى موضع ومنعه من الفرار ، وهو من العقوبات العسكرية . Dozy : supp. Dict. Ar.

واحتاج بعضهم إلى أن استعطى من الناس بالأوراق[1] . فرسم السلطان للأمير بهاء الدين بُغْدى[2] الدوادار ، أن يكشف أمر المصادرين ، ويطالع السلطان به . فخرج إليهم وسألهم ، فذكروا ما هم فيه من الضرورة والفاقة ، فأعلم السلطان بخبرهم . فرسم[3] للأمير حسام الدين طرنطاى بالكشف عنهم ، فأفرج عن جميعهم . ثم أفرج عن الأمير علم الدين فى يوم الأربعاء ، تاسع شهر ربيع الآخر من السنة .

ولما عزل السلطان الأمير علم الدين عن الوزارة ، فوضها[4] السلطان للأمير بدر الدين بيدرا ، فى يوم الثلاثاء سابع شهر ربيع الأول فى السنة . ثم فوضت الوزارة لقاضى القضاة ، تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز ، فى يوم الخميس التاسع عشر من شهر ربيع الآخر ، مضافة إلى ما بيده من قضاء القضاة ، ونظر الخزائن . ولم يترك نظر الخزانة ، فربما جلس فى اليوم الواحد فى دست الوزارة ، ومجلس الحكم ، وديوان الخزانة . واستمر على ذلك مدة يسيرة ، ولم يوف منصب الوزارة حقه العادى ، لتمسكه بظاهر الشرع الشريف . ثم توفر من الوزارة ، وفوضت للأمير بدر الدين بيدرا المنصورى ، وكان أمير مجلس السلطان ، ثم نقل إلى الاستادارية ، ثم إلى الوزارة ، واستقر كذلك إلى آخر الدولة المنصورية .

---

(١) فى الأصل بالأوراق ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٣ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٤٠ والأوراق جمع ورقة ، ومعناها الصك يكتبه المدين للدائن — انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ٧٤٠ ، حاشية ٦ . Quatremère ; op . cit II. I. p 94.

(٢) فى الأصل هدى بدون نقط ، والرسم المثبت هنا وارد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٣ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٤١ .

(٣) فى الأصل فأمر ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٣ .

(٤) فى الأصل فرضها ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ص ٦٣

وفيها ، فى ليلة يسفر[1] صباحها عن يوم الاثنين سادس عشر ربيع الأول ، وقع الحريق ، فى خزائن السلاح والمشهد الحسينى بالقاهرة ، ثم طفىء .

وفيها ، بنى السلطان الملك المنصور بابنة[2] الأمير شمس الدين سنقر التكريتى[3] الظاهرى ، وأفرج عن والدها من الاعتقال ، وأمره بالشام . ثم فارقها السلطان ، فقيل فى سبب فراقه لها ، إن والدها زوج أختها من أحد مماليكه ، فكره السلطان ، وأنف منه ، وفارقها بسببه . وقيل ، بل تعاطت نوعا من الكبر وأقامت لها من الجوارى سلاح دارية وجمدارية وسقاة[4] وغيرهن ، مما يتعلق[5] بالسلطنة ، ففارقها السلطان لذلك . ولما انقضت عدتها ، أمر السلطان أن تزوج لأردى أولاد الأمراء سيرة ، نكاية لها . فكشف عن سير أولاد الأمراء ممن اشتهر بسوء السيرة ، فوقع الاتفاق على جمال الدين يوسف بن صنقر الألفى ، فزوجت منه .

وفى هذه السنة ، ولى القاضى بدر الدين محمد ابن الشيخ برهان الدين إبراهيم ابن جماعة الشافعى الكنانى ، قضاء القدس الشريف ، والخطابة [به][6] . وتوجه من دمشق ، فى رابع شوال ، ووصل إلى القدس فى يوم الاثنين حادى عشر الشهر . وولى الخطابة بالقدس ، بعد وفاة الشيخ قطب الدين أبى الذكاء عبد المنعم

(١) ما ورد هنا يطابق تماما ما جاء فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٥

(٢) فى الأصل بابنته ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٩

(٣) فى الأصل البكرتى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٩

(٤) فى الأصل وسعاة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٩

(٥) فى الأصل يتعلقن ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٩

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٤

ابن يحيى بن إبراهيم القرشى . وكانت وفاته ، رحمه الله تعالى ، بالقدس الشريف فى يوم الجمعة ، سابع عشر شهر رمضان ، من هذه السنة[1] .

وولى بعد القاضى بدر الدين ، تدريس المدرسة القيمرية ، القاضى علاء الدين أحمد ابن قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز . وجلس لإلقاء الدرس بها ، فى يوم الأحد تاسع عشر شوال .

وفيها ، فى شهر رمضان ، فوضى نظر الحسبة بدمشق للصدر شمس الدين ابن السلعوس . ووصل توقيعه بذلك من الأبواب السلطانية ، عوضا عن شرف الدين أحمد بن عز الدين عيسى بن الشيرحى[2] . وكان ابن الشيرحى قد وليها ، فى جمادى الآخرة من السنة .

وفيها ، فوض قضاء المالكية بدمشق ، لقاضى القضاة جمال الدين الزواوى[3]

ذكر توجه ناصر الدين بن المقدسى [إلى دمشق[4]] ، وما فوض إليه من مناصبها ، وما اعتمده

فى هذه السنة ، توجه ناصر الدين بن المقدسى ، من الأبواب السلطانية ، إلى دمشق . وقد فوض له السلطان الملك المنصور وكالته[5] ، ونظر الأوقاف

(١) انظر ترجمة له فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٤ — ٧٥

(٢) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٤٥ ، السيرجى .

(٣) فى الأصل الزاوى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧١ والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٤٥

(٤) الإضافة يقتضيها السياق — انظر ما يلى

(٥) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٤١ متحدثا فى وكالة السلطان .

بدمشق والشام أجمع . ومن جملة ذلك ، نظر الجامع الأموى ، والبيمارستانات الثلاثة ، ونظر الأشراف والأسرى ، والأيتام والصدقات ، والأسوار والخوانق والربط وغير ذلك . وحضر صحبته مشدان ، من الأبواب السلطانية ، وهما بدر الدين القشتمرى ، وصارم الدين الأيدمرى . فتردد الناس إلى خدمته ، وخافوا شره . ولزم أرباب السعايات والمرافعات بابه . وشرع يتتبع الناس فيما ابتاعوه من الأملاك ، وقصد إثبات سفه من أباع ، وأن يسلك فى ذلك ، الطريق الذى سلكه فى أمر ابنة الملك الأشرف[1] . فامتنع القضاة بدمشق ، من موافقته على ذلك ، وعضدهم الأمير حسام الدين نائب السلطنة . فمنع ناصر الدين القضاة الحامكية المرتبة لهم على مصالح الجامع الأموى . فلم يردهم ذلك إلا امتناعا من موافقته على أغراضه . وشرع فى عمارة الأملاك السلطانية ، واستجد حوانيتا على جسر باب الفراديس من الجانبين . وأصلح الجسر ، قبل عمارة الحوانيت . ثم أصلح باب الجابية[2] الشمالى ، وكان مستقلا فهدمه وعمره . ولم يكن له حسنة ، غير إصلاح هذين الجسرين والباب ، ومساطب الشهود بباب الجامع[3] .

وفى هذه السنة ، فى شهر رمضان المعظم ، كبس بدر بن النفيس[4] النصرانى الكاتب بدمشق ، وعنده إمرأة مسلمة ، وهم يشربون الخمر . فطلع الأمير حسام الدين نائب السلطنة بدمشق بذلك . فأمر أن يحرق النصرانى ، فبذل فى نفسه جملة من المال ، وسأل مخدومه الأمير سيف الدين كجكن فى أمره ،

(١) انظر ما تقدم ص ١٤٧ من هذا الجزء (المصحح) .

(٢) فى الأصل الحانية ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٥ .

(٣) انظر ترجمة ضافية له فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٤ — ٦٥ .

(٤) هذا الاسم ورد فى الأصل بهذه الصورة تدربن التميس وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧١ ، والواضح أن هذا الخطأ نجم من اهمال الناسخ .

فلم يجب نائب السلطنة إلى إبقائه . وأضرمت له نار بسوق الخيل ، وألقى فيها. وأما المرأة ، فقطع بعض أنفها ، وشفع فيها فأطلقت .

وفى هذه السنة ، فى مستهل رجب ، توفيت الست[1] غازية خاتون زوجة الملك السعيد ، ودفنت عند والدتها ، بالقبة الصالحية ، بجوار مشهد السيدة نفيسة ، بظاهر القاهرة

ذكر وفاة الملك الصالح وتفويض ولاية العهد إلى الملك الأشرف

فى هذه السنة ، فى يوم الجمعة رابع شعبان ، توفى الملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور ، وكانت علته[2] دوسنطاريا كبدية . وصلى عليه بالقلعة ، قاضى القضاة ، تقى الدين ابن بنت الأعز ، وصلى خلفه والده السلطان الملك المنصور ، وأخوه الملك الأشرف ، وصلى عليه خارج القلعة ، قاضى القضاة معز الدين الحنفى . ودفن بتربته المجاورة لمشهد السيدة نفيسة . وحصل لوالده السلطان عليه من الألم ، مالا مزيد عليه . وخلف ولدا واحدا ، من زوجته منكبك ابنة الأمير سيف الدين نوكيه ، وهو الأمير مظفر الدين موسى ، وله أخبار ، ترد إن شاء الله تعالى[3] .

---

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٥ ، حاشية ٣ ، ورد خبر وفاتها فى حوادث سنة ٦٨٧ هـ .

(٢) فى الأصل علبه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٦٩ .

(٣) هذه الرواية تقابل ماجاء فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٠ .

ولما مات الملك الصالح ، فوض السلطان ولاية[1] العهد بعده ، لولده الملك الأشرف صلاح الدين خليل . وركب بشعار السلطنة ، فى حادى عشر شعبان من قلعة الجبل ، إلى باب النصر . وشق المدينة ، وخرج من باب زويلة ، وعاد إلى القلعة ، والأمراء فى خدمته . وكتب بذلك إلى الشام ، وسائر البلاد ، وخطب له بولاية العهد ، بعد أبيه على عادة أخيه الملك الصالح . وكتب تقليده فتوقف السلطان على الكتابة عليه . وسنذكر ذلك ، إن شاء الله تعالى ، فى أخبار الملك الأشرف[2] .

وفى هذه السنة ، توفى الأمير بدر الدين الأيدمرى الصالحى ، فى ليلة يسفر صباحها عن يوم الاثنين ، خامس المحرم . وتوفى الأمير فخر الدين ايباز[3] المعروف بالمعزى[4] الحاجب ، فى ليلة يسفر صباحها ، عن يوم الجمعة ، العشرين من شهر ربيع الأول ، وذلك عقيب عوده من الحجاز . وكان رحمه الله تعالى ، من حسنات الدهر . وكانت الملوك تعتمد عليه فى المهمات الجليلة . وتوفى الأمير سيف الدين بلبان العلائى الصالحى النجمى ، المعروف بقول الله كريم الدين ، رحمه الله تعالى ، فى يوم الثلاثاء سادس عشرين جمادى الآخرة منها ، ودفن بتربته بالقرافة الصغرى . وهو خوشداش السلطان الملك المنصور ، وسنقر الأشقر

---

(١) فى الأصل ولد ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٠ ، والمقريزى « السلوك جـ ١ ، ص ٧٤٥ .

(٢) يطابق ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٠ ، والواضح أن ابن الفرات أفاد من النويرى أو من المصدر الذى رجع إليه .

(٣) فى الأصل أيبار وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٤

(٤) فى الأصل المقرى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٤

وغيرهما ، كانوا كلهم مماليك الأمير علاء الدين أقسنقر الساقى العادلى . وكان السلطان يرعى له حق الخوشداشية ويكرمه . ويزوره إذا مرض فى منزله ، رحمه الله تعالى .[1]

وفيها ، توفى القاضى الخطيب ، فخر الدين عبد العزيز ابن قاضى القضاة عماد الدين عبد الرحمن بن السكرى . وكانت وفاته بالمدرسة المعروفة بمنازل العز بمصر ، فى رابع عشرين شوال . ومولده فى سنة أربع وستمائة ؛ رحمه الله تعالى .[2]

(١) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٤ .

(٢) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٧٥ .

واستهلت سنة ثمان وثمانين وستمائة

[٦٨٨ - ١٢٨٩]

فى هذه السنة ، فى المحرم ، توجه السلطان إلى الشام ، وافتتح طرابلس ، وقد ذكرنا ذلك فى الفتوحات .

ولما افتتح السلطان طرابلس ، جهّز الأمير حسام الدين طرنطاى ، إلى المملكة الحلبية ، بطائفة من العسكر . وكان قد وصل إلى[1] [السلطان][2] ، وهو بطرابلس ، رسل صاحب سيس ، يسألون مراحم[3] السلطان ، ويطلبون مراضيه . فطلب منهم السلطان تسليم مرعش ، وبهسنا والقيام بالقطيعة[4] على العادة ، وخلع عليهم وأعادهم . ورحل عن طرابلس ونزل على حمص ، وأقام بها أياما . فعادت رسل سيس بهدية كثيرة ، واعتذارات عن تسليم مرعش وبهسنا ، وبذل جملة كثيرة من المال فى كل سنة . فرحل السلطان عن حمص ، ودخل إلى دمشق ، فى يوم الاثنين خامس جمادى الأولى .

ذكر ما اتفق بدمشق من المصادرات

كان السلطان قد استصحب [معه[5]] فى هذه السفرة ، الأمير علم الدين

---

(١) فى الأصل إليه ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨١

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨١ .

(٣) فى الأصل تراحم ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨١ .

(٤) القطيعة ، ما يفرضه السلطان على ولاية أو ناحية من المال سنويا ، أو ما يقرره فى أحوال غير عادية كالغرامة الحربية . انظر . Quatremère : op. cit. I. I P. 14. note 85.

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٨١ .

سنجر الشجاعى ، بعد عزله من الوزارة . فلما عاد إلى دمشق من طرابلس ، أمره أن يتحدث فى تحصيل الأموال بدمشق ، ومكّنه من ذلك ، فأوقع الحوطة ، على الصاحب تقى الدين توبة . فوجد له أخشابا[1] كثيرة و بضائع وسكّرا ، فطرح ذلك على أهل دمشق ، بأضعاف قيمته . فكان يحفظ لمن يطرح عليه منه الربح فادونه . فحصل من ذلك تقدير خمسمائة ألف درهم . وكان غرضه بذلك ، أن يطلع السلطان ، على أن تقى الدين توبة قد حصل الأموال الكثيرة ، لعداوة كانت بينهما . ثم شرع فى مصادرات الناس ، فهرب أكثر الدماشقة إلى القرى والضياع ، واختفوا منه . وطلب نجم الدين عباس الجوهرى ، بسبب ضيعة كان قد اشتراها من ابنة الملك الأشرف ، بالبقاع العزيز . فطولب بما أخذه من ريعها ، فكان خمسمائة ألف درهم ، فحمل جوهرا ، قُوّم له ، بثمانين ألف درهم . فشدّد عليه الطلب ، فجاء إلى مدرسته التى أنشأها بدمشق ، وحفر فى دهاليزها ، وأخرج خونجاه[2] ذهب ، مرصعة بالجوهر ، وعليها قرقة[3] مرصعة ، فقوم ذلك بأربعمائة ألف درهم ، وسبك الذهب ، وكان سبعة آلاف دينار ، ونقل الجوهر إلى الخزانة .

وأظهر السلطان للأمراء ، أن إقامته بدمشق ، لانتظار الأمير حسام الدين طرنطاى . فوصل فى سابع عشر شهر رجب . وتلقاه السلطان بالعساكر ، وأقام بدمشق ، إلى يوم الخميس ثانى شعبان . فتوجه فى هذا اليوم إلى الديار المصرية ،

---

(١) فى الأصل احسانا ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٨٢ .

(٢) خونجاه ، وخونجا ، أو خونجه ، لفظ فارسى معناه مائدة صغيرة .
Dozy: supp. Dict. Ar.

(٣) لعل المقصود هنا القرق وهو الخف . Dozy: supp. Dict. Ar.

بعد أن حصل الإحجاف بأهل دمشق ، واستصحب تقى الدين توبة مقيّدا . فلما وصل إلى حمراء بيسان[1] ، مرّ عليه الأمير حسام الدين طرنطاى ، والأمير زين الدين كتبغا ، وهو بالزردخاناة ، فسبهما أقبح سب ، وكانت هذه عادته ، وذكر ما فُعل به ، وهما يضحكان من سبه لهما . فتوجها إلى السلطان ، وسألاه فى أمره ، وضمناه فأفرج عنه ، وأخذاه عندهما . فتألم الأمير علم الدين الشجاعى لذلك ألما شديدا . وكان قد كتب إلى نابلس والقدس وبلد الخليل والبلاد الساحلية ، يطلب الولاة والمباشرين ، وأن يجهزوا إلى غزة . فلما حصل الإفراج عن تقى الدين توبة ، غضب الشجاعى وأظهر حردا ، وامتنع من الحديث [فى المصادرين][2] ، فكان ذلك من الألطاف بمن طُلِب . ووصل السلطان إلى قلعة الجبل فى يوم الثلاثاء .

وفى هذه السنة ، فى يوم الثلاثاء [ثانى][3] من عشرى[4] شعبان ، وقت الظهر توفى بدمشق الملك المنصور شهاب الدين محمود ابن الملك الصالح إسماعيل ابن الملك العادل .

وفيها ، كانت وفاة الأمير علاء الدين الكبكى بالقدس الشريف ، فى شهر رمضان ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل حرابيسان ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٦٨٦ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٨٢ .

(٣) فى الأصل من ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٨٥ .

(٤) فى الأصل عشر ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٨٥ .

واستهلت سنة تسع وثمانين وستمائة

[٦٨٩ - ١٢٩٠]

فى هذه السنة ، فى أولها توجه الأمير حسام الدين طرنطاى ، ومعه جماعة من الأمراء والعساكر ، إلى الوجه القبلى . فوصل إلى منزلة طوخ دمنو[1] ، قبالة مدينة قوص . وتصيّد فى هذه السفرة ، ومهد البلاد ، وقتل جماعة من العربان ، وحرق بعضهم بالنار ، وأخذ خيولهم وسلاحهم ورهائن أكابرهم ، وعاد إلى قلعة الجبـــل .

وفيهـا ، فى شهر ربيـع الأول ، استدعى السلطان الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، من دمشق ، على خيل البريد . فلمـا وصل إلى بابه أكرمه ، وقال له : اعلم أنى ما اشترتيك ، وأمّرتك ، وولّيتك شاد الدواوين بالشام ، إلاّ ظنا منى ، أنك تنصحنى وتحصـل أموالى ، وتنهض فى مصالح دولتى ، فالـتزم بتحصيل الأموال . فخلـع عليه ، وفوّض له ، مضافا إلى شـدّ الشام ، الحصـون بسائر الممـالك الشاميـة والساحل ، وديوان الجيش . فعاد إلى الشام ، وكان وصـوله

---

(١) يتفق مع ابن الفرات ج ٨ ، ص ٩٠ ، وابن مماتى : قوانين الدواوين ص ١٦٤ ، وفى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٧٥١ (طوخ) ، وفى قاموس جغرافى للقطر المصرى طبعة بولاق ١٨٩٩ ص ٤٤٠ ، ما يشير إلى أن طوخ من نواحى مركز قوص مديرية قنا ، وفى ص ١٨٦ ، دمنو من نواحى مركز سوهاج مديرية جرجا . وفى الخطط التوفيقيـة ج ١٣ ، ص ٦١ طوخ البلاص ، من نواحى مركز قوص ، على الشط الغربى للنيل ، بين البلاص ونقادة .

والراجح أنه جرت نسبتها إلى ناحيـة مجاورة ، تمييزا لها عن سائر النواحى المعروفة بهذا الاسم . (محمد رمزى ، القاموس الجغرافى القسم الثانى ج ٤ ، ص ١٨٧) .

إلى دمشق ، فى يوم الأربعاء العشرين من شهر ربيع الآخر ، وتعاظم فى نفسه وكثر تجبره[١] .

وفيها ، أمر السلطان بالقبض على الأمير سيف الدين جرمك[٢] الناصرى ، وذلك فى جمادى الأولى .

وفيها ، جهز السلطان الأمير سيف الدين التقوى ، إلى طرابلس ، واستخدم معه ستمائة فارس بطرابلس . وهو أول جيش استخدم بها . وكان الجيش قبل ذلك بالحصون .

ذكر ايقاع الحوطة على ناصر الدين المقدسى وشنقه

وفى هذه السنة ، فى جمادى الآخرة ، برز أمر السلطان بالكشف على ناصر الدين بن المقدسى وكيله بالشام . فورد المرسوم إلى دمشق ، فى ثانى عشر بن الشهر ، فكشف عليه ، فظهرت له مخازى كثيرة . وسر الناس بذلك ، فرسم عليه ، وطولع السلطان بما ظهر عليه . فورد الجواب ، فى يوم الجمعة ، تاسع عشر شهر رجب ، أن يستخرج منه ، ما التمسه ، فطولب بذلك ، وضرب بالمقارع ، فى يوم ورود المرسوم . وشرع فى بيع موجوده ، وحمل ثمنه ، واستمر كذلك ، وهو بالمدرسة العذراوية فى الترسيم ، إلى يوم الخميس ثانى شعبان . فورد المرسوم السلطانى ، يطلبه إلى الأبواب السلطانية . فلما اجتمع الناس ، بكرة نهار الجمعة ،

---

(١) فى الأصل تحريره ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٠ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٥١ .

(٢) فى الأصل حرمك ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩١ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٥١ .

دخلوا عليه ، فوجدوه قد شنق ، فحضر أولياء الأمر والقضاة والشهود ، وشاهده على تلك الصورة ، وكتبوا محضرا بذلك . ودفن ، واستراح الناس من شره .

وفى هذه السنة ، رسم السلطان لنائب السلطنة[1] بالشام ، والأمير شمس الدين الأعسر ، لعمل مجانيق ، وتجهيز زردخاناة ، لحصار عكا . فتوجه الأمير شمس الدين الأعسر ، إلى وادى مرين[2] وهو بين جبال عكار وبعلبك ، وفيه من الأخشاب وأعواد المجانيق ، أشياء كثيرة[3] لا يمكن أن يوجد مثلها فى غيره . وأخبرنى[4] جماعة أثق بأخبارهم ، فى سنة إحدى عشرة وسبعمائة ، وأنا يوم ذاك ، بالقرب من هذا الوادى ، أن به عودا قائما طوله أحد وعشرون ذراعا ، بذراع العمل ، ودوره كذلك ، وأنهم حققوا ذلك ، بأن صعد رجل إلى أعلاه ، ودلّى حبلا إلى الأرض ، من أعلاه ، وأداروا الحبل عليه ، بفاء سواء ، لا يزيد ولا ينقص . فتوجه الأمير شمس الدين إلى هذا الوادى ، وقرر على ضياع المرج[5] والغوطة بدمشق مال ، من ألفى درهم إلى خمسمائة درهم ، كلّ ضيعة بحسب متحصلها ، لأجرة جر أعواد المجانيق ، وكذلك ضياع بعلبك والبقاع . وجبى[6] المال ، ونال أهل بعلبك والبقاع شدة عظيمة بسبب ذلك . وبينا الأمير شمس الدين بالوادى

---

(١) المقصود به الأمير حسام الدين لاجين . ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٣ .

(٢) فى الأصل مرين وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٣ .

(٣) فى الأصل ، شياء كثيرا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) أورد ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٣ هذه الرواية بصيغة الغائب ، وفى ذلك دليل على الأفادة من النويرى الذى تحدث بصيغة المتكلم ، كما هو وارد فى المتن .

(٥) فى الأصل المرخ ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٣ .

(٦) فى الأصل وجنى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٣ .

المذكور ، وهو مهتم فى قطع الأعواد وجرها ، سقط عليه ثلج عظيم ، فركب خيله ، وخرج منه . وأعجله كثرة الثلج وترادفه ، عن نقل أثقاله وخيامه ، فتركها ونجا[1] بنفسه ، ولم يلو على شىء . ولو تأخر بسببها ، واشتغل بحملها هلك هو ومن معه ، وارتدمت أثقاله بالثلوج ، وبقيت تحتها إلى فصل الصيف ، وتلف أكثرها[2] .

وفى هذه السنة أيضا ، فوض السلطان تقدمة العسكر بغزة والأعمال الساحلية ، إلى الأمير عز الدين أيبك الموصلى ، عوضا عن الأمير شمس الدين أقسنقر كرتيه . فتوجه إليها من دمشق ، فى رابع شهر رجب .

وفيها ، فى شعبان ، اشتد الحر بحماه ، حتى شوى اللحم على بلاط الجامع ، على ما حكاه الشيخ شمس الدين الجزرى[3] فى تاريخه . ووقعت نار فى دار صاحب حماه فاحترقت ، وأرسل الله ريحا واشتدت ، فقويت النار واستمرت يومين وبعض الثالث ، وما قدر أحد أن يتقدم إليها ، فاحترقت الدار بما فيها ، وكان صاحب حماه فى الصيد .

---

(١) فى الأصل نجى ، وسوف يجرى تصويب ما يقع من أخطاء إملائية دون الإشارة إلى ذلك .

(٢) الرواية واردة بالنص فى ابن الفرات جـ٨ ، ص ٩٣ — ٩٤ . وجاءت مختصرة فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٥٤ . والملحوظ أن ما أورده هنا ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٣ ، عن تعرض التجار المسلمين الذين قدموا إلى عكا ، بمقتضى الهدنة القائمة ، للهجوم من الفرنج ، واعتبار ذلك انتهاكا للهدنة ، ومن الأسباب التى أوجبت فتح عكا ، أورده النويرى بعد ذكر أحداث أخرى . انظر ما يلى .

(٣) هذا المصدر الذى رجع إليه النويرى ، أورده أيضا ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٣ ، وفى ذلك دليل على العلاقة الوثيقة بين النويرى وابن الفرات فى رواياتهما .

وفيها ، فى شعبان ، خرج مرسوم السلطان إلى الشام ، أن لا يُستخدم أحد من أهل الذمة ، اليهود والنصارى ، فى المباشرات الديوانية[1] ، فصرفوا منها . وورد مثال[2] بالإفراج عن المعتقلين .

وفيها ، ثار[3] جماعة من الفرنج بعكا ، فقتلوا جماعة من تجار المسلمين بها ، كانوا قدموا للتجر ، تمسكا بالهدنة ، وذلك فى شعبان . فادعى أهل عكا ، أن ذلك إنما فعله الفرنج الغُرّب ، وأنه ليس برضاهم . فكان ذلك من أكبر الأسباب التى أوجبت أخذ عكا ، على ماتذكره إن شاء الله تعالى[4] .

ذكر وفاة قاضى القضاة نجم الدين المقدسى الحنبلى وتفويض القضاء بدمشق بعده للشيخ شرف الدين المقدسى

وفى هذه السنة ، فى يوم الثلاثاء ، ثانى عشر جمادى الأولى ، توفى قاضى القضاة نجم الدين أبو العباس أحمد ابن قاضى القضاة شمس الدين أبى محمد عبد الرحمن المقدسى ، قاضى الحنابلة بدمشق . فعين [الأمير حسام الدين لاجين[5]] نائب السلطنة ثلاثة ، وكتب فى حقهم إلى السلطان ، وهم الشيخ زين

---

(١) المباشرات الديوانية ، المقصود ممارسة الأعمال الحكومية Dozy: Supp. Dict. Ar.

(٢) المثال ، وثيقة رسمية ، يرد فيها مقدار الاقطاع الذى يختص به الفارس المملوكى — القلقشندى : صبح الأعشى جـ ١٣ ص ١٥٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ٩١ حاشية ٢ .

(٣) فى الأصل ساد ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٢ .

(٤) انظر ما سبق ص ١٧٠ حاشية ٢

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩١ .

الدين بن المنجا[١]، والشيخ تقى الدين سليمان ، والشيخ شرف الدين الحسن . فورد المثال السلطانى ، فى غرة جمادى الآخرة ، لنائب السلطنة ، أن يفوض القضاء بدمشق للقاضى شرف الدين الحسن ابن الخطيب شرف الدين أبى العباس أحمد بن أبى عمر بن قدامه المقدسى . ففوض إليه نائب السلطنة القضاء ، حسب الأمر السلطانى . وكُتب تقليده عن نائب السلطنة ، وخلع عليه فى يوم الاثنين تاسع الشهر . وجلس بجامع دمشق ، وحكم بين الناس ، على عادة القضاة قبله .

وفيها ، توفى الشيخ الإمام العالم ، رشيد الدين أبو حفص عمر بن اسماعيل ابن مسعود الفارقى الشافعى . وكانت وفاته بالمدرسة الظاهرية بدمشق ، فى يوم الأربعاء ، رابع شهر المحرم ، ودفن بمقابر الصوفية . ويقال إنه وجد مخنوقا[٢] ، وكان من العلم والفضيلة بالمكان المشهور ، وشهرته بذلك تغنى عن وصف[٣] محاسنه ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، فى ليلة الأحد الثامن والعشرين من شهر ربيع الآخر ، توفى الطواشى شرف الدين مختص[٤] الظاهرى ، مقدم المماليك السلطانية ، فى الدولة الظاهرية والسعيدية والمنصورية ، ودفن من الغد بالقرافة . وكان مهيبا سلطا على المماليك السلطانية ، مبسوط اليد فيهم ، ذا حرمة وافرة ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩١ ابن منجا .

(٢) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٤ — ١٠٥ .

(٣) فى الأصل عمن ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٥ .

(٤) وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٥ ، شرف الدين مختص بن عبد الله الظاهرى .

ذكر وفاة السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون ، رحمه الله

كانت وفاته ، رحمه الله تعالى ، بمنزلة مسجد تبر[1] ، وهى المنزلة الأولى ، وذلك فى العشر الأخير من شوال ، فدامت به علته إلى أن مات ، رحمه الله تعالى ، وحمل إلى قلعة الجبل ليلا ، واستمر بها إلى آخر يوم الخميس غرة المحرم سنة تسعين وستمائة[2] . ففى هذا اليوم [قال][3] : أرسل السلطان الملك الأشرف ، إلى التربة المنصورية بالقاهرة جملة يصدق بها . فلما كان فى ليلة الجمعة المسفرة عن ثانى المحرم ، نقل رحمه الله تعالى ، من القلعة إلى تربته التى أنشأها بالقاهرة وأدخل من باب البرقية ، وصُلِّى عليه بالجامع الازهر ، ثم حمل منه إلى التربة . ونزل قبره الأمير بدر الدين بيدرا ، والأمير علم الدين سنجر الشجاعى . وفرق فى صبيحة ذلك اليوم ، جملة من الذهب على القراء . وكانت مدة سلطنته إحدى عشرة سنه وشهرين وأربعة عشر يوما .

---

(١) فى الأصل التين ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٧ التبن ، وما هنا من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٥٥ . وهذا المسجد ، حسبما أورده المقريزى فى المواعظ والاعتبار جـ ٢ ، ص ٤١٢ ، يقع خارج القاهرة مما يلى الخندق وتسميه العامة التبن ، وهو خطأ ، وهو قريب من المطرية . وقد أحد كبار الأمراء فى أيام كافور الأخشيدى . انظر أيضا ، المقريزى . السلوك جـ ١ ، ص ٦٨٤ حاشية ٣ .

(٢) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٦ — ٩٧ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٧ ، ويرتبط هذا اللفظ بالمصدر الذى أفاد منه كل من النويرى وابن الفرات .

وخلّف من الورثة ، أولاده الخمسة ، وهم السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ، وهو الذى ملك بعده ، والسلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ، وهو سلطان هذا العصر[1] ، والأمير أحمد — مات فى سلطنة أخيه الملك الأشرف — وابنتان ، وهما دار مختار الجوهرى ، واسمها التعلمش ، ودار عنبر الكمالى ، وزوجته والدة السلطان الملك الناصر .

ذكر تسمية نواب السلطان الملك المنصور ووزرائه

ناب عن السلطان الملك المنصور ، رحمه الله تعالى ، بأبوابه الشريفة فى أول سلطنته ، الأمير عز الدين ايبك الأفرم الصالحى ، ثم استعفى كما تقدم . واستقر فى نيابة السلطنة ، الأمير حسام الدين طرنطاى المنصورى ، واستمر إلى أن كانت وفاة السلطان . وناب عن السلطان بدمشق ، بعد استعادتها من الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، الأمير حسام الدين لاجين السلحدار المنصورى ، المعروف بالصغير . وناب عن السلطنة بالمملكة الحلبية فى ابتداء الدولة ، الأمير جمال الدين أقش الشمسى ، إلى أن مات ، ثم الأمير علم الدين سنجر الباشقردى إلى أن عزل ، وولى الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكان[2] دار المنصورى إلى آخر الدولة . وناب عن السلطنة بحصن الأكراد ، الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى ، وبالكرك الأمير عز الدين أيبك

(١) حرص ابن الفرات ، فيما يورده من الأحداث ، على أن يخفى فى أحوال كثيرة المصدر الذى يستمد منه رواياته . ففى الرواية التى تطابق ما أورده هنا النويرى عن أسرة المنصور اللاون ، تجنب الإشارة إلى عبارة سلطان هذا العصر ، نظرا لأنه متأخر فى الزمن عن النويرى (ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٧) .

(٢) هذا الاسم سوف يرد بهذه الصورة ، أو بصورة أخرى ، الجوكندار .

الموصلى ، ثم الأمير ركن الدين بيبرس الداوادارى[١] المنصورى . وناب عن السلطنة بالمملكة الصفدية فى ابتداء الدولة ، الأمير علاء الدين الكبكى وغيره ، وتقدم ذكرهم . وناب عن السلطنة بغزة وحمص ، جماعة قد تقدم ذكرهم .

وأما الوزراء ، فوزر للسلطان ، رحمه الله تعالى ، ستة [نفر[٢]] ، أربعة من [أرباب[٣]] الأقلام ، وهم الصاحب برهان الدين الخضر[٤] السنجارى مرة بعد أخرى ، والصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان ، والصاحب نجم الدين[٥] حمزة بن محمد الأصفونى ، وقاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن قاضى القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز ، وقد تقدم ذكر ولا يتهم فى أثناء أخبار الدولة . ومن الأمراء [اثنان[٦]] الأمير علم الدين سنجرى الشجاعى ، كان يتولى شد الدولة المنصورية وتدبيرها . فإذ شغرت[٧] الوزارة من متعمم ، جلس مكان الوزير ، وكتب على عادة الوزراء ، وولّى وعزل ، واستخدم وصرف . ثم استقل بالوزارة ، بعد وفاة الصاحب نجم الدين حمزة بن الأصفونى[٨] . وكان فى وزارته وشده ، كثير العسف والمصادرات ، محصلا للأموال من وجوهها وغير وجوهها

---

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ص ٩٦ ، والمقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٧٥٥ ، الداوادار .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٦

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٦

(٤) فى الأصل خضر ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٦

(٥) فى الأصل برهان الدين نجم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ص ٩٦ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٧٥ ، انظر ما يلى .

(٦) الإضافة للتوضيح

(٧) فى الأصل صفرت ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٦

(٨) فى الأصل الأصوفى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٦

شديدا على المباشرين . قد أوقع الرعب فى قلوبهم ، حتى كرهه الخاص والعام ، وتمنوا زوال الدولة بسببه ، واستمر فى الوزارة إلى أن عزل كما تقدم . وولى الأمير بدر الدين بيدرا المنصورى إلى آخر الدولة .

وولى القضاء فى الأيام المنصورية ، بالديار المصرية والشامية ، جماعة قد تقدم ذكرهم (١) .

وملك السلطان الملك المنصور ، من المماليك الأتراك والمغل وغيرهم ، ما لم يملكه ملك بالديار المصرية فى الإسلام قبله . فيقال إن عدتهم بلغت اثنى عشر ألفا ، وتأمر منهم فى الأيام المنصورية جماعة كثيرة . ومنهم من ناب عن السلطنة الشريفة فى الممالك الشامية والديار المصرية . ومنهم من استقل بالسلطنة وخطب له على المنابر ، وضربت السكة باسمه ، على ما نذكر ذلك فى مواضعه إن شاء الله تعالى . وبقايا المماليك المنصورية إلى الآن ، هم أعيان الأمراء فى وقتنا هذا (٢) .

ولما مات الملك المنصور ، ملك بعده ولده الملك الأشرف .

---

(١) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٦

(٢) يشير ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٨ ، إلى أنهم أعيان الأمراء فى دولة الناصر محمد بن قلاون وأورد المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٥٦ أن المنصور قلاون أفرد من مماليكه ثلاثة آلاف وسبعمائة من الأص والجركس ، جعلهم فى أبراج القلعة ، وسماهم البرجية وكان جميل الصورة ، مهيبا عريض المنكبين ، قصير العنق ، فصيحا بلغة الترك والقبجاق ، قليل المعرفة بالعربية .

ذكر أخبار السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاون الصالحي

وهو الثامن من ملوك دولة الترك بالديار المصرية، ملك الديار المصرية والبلاد الشامية، وما أضيف إلى ذلك من الممالك الإسلامية والأقطار الحجازية، بعد وفاة والده السلطان الملك المنصور رحمه الله تعالى.

وكان جلوسه على تخت السلطنة بقلعة الجبل المحروسة، في يوم الأحد المبارك السابع من ذي القعدة، سنة تسع وثمانين وستمائة، ولم يختلف عليه اثنان. لأن الأمراء، أرباب الحل والعقد، ونواب السلطنة بسائر الممالك، مصرا وشاما، مماليك والده، ومن عداهم من الأمراء الصالحية، لم يظهر منهم إلا الموافقة والطاعة والانقياد، والمبادرة إلى الحلف. وقد تقدم[1] أن السلطان الملك المنصور كان قد جعل له ولاية العهد من بعده، بعد وفاة أخيه الملك الصالح علاء الدين علي، وركّبه بشعار السلطنة، وتأخرت كتابة تقليده، وطلب ذلك مرة أخرى، والسلطان يتوقف في الإذن بكتابة التقليد. ثم تحدث مع السلطان الملك المنصور فرسم بكتابته، فكتب - وقد شرحنا مضمونه في الجزء الثامن من كتابنا هذا[2] - فلما قدم إلى السلطان، ليكتب عليه، توقف وأعاده[3] إلى القاضي فتح الدين ابن عبد الظاهر، صاحب ديوان الإنشاء، ولم يكتب عليه. فأرسل الملك الأشرف إلى القاضي فتح الدين، يطلب التقليد، فاعتذر أنه

---

(١) يقابل ما ورد في ابن الفرات جـ ٨، ص ٩٨

(٢) انظر الجزء الثامن، صفحة ١١١، طبعة دار الكتب المصرية، سنة ١٩٣١ (المصحح).

(٣) في الأصل وأعاد، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ٩٨

لم يقدمه للعلامة . وقدّمه ثانيا إلى السلطان ، فردّه . وقال يافتح الدين : أنا ما أولى خليلا على المسلمين . ثم أرسل الملك الأشرف يطلبه ، فخشى [فتح الدين[1]] أن يقول إن السلطان امتنع من الكتابة عليه ، واعتذر أيضا . وخاطب السلطان فى معناه ، وقدمه إليه ، فرماه به . وقال : قد قلت لك أنى ما أولى خليلا على المسلمين . فأخذ التقليد بغير علامة ، وخرج . واتفق فى خلال ذلك ، خروج السلطان ووفاته .

فلما تسلطن الملك الأشرف ، طلب فتح الدين بن عبد الظاهر ، وقال له : أين تقليدى . فأقام وأحضره إليه ، وهو بغير علامة السلطان ، واعتذر أن السلطان الملك المنصور ، شغلته الحركة والفكرة فى أمر العدو عن الكتابة عليه . فقال له السلطان الملك الأشرف : يافتح الدين ، إن السلطان امتنع أن يعطينى ، فأعطانى الله . ورمى له التقليد ، فكان عنده بغير علامة . ثم عند ابنه المرحوم علاء الدين ، إلى أن مات رحمه الله تعالى[2] .

قال بعض الشعراء يمدحه :

فداك[3] يا عادل يامنصف أرجى من الغيث الذى يوصف

أغنى عباد الله عن نيلهم جودك البحر الذى يعرف

أطاعك الناس اختيارا وما أذلهم رمح ولا مرهف

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٨ .

(٢) يقابل ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٨ — ٩٩ .

(٣) فى الأصل بذاك ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٩ .

كم ملكت مصر مـلوك وكم (١) جادوا وما جادوا ولا أسرفـوا

حتى أتى المنصـور أنسى الورى بفعـله سـائر ما أسـلفوا

ما قدمـوا مثـل تقاه (٢) ولا مثـل الذى خلفه خلفـوا

فته (٣) على الأملاك فخـرا بمـا نلت فأنت المـلك الأشرف

قال (٤)، وخلع الملك الأشرف على سـائر الأمراء وأرباب المناصب . ثم ركب بشعار السلطنة ، فى يوم الجمعة بعد الصلاة ، الثانى عشر من الشهر . وسيّر بالميدان الأسود ، والأمراء والعساكر فى خدمته . وطلع إلى قلعة الجبل ، قبـل أذان العصر . ويقال إن الأمـير حسام الدين طرنطاى ، كان قـد قصد اغتيال الملك الأشرف ، فى يوم ركوبه ، وأنه عزم على قتله عند ابتـداء التسيير ، إذا قرب من باب الإصطبل (٥)، وأن السلطان شعر بذلك . فلما سيّر السلطان أربعة ميادين، والأمير حسام الدين ومن وافقه عند باب سارية . فلما انتهى السلطان إلى رأس الميدان ، وقرب من باب الإصطبل ، وفى ظن الناس أنه يعطف إلى جهة باب سـارية . ليكمل التسيير على العادة ، عطف إلى جهة القلعـة ، وأسرع وعبر من

(١) فى الأصل : جاء البيت على هذا النحو :

كم ملكت مصر ملوكا ملوك وكم جادوا وما جادوا ولا أسرفوا

وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٩ .

(٢) فى الأصل بقاه ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٩ .

(٣) فى الأصل فيه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٩ .

(٤) وفى هذا إشارة إلى المصدر عند النويرى وابن الفرات .

(٥) الميادين ، من التداريب العسكرية التى كان يمارسها الفرسان المماليك حتى يكتسبوا المهارة والبراعة فى طرق الكر والفر فى القتال ، انظر كتاب الجهاد والفروسية ص ١١ ب ، ١٢ أ (مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٣ م) .

باب الإسطبل[1] . ولما عطف ، ساق الأمير حسام الدين ومن معه . ملء[2] الفروج ، ليدركه[3] . فما وصل إلى باب الإسطبل . إلا والسلطان قد دخل منه ، وحف به مماليكه وخواصه ، فبطل على طرنطاى ما دبره . وبادر السلطان بالقبض عليه .

ذكر القبض على الأمير حسام الدين طرنطاى وقتله وعلى الأمير زين الدين كتبغا واعتقاله

لما استقل السلطان الملك الأشرف فى السلطنة ، وقف الأمير حسام الدين طرنطاى ، بين يديه فى نيابة السلطنة ، على عادته مع السلطان الملك المنصور أبيه[4] . وكان الملك الأشرف يكره الأمير حسام الدين طرنطاى أشد الكراهية لأمور : منها ما كان يعامله به من الاطراح لجانبه ، والغض منه ، واهنة[5] نوابه ، وأذى من ينسب إليه . ومنها ترجيح جانب أخيه ، الملك الصالح على جانبه ، والميل إليه . ولما مات الملك الصالح ، وانتقلت ولاية العهد بعده ، إلى الملك الأشرف مال إليه من كان يميل عنه ، وتقرب إلى خاطره من كان يجفوه[6] . ولم يزد ذلك

(١) بوردت كتابة الاسطبل ، بالرسم اصطبل أيضا .

(٢) فى الأصل الفروح ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٠ .

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٠ ليدركه .

(٤) فى الأصل ابنه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٠ .

(٥) كذا فى الأصل ، وابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٩ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٥٧ إهنة ، والواضح أن المقصود إهانة .

(٦) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٩٩ يحقره .

الأمير حسام الدين إلا تماديا فى الإعراض عنه ، وجريا على عادته ، فى أذى من ينتسب إليه . وأغرى السلطان الملك المنصور ، بناظر الديوان الأشرفى ، شمس الدين محمد بن السلعوس ، حتى ضربه وصرفه على ماتذكر ذلك ، وعامله بمثل هذه المعاملة ، والملك الأشرف لا يستطيع دفع ذلك ، لتمكن الأمير حسام الدين ، من السلطان الملك المنصور ، ويكتم ما عنده منه ، ويصبر[1] من ذلك ، على مالا يصبر[2] مثله على مثله .

فلما ملك السلطان الملك الأشرف ، تحقق الأمير حسام الدين أنه يحقد عليه أفعاله ، وأن خاطره لايصفو له . فشرع فى إفساد نظامه سرّا ، و إخراج الأمر عنه . وتحقق السلطان ذلك ، ووشى به بعض من باطنه . فلما نزل السلطان من الركوب فى يوم الجمعة ، الثانى عشر من ذى القعدة ، استدعاه فدخل عليه ، وهو يظن أن أحدا لايجسر أن يقدم عليه ، لمهابته فى القلوب ، ومكانته من الدولة ، وظن أن السلطان لا يبادره بالقبض عليه . ولما استدعاه [السلطان][3] ، نهاه الأمير زين الدين كتبغا المنصورى ، عن الدخول على السلطان وحذّره ، وقال له : والله أخاف عليك منه ، فلا تدخل عليه ، إلا فى عصبة و جماعة ، تعلم أنهم يمانعون عنك أن لو وقع أمر . وقال له : — فيما حكى لى[4] — والله لو كنت نائما ، ما جسر خليل[5] ينبهنى . وقام ودخل على السلطان ، فحمل زين الدين كتبغا

(٢،١) فى الأصل يصبر ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٠ .

(٣) الإضافة يتطلبها السياق .

(٤) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٠ ، فيما حكى له . والرواية بخاصيلها ، وردت مع تغيير يسير فى ترتيبها فى ابن الفرات ، والملحوظ أن ابن الفرات حرص على أن يغير ما يورده النويرى بصيغة المتكلم ، إلى صيغة الغائب .

(٥) فى الأصل جلس ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٠ .

الإشفاق عليه ، أن دخل معه . فلما صار طرنطاى بين يدى السلطان ، وكان قد قرر مع الأمراء الخاصكية(١) القبض عليه ، فبادروا إلى ذلك ، وقبضوا على يديه ، وأخذوا سيفه . فصرخ كتبغا ، وجعل يقول : «إيش عمل ، إيش عمل» ، يكرر ذلك . فأمر السلطان بالقبض على كتبغا ، فقبض عليه واعتقل ، ثم أفرج عنه بعد ذلك .

وأما طرنطاى ، فإنه لما قبض عليه ، أمر بقتله ، فقتل . وقيل إنه عوقب بين يدى السلطان حتى مات . وقيل كانت وفاته فى ثامن عشر ذى القعدة ، وبقى ثمانية أيام ، بعد وفاته ، ثم أخرج من القلعة ، ليلة الجمعة سادس عشرين الشهر ، وقد لف فى حصير ، وحمل على جنوية(٢) ، إلى زاوية الشيخ أبى السعود . فغسله الشيخ عمر السعودى ، وكفنه ودفنه ، خارج الزاوية ، وبقى كذلك ، إلى أن ملك الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى ، فأمر بنقله إلى تربته التى أنشأها بالقاهرة ، بمدرسته التى بجوار داره بخط المسطاح(٣) .

---

(١) الخاصكية : قسم من المماليك السلطانية ، يختارهم السلطان من الأجلاب الذين دخلوا خدمته صغارا ، ويجعلهم حرسه الخاص . ولما لهم من الحظوة عند السلطان ، سبقوا غيرهم فى الظفر بالامرة والوظائف الهامة . ومن الدليل على ثقة السلطان فيهم ، أنهم يدخلون عليه فى خلوته بغير إذن ، ويتوجهون فى المهمات الشريفة ، ويتأنقون فى مركوبهم وملبوسهم .

انظر Demanliynes : op. cit, p. p xxx iii, L xclx

ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ص ١١٥ .Quatremère; op. cit. I. 2. P. 158 N. 3

(٢) جنوية ، وهى النقالة ، التى تحمل الجرحى والموتى .

انظر : Dozy: supp. Dict. Ar

(٣) يشير ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠١ ، إلى أن داره ، بجوار مدرسته الحسامية الآن (زمن ابن الفرات) ، تجاه سوق الجوارى داخل القاهرة المحروسة . وجعلها المقريزى ، الموا عظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٣٨٦ ، فى هذا الموضع ، قريبا من حارة الوزيرية ، وباب الخرقة .

ولما قبض السلطان عليه ، ندب الأمير علم الدين سنجر الشجاعى لإيقاع الحوطة على[1] موجوده ، واستصفاء أمواله ، لما كان بينهما من العداوة . فنزل الشجاعى إلى دار طرنطاى التى بالقاهرة ، وحمل ما فى خزانته وذخائره . وطلب ودائعه ، ونبش مواضع من داره ،وشعثها . وحمل من أمواله إلى الخزائن وبيت المال جملة عظيمة ، يقال إن جملة ما حمل من ماله ، ستمائة ألف دينار عينا ، ومن الدراهم سبعة عشر ألف رطل ومائة رطل بالمصرى ، ومن العدد والأقمشة والخيول والمماليك ما لايحصر قيمته كثرة . ويقال إنه كان قد جمع ذلك وادخره ، لطلب السلطنة لنفسه ، فلم ينل ما تمناه[2] .

ووقف الأمير علم الدين الشجاعى ، بعد القبض على طرنطاى ، أياما قلائل ، من غير أن يخلع عليه خلع النواب ، ولا كتب تقليده ، ولم يشتهر ذلك . ثم فوضت النيابة ، للأمير بدر الدين بيدرا .

ذكر تفويض نيابة السلطنة الشريفة للأمير بدر الدين بيدرا المنصورى

لما قبض على الأمير حسام الدين طرنطاى كما تقدم ، قام الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، بوظيفة النيابة أياما قلائل ، كما ذكرناه . ثم فوض السلطان النيابة عن السلطنة ، للأمير بدر الدين بيدرا المنصورى . وخلع عليه ، على عادة نواب السلطنة ، وأجرى عليه ، ما كان جاريا على الأمير حسام الدين طرنطاى ، من الإقطاعات وغيرها .

---

(١) فى الأصل مع ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٠١ .

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٠٤ .

وفى هـذه السنة ، رسم السلطان بطلب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، شـاد الدواوين بالشام ، فوصـل البريد إلى دمشق يطلبه ، فى رابع ذى الحجة منها ، فتوجه إلى الأبواب السلطانيـة ، فى ثامن الشهر . ولمـا وصـل إلى بين يدى السلطان ، ضربه مرة بعـد أخرى ، وبـقى فى الترسـيم ، إلى أن حضر الصاحب شمس الدين [بن السلعـوس (١)] فسلّمه إليـه . وولّى شاد الدواوين بدمشـق ، الأمير سـيف الدين طوغان المنصورى . وأعاد السلطان الصاحب تقى الدين توبة التكريتى إلى وزارة الشام . فوصل إلى دمشق ، فى خامس المحرم ، سنة تسعين وستمائة . وأوقع الحوطة على موجود الأمير شمس الدين سنقر الأعسر . حسب المرسوم السلطانى .

وفيها ، رسم السلطان الملك الأشرف ، باحضار الأمير بدر الدين بكتوت العلائى ، من حمص إلى الباب السلطانى ، فى ذى الحجة ، فحضر .

وفيها ، فى ذى الحجة ، رسم السلطان بتجديد تقليد الأمير حسام الدين لاجين المنصـورى ، نائب السلطنة بالشـام ، فكُتب . وزاده السلطان على إقطاعه المسـتقر ، إلى آخر الأيام المنصورية ، خرستا (٢) ، وجهز ذلك على يد مملوكه شمس الدين أقسنقر الحسامى . وأعطى أقسنقر إمرة عشرة طواشية (٣) . فوصل إلى دمشق فى ثامن عشر ذى الحجة من السنة .

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٢ .

(٢) فى الأصل حرسا دون نقط ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٣ وهى قرية كبيرة فى وسط بساتين دمشق على طريق حمص ، بينها وبين دمشق ما يزيد على فرسخ . ياقوت : معجم البلدان

(٣) الطواشية ، الفرسان الذين يحوزهم الأمير فى الطاعة .

وفيها ، فى الخامس والعشرين من ذى الحجة ، كان وفاة الأمير الحاج علاء الدين طيبرس الوزيرى . وكان ديناً كثير الصدقه والمعروف ، قليل الأذى ، وخلّف أموالا عريضة ، فأوصى بثلاثمائة ألف درهم من ماله ، تنفق فى العساكر وأوقف مدرسة بمصر ، على طائفة الشافعية والمالكية . وأوقف خانا بظاهر دمشق ، على الصدقات ، ريعه فى كل شهر تقدير خمسمائة درهم ، وله آثار حسنة ، رحمه الله تعالى (١) .

(١) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٣

واستهلت سنة تسعين [وستمائة][1]

[٦٩٠ - ١٣٩١]

فى هـذه السنة ، فى سادس المحـرم ، أفرج السلطان عن الملك فخر الدين عثمان ابن الملك[2] المغيث فتح الدين عمر ابن الملك العادل ، سيف الدين أبى بكر ، ابن الملك الكامل ابن الملك العادل صاحب الكرك والده . وكان قد اعتقل فى الدولة الظاهرية ، فى رابع عشر ، شهر ربيع الأول ، سنه تسع وستين وستمائة ، كما قدمنا ذكر ذلك[3] . وكانت مـدة اعتقاله عشرين سنة ، وتسعه أشهر ، واثنين وعشرين يوما . ولما أفرج السلطان عنه ، رتّب له راتبا جيدا . ولزم داره ، واشتغل بالمطالعة والنسخ ، وانقطع عن السعى ، إلا للجمعة أو الحمام ، أو ضرورة لابد منها[4] .

ذكر تفويض الوزارة للصاحب شمس الدين ابن السلعوس وشىء من أخباره

كان الصاحب شمس الدين محمـد بن فخـر الدين عثمان بن أبى الرجا ، بن

---

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) الاسم : حسبما ورد فى النص : فخر الدين عثمان ابن الملك فتح الدين المغيث فخر الدين عمر وما هنا من ابن الفرات جـ ٢ ، ص ١٠٦ ؛ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٩

(٣) انظر نهاية الأرب جـ ٣٠ ، ص ١٧٣ وما بعدها . تحقيق د . محمد عبد الهادى شعيره مركز تحقيق التراث ، ١٩٩٥ (المصحح)

(٤) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٦

السلعوس قد توجه إلى الحجاز الشريف ، قبيل وفاة السلطان الملك المنصور . فاتفقت وفاة السلطان وسلطنة الملك الأشرف فى غيبته . فكتب السلطان إليه كتابا يعلمه أنه قد ملك ، و يستحثه على سرعة الوصول إليه . فوصل إليه كتاب السلطان ، وهو فى أثناء الطريق ، وقد عاد من الحجاز الشريف . فاجتمع من كان بالركب ، من الأعيان والكتاب ، وانضموا إليه ، وركبوا فى خدمته ، وساروه وعاملوه من الآداب بما يعامل به الوزراء وعظموه ، فكان كذلك ، إلى أن وصل إلى باب السلطان . وكان وصوله ، فى يوم الثلاثاء ، العشرين من المحرم سنة تسعين وستمائة . فاجتمع بالسلطان ، ففوض إليه السلطان الوزارة ، فى يوم الخميس ، الثانى والعشرين من الشهر ، وخلع عليه . وكان الأمير علم الدين سنجر الشجاعى يتحدث فى الوزارة فى هذه المدة ، قبل وصوله ، من غير تقليد ولا تشريف .

وكان شمس الدين [بن السلعوس[1]] هذا ، تاجرا من أهل دمشق ، ولم يكن من التجار المياسير . ولكنه كان يأخذ نفسه بالحشمة والرئاسة ، حتى كان التجار فيما بينهم ينعتونه بالصاحب[2] استهزاء به . ثم تعلق بالخدم ، وانتمى[3] إلى تقى الدين توبة التكريتى وزير دمشق ، فى الدولة المنصورية ، فاستخدمه فى بعض الجهات . وتنقل إلى أن ولى نظر الحسبة بدمشق ، فى شهر رمضان ، سنة سبع وثمانين وستمائة كما تقدم[4] . ثم ولى نظر ديوان الملك الأشرف بالشام .

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٦

(٢) فى الأصل الصاحب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٦

(٣) فى الأصل وانتمى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٦

(٤) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٦ « كما تقدمنا » وفى ذلك دليل على التطابق بين روايته ورواية النويرى .

فأظهر الاجتهاد ، واستأجر للملك الأشرف ضياعا بالشام ، وعمل له متجرا ، وحصل من ذلك أموالا ، فتقدم عند الملك الأشرف ، ومال إليه .

وحضر إلى باب الملك[١] الأشرف ، فى صفر ، سنة ثمان وثمانين وستمائة . واستناب عنه فى نظر الحسبة [بدمشق[٢]] والديوان الأشرفى ، القاضى تاج الدين أحمد ابن القاضى عماد الدين محمد بن الشيرازى . ولما حضر إلى باب الملك الأشرف[٣] ، نقله إلى نظر ديوانه نيابة ، عوضا عن تاج الدين بن الأعمى . وخلع عليه خلع الوزارة . واستمر فى نظر ديوان الملك الأشرف ووكالته ، إلى جمادى الأولى سنة تسع وثمانين وستمائة . فاتفق أن الملك الأشرف ، خلع عليه خلعة سنية ، تشبه خلع الوزراء . فرآه السلطان الملك المنصور ، وعليه تلك الخلعة ، فأنكر هيئته ، وسأل الأمير حسام الدين طرنطاى عنه . فقال هذا وزير الملك الأشرف ، وذكر مساواته[٤] للسلطان . فغضب السلطان الملك المنصور لذلك[٥] ، وأنكره . وأمر باحضاره ، فأحضر بين يديه ، فأنكر عليه كونه خدم ولده ، بغير أمره ، ولا أمر نائبه ، ولا وزيره . وأمر السلطان بنزع الخلعة ، التى ألبسها ، فنزعت . وسلمه إلى شاد الدواوين [يومئذ[٦]] ، وهو الأمير زين الدين أحمد الصوابى ، وأمر بمصادرته ، والإخراق

(١ ، ٣) فى الأصل السلطان الملك ، وقد جرى حذف لفظة السلطان لأن الأشرف لم يكن وقتذاك سلطانا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧ ؛ ولم يلبث النويرى ، أن استدرك هذا الخطأ بعد سطرين . انظر ما يلى

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧

(٤) فى الأصل مساويه ، وجرى تصويب الأخطاء الإملائية دون الإشارة إلى ذلك .

(٥) فى الأصل لذكره ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧ .

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧ .

به ، وضربه . وأرسل إليه الأمير حسام الدين طرنطاى ، أن يوقع به الأهنة والإخراق ، ويبادر بضربه . وأرسل إليه الملك الأشرف ، إلى[1] [مشد الدواوين][2] ، يستوقفه عند[3] ذلك ، ويتوعده إن ناله منه سوء[4] . فخاف للشد المذكور غائلة الملك[5] الأشرف ، وتوقف عن الإخراق به . ورسم عليه فى قاعة ، كان المشد يجلس فيها ، فى وقت استراحته . ثم تلطف الملك الأشرف فى أمره ، مع الأمير حسام الدين طرنطاى ، وراسله[6] بسببه . وتكررت رسائله إليه ، وإلى غيره فى معناه ، حتى حصلت الشفاعة [فيه[7]] عند السلطان ، فأطلقه . وأمر السلطان بصرفه ، فصرف ، ولزم داره . وكانت هذه الواقعة من أضر شىء على الأمير حسام الدين طرنطاى ، ومن أكبر أسباب القبض عليه وقتله .

واستمر الصاحب شمس الدين بداره إلى زمن الحج ، فتوجه إلى الحجاز الشريف . واتفقت وفاة السلطان الملك المنصور ، وسلطنة الملك الأشرف ، كما تقدم ، فكتب إليه يعلمه بذلك . ويقال إن السلطان كتب بخطه إليه ، بين سطور الكتاب ، ياشقير ، يا وجه الخير ، عجل بالسير ، فقد ملكنا . ويقال إنه لما حملت إلى السلطان الملك الأشرف ، أموال طرنطاى ، ووضعت بين يديه ، جعل يقلبها ويقول :

---

(١) فى الأصل إليه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧ .

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧ عن .

(٤) فى الأصل سوءا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧ .

(٥) انظر ما تقدم ص ١٨٩ ، هامش ١ .

(٦) فى الأصل وأرسله ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧ .

(٧) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٧ .

من عاش بعد عدوه يوما فقد بلغ المنى

ثم يقول أين أنت يا ابن السلعوس .

فلما وصل [ابن السلعوس](١) إلى السلطان ، فوض إليه الوزارة ، ومكّنه من الدولة تمكينا عظيما ، ما تمكن وزير قبله مثله فى دولة الترك . وجرّد فى خدمته جماعة من المماليك السلطانية ، يركبون فى خدمته ، ويترجلون فى ركابه ، ويقفون بين يديه ، ويمتثلون أوامره . فعظم بذلك شأنه ، وتعاظم فى نفسه واستخف بالناس . وتعدى أطوار الوزراء ، حتى كان أكابر الأمراء يدخلون إلى مجلسه ، فلا يستكمل(٢) لهم القيام . ومنهم من لا يلتفت إليه . وكان فى بعض الأوقات يستدعى أمير جاندار(٣) وأستاذ الدار ، على كبر مناصبهما . فكان إذا استدعى أحدا منهما(٤) ، يقول اطلبوا فلانا أمير جاندار ، وفلانا(٥) أستاذ للدار ، يسمى كل واحد منهما باسمه ، دون نعته . ثم ترفّع عن هذه الرتبة إلى الاستخفاف بنائب السلطنة [الأمير بيدرا(٦)] ، وعدم الالتفات إلى جهته ومشاركته فى بعض وظيفته ، والاستبداد عنه ، ومعارضته فيما يقصد فعله ، وتعطيل ما يؤثره . هذا ، والأمير بدر الدين بيدرا يصبر على جفاه ، ولا يمكنه مفاجأته لما يشاهده من ميل

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) فى الأصل يستكل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٩ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٦١ .

(٣) فى الأصل خازندار ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٩ .

(٤) فى الأصل منهم ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٥) فى الأصل فلان ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٩ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٦٢ .

السلطان إليه . حتى أخبرنى[١] شهاب الدين بن عبادة : قال : رأيت الصاحب شمس الدين فى بعض أيام المواكب ، قد قام من مجلس الوزارة ، يقصد الدخول إلى الخزانة ، فصادف ذلك خروج الأمراء من الخدمة ، هم ونائب السلطنة . فكان الأمراء الأكابر يبادرون إلى خدمته ومنهم من يقبل يديه ، وكلهم يخلى له الطريق ، ويومىء بالرجوع بين يديه ، فيشير إليه بالانصراف . فلما وطىء عتبة[٢] باب القلة برجله ، توافى هناك[٣] ، هو والأمير بدر الدين ، نائب السلطنة . فسلّم كل منهما على الآخر ، وأوما له بالخدمة ، إلا أن النائب خدم الوزير ، أكثر من خدمة الوزير له . قال : لقد رأيته ، وقد رجع مع الصاحب ، ولم يسامته فى مشيه ، بل كان النائب يتقدمه يسيرا ، ويميل بوجهه إلى جهة الصاحب ويحدثه . فكانا كذلك إلى أن وصلا إلى المصطبة ، التى يجلس عليها أستاذ الدار وناظر البيوت ، وهى من داخل الباب الثانى ، من باب القلة لجهة الخزانة ، على باب الفراش خاناه قديما . وهذا الموضع[٤] الآن[٥] ، هو أحد أبواب[٦] الجامع الذى عمر فى أيام السلطان الملك الناصر . وسنذكر إن شاء الله تعالى ، خبر هذا الجامع فى

(١) حرص ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٩ على تغيير صيغة المتكلم إلى صيغة الغائب ، بأن أورد عبارة : حتى حكى عن شهاب الدين ، وفى ذلك دليل على الاقتباس من النويرى أو عن مصدر نقل عنه النويرى .

(٢) فى الأصل عنه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٩ .

(٣) فى الأصل توفى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٩ .

(٤) فى الأصل وهو . وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ص ١٠٩ .

(٥) هذه الرواية تطابق نص ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٩ .

(٦) فى الأصل إيوان وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٩ .

الأيام الناصرية . قال[1] : فلما انتهيا إلى ذلك المكان ، مسك الصاحب بدر الدين بيدرا ، نائب السلطنة ، وأشار إليه بالرجوع . قال : وسمعت الصاحب يقول له : « بسم الله يا أمير بدر الدين » ؛ لم يزده على ذلك ، وهذا أمر لم يسمع بمثله[2] ، والذى شاهدته أنا ، غير مرة ولا مرتين ، أن الصاحب كان إذا أراد الركوب إلى القلعة ، اجتمع ببابه[3] نظار النظار وشاد الدواوين ووالى القاهرة ووالى مصر ، ومستوفى[4] الدولة ، ونظار الجهات ، ومشدّى[5] المعاملات ، وغير هؤلاء من الأعيان . ثم يحضر قضاة القضاء الأربعة ومن يتبعهم . فإذا اجتمع هؤلاء كلهم ببابه ، عرّفه حجّابه أن الموكب قد كمل . وكان كمال الموكب عندهم ، حضور قضاة القضاة الأربعة ، فيخرج عند ذلك ، ويركب ويسوق الناس بين يديه على طبقاتهم . فيكون أقرب الناس إليه ، قاضى القضاة الشافعية ، وقاضى القضاة المالكية[6] ، يكونان أمامه . وأمامهما قاضيا القضاة الحنفية والحنبلية[7] ، ثم نظار النظار والأعيان ، ومستوفى[8] الدولة ، ونظار الجهات على قدر مراتبهم . ويستمر القضاة معه ، إلى أن يستقر فى المجلس . فينصرفون ثم يعودون عشية النهار إلى القلعة ، ويركبون فى موكبه بين يديه إلى أن يصل إلى داره ، حتى إنه تأخر ليلة بالقلعة إلى قرب

---

(١) يشير إلى رواية ابن عبادة ، الواردة أيضا فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٠٩ .

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٠٩ .

(٣) فى الأصل نبابه ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٠٩ .

(٤) فى الأصل مستوفين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٥) فى الأصل مشدين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) فى الأصل المالكى ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٠٩ .

(٧) فى الأصل الحنفى والحنبلى ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٠٩ .

(٨) فى الأصل مستوفين وما هنا هو الصواب .

العشاء الآخرة ، وغلق باب القلعة . وانقلب موكب الصاحب ، إلى جهة باب السلطان ، وجاء القضاة ووقفوا على بغالهم ، بظاهر باب الإسطبل السلطانى ، ولم ينصرفوا حتى خرج وركب ، وساقوا فى خدمته ، إلى داره على عادتهم ، لم يخلوا بها . وكان لا ينتصب قائما لبعض أكابرهم ، ولم ينتظم هذا الوزير قبله . ولما عظم موكبه ، وبقى الأكابر ، يزدحمون فى شوارع القاهرة ، ويضيق بهم لكثرة من معه ، ويزدحم الغلمان ، انتقل إلى الفرافة ، وسكنها بسبب ذلك[1] . ثم كان من أمره ما نذكره ، إن شاء الله تعالى فى موضعه .

ذكر القبض والإفراج على من نذكر من الأمراء ، وعنه[2]

وفى يوم الجمعة ، سابع صفر ، أمر السلطان بالقبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير سيف الدين جرمك الناصرى ، وعدّد لهما ذنوبا كثيرة . وكان مما عدّه على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، أن قال هذا ما أحسن إليه أحد ، إحسان طرنطاى ، فإنه مازال يدافع عنه السلطان [المنصور][3] ويمنعه من القبض عليه ، إذا أراده . ويقول له ، والله لا يقبض عليه ، حتى يقبض على قبله . ووفى له طرنطاى بما عاهده عليه ، بصهيون ، لما استنزله منها . ولم يرع له حق هذا الإحسان العظيم والذب عنه . وكان [هو][4] أكبر أسباب القبض عليه ، فإنه أفشى سره .

---

(١) يخايل ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٠٨ .

(٢) كذا فى الأصل . ولعل المقصود الإشارة إلى المصدر الذى نقل عنه .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٠ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٠ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٢ — ٧٦٣ .

وأفرج السلطان فى هذا اليوم، عن الأمير زين الدين كتبغا المنصورى، وأعاد عليه إمرته، وأنعم عليه إنعاما كثيرا. وكان قد قبض عليه، كما تقدم لما هم بالمدافعة عن طرنطاى.

ذكر فتوح عكا وصور وصيدا وحيفا

قد ذكرنا أن السلطان الملك المنصور، والد السلطان، كان قد أهمه أمر عكا وتجهز لغزوها. وخرج لذلك، وعاجلته المنية، دون الأمنية. فلما استقر أمر السلطان الملك الأشرف، وخلا وجهه، ممن كان يقصد مناوأته، صرف اهتمامه إلى عكا وغزوها. وندب العساكر من الديار المصرية، وسائر الممالك والحصون. وأمر نواب السلطنة بالممالك الشامية والساحلية، ونواب القلاع والحصون، بتجهيز الزردخانات وأعواد المجانيق والحجارين وغيرهم. وندب الأمير عز الدين أيبك الأفرم، أمير جاندار لذلك. فتوجه من الباب السلطانى، ووصل إلى دمشق، فى سلخ صفر. فجهزت أعواد المجانيق من دمشق، وبرزت إلى ظاهرها فى مستهل شهر ربيع الأول، وتكامل ذلك، فى يوم الخميس ثانى عشر الشهر. وتوجه بها الأمير علم الدين سنجر الداوادارى، أحد الأمراء بالشام، ثم فرقت على الأمراء مقدمى[1] الألوف، فتوجه كل أمير ومضافوه[2] منها، بما أمر بنقله. ثم توجه الأمير حسام الدين لاجين، نائب السلطنة بالشام، فى آخر الجيش[3]، ببقية العسكر، فى يوم الجمعة، العشرين من شهر ربيع الأول. وندب

(١) فى الأصل مقدمين، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١١١.

(٢) فى الأصل مضافيه، وما هنا هو الصواب لغويا.

(٣) فى الأصل الخميس، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١١١.

السلطان أيضا ، الأمير سيف الدين طغريل الايقانى[1] إلى الحصون والممالك يستنجدهم[2] على سرعة تجهيز المجانيق والآلات ، فبادر النواب إلى ذلك .

ووصل الملك المظفر صاحب حماه إلى دمشق ، فى ثالث عشرين شهر ربيع الأول ، بعسكر حماه ، ومعه مجانيق وزردخانات[3] . ووصل الأمير سيف الدين

(١) فى الأصل الابغانى ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١١ ، والمقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٧٩٣ .

(٢) فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١١ يستحثهم .

(٣) وافق المؤرخ أبو الفدا ، قريبه المظفر صاحب حماه ، فى هذه الحملة . وأثبت فى مؤلفه (المختصر فى أخبار البشر ج ٥ ، ص ٩٤ — ٩٨) ما قام به وما شاهده من وقعة عكا ، وهو يوضح بذلك أساليب الحرب فى تلك العصور . ونصه « فتوجه الملك المظفر صاحب حماه ، وعمه الملك الأفضل ، وسائر عسكر حماه صحبته إلى حصن الأكراد . وتسلمنا منه منجنيقا عظيما يسمى المنصورى حمل مائة عجلة ، ففرقت فى العسكر الحموى ، وكان المسلم إلى منه عجلة واحدة ، لأنى كنت إذ ذاك أمير عشرة . وكان سيرنا بالعجل فى أواخر فصل الشتاء ، واتفق وقوع الأمطار والثلوج علينا ، بين حصن الأكراد ودمشق . فقاسينا من ذلك ، بسبب جر العجل ، وضعف البقر وموتها بسبب البرد ، شدة عظيمة . وسرنا بسبب العجل ، من حصن الأكراد إلى عكا شهرا ، وذلك سير نحو ثمانية أيام للخيل على العادة . وكذلك أمر السلطان بجر المجانيق وآلات الحصار من جميع الحصون إليها ، فاجتمع على عكا من المجانيق الكبار والصغار ، ما لم يجتمع على غيرها .

وكان نزول العساكر الإسلامية عليها ، فى أوائل جمادى الأولى ، من هذه السنة . واشتد عليها القتال ، ولم يغلق الفرنج غالب أبوابها ، بل كانت مفتحة ، وهم يقاتلون فيها . وكانت منزلة الحموية برأس المؤمنة على عادتهم . فكنا على جانب البحر ، والبحر عن يميننا إذا واجهنا عكا . وكان يحضر إلينا مراكب مقببة بالخشب ، الملبسين جلود الجواميس ، وكانوا يرموننا منها بالنشاب والجروخ . وكان القتال من قدامنا من جهة المدينة ، ومن جهة يميننا من البحر . وأحضروا بطسة ، وفيها منجنيق يرمى علينا وعلى خيمتنا من جهة البحر . فكنا منه فى شدة عظيمة ، حتى اتفق فى بعض الليالى هبوب رياح قوية ، فارتفع المركب وانحط بسبب الموج ، وانكسر المنجنيق الذى فيه ، بحيث أنه انحطم ولم ينصب بعد ذلك . وخرج الفرنج فى أثناء هذا الحصار بالليل ، وكبسوا العسكر ، ورموا النيرك ، =

بلبان الطباخي ، نائب السلطنة بالفتوحات ، بعساكر الحصون وطرابلس ومامعها ، بالمجانيق والزردخانات ، فى رابع عشرين الشهر . ووصل سائر النواب ، وتوجهوا إلى عكا . هذا ما كان من أمر نواب الممالك الشامية وعساكرها (١) .

وأما السلطان الملك الأشرف ، فإنه لما عزم على التوجه إلى عكا ، أمر بجمع (٢) القراء والعلماء والقضاة والأعيان ، بتربة والده السلطان الملك المنصور . فاجتمعوا فى ليلة الجمعة ، الثامن والعشرين من صفر ، وباتوا بالقبة المنصورية ، يقرأون القرآن . وحضر السلطان إلى التربة فى بكرة النهار ، وتصدق بجملة من المال والكساوى ، ثم عاد إلى قلعة الجبل . واستقل ركابه منها ، فى ثالث شهر ربيع الأول . وجهز السلطان آدره العالية (٣) إلى دمشق ، فوصلوا إلى قلعتها ، فى يوم الاثنين ، سابع شهر ربيع الآخر . ووصل السلطان إلى المنزلة بعكا ، فى يوم الخميس ، ثالث شهر ربيع الآخر . ووصلت المجانيق إلى عكا فى اليوم الثانى ،

= واتصلوا إلى الخيام ، وتعلقوا بالأطناب . ودفع منهم فارس فى حوية مستراح بعض الأمراء فقتل هناك ، وتكاثرت عليهم العساكر . فولى الفرنج منهزمين إلى البلد . وقتل عسكر حماه عدة منهم .

فلما أصبح الصبح ، علق الملك المظفر صاحب حماه عدة رءوس الفرنج فى رقاب خيلهم التى كسبها العسكر منهم ، وأحضر ذلك إلى السلطان الملك الأشرف . واشتدت مضايقة العسكر لعكا ، حتى فتحها الله تعالى لهم ، فى يوم الجمعة السابع عشرين جمادى الآخرة بالسيف .

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١١ ، والمقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٧٦٣ — ٧٦٤ .

(٢) فى الأصل بجميع ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١١ ، والمقريزى السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٥ .

(٣) فى الأصل اودة العالية ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١١ ، وفى المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٧٦٤ ، سير حريمه ، وهو المقصود من هذه العبارة .

من وصوله ، وهى اثنان وتسعون منجنيقا ، [ما بين افرنجى وقرابغا وشيطانى][1] ، فنصبت وتكامل نصبها فى أربعة أيام ، وأقيمت الستائر .

وكان الفرنج ، لما بلغهم اهتمام السلطان وعزمه ، كاتبوا ملوك البحر ، وسألوهم إنجادهم ، فأتوهم من كل مكان . واجتمع بعكا منهم جموع كثيرة ، فقويت نفوسهم ، ولم يغلقوا أبواب البلد . واستمر الحصار وعملت النقوب ، إلى السادس عشر من جمادى الأولى[2] .

فلما كان فى يوم الجمعة السابع عشر من الشهر ، أمر السلطان أن تضرب الكوسات جملة واحدة ، وكانت [على][3] ثلثمائة جمل . فلما ضربت ، هال أهل عكا ما سمعوه منها . وزحف السلطان بالعساكر ، قبل طلوع الشمس من هذا اليوم . فما ارتفعت الشمس ، إلا والصناجق السلطانية على أسوارها .

ولما أشرف المسلمون على فتح عكا ، وتحقق من بها ذلك ، خرجت طائفة منهم ، نحو عشرة آلاف رجل مستأمنين ، فرقهم السلطان على الأمراء ، فقتلوا عن آخرهم . وأرسل السلطان جماعة من الأمرى ، إلى الحصون الإسلامية .

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ص ١١٢ .

(٢) أشار ابن الفرات صراحة إلى المصدر الذى نقل عنه ، وهو تاريخ الجزرى ، وتطابق رواياته (جـ ٨ ، ص ١١٢) ما ورد فى النويرى . ولما كان النويرى والجزرى متعاصرين ، فيجوز انهما افادا من مصدر واحد . والجزرى هو محمد بن إبراهيم بن أبى بكر المتوفى ٧٣٩ (١٣٣٨) ، ومن كتبه فى التاريخ كتاب كبير اسمه جواهر السلوك فى الخلفاء والملوك ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية ، ثلاثة مجلدات يبتدىء أولها سنة ٧٢٦ ، وينتهى آخرها سنة وفاة المؤلف ، انظر : المقريزى : السلوك جـ ٢ ، ص ٤٧١ ، ابن حجر العسقلانى : الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة جـ ٣ ، ص ٣٠١ ابن شاكر الكتبى : فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ٢٢٤ ، الزركلى : الأعلام جـ ٦ ، ص ١٨٩ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ١١٢ ، والمقريزى . السلوك ص جـ ١ ٧٦٥ .

وكانت مدة الحصار على عكا ، منذ حل ركاب السلطان ، إلى أن فتحت ، أربعة وأربعين يوما . واستشهد من الأمراء على حصارها ، الأمير علاء الدين كشتغدى[١] الشمسى ، ونقل إلى جلجولية[٢] ودفن بها ، والأمير عز الدين أيبك المعزى[٣] ، نقيب العساكر[٤] ، والأمير جمال الدين آقش الفتمى[٥] ، والأمير بدر الدين بيليك المسعودى ، والأمير شرف الدين قيران السكرى ، وأربعة من مقدمى[٦] الحلقة ، وجماعة يسيرة من العسكر .

وكانت عكا بيد الفرنج ، منذ استرجعوها من السلطان ، الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فى سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وإلى هذا التاريخ ، مائة سنة وثلاث سنين . وأمر السلطان الآن بإخرابها ، فخربت[٧] .

وفتح الله تعالى على يد السلطان ، فى بقية الشهر ، من المدن المشهورة الساحلية ، صور ، وصيدا ، وحيفا ، وعثليث ، بغير قتال . وذلك أن الله تعالى ،

---

(١) فى الأصل كشندى ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٢ والمقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٧٦٥ .

(٢) فى الأصل حلجولية ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٢ ، والمقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٧٦٥ .

(٣) فى الأصل العزى ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٢ .

(٤) فى الأصل نقيب ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٢ والمقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٧٦٥ .

(٥) فى الأصل الفيمى ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٢ والمقريزى : السلوك ج ١ ص ٧٦٥ .

(٦) فى الأصل مقدمين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٧) يقابل ما ورد فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٢ والمقريزى : السلوك ج ١ ص ٧٦٥ .

أوقع فى قلوب أهلها الرعب، لما فتحت عكا، وعلموا أنهم لا يقدرون على حفظها، ففارقوها ونجوا بأنفسهم . فملكها السلطان ، فأمر بهدمها جميعها فهدمت . ثم فتحت صيدا وبيروت ، على يد الأمير علم الدين الشجاعى ، على ما نذكره[1] إن شاء الله تعالى .

وأكثر الشعراء ذكر هذا الفتح . فكان[2] ممن امتدح السلطان ، وذكر هذا الفتح من الشعراء ، الشيخ الفاضل بدر الدين محمد بن أحمد بن عمر المنبجى[3] التاجر المقيم بالقاهرة ، فقال :

بلغت فى الملك أقصى غاية الأمل ... وفُتّ شاو ملوك الأعصر الأول

وحزت رق العلى بالجد مجتهدا ... وحزت غاياتها سبقا على مهل

ونلت بالحول دون الناس منفردا ... ما لم ينله ملوك الأرض بالحيل

فطل بدولتك الميمون طائرها ... فإنها غرة فى أوجه الدول

واسعد بهمتك العليا التى وصلت ... لك السعود بحبل غير منفصل

فأنت للدين والدنيا صلاحهما ... وفيهما حمل ضيم غير محتمل

فكم بلغت مرادا بت تأمله[4] ... بعزمك الباتر العارى من الفشل

---

(١) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٣ .

(٢) فى الأصل من ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٤ .

(٣) فى الأجل المسيحى ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ١٧٠ ب - ١٧١ ، حيث وردت القصيدة منسوبة إلى بدر الدين محمد بن أحمد بن عمر المنبجى البزار بالقاهرة انظر أيضا المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٧ حاشية ٢ .

(٤) فى الأصل أنت ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٤ .

وكم فتحت حصونا طالما رجعت ... لليأس(١) عنها الملوك الصيد فى خجل(٢)

حرزت(٣) من حكمة الغراء ما عجزت ... عنه الملوك بعزم غير منتثل

عقيلة المدن أمست من حصانتها ... وصونها من ليالى الدهر فى عقل

وقد دعتها ملوك الأرض راغبة ... وعطفها عنهم بالتيه فى شغل

صدت عن الصيد لا تلوى فلم تطل ... الأوهام منها إلى وصل ولم تصل

أم لهم(٤) برّة كم رام خطبتها ... بعل سواك ، فلم تذعن ولم تنل(٥)

حتى أمرت فأمست وهى طائعة ... بعد الإباء لأمر منك ممتثل

مازال غيرك فيها طامعا وعلى ... يديك ، قد كان هذا الفتح فى الأزل

فتحا تطاول عن فكر(٦) يحوط(٧) به ... وصفا ، وعن نظم شعر محصد الطّول

قصدتها فأصبت بعدما جمعت ... فى أهلها من أسود الغيل بالغيل

فى جحفل(٨) لجب كالليل أنجمه ... تبدو لرائيه من قُضْب ومن أسل

تمم المهامه من وعر ومن أكم(٩) ... وطبّق الأرض من سهل ومن جبل

---

(١) فى الأصل للناس ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٤ .

(٢) فى الأصل فى محل ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٤ .

(٣) فى الأصل حرزت ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٤ .

(٤) فى الأصل مره وما هنا من بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٣٨٧

(٥) فى الأصل بل ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٤ .

(٦) فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٤ ، فتح (المصحح) .

(٧) فى الأصل سر ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٤ .

(٨) فى الأصل لحت ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٤ .

(٩) فى الأصل وهد ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٤

تخالهم وجياد الخيل تحتهم (١) لليأس فى الروع آسادا على (٢) قلل
لاتنظر العين منهم إن هم لبسوا لامات حربهم يوما، سوى المقل
صدمتها بجيوش لو صدمت بها صم الجبال، أزالتها ولم تزل
فأصبحت بعد عز الملك خاضعة من ذلة الملك طول الدهر فى سمل
أمست خرابا واضحى أهلها رمما وسطرتها يد الأيام فى المثل
فَسَلْبُ (٣) بزتها عنها وقد عطلت (٤) ألذ للطرف من حَلْى ومن حلل
ومحو آثارها منها وقد خربت (٥) أشهى إلى النفس من روض الربى الخضل
بالأشرف السيد السلطان (٦) زال عنا التثليث وابتهج التوحيد بالجدل
تدبير (٧) ذى حكم (٨) فى عز منتقم وعمر مقتبل فى رأى مكتهل
راحت وقد سلبت أرواحهم بشبا الهندى أموالهم من (٩) جملة النفل
هدمت ماشيدوا، فرقت ماجمعوا نقضت ما ابرموه غير محتفل
وعندما أصبحت قفرا بلادهم من السواحل بعد الأهل فى العطل (١٠)

(١) فى الأصل الناس ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٤ .
(٢) فى الأصل تلل ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ : ص ١١٤ .
(٣) فى الأصل سلبت ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٤ .
(٤) فى الأصل برتها ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٤ .
(٥) فى الأصل الرى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٤ .
(٦) فى الأصل راد : وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٥ .
(٧) فى الأصل تدمير : وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ،ص ١١٥ .
(٨) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٥ ، ذى حلم .
(٩) فى الأصل فى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٥ .
(١٠) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٥ عطل (المصحح) .

رحلت عنها، ولكن كم ألمت بها ... من خوف بأسك جيشا غير مرتحل
لازلت ذا رتب فى المجد سامية ... وسؤدد بنواصى الشهب متصل

وقال المولى شهاب الدين أبو الثنا محمود الحلبى كاتب الانشاء، لما عاين النيران فى جوانب عكا. وقد تساقطت أركانها، وتهدمت جدرانها.

مررت بعكا بعد تخريب سورها ... وزند أوار النار فى وسطها وار[1]
وعاينتها بعد التنصر قد غدت ... مجوسية الأبراج تسجد للنار

وقال أيضا:

الحمد لله زالت دولة الصُّلب ... وعز بالترك دين المصطفى العربى
هذا الذى كانت الآمال لو طلبت ... رؤياه فى النوم لاستحيت من الطلب
ما بعد عكا وقد هدت قواعدها ... فى البحر للشرك فتد البر من أرب
عقيلة ذهبت أيدى الخطوب بها ... دهرا وشدت عليها كف مغتصب
لم يبق من بعدها للكفر إذ خربت ... فى البر والبحر ما ينجى سوى الهرب
كانت تخيلها آمالنا فترى ... إن التفكر فيها أعجب العجب
أم الحروب فكم [قد][2] أنشأت فتنا ... شاب الوليد بها هولا ولم تشب
سوران بر وبحر حول ساحتها ... دارا، وأدناهما أنأى[3] من القطب
خرقاء[4] أمنع سوريها وأحصنه ... غُلْبُ الكماة، وأقواه على النوب

(١) فى الأصل وارى: وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١١٥.
(٢) الإضافة يتطلبها وزن الشعر.
(٣) فى الأصل أنأ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١١٦
(٤) فى الأصل خوق، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١١٦

مصفح بصفاح (١) حولها شرف ... من الرماح وأبراج من اليلب

مثل الغمامة (٢) تهدى من صواعقها ... بالنبل أضعاف ما تهدى (٣) من السحب

كأنما كل برج حوله فلك ... من المجانيق يرمى الأرض بالشهب

ففاجأتها جنود الله يقدمها ... غضبان (٤) فقه لا للملك والنشب

ليث أبى أن يرد الوجه عن أمم ... يدعون رب الورى سبحانه بأب

كم رامها ورماها قبله ملك ... جم الجيوش فلم يظفر ولم يصب

لم يلهه ملكه ، بل فى أوائله ... نال الذى لم ينله الناس فى الحقب

لم ترض همته إلا التى قعدت ... للعجز عنها ملوك العجم والعرب

فأصبحت وهى فى بحرين مائلة ... ما بين مضطرم (٥) نارا ومضطرب

جيش من الترك ترك (٦) الحرب عندهم ... عار ، وراحتهم ضرب من الوصب

خاضوا إليها الردى والبحر فاشتبه الـ ... أمران واختلفا فى الحال والسبب

تسنموها فلم يترك (٧) ثباتهم ... فى ذلك الأفق برجا غير منقلب

تسلموها فلم تحفل الرقاب بها ... من فتك منتقم أو كف منتهب

---

(١) اليلب ، هنا الفولاذ من الحديد ، ومن معانى اليلب البيض التى تصنع من الجلود ، تتخذ وتنسج وتوضع على الرءوس خاصة (تاج العروس) .

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦ الغمايم

(٣) فى الأصل يهدى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٤) فى الأصل عصبان ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٥) فى الأصل نار ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٦) فى الأصل تنزل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٧) فى الأصل نهابهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

أتوا حماها فلم تدفع وقد وثبوا ... عنها مجانيقهم شيئاً (١) ولم يثب

يا يوم عكا لقد انسيت ما سبقت ... من الفتوح (٢) وما قد خُطّ فى الكتب

لم يبلغ النطق حد الشكر فيك فما ... عسى يقوم به ذو الشعر والخطب

كانت تُمَنّى بك الأيام عن أمم ... والحمد لله شاهدناك عن كثب

أغضبت عباد عيسى إذ أبدتهم (٣) ... لله أى رضى فى ذلك الغضب

وأطلع الله جيش النصر فابتدرت ... طلائع الفتح بين السمر والقضب

وأشرف المصطفى الهادى البشير على ... ما أسلف الأشرف السلطان من قرب (٤)

فقرّ عينا بهذا الفتح وابتهجت ... ببشره (٥) الكعبة الغراء فى الحجب

وسار فى الأرض مسرى الريح سمعته ... فالبر فى طرب والبحر فى حرب

وخاضت البيض فى بحر الدماء فما ... أبدت من البيض إلا ساق مختضب

وغاص (٦) زرق القنا (٧) فى زرق أعينهم ... كأنها شطن يهوى (٨) إلى قلب

توقدت وهى تروى فى نحورهم ... فزادها الرى فى الإشراق واللهب (٩)

---

(١) فى الأصل مسها ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦ ، به .

(٣) فى الأصل بدأيهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٤) فى الأصل أشرف ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٥) فى الأصل بشره ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٦) فى الأصل وغاض ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٧) فى الأصل الفتى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٨) فى الأصل تهوى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٦

(٩) فى الأصل واللبب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٧

أجرت إلى البحر بحرا من دمائهم فراح كالراح[1] إذ غرقاه كالحبب[2]
وذاب من حرّها عنهم حديدهم فقيدتهم[3] به ذعرا يد الرهب[4]
تحكمت فسطت فيهم قواضبها قتلا وعفت لحاويها عن السلب
كم أبرزت بطلا كالطود قد بطلت حواسه فغدا كالمنزل الخرب
كأنه وسنان الرمح يطلبه برج هوى ووراه كوكب الذنب
بشراك يا ملك الدنيا لقد شرفت بك الممالك واستعلت على الوثب
ما بعد حكاء وقد لانت صريكتها لديك شيء تلاقيه[5] على تعب
فانهض إلى الأرض فالدنيا بأجمعها مدت إليك نواصيها بلا نصب
كم قد دمت، وهى فى أسر العدا زمنا صيد الملوك فلم تسمع[6] ولم تجب[7]
ليتها[8] يا صلاح الدين معتقدا بأن ظنّ صلاح الدين لم يخب
أسلت فيها كما سالت دماؤهم من قبل إحرازها بحرا من الذهب
أدركت ثأر صلاح الدين إذ غضبت منه لسرٌ[9] طواه الله فى الكتب

(١) فى الأصل كالرياح ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١١٧
(٢) الحبب ، الفقاقيع التى تطفر كأنها القوارير (القاموس المحيط) .
(٣) فى الأصل فقتدهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٧
(٤) فى الأصل الذهب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٧
(٥) فى الأصل يلاقيه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٧
(٦) فى الأصل يسمع ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٧
(٧) فى الأصل يجب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١١٧
(٨) فى الأصل لقوتها ، وما هنا من الفرات جـ ٨ ، ص ١١٧
(٩) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٧ يسر .

وجئتها بجيوش كالسيول على ... أمثالها بين[1] أجام من القضُب[2]

وحطتها[3] بالمجانيق[4] التي وقفت ... أمام أسوارها في مجفل لجب

مرفوعة نصبوا أضعافها قبلت[5] ... للجزم والكسر منها كل منتصب

ورضتها بنقوب ذلت شمما ... منها وأبدت محياها بلا تقب

وبعد صبحتها بالزحف فاضطربت ... رعبا وأهوت بخديها[6] إلى الترب

وغنت[7] البيض في الأعناق فارتقصت[8] ... أجسادها لعبا منها مع اللعب

وخلقت بالدم الأسوار فابتهجت ... طيبا ولولا دماء القوم لم تطب[9]

وأبرزت كل خود[10] كاعب نُثرت[11] ... لها الرؤوس وقد زفت بلا طرب

باتت وقد جاورتنا ناشزا وغدت[12] ... طوع الهوى في يدي جيرانها الجنب

ظنوا بروج البيوت الشم تعقلهم[13] ... فاستعقلتهم ولم تطلق ولم تهب

---

(١) في الأصل من ، وما هنا من الفرات ج ٨ ، ص ١١٧

(٢) في ابن الفرات القصب ج ٨ ، ص ١٠٧

(٣) في الأصل وخطتها ، وما هنا من ابن الفرات ج٨ ، ص ١١٧

(٤) في الأصل كالمجانيق ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٧

(٥) في الأصل فبقت ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٧

(٦) في الأصل بحزبها ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٧٧

(٧) في الأصل وعفت ، وما هنا من ابن الفرات ج٨ ، ص ١١٧

(٨) في الأصل فارتفضت ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٧

(٩) في الأصل يطب ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١

(١٠) في الأصل جود ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٨ .

(١١) في ابن الفرات بترت ج ٨ ، ص ١١٨ .

(١٢) في ابن الفرات مانت ج ٨ ، ص ١١٨ .

(١٣) في الأصل يعقلهم ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٨ .

فأجزتهم ولكن للسيوف لكى ... لا يلتجى أحد منهم إلى هرب

وجالت[1] النار فى أرجائها وعلت ... فاظفأت ما بصدر الدين من كرب

أضحت أبا لهب تلك البروج وقد ... كانت بتعليقها حمالة الحطب

وأفلت[2] البحر منهم من يخبر من ... يلقاه من قومه بالويل والحرب

وتمت النعمة العظمى وقد ملكت ... بفتح صور بلا حصر ولا نصب

أختان فى أن كلا منهما جمعت ... صليبة الكفر لا أختان فى النسب

لما رأت أختها بالأمس قد خربت ... كان الخراب لها أعدى من الجرب

إن لم يكن ثم[3] كون البحر منصبغا ... بها إليها والألسن اللهب

فالله أعطاك ملك البر وابتدأت ... لك السعادة ملك البحر فارتقب

من كان مبدأه[4] عكا وصور معا ... فالصين أدنى إلى كفيه من حلب[5]

علابك الملك حتى إن قبته ... على الثريا غدت ممدودة الطنب

فلا برحت عزيز النصر مبتهجا ... بكل فتح قريب المنح مقترب

وعمل الشعراء فى هذا الفتح قصائد كثيرة ، اقتصرنا[6] منها ، على ما أوردناه ، فلنذكر خلاف ذلك .

(١) فى الأصل حالت ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٨ .

(٢) فى الأصل أفلت ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٨

(٣) لم يرد هذا البيت فى ابن الفرات ، والواضح أنه مكسور ولا يستقيم نظما .

(٤) فى الأصل مبدأ ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٨ .

(٥) فى الأصل جب ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٨ .

(٦) فى الأصل اختصرنا ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١١٨ .

ذكر القبض على الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنة بالشام

وفى هذه السنة ، والسلطان على حصار عكا ، قُبض على الأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، نائب السلطنة بالشام . وسبب ذلك ، أن الأمير علم الدين سنجر الحموى المعروف بأبى خرص[1] ، سعى إلى السلطان به ، ثم أوهم الأمير حسام الدين المذكور من السلطان ، وقال إنه قد عزم على القبض عليك ، فحمله الخوف على أنه ركب من الوطاق[2] بعكا ليلا ، وقصد الهرب . فركب الأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، وساق خلفه . فأدركه ، وقال له ، بالله لا تكن سبب هلاك هذا الجيش ، فإن هذا البلد قد أشرف [الناس[3]] على فتحه . ومتى علم الفرنج بهروبك ، قويت نفوسهم ، وركب العسكر خلفك ، وانصرفت عزائم السلطان عن حصار عكا إليك . فوافقه ، ورجع إلى خيمته ، وظن أن ذلك يستتر ، ولا يشعر السلطان به . وكان [ذلك][4] ، فى ثامن جمادى[5] الأولى . فلما كان فى اليوم الثانى من هذه الحادثة ، خلع السلطان عليه ، وطيّب قلبه ، ثم قبض عليه

---

(١) فى الأصل حرص ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٨ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٧ .

(٢) الوطاق ، وفى التركيه أوناق ، وأوطاق ، وأرتاغ ، لم يقصد بهذا اللفظ الخيمة فحسب ، بل يطلق على ما يتألف منه المعسكر من خيام انظر Dozy, Supp. Dict. Ar. Quatremère: op. Cit. I. P. 197

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٩ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٩ .

(٥) فى الأصل الأول ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٩ .

فى اليوم الثالث ، وجهّزه إلى قلعة صفد ، تحت الاحتياط ، ثم جُهّز منها إلى قلعة الجبل .

ذكر رحيل السلطان عن عكا ودخوله إلى دمشق وما قرره من أمر النيابة بها ، وبالكرك وغير ذلك

ولما قضى السلطان الوطر من فتح عكا وما يليها ، عاد إلى دمشق . فكان وصوله إليها ، فى الساعة الثالثة من يوم الاثنين ، ثانى عشر جمادى الآخرة ، ودخل دخولا ما دخله ملك قبله . وزينت البلد أحسن زينة ، ونزل بالقلعة . وفى يوم دخوله إلى دمشق ، فوض نيابة السلطنة بالشام [إلى](١) الأمير علم الدين سنجر الشجاعى المنصورى . ورتب الأمير جمال الدين أقش الأشرفى فى نيابة الكرك ، عوضا عن الأمير ركن الدين بيبرس الدوادارى المنصورى ، بحكم استعفائه من النيابة بها . وأقره السلطان فى جملة الأمراء بالديار المصرية(٢) .

وفى هذا اليوم ، قبض السلطان على الأمير علم الدين سنجر أرجواش المنصورى النائب بقلعة دمشق . وسبب ذلك ، أنه وقف بين يدى السلطان ، وكان الأمير شرف الدين [بن](٣) الخطير الرومى ، يكثر من البسط بين يدى السلطان على الأمراء وغيرهم . ويقصد بذلك أن يشرح خاطر السلطان ويضحكه . وكان السلطان فى بعض الأوقات ، ينظر إليه نظرا يفهم منه مراد السلطان فى البسط على من يشير إليه . فنظر إليه السلطان وأومأ إليه أن يبسط على أرجواش . فنظر ابن الخطير

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٩ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٧ .

(٢) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٩ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٩ .

إلى علم الدين أرجواش، وكان لا يعرف البسط ولا يعانيه، ولا يزال فى تصميم. فقال[1] ابن الخطير للسلطان: كان لوالد الملوك بالروم، حمار أشهب أعور، أشبه شيء بهذا الأمير علم الدين، فضحك السلطان، وغضب أرجواش، وقال هذه صبيانية، فاشتد غضب السلطان لذلك، وأمر بالقبض عليه. وضرب بين يدى السلطان ضربا كثيرا مؤلما. ثم أمر أن يقيد و يلبس عباءة، و يستعمل مع الأسرى، ففعل به ذلك. ثم رسم بحمله على خيل البريد، إلى الديار المصرية مقيدا. فتوجه البريدية به، وحصلت الشفاعة فيه، فرد من أثناء الطريق. ثم أفرج السلطان عنه، بعد أن أوقع الحوطة على موجوده، وكان يحتوى على جملة كثيرة من الأموال والعدد. وأعاده السلطان إلى نيابة القلعة، فى شهر رمضان، فاستمر بها إلى أن مات.

وفى يوم الأحد، ثامن عشر جمادى الآخرة، رتب السلطان الأمير شمس الدين سنقر الأعسر، فى شد الشام على عادته، وكان قد أفرج عنه قبل ذلك. ونقل الأمير سيف الدين طوغان، من الشد إلى ولاية البر، على عادته الأولى[2].

وفيها، فى يوم الأربعاء، ثانى عشر شهر رجب، ولى القاضى محيى الدين ابن النحاس نظر الشام، عوضا عن تقى الدين توبة، و بطل اسم الوزارة بدمشق. وولى شرف الدين أحمد بن عز الدين عيسى بن الشيرجى، نظر الحسبة، عوضا عن تاج الدين بن الشيرازى، فى ثانى عشر الشهر[3].

---

(١) فى الأصل مقال، وما هنا بين ابن الفرات جـ ٨، ص ١١٩.

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٢٠.

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٢٠، ثامن عشر.

ذكر فتوح برج صيدا

كان قد بقى بصيدا برج عاص[1]، فندب السلطان لحصاره، الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، فتوجه لذلك، فى يوم الثلاثاء رابع شهر رجب. ووصل إلى صيدا وحاصر البرج، وافتتحه فى يوم السبت، خامس عشر الشهر. وعاد الأمير علم الدين إلى دمشق، بعد فتحه، على خيل البريد، فوصل إليها عند رحيل السلطان إلى الديار المصرية، وذلك فى يوم الأربعاء تاسع عشر شهر رجب. وكان وصوله إلى قلعة الجبل، فى يوم الاثنين تاسع شعبان، ودخل من باب النصر وخرج من باب زويلة[2].

ذكر فتح بيروت

لما توجه السلطان إلى الديار المصرية، أمر الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، أن يتوجه إليها، فتوجه وافتتحها فى يوم الأحد ثالث عشرين شهر رجب. وذلك أن الأمير علم الدين سنجر وصل إليها، وكانت داخلة فى الطاعة، فتلقاه أهلها وأنزلوه بقلعتها. فأمرهم أن ينقلوا أولادهم وحريمهم وأثقالهم إلى قلعتها، ففعلوا ذلك، وظنوه شفقة عليهم. فلما صاروا بالقلعة، قبض على الرجال، وقيدهم وألقاهم فى الخندق، وملك البلد. وعاد الأمير علم الدين إلى دمشق، فوصل إليها، فى يوم الجمعة سابع عشرين شهر رمضان من السنة. ولم يبق بالساحل أجمع، من الفرنج أحد، وخلا الساحل بجملته منهم. ولم يتأخر بالبلاد

(١) فى الأصل وكذا فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٢١ برجا عاصيا، وما هنا هو الصواب لغويا.

(٢) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٢١.

[الشامية](١) غير فلاحيها النصارى ، وهم داخلون فى الذمة ، يؤدون الجزية .

ولما فتح السلطان هذا الفتح(٢) ، أوقف منه ضياعا على تربة والده السلطان الملك المنصور ، وهى : الكابرة من عكا ، وتل(٣) المفتوح منها ، وكردانه(٤) وضواحيها(٥) منها . ومن ساحل صور معركه ، وصريفين(٦) . وأوقف على تربته ضياعا ، وهى قرية(٧) الفرج من عكا ، وقرية شفرعمر منها ، وقرية الحمراء(٨) منها ، وقرية طبرنية(٩) من ساحل صور .

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢١ .

(٢) فى الأصل وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢١ الفتوح ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢١ تل المفشوخ ، وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٩ تل الميشوح .

(٤) فى الأصل كردانية ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢١ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٩ .

(٥) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢١ وطواحينها .

(٦) فى الأصل وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢١ صديقين ، وما هنا من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٩ .

(٧) فى الأصل قلعة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٨ .

(٨) فى الأصل الحميراء ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٩

(٩) فى الأصل طبرنته ، وما هنا من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٨ .

وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ ، هامش ٢ ما يلى : غير واضحة فى الأصل ، وفى السلوك (ص ٧٢٤ ق ، ص ٢٩) : « طبرشية » وقد تكون « طبردية » (المصحح) .

ذكر انفاذ ولدى السلطان الملك الظاهر ووالدتهما إلى بلاد الأشكرى[1]

وفى هـذه السنة ، أمر السلطان ، بإخراج ولدى السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، وهما الملك المسعود نجم الدين خضر ، والملك العادل بدر الدين سلامش ، من الاعتقال[2] ، وجهزهما ووالدتهما إلى ثغر الإسكندرية ، صحبة الأمير عز الدين أيبك الموصلى ، استاذ الدار العالية . فتوجه بهم ، وسفّرهم منها فى البحر المالح ، إلى القسطنطينية . فلما وصلاها ، أحسن الأشكرى إليهما ، وأجرى عليهما ما يقوم بهما و بمن معهما . فاتفقت وفاة الملك العادل بدر الدين سلامش هنا ، فصبّرته والدته بالصبرة[3] ، وجعلته فى تابوت ، ولم تدفنه ، إلى أن عادت به إلى الديار المصرية ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى[4] .

ذكر الإفراج عن الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى وغيره من الأمراء

وفى هذه السنة ، فى يوم الأربعاء ثامن عشر شعبان ، أمر السلطان بالإفراج عن الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى النجمى . وكان السلطان الملك

---

(١) الأشكرى ، وهو الأمبراطور البيزنطى ، وكان وقتذاك اندرونيكوس الثانى بالبولوغش (١٢٨٣ — ١٣٢٢) — انظر Camb. med. Hist. TV. P. 593 .

(٢) انظر ما سبق ص ٢٧ — ٢٩ من هذا الجزء (المصحح)

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٠ بالصبر .

(٤) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٠ .

المنصور ، قد اعتقله فى أوائل دولته ، كما تقدم ذكر ذلك[1] ، فأفرج السلطان عنه الآن . وكُتِب له إفراج شريف سلطانى[2] ، ونسخته بعد البسملة :

« الحمد لله على نعمه الكاملة ، ومراحمه الشاملة ، وعواطفه التى أضحت بها بدور الإسلام بازغة غير آفلة ، ومواهبه التى تجول وتجود وتحيى رميم الآمال [فى يومها][3] بعد رمسها بأمسها ، فى أضيق اللحود[4] ، ويقر لها بالفضل كل جحود » .

« أحمده حمدا يعيد سالف النعم ، ويفيد آنف الكرم الذى خص وعم . ونشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة تؤدى[5] حقوقها ونجتلب[6] عقوقها . ونشهد أن محمدا عبده ورسوله ، المبعوث بمكارم الأخلاق ، والموصوف بالعلم والحلم على الإطلاق ، صلاة لا تزال عقودها حسنة الانسياق ، ونسلم تسليما كثيرا » .

« وبعد ، فإن أحق من عومل بالجميل ، وبلغ من مكارم هذه الدولة القاهرة ، الرجا والتأميل ، من إذا ذكرت أبطال الإسلام ، كان أول مذكور . وإذا وصفت الشجعان ، كان إمام صف كل شجاع مشهور . وإذا تزينت سماء الملك بالنجم ، كان بدرها المنير . وإذا اجتمع ذوو الآراء على امتثال أمر ، كان

(١) انظر ص ٨٨ من هذا الجزء (المصحح) .
(٢) أورده أيضا ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .
(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .
(٤) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ (من اللحود) « المصحح » .
(٥) فى الأصل تؤدى وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .
(٦) فى الأصل يجتنب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .

خير مشير، و إذا عدت أوصاف أولى الأمر كان أكبر أمير . كم تجملت[1] المواكب بحلوله[2] بأعلى قدر ، وتزينت[3] المراتب منه بأبهى بدر . وهو المقر الأشرف العالى المولوى الأميرى[4] الكبيرى — وذكر القابه ، [فقال[5]] — البدرى بيسرى الشمسى الصالحى النجمى الملكى الأشرفى . فهو الموصوف بهذه الأوصاف والمدح[6] ، [و[7]] المعروف بهذه المكارم والمنح » .

« فلذلك ، اقتضى حسن الرأى الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى[8] الأشرفى الصلاحى ، لا زالت الكُرب فى أيامه تُكْشَف ، والبدور[9] تكتمى فى دولته الغراء ، إشراقا[10] ولا تخسف ، أن يفرج عنه فى هذه الساعة ، من غير تأخير ، و يمثل بين يدى المقام الأعظم السلطانى بلا استئذان نائب ولا وزير ، إن شاء الله تعالى » .

وجعل هذا الإفراج فى كيس أطلس أصفر ، وختم عليه بخاتم السلطان ،

---

(١) فى الأصل تحملت ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢

(٢) فى الأصل بانحلوله ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .

(٣) فى الأصل وترتبت ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .

(٤) لم ترد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ (المصحح) .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .

(٦) فى الأصل البدح ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .

(٧) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .

(٨) فى الأصل المالكى وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .

(٩) فى الأصل تكمى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ .

(١٠) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٢ شرفا .

وتوجه به إلى باب الجب[1] ، الأمير بدر الدين بيدرا ، والأمير زين الدين كتبغا ، وجماعة من أكابر الأمراء . وأخرج الأمير بدر الدين من الجب ، وقرىء عليه هذا الإفراج ، ورسم بكسر قيده ، واحضر له التشريف السلطانى . فقال [يسرى]: لايفك القيد من رجلى ، ولا ألبس التشريف ، إلا بعد أن أتمثل بين يدى السلطان ، وصمم على ذلك . فأعلم السلطان بذلك ، فرسم بفك قيده ، وأن يُحضَر إلى بين يدى السلطان بملبوسه ، الذى كان عليه فى الجب . فحضر إلى بين يدى السلطان ، فانتصب له قائما . وتلقاه وأكرمه ، وألبسه التشريف ، وأجلسه إلى جانبه ، وأنعم عليه بالأموال والأقمشة ، وأمّره لوقته ، بمائة فارس ، وأقطعه إقطاعا وافرا ، من جملته منية بنى[2] حصيب ، دريستا[3] بالجوالى والمواريث[4] الحشرية ، وقرّبه السلطان لديه ، وأدناه إليه . وكان يخلو به ويؤانسه ويبرّه ، ويضاعف له الإنعام ، حتى أن الأمير بدر الدين يسرى ، انتسب إلى الأشرفيه .

---

(١) الجب ، بئر بقلعة الجبل ، جرى اتخاذه سجنا للأمراء ، وكان المسجون يقاسى فيه ما هو كالموت أو أشد منه ، لأنه مظلم كريه الرائحة ، كثير الحشرات . (المقريزى ، المواعظ والأعتبار جـ ٢ ، ص ١٨٨ — ١٨٩) .

(٢) اورد ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ١٩٢ ، هذا الموضع ، بأقليم الأشمونين (محافظة المنيا الحالية) .

(٣) دريستا ، وبالرسم الفارسى دربسته ، ومعناها الجنة بأكملها . والمقصود هنا أنه جعل له هذه الناحية بأكملها . انظر Steingass : Persian- English Dictionary

(٤) المواريث الحشرية ، هى تركات من يموت ولا وارث له ، أو له وارث لايستغرق ميراثه ، وكان لها ديوان معروف باسم ديوان المواريث الحشرية ، اختص ناظره بكل ما يتعلق بها . انظر القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٥ ص ٢٣ .

وكان فيما مضى من عمره فى الأيام الظاهرية وغيرها ، يكتب بيسرى الشمسى ، فصار[1] يكتب بيسرى الأشرفى .

وفيها ، فى يوم الجمعة رابع شهر رمضان ، أفرج السلطان عن الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، والأمير ركن الدين بيبرس صقصوا[2] ، والأمير شمس الدين سنقر الطويل ، من الأعتقال ، وأمرهم على عادتهم[3] .

وفيها ، أمر السلطان بالقبض على الأمير علم الدين سنجر الداوادارى ، فقبض عليه من دمشق ، وجهز إلى الأبواب السلطانية مقيدا . وكان وصوله إلى قلعة الجبل فى يوم الخميس ، سابع عشر شهر رمضان .

ذكر عزل قاضى القضاة تقى الدين ابن بنت الأعز عن القضاء ومصادرته

وفى هذه السنة ، عزل السلطان قاضى القضاة ، تقى الدين عبد الرحمن ابن قاضى القضاة ، تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز . من منصب القضاء ، بالديار المصرية ، لأمور ، منها ما كان فى نفس الصاحب شمس الدين الوزير منه ، [ومنها أنه[4]] كان فى الدولة المنصورية ، يراعى خاطر الملك الصالح ،

(١) فى الأصل ، صار ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٣ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٦٩ — ٧٧٠ .

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٣ طقصوا . (المصحح) .

(٣) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٣ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٧٠ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٣ .

و يقدمه على الملك الأشرف . فذكر الوزير السلطان بذلك ، فعزله وانتدب لمرافعته[1] جماعة ، وشهد عليه آخرون بأمور برأه الله منها . وأوغلوا فى الكلام عليه ، ورموه بالعظائم . وكان محاشا منها[2] . فرسم عليه ، وصودر ، ونكل به .

وكان قصد الوزير الإحراق به ، بالضرب ، فحماه الله تعالى منه ، ثم تشفع[3] فيه الأمير بدر الدين بيدرا ، نائب السلطنة ، مع ما كان بينهما من الشحناء ، فأفرج السلطان عنه . وكان سبب هذه الشفاعة ، أن الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى ، أمير سلاح ، كان له اعتناء بقاضى القضاة تقى الدين ، فلما امتحن بهذه المحنة ، ورسم بمصادرته ، ضمّه إليه ، وعزم على سؤال السلطان فى أمره ، والشفاعة فيه . وكان السلطان قد قبض على الأمير سنجر الحموى ، المعروف بأبى خرص[4] ، وكان للأمير بدر الدين بيدرا به اعتناء ، فتحدث مع الأمير بدر الدين أمير سلاح ، أن يشفع فيه ، فاعتذر عن ذلك ، أنه يقصد أن يشفع فى قاضى القضاة ولا يمكنه أن يشفع فى اثنين فى وقت واحد . فاتفقا أن [الأمير][5] يشفع فى قاضى القضاة . وأمير سلاح يشفع فى أبى خرص . فشفعا فيهما . فأفرج عنهما[6] .

---

(١) فى الأصل ، لمرافقته ، وماهنا بين ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٦ .

(٢) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٣ .

(٣) فى الأصل يتقفع ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٧ .

(٤) فى الأصل حرص ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٧ . والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٧٣ .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٧ .

(٦) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٧ .

ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية
لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعى

لما عزل السلطان، قاضى القضاة تقى الدين عن القضاء، أشار الصاحب شمس الدين ابن السلعوس الوزير، بتفويض القضاء، للقاضى بدر الدين أبى عبد الله محمد ابن الشيخ برهان الدين أبى إسحاق إبراهيم بن أبى الفضل سعد الله ابن جماعة بن على بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله الكنانى الشافعى الحموى. وكان يتولى قضاء القدس الشريف والخطابة كما قدمنا. فاستدعاه الصاحب شمس الدين، فى يوم الأربعاء، تاسع شهر رمضان، فتوجه البريد إليه. وكان وصوله إلى القاهرة فى يوم الاثنين، رابع عشر شهر رمضان، سنة تسعين وستمائة. وكانت ولايته من قبل السلطان الملك الأشرف، فى يوم الخميس، سابع عشر الشهر. وفوض إليه مع القضاء، وتدريس المدرسة الصالحية، خطابة جامع الأزهر، وغير ذلك. وهذه ولاية قاضى القضاة بدر الدين الأولى[1].

وفى هذه السنة، فى شوال، أمر السلطان بإخراج الخليفة الحاكم بأمر الله أبى العباس أحمد، وأن يخطب للناس[2] بجامع القلعة، ويذكر السلطان فى خطبته. فخطب فى رابع عشرين شوال. وعليه شعار بنى العباس، وهو متقلد سيفا. فلما فرغ من الخطبة. لم يصل بالناس. وقدم قاضى القضاة بدر الدين، فصلى بهم صلاة الجماعة. واستمر يخطب بالقلعة، واستناب عنه بجامع الأزهر القاضى صدر الدين عبد البر ابن قاضى القضاة تقى الدين بن وزين.

---

(١) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٢٧.

(٢) فى الأصل له، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٢٨، والمقريزى: السلوك جـ ١، ص ٧٧٣ — ٧٧٤.

وفيها ، فى ليلة الإثنين ، رابع ذى القعدة أمر السلطان باجتماع القضاة والفقهاء والأعيان والقراء ، بتربة والده السلطان الملك المنصور ، فاجتمعوا . وبات نائب السلطنة والوزير بالقبة المنصورية فى تلك الليلة . فلما كان وقت السحر ، من يوم الجمعة ، وحضر السلطان والخليفة إلى التربة ، والخليفة لابس السواد ، وخطب الخليفة خطبة بليغة . حرض فيها على أخذ العراق ، وكان يوما مشهودا . وتصدق السلطان بصدقات وافرة ، وعاد هو والخليفة إلى قلعة الجبل[1] .

وكتب السلطان إلى دمشق أن يُعْمَلَ مهم[2] ، مثل ماعمل بالقبة المنصورية . فاهتم[3] الأمير علم الدين الشجاعى نائب السلطنة بدمشق بذلك . وجمع الناس له فى ليلة الإثنين ، حادى عشر الشهر ، بالميدان الأخضر ، أمام القصر الأبلق . واجتمع الناس لتلاوة القرآن ، من ظهر يوم الأحد إلى نصف الليل ، من ليلة الإثنين . ثم تكلم الوعاظ ، وانصرف الناس فى بكرة النهار[4] .

ذكر متجددات كانت بدمشق

فى هذه السنة ، فى شوال شرع الأمير علم الدين الشجاعى ، نائب السلطنة بدمشق ، فى عمارة آدر[5] بقامتها اقترحها السلطان عليه . واهتم بذلك ، وطلب الرخام

(١) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٩ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٧٤ .

(٢) فى الأصل منهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٩ .

(٣) فى الأصل فاهتم به ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١١٩ ، انظر مايلى .

(٤) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٩ .

(٥) آدر ، المنصوه بهذا اللفظ الدور السلطانية الواقعة بداخل القلعة بالقاهرة (المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ص ٢١٠ ، والقلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٣٧٦ .

من سائر الجهات . وكملت عمارة ذلك ، فى آخر سنة إحدى وتسعين .

وفيها ، فى تاسع شوال ، أمر السلطان الملك الأشرف بالقبض على الأمير سيف الدين قرارسلان[1] ، وجمال الدين أقوش الأفرم المنصوريين ، فقبض عليهما الأمير علم الدين الشجاعى واعتقلهما بالقلعة . وأقطع السلطان إقطاعيهما[2] للأميرين عز الدين أزدمر العلائى ، وشمس الدين سنقر المسّاح .

وفيها ، فى ثانى شوال ، أمر الأمير علم الدين الشجاعى ، بإحراب ما على جسر الزلابية بدمشق ، من الحوانيت ، وبإخراب جميع ما هو مبنى على نهر بانياس[3] ونهر المجدول من تحت القلعة ، إلى باب الميدان الأخضر ، وإلى الخانقاه ، فأخربت المسابيح[4] ودار الصناعة ، وبيوت ومساكن وخانات ودار الضيافة ، وحمام كان بنى للملك السعيد ، والمسابيح[5] التى على نهر بردى ، والسقاية التى تعرف بالعجمى ، وسقاية أرجواش ، ولم يبق غير المساجد[6] .

وفيها ، فى يوم الخميس ، ثالث عشر ذى الحجة ، زاد الأمير علم الدين [الشجاعى] فى الميدان الأخضر الصغير ، الذى فيه القصر الأبلق ، مقدار سدسه من جهة الشمال إلى قريب النهر ، حتى صار بين حائط الميدان والنهر مقدار ذراع ونصف ذراع بالعمل[7] . وقسم الحيطان على الأمراء والأجناد وبعض

(١) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٨ .

(٢) فى الأصل إقطاعهما وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٨ .

(٣) فى الأصل باقاس ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٨ .

(٤)،(٥) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٨ ، ولعلها المسابح .

(٦) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٨ .

(٧) ذراع العمل ، المقصود هو الذراع المتعارف عليه فى القياس . Dozy:Supp. Dict. Ar.

عوام البلد ، وعمل هو بنفسه ومماليكه ، فلم يوفر أحد نفسه من العمل ، فكانت عمارة ذلك فى يومين (١) .

وفيها ، فى العشر الآخر (٢) من ذى الحجة ، قبض على الشيخ سيف الدين الرجيحى (٣) وهو من ذرية الشيخ يونس . وجهز من دمشق إلى الباب السلطانى ، على خيل البريد .

وفى هذه السنة ، فى أوائلها ، كملت عمارة قلعة حلب . وكان الأمير شمس الدين قرا سنقر المنصورى ، نائب السلطنة بحلب ، قد شرع فى عمارتها فى الأيام المنصورية ، فكملت الآن ، وكتب عليها اسم السلطان الملك الأشرف . وكان هولاكو قد خربها كما تقدم ذكر ذلك (٤) .

وفيها ، فى يوم الخميس ، ثالث عشر رجب ، كانت وفاة الأمير بهاء الدين يمك (٥) الناصرى ، مقدم الميسرة بدمشق ، ودفن بسفح قاسيون ، بمقبرة الرباط الناصرى . وكان رجلا عاقلا قليل الاجتماع بالناس (٦) .

---

(١) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٩ .

(٢) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٩ .

(٣) كذا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٩ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٧٤ ، نسبة إلى رجيح ، موضع ببلاد العرب . ياقوت : معجم البلدان جـ ٢ ، ص ٧٥٦ .

(٤) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٩ كما قدمنا شرحه ، ولا تختلف كثيرا عن عبارة النويرى .

(٥) فى الأصل بك ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٤ .

(٦) درج ابن الفرات على أن يفرد للوفيات موضعا خاصا ، على حين أن النويرى ، أوردها فى خاتمة الأحداث .

وفيها ، كانت وفاة الأمير سابق الدين لاجين العادى ، رحمه الله تعالى . كان يتولى الأعمال القوصية قديما ، فى[1] الدولة المعزية ، إلى أوائل الظاهرية . وعمر بمدينة قوص مدرسة معروفة به . ثم ولى فى الدولة الظاهرية الأعمال الشرقية . وكانت وفاته بالقاهرة ، فى العشر الآخر[2] من شهر رمضان منها ، وذلك بعد عزله من الأعمال الشرقية ، وعمر نحو اثنتين وثمانين سنة . وكان دينًا خيرا ، كثير الصدقة والإحسان ، أمينا عفيفا ، ماسمع عنه ، أنه ارتكب معصية قط ، ولا شرب خمرا ، ولا ارتشى ، ولا أتى مكروها . وكان محترما عند الملوك . وأصله مملوك الصاحب عماد الدين ، وزير صاحب الجزيرة . ثم انتقل مع أستاذه فى أواخر الدولة الكاملية ، وتقدم فى الدولة الصالحية وما بعدها ، وولى الولايات . وكانت الولايات يومذاك لايصل إليها إلا أكابر الأمراء وثقاتهم ، رحمه الله[3] تعالى .

وفيها ، فى العشرين الأخر ، من شهر رمضان ، توفى الأمير علاء الدين أيدكين الصالحى ، نائب السلطنة بصفد بها ، رحمه الله[4] تعالى .

وفيها ، كانت وفاة الأمير سيف الدين قطز المنصورى . وكان من أكابر المماليك المنصورية ، وأكابر الأمراء . وكانت وفاته بحمص . وكان مجردا بها ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل على ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٣٣ .

(٢) كذا أيضا فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٣٣ .

(٣) انظر ترجمته فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٣٣ — ١٣٤ .

(٤) يقابل ما ورد فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٣٣ .

واستهلت سنة إحدى وتسعين وستمائة

[٦٩١ - ١٢٩١/١٢٩٢]

فى هذه السنة ، فى يوم الجمعة ، رابع عشر صفر ، وقع بقلعة الجبل حريق عظيم فى بعض الخزائن ، وأتلف شيئا كثيرا من الذخائر والنفائس والكتب[1] .

وفيها ، فى يوم الخميس ، حادى عشر شهر ربيع الأول ، أمر السلطان أن يجمع القراء والعلماء والأكابر ، بالقبة المنصورية ، لقراءة ختمة شريفة ، فاجتمع الناس لذلك . ونزل السلطان من القلعة ، لزيارة قبر والده ، وتصدق بأموال جزيلة .

وفيها ، فى تاسع عشرين شهر ربيع الأول ، فى يوم الجمعة ، خطب الخليفة الحاكم بأمر الله أبو العباس أحمد ، بجامع قلعة الجبل ، خطبة بليغة ، حث فيها على الجهاد ، وأمر بالنفير ، وصلّى بالناس الجمعة .

ذكر توجه السلطان إلى الشام[2]

وفى هذه السنة ، فى الساعة الثامنة من يوم السبت ، ثامن شهر ربيع الآخر استقل ركاب السلطان إلى جهة الشام ، بجميع العساكر . فوصل إلى دمشق ، فى يوم السبت سادس جمادى الأولى ، وأمر بالنفقة على جميع العساكر فى ثامن

---

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٥ ؛ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٧٧

(٢) هذا العنوان يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٥

الشهر ، ووصل صاحب حماه لتلقى السلطان[1] . ثم عرض السلطان الجيوش ، وقدمهم[2] أمام ركابه إلى جهة حلب ، وتوجه هو من دمشق فى الساعة الخامسة من يوم الاثنين ، سادس عشر جمادى الأولى ، ووصل إلى حلب فى ثامن عشرين الشهر[3] .

ذكر فتوح قلعة الروم وتسميتها قلعة المسلمين[4]

كان فتوح هذه القلعة ، فى يوم السبت ، حادى عشر رجب ، سنة إحدى وتسعين وستمائة . وذلك أن السلطان رحل من حلب بسائر العساكر المصرية والشامية ، فى رابع جمادى الآخرة ، ونزل على قلعة الروم ، يوم الثلاثاء ثامن الشهر وحاصرها وضايقها ، ونصب عليها عشرين منجنيقا ، خمسة منها إفرنجية ، وخمسة عشر قرابغا وشيطانية[5] . ورمى بالمجانيق ، وعملت النقوب ، فيسّر الله فتحها . وكانت مدة المقام عليها ، إلى أن فتحت ، ثلاثة وثلاثين يوما . وكان للأمير علم الدين الشجاعى فى فتحها النصيب الأوفى ، فإنه تحيلّ فى عمل سلسلة بالقرب من شرارف القلعة ، [وأوثق طرفها بالأرض ، فتمسك الجند بها ، وطلعوا إلى القلعة][6] . وكان ممن طلع إلى القلعة ، سيف الدين أقجبا ، أحد مماليك

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٦ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٧٧ ، وأبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٥ ، ص ١٠٢

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٦ وقدم الجيش الشامى أمام ركابه إلى حلب .

(٣) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٦ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٧٧ — ٧٧٨

(٤) العنوان يتفق مع ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٦

(٥) أنواع المجانيق — انظر ما سبق ص ٤٧ حاشية ٢

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٦ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٧٨

الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى ، أمير سلاح ، ولم يكن من أعيان مماليكه ، بل كان فى خدمة ولده صلاح الدين خليل . فتحيل وطلع إلى سور القلعة ، وقاتل قتالا شديدا ، وجرح ثم رجع ، والسلطان ينظر إليه . فسأل عنه ، فعرف به ، فأرسل إليه خلعة ، وأنعم عليه بمال ، ووعده بإقطاع ، وأمر أستاذه الأمير بدر الدين ، أن يذكر السلطان به ، إذا عاد إلى حلب ، فلم يفعل . ثم صار بعد ذلك ، من جملة مقدمى الحلقة . وتأمر بعد ذلك ، فى سنة تسع عشرة وسبعمائة بطبلخاناة ، وتولى عمل الفيوم من الديار المصرية . وفتحت القلعة عنوة[1] ، وقتل من كان بها من المقاتلة ، وسبيت النساء والذرية ، ووجد فيها بطرك الأرمن ، فأخذ أسيرا . ومحا السلطان عن هذه القلعة ، تسميتها بالروم ، وسماها قلعة المسلمين . ووصل إلى الزردخاناة السلطانية ، من الأسرى ألف أسير ومائتا أسير . واستشهد عليها من الأمراء : الأمير شرف الدين بن الخطير ، وشهاب الدين بن ركن الدين أمير جاندار . ورتب السلطان الأمير علم الدين الشجاعى لعمارة القلعة ، وأمره بإخراب ربضها وإبعاده عنها . فتأخر لذلك ، وصحبته عسكر الشام[2] .

ولما تم هذا الفتح ، أنشئت كتب البشائر إلى الممالك . وكان مما كتب إلى دمشق ، كتاب عن السلطان إلى قاضى القضاة شهاب الدين الحلوبى[3] ونسخته :

---

(١) المطابقة تكاد تكون تامة بين النويرى وابن الفرات جـ ٨ : ص ١٣٦ — ١٣٧

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ : ص ١٤١ — ١٤٢ : والمقريزى : السلوك حـ ١ : ص ٧٧٨

(٣) فى الأصل الجوبى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ص ١٣٦ وفى تاريخ سلاطين المماليك ص ١٠ : ابن الخوبى . ولعله ينتمى الى خوى ، من مدن أذربيجان . انظر ، بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة — جـ ٨ : ص ٥٤ حاشية ٣

بسم الله الرحمن الرحيم ، أخوه خليل بن قلاوون .

صدرت هذه المكاتبة إلى المجلس السامى ، القاضى الأجل ، — وذكر القابه ونعوته — . خصه الله بأنواع التهانى ، وأتحفه بالمسرات التى تُعَوِّذُ بالسبع المثانى . وأورد على سمعه ، من بشائر نصرناوظفرنا ، ما يستوعب فى وصفه ومدحه الألفاظ والمعانى .

نبشره[1] بفتح ماسطرت الأقلام إلى الأقاليم أعظم من بشائره ، ولا نشرت برد المسرات ، بأحسن من إشارته وأشائره . ولا تفوهت ألسنة خطباء هذا العصر على المنابر ، بأفصح من معانيه ، فى سالف الدهر وغابره ، وهو البشرى بفتح[2] قلعة الروم ، والهنا لكل من رام بالإسلام نصرا ببلوغ مارام وما يروم . [وَقُصَّ] أحسن قصص هذا الفتح المبين ، والمنح الذى تباشر به سائر المؤمنين ، ونُساوى فى الإعلان والإعلام به كل من قرّ عينا من الأبعدين والأقربين . ونخصّ بمسرى مبشراته الحكام ليعّموا بنشرها عامة الناس . ونفرض لكل ذى مرتبة عليّه منه نصيبا يجمع من الابتهاج والأنواع والأجناس . وذلك أنا ركبنا لغزوها ، من مصر ، وقد كان من قبلنا من الملوك ، يستبعد مداها ، وينادبها فلا يجيب إلا بالصد والإعراض صداها ، ويسائل عن جبالها[3] ، فتحيل فى الجواب على النسور المهومة ، ويستشير[4] أولى الرأى فى حصرها ، فلا يسمع إلا الأقوال المتلوبة والأراء

(١) فى الأصل تبشره ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٧ .

(٢) فى الأصل وابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٧ ، ومن ، وما هنا به يستقيم المعنى

(٣) فى الأصل خبائها ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٧ . وفى تاريخ سلاطين المماليك ص ١١ .

(٤) فى الأصل يستبشر ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٧ .

المتلومة ، ومازلنا نصل السرى[١] ، ونرسل الأعنة إلى نحوها ، فتمد الجياد أعناقها إليها مدا ، ينقطع بين قوتها وقوته السير . واستقبلنا من جبالها[٢] كل صعب المرتقى ، وعر[٣] المنتقى ، شاهق لا يلقى[٤] به مسلك ولا يلتقى . فما زالت العزائم الشريفة تسهل[٥] حزونه ، والشكائم تفجر[٦] بوقع السنابك على حجارته[٧] عيونه[٨] ، والجياد المطهمة ترتقى ، مع امتطاء متونها بدروع الحديد متونه . فلما أشرف عليها منا أشرف سلطان ، جعل جبلها دكا ، وحاصرناها حصارا ألحقها بعكا وأخواتها ، وإن كانت أحصن من عكا . ونصبنا عليها عدة مجانيق تنقض حجارتها انقضاض النسور ، وتقبض[٩] الأرواح من الأجسام وإن ضرب بينها وبينهم بسور ، وتفترس أبراجها بصقور صخور افتراس الأسد الهصور . هذا والقلوب تسرى فى بدناتها سريان الخيال ، وإن كانت جفونها المسهدة ، وعمدها الممددة وحفظتها المجندة ، ورواسيها على جبل الفرات موطدة . وقد خندقوا عليها خندقا

(١) فى الأصل اليسرى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ وتاريخ سلاطين الممالك ص ١١ .

(٢) فى الأصل حباتها ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(٣) فى الأصل وعز ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(٤) فى الأصل يلتقى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(٥) فى الأصل تسهل ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٧ ، وتاريخ سلاطين الممالك ص ١١ .

(٦) فى الأصل تجرى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، وتاريخ سلاطين الممالك ص ١١ .

(٧) فى الأصل حجارتها . وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(٨) فى الأصل عيونه ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(٩) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، وتقتنص .

جرت فيه الفرات من جانب ونهر مرزبان من جانب، ووضعها واضعها على رأس جبل يزاحم الجوزاء بالمناكب ، وسفح صرحها الممدد فكأنه عرش لها على الماء وإذا رمقها طرف رائيها اشتبهت عليه بأنجم السماء . وما زالت المضايقة تقص(١) من حبلها(٢) أطرافه ، وتستدر بحابها(٣) أخلافه(٤) ، وتقطع بمسائل جلاد معاولها وجدالها خلافه . وتورد عليها من مهامها كل إيراد لايجاوب إلا بالتسليم ، وتقضى عليها بكل حكم لاتقابل توبته إلا بالتحكيم .

ولما أذن الله بالفتح الذى أغلق على الأرمن والتتار أبواب الصواب، والمنح الذى أضفى(٥) على أهل الإيمان من المجاهدين أثواب الثواب . فتحت هذه القلعة بقوة الله ونصره ، فى يوم السبت حادى عشر شهر رجب الفرد . فسبحان من سهل صعبها ، وعجل كسبها ، وأمكن منها ومن أهلها ، وجمع شمل الممالك الإسلامية بشملها . فالمجلس السامى يأخذ خطه من هذه البشرى ، التى بشرت بها ملائكة السماء ، ملك البسيطة وسلطان الأرض . وتكاثر على شكرها كل من أرضى الله طاعة وأغضب من لم يرض، من ذوى الإلحاد(٦)، وممن حاد الله [و] حاد،

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، تقص .

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ جبلها .

(٣) فى الأصل وتسد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، وتاريخ سلاطين الممالك ص ١١ .

(٤) فى الأصل عليها ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، وتاريخ سلاطين الممالك ص ١١ .

(٥) فى الأصل أصفى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، وتاريخ سلاطين الممالك ص ١٣ .

(٦) فى الأصل الايجاد ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، وتاريخ سلاطين الممالك ص ١٢ .

وممن ينتظر من هذا الإيعاز[1] إنجاز الإبعاد ، فلا ينجيه الإمضاء[2] هربا ولا الإبعاد . فإنه بفتح[3] هذه القلعة وتوقلها[4] ، وحيازة ثغرها ومعقلها ، تحقق من بسيحون وجيحون ، أنهم بعد فتح باب الفرات ، بكسر أقفال هذه القلعة لا يرجون أنهم ينجون[5] .

وما يكون بعد هذا الفتح ، إن شاء الله إلا فتح المشرق والروم والعراق ، وملك البلاد من مغرب الشمس إلى مطلع الإشراق . والله تعالى يمدنا من دعواته الصالحه ، بما تعدو به مقود الآمال حسنة الاتساق ، إن شاء الله .

كتب يوم الفتح المبارك سنة إحدى وتسعين وستمائة ، حسب المرسوم الشريف[6] .

وكُتب عن الأمير علم الدين الشجاعى ، نائب السلطنة بدمشق ، إلى قاضى القضاة ، شهاب الدين الحوبى[7] أيضا . وهو من إنشاء الفاضل شرف الدين القدسى ، ما مثاله بعد البسملة :

---

(١) فى الأصل الإبعاد وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٢ .

(٢) فى الأصل الإنضاء ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٢ .

(٣) فى الأصل يفتح ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(٤) فى الأصل توقلها ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(٥) فى الأصل يرجون ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ .

(٦) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٢

(٧) فى الأصل الحوبى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٨ ، وفى تاريخ سلاطين المماليك ص ١٣ شهاب الدين بن الحوبى .

ضاعف الله مسار الجناب العالى المولوى الفضائى الشهابى — وذكر القابه ونعوته — ولا زالت وفود البشائر إليه تترى ، وعقود التهانى تُنَصّ[1] إليه نظما ونثرا . وفواتح الفتح تتلى عليه لكل آية نصر يسجد لها القلم فى الطرس شكرا ، وتشتمل على أسرار الظفر فيأتى الإسماع من غرابتها بما لم يحط به خبرا[2] . وتتحفه[3] بظهور أثر المساهمة فتهدى إليه سرورا وأجرا .

المملوك يستفتح من حمد الله على ما منح من آلائه ، وفتح على أوليائه ، ووهب[4] من الإعداء على أعدائه ، ويسرّ من الظفر الذى أيد فيه بنصره وأمدّ بملائكة سمائه ، ما يستديم الإنجاد بحوله ، ويستزيد به الأمداد من فضله وطوله . ويوالى[5] من الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ما يستدر[6] به أخلاف الفتوح ، ويسترهف بيمنه الصوارم التى هى على من كفر بالله ورسوله دعوة نوح . ويهدى من البشائر ما تختال به أعطاف المنابر سرورا ، ويتعطر بذكره أفواه المحابر حبورا ، وترشف[7] الأسماع موارد وارده ، فيستحيل فى قلوب الأعداء

(١) فى الأصل تنفض ، وفى تاريخ سلاطين المماليك ص ١٣ تفضى لديه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٢٨ .

(٢) فى الأصل بها ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٣ .

(٣) فى الأصل ، ويتحفه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ .

(٤) فى الأصل ووهب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٣ .

(٥) فى الأصل وتوالى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ .

(٦) فى الأصل يسترد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ .

(٧) فى الأصل ويرشف ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ .

نارا وفى قلوب الأولياء نورا . ويبادر مساهمة الحاضر فى استماحه كل بادٍ[1] فينقلب إلى أهله مسرورا .

وينهى أنه أصدرها والنصر قد خفقت بنوده ، وصدقت وعوده ، وسار بمختلفات البشائر فى كل قطر بريده . والأعلام الشريفة السلطانية ، قد امتطت من قلعة الروم صهوة لم تذل لراكب . وحلت من قننها[2] وقلتها بين الذروة والغارب . وأراقت استها من دمائهم ما ترك الفرات[3] لايحل[4] لشارب . ومد الأيمان بها أطنابه ، وأعجلت السيوف المنصورة الشرك أن يضم للرحلة أثوابه . واستقرت بها قدم الإسلام ثابتة إلى الأبد ، وقتلت بأرجائها ، سيوف أهل الجمعة ، حتى رق أهل السبت لأهل[5] الأحد . وأذهب الله عنها التثليث حتى كاد حكم الثلاثة أن يسقط من العدد ، وتبرأ منهم من كان يغرهم بامداده ، حتى الفرات لمجاورتهم ، ودت النقص خوفا أن يطلق على زيادتها اسم المدد . ونطق بها الأذان فخرس[6] الجرس . وعلت بها كلمة الإيمان ، فاضحت لها بعد الإبتذال آية الحرس . وأسمعت دعوة الحق ما حولها من الجبال فسمعت وهى الصم ، ولبت الداعى بلسان الصدى الناطق عن شوامخها الشم .

(١) فى الأصل باد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٣ .

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ قبتها .

(٣) فى الأصل الفرات ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ .

(٤) فى الأصل لاتحل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ .

(٥) فى الأصل لأحد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٣ .

(٦) فى الأصل يجرس ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٣ .

وكانت هذه القلعة المذكورة للثغور الإسلامية بمنزلة الشجى فى الحلق[1]، والغلة فى الصدر، والحسوف الطارئ على طلعة البدر. لاتخلو من غل تضمره، فى لين تظهره، وغدر تستره، فى عذر تورده وتصدره. وقد سكن أهلها إلى مخادعة الجار، ومواددة التتار، ومجاراتهم على الإسلام بالنفس والمال، ومساواتهم لهم حتى فى الزى والحال. يمدونهم بالهدايا والألطاف، ويدلونهم على عورات الأطراف. وهم يتقون بمسالمة الأيام، ويدعون أن قلعتهم لم تزل من الحوادث فى زمام، ويغترون بها. ولولا السطوات الشريفة، لحق بمثلها أن يغتر. ويسكنون إلى حصانتها كلما أومض فى حلك[2] السحب برق ثغرها المفتر.

وهو حصن صاعد منحدر، بارزه مستدير، لايطأ إليه السالك إلا على المحاجر، ولاتنظره العيون حتى تبلغ[3] القلوب الحناجر، كأنه فى ضمائر الجبال حب يقتل وهو كامن، ويجرف الظاهر وهو باطن. قد أرخت عليه الجبال الشواهق ذوائبها، ومدت عليه الغمائم أطنابها ومضاربها. وقد تنافست فيه الرواسى الرواسخ فأخفاه بعضها عن بعض وتقاسمته العناصر فهو للنكاية والرفعة والثبات ومجاورة الفرات مشترك بين النار والهواء والماء والأرض. وقد امتدت الفرات من شرقيها كالسيف فى كف طالب ثأر، واكتنفها من جهة الغرب نهر آخر استدار نحوها كالسور وانعطف معها كالسوار. وفى قنة[4] قلتها جبل يرد الطرف وهو كليل،

(١) فى ابن الفرات، جـ ٨، ص ٣٩. العبارة هكذا: بمنزلة الشجى فى الحلق والنشوة فى الحلق والعلة. (المصحح).

(٢) فى الأصل حلل، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ص ١٣٩

(٣) فى الأصل تبلغه، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٣٩.

(٤) فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٣٩ قنة

ويصل[1] النظر إلى تخيل[2] هضابه فلا يهتدى إلى تصورها بغير دليل ، وكذلك من شرقها وغربها ، فلا تنظرها الشمس وقت الشروق[3] ، ولا يشاهد بها [القمر] وقت الأصيل . وحولها من الأودية خنادق لا يعرف فيها الهلال إلا بوصفه ، ولا الشهر إلا بنصفه .

وأما الطريق إليها فيزل[4] الذرعن متنها . ويكل طرف الطرف عن سلوك سهلها فضلا عن حزنها . وبها من الأرمن عصب جمعهم التكفور[5] ، ومن التتار فرق زيادتهم للتغوير[6] ، قد بذلوا دونها النفوس ، وتدرعوا للذب عنها لبوس .

---

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ يصل .

(٢) فى الأصل يخيل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٤ .

(٣) عبارة « وقت الشروق ... » وردت فى ص ٨٧ من المتن الأصلى بدلا من ص ٦٧ . وترتب على ذلك أن اختل السياق بين ص ٦٧ ، ٨٧ ، ولذا جرى ترتيب الصفحات ، بما يتفق مع الترتيب الزمنى للأحداث ، وهنا وضحت أهمية ابن الفرات فى تقويم العبارات وتنظيمها .

(٤) فى الأصل فـزل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٤ .

(٥) فى الأصل تربها ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٤ .

(٦) فى الأصل ، وابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ التكسير ، وما هنا من تاريخ سلاطين المماليك ص ١٤ .

والتكفور لفظ أرمنى ، أصله Tayavor ، ومعناه الملك . ولم يطلقه المؤرخون العرب فحسب على ملوك سيس (أرمينيا الصغرى) ، بل قصدوا به أيضا الأباطرة البيزنطيين فى القسطنطينية ، انظر Dozy: Supp: Dict. Ar.

(٧) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ التصوير .

وأقدموا على شرب كأس الحمام ، خوفا أن يكفرهم التكفور ؛ ويحرمهم خليفتهم الحاكم بها ، كتبغا نميكوص[1] . وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم ، وفسح فى ميدان الضلالة آمالهم ، فلما تراءت الفئتان ، نكص على عقبية ، وترك[2] كلا منهما يعض من الندم يديه . وحين أمر مولانا السلطان ، خلّد الله سلطانه ، الجيوش المنصورة بالنزول عليها ، والهجوم من خلفها ومن بين يديها ، ذللت مواطىء جيادها صهوات تلك الجبال . وأحاطت بها من كل جانب إحاطة الهلال بالهلال . وسلكوا إليها تلك المخارم[4] ، وقد تقدمهم[5] الرعب هاديا وأقدموا على [قطع[6]] تلك المسالك والمهالك ، بالأموال والأنفس ، ثقة بأنهم لا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ، ولا يقطعون واديا . فلم يكن بأسرع من أن طار إليهم الحمام[8] ، فى أجنحة السهام . وخضبت[7] الأحجار تلك الغادة العذراء للضرورة ،

---

(١) كذا فى الأصل . وفى تاريخ سلاطين المماليك ص ١٥ ، كيتغا نميكوص

(٢) فى الأصل وزل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥ .

(٣) فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ منهم ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) فى الأصل المحارم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ص ١٤٠ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥

(٥) فى الأصل تقدم منهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥ .

(٧) فى الأصل خصبت ، وما هنا بن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥

(٨) فى الأصل العادة العدراء ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥

والضرورات أحكام . وأزالت النقابة[1] عنها نقاب احتشامها ، ودبّت فى مفاصلها دبيب السقم فى عظامها ، مع أنها مستقرة على الصخر الذى لا مجال فيه للحديد ، ولكن الله أعز بالنصر سلطاننا فجاءت أسباب الفتح على ما يريد . وأقيمت المجانيق المنصورة أمامها فأيقنوا بالعذاب الأليم ، وشاموا بروق الموت من عواصف أحجارها التى ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم . وساهموها صلاة الخوف ، فلسهامهم الركوع ، ولبروجهم السجود ، ولقلعتهم التسليم . ولم تزل تشن عليهم غارة بعد غارة ، وتسقيهم على الظمأ صوب[2] أحجارها ، وإن من الحجارة ، وهى مع ذلك تظهر الجلد والجلد ، وتغضب غضب الأسير على القد . وتخفى ما تكابد من الألم ، وتشكو بلسان الحال شكوى الجريح إلى العقبان والرخم ، إلى أن جاءت[3] من الأنجاد[4] ما كانوا يأملون . وسطت مجانيقنا[5] على مجانيقهم فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون ، وكلما سقطت أسوارها ، وتهتكت بيد النقوب[6] أستارها ، وتوهم الناظر أنها هانت ، رآها المباشر فى تلك الحالة

(١) فى الأصل إزالة وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠

(٢) فى الأصل صوت وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥

(٣) فى الأصل خاب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥

(٤) فى الأصل الإيجاد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١

(٥) فى الأصل مجانيقهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١

(٦) فى الأصل النقوب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥

أشد ما كانت ، وثبتت على الرمى والارتماء ، وعزّت[1] على من اتخذ نفقا فى الأرض أو سلّما فى السماء ، واستغنت بمكان السور ، وانقضت أحجارها على أسوار الحرب انقضاض النسور .

وكان الفتح المبارك فى صباح يوم السبت ، حادى عشر رجب الفرد ، سنة إحدى وتسعين وستمائة بالسيف عنوة . فشفّت[2] الصوارم من أرجاس الكفر العلل[3] بقمع[4] العدى وكبتها . وسطا خميس الأمة يوم السبت ، على [أهل][5] يوم الأحد ، فبارك الله لخميس الأمة فى سبتها .

فليأخذ [القاضى][6] من هذه البشرى ، التى أصبح الدين بها عالى المنار ، بادى الأنوار . ضارب مضارب دعوته على الأقطار ، ذاكرا بموالاة[7] الفتوح أيام الصدر الأول من المهاجرين والأنصار . وليشعها على رءوس الإشهاد

(١) فى الأصل وعزب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٥

(٢) فى الأصل فسقت ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٦

(٣) فى الأصل الفلل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٦

(٤) فى الأصل بقمع ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٦ .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٦

(٦) الإضافة يتطلبها السياق .

(٧) فى الأصل موالات ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٦

ويجعلها فى صحف الفتوح السالفة بمنزلة المعنى فى القرينة والمثل فى الاستشهاد ، ويمد الجيش بهمته التى تهف الهمم ، وأدعيته التى تساعد الساعد وتؤيد اليد وتقدم القدم . ويشارك بذلك فى الجهاد حتى يكون فى نكاية الأعداء على البعد كسهم أصاب ورامية بذى سلم . ويستقبل من البشائر بعدها ما تكون له هذه بمنزلة العنوان فى الكتاب ، والأحاد فى الحساب ، وركعة النافلة بالنسبة إلى الخمس ، والفجر الأول قبل طلوع طلعة الشمس .

والله تعالى يجعل شهاب فضله لامعا ، ونور علمه فى الأفاق ساطعا ، ويتحفه من مفرقات[1] التهانى بكل ما يغدو[2] لشمل المسرات جامعا ، إن شاء الله تعالى . كتب فى يوم الفتح المذكور[3] .

وكتب غير ذلك من كتب البشائر ، اقتصرنا منها على ما أوردناه[4] .

ثم رحل السلطان من قلعة الروم إلى حلب ، فأقام بها بقية شهر رجب ، ونصف شعبان . وعزل الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى عن نيابتها ، ورتب بها الأمير سيف الدين بلبان الطباخى المنصورى . وجعل الأمير ضن الدين أيبك الموصلى شاد الدواوين .

---

(١) فى الأصل تقربات وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٦ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٦

(٢) فى الأصل بعد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ١٦

(٣) هذه الرواية باكملها تقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٣٩ — ١٤١

(٤) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤١

وقيل إنه ولاه قلعة الروم[١] وما جمع إليها ، فامتنع من قبول هذه الولاية . فغضب السلطان وأمر بالقبض عليه ، وفوض ذلك إلى الأمير جمال الدين أقش الفارسى فبقى بها أياما وتوفى ، فأعاد السلطان الأمير عز الدين الموصلى . ورحل السلطان عن حلب إلى دمشق ، فكان وصوله إليها ، فى يوم الثلاثاء العشرين من شعبان فأقام بها بقية شعبان وشهر رمضان وبعض شوال .

وفيها ، حصل لجمال العسكر مرض ، سلّت منه حتى جافت الوطاقات منهـا . ولم يجد الأمراء من الجمال مايحملون عليه أثقالهم ، فحملوها على البغال والأكاديش .

ذكر توجه الأمير بدر الدين بيدرا وبعض العساكر إلى جبال الكسروان واضطراب العسكر

وفى هذه السنة ، فى شعبان توجه الأمير بدر الدين بيدرا بمعظم العساكر المصرية ، وصحبته من الأمراء الأكابر ، الأمير شمس الدين سنقر الأشقر ، والأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، والأمير بدر الدين بكتوت الأتابكى ، والأمير بدر الدين بكتوت العلائى وغيرهم ، وقصد جبال الكسروان . وأتاهم من جهة الساحل ، الأمير ركن الدين بيبرس طقصوا ، والأمير عز الدين أيبك الحموى وغيرهما . والتقوا بالجبل ، وحضر [إلى][٢] الأمير بدر الدين بيدرا من أثنى[٣] عزمه . وكسر حدته . فحصل الفتور فى أمرهم ، حتى تمكنوا من بعض

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٠ قلعة المسلمين

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٢

(٣) فى الأصل أنى ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٢

العسكر ، فى تلك الأوعار ، ومضايق الجبال ، فنالوا منهم . وعاد العسكر شبه المنهزم ، وطمع أهل تلك الجبال ، فاضطر الأمير بدر الدين إلى إطابة قلوبهم والإحسان إليهم . وخلع على جماعة من أكابرهم ، فاشتطوا فى الطلب ، فأجابهم إلى ما التمسوه ، من الإفراج عن جماعة منهم ، كانوا قد اعتقلوا بدمشق ، لذنوب وجرائم صدرت منهم . وحصل للكسروان من القتل والنهب والظفر ، مالم يكن فى حسابهم . وحصل للأمراء والعسكر من الألم لذلك ، ما أوجب تصريح بعضهم بسوء تدبير الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة ، ونسبوه إلى أنه إنما أهمل أمرهم ، وفتر عن قتالهم ، حتى تمكنوا مما تمكنوا منه لطمعه ، وأنه تبرطل منهم وأخذ جملة كثيرة ، ولهج الناس بذلك . وتوجه الأمير بدر الدين بيدرا بالعساكر إلى دمشق . فتلقاه الملك الأشرف ، وأقبل عليه وترجل لترجله عند السلام [عليه](١) . فلما خلا به ، أنكر عليه سوء اعتماده وتفريطه فى العسكر ، فعرض لذلك ، حتى أشاع(٢) الناس أنه سقى . ثم عوفى فى العشر الأوسط من شهر رمضان ، فتصدق السلطان بجملة كثيرة ، شكرا لله تعالى على عافيته ، وأطلق جماعة كثيرة ممن كان فى السجون . وتصدق هو أيضا بجملة ، ونزل عن كثير مما كان قد اغتصبه من أملاك الناس ، بالإيجار(٣) الذى هو على غير الوجه الشرعى . وجمع العلماء والقضاة والقراء والمشايخ ، فى العاشر من شهر رمضان ، بالجامع بدمشق لقراءة ختمة . وأشعل(٤) الجامع فى هذه الليلة ، كما

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٣

(٢) فى الأصل شنع ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٣

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٣ بالانجار

(٤) فى الأصل أشغل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٣

يشغل[1] فى نصف شعبان .

ذكر هرب الأمير حسام الدين لاجين والقبض عليه واعتقاله ، والقبض على طقصوا[2]

وفى هذه السنة ، فى ليلة عيد الفطر ، هرب الأمير حسام الدين لاجين من داره بدمشق . فنودى عليه ، من أحضره فله ألف دينار ، ومن أخفاه شنق . وركب السلطان فى خاصكيته وجماعة من الأمراء . وترك سماط العيد ، وساق فى طلبه ، وعاد بعد العصر ، ولم يظفر به[3] .

واتفق أنه التجأ إلى طائفة من العرب كان يثق بصحبتهم . فقبضوا عليه وجيء به إلى السلطان فاعتقله . وقبض أيضا على الأمير ركن الدين بيبرس طقصوا ، وجهز إلى قلعة الجبل . وكان السبب فى القبض على طقصوا ، أنه كان قد تكلم على الأمير بدر الدين بيدرا . وقال إنه ارتشى من الكسروان . فوجد بيدرا عليه ، وأسرها فى نفسه ، وتربص به الدوائر . فلما قبض على الأمير حسام الدين لاجين ، خاطب بيدرا السلطان فى القبض على طقصوا ، لأن لاجين كان قد تزوج ابنته ، فقبض عليه .

ذكر تفويض نيابة السلطنة بالشام والفتوحات وعود السلطان إلى الديار المصرية

وفى هذه السنة ، فوض السلطان نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير عز الدين أيبك

(١) فى الأصل يشغل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٣

(٢) فى الأصل تقصو ، وما هنا هو الرسم المعروف فى كل المصادر المعاصرة ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٣

(٣) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٤

الحموى الظاهرى، عوضا عن الأمير علم الدين سنجر الشجاعى. وفوّض نيابة السلطنة بالفتوحات[1] للأمير سيف الدين طغريل الإيغانى[2]، عوضا عن الأمير سيف الدين بلبان الطباخى، بحكم انتقاله إلى نيابة السلطنة بالمملكة الحلبية كما تقدم[3]. ثم عاد السلطان إلى مقر ملكه بقلعة الجبل. وكان رحيله من دمشق، فى الثلث الآخر من ليلة الثلاثاء عاشر شوال. وكان قد رُسم لأهل الأسواق بدمشق أن يخرج كل واحد منهم، وبيده شمعة يوقدها، عند ركوب السلطان، فخرجوا بأجمعهم. ورتبوا من باب النصر [أحد أبواب دمشق][4]، إلى مسجد القدم. ولما ركب السلطان، اشتعلت تلك الشموع، وساق وهى كذلك إلى نهاية ذلك الجمع. وكان وصول السلطان إلى قلعة الجبل، فى يوم الأربعاء ثانى ذى القعدة.

ذكر عدة حوادث

كانت فى خلال فتح قلعة الروم وقبله وبعده

فى هذه السنة، فى أواخر شهر ربيع الآخر، ورد البريد من الرحبة إلى دمشق، يخبر أن طائفة من التتار، أغاروا على ظاهر الرحبة، واستاقوا مواشى كثيرة. فجرد نائب السلطنة إليها جماعة من عسكر دمشق، فى ثامن عشرين الشهر[5].

---

(١) الفتوحات، المقصود بالفتوحات ما استولى عليه السلطان من الصليبيين من الممتلكات مثل طرابلس وحصن المرقب وما إليها، وجعل منها نيابة خاصة.

(٢) فى الأصل الإيغانى، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٤٤.

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٤٤ كما قدمنا شرحه.

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٤٥

(٥) على الرغم من التوافق بين النويرى وابن الفرات فى الروايات، غير أن الاختلاف واضح بينهما فى ترتيبها. النويرى اهتم أولا بإيراد الأحداث الهامة، دون أن يراعى فيها الترتيب الزمنى، بينما التزم ابن الفرات الترتيب الزمنى فى رواية الأحداث — انظر ابن الفرات جـ ٨، ص ١٣٥.

وفيها ، فى العشر الأوسط من جمادى الأولى ، تزوج الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، بابنة الصاحب شمس الدين بن السلعوس ، على صداق مبلغه ألف دينار وخمسمائة دينار عينا ، عجّل من ذلك خمسمائة دينار .

وفيها ، بعد أن توجه السلطان إلى قلعة الروم بأيام يسيرة ، تسوّر عبد أسود إلى أسطحة أدر الحرم السلطانية بقلعة دمشق . فأُمسك وقُرِّر ، فذكر أن أحد المؤذنين بجامع القلعة نصب له سلّما ، وأصعده إلى هناك . فطولع السلطان بذلك ، فورد المرسوم بقطع أطرافهما وتسميرهما ، ففعل ذلك بهما[1] .

وفيها ، فى شعبان طلّق الملك المظفر ، صاحب حماه ، زوجته ، وهى ابنة خاله الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، ابن الملك العزيز محمد ، ابن الملك الظاهر غازى ، ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فعاب الناس عليه ذلك ، واستقبحوه [منه[2]] . وتوجهت هى من حماه إلى الديار المصرية ، فتوفيت بعد وصولها إليها بعشرين يوما .

وفيها ، بعد أن توجه السلطان من دمشق إلى الديار المصرية ، استعفى القاضى محيى الدين بن النحاس ، من مباشرة نظر الدواوين بالشام ، فأعفى من ذلك . ورتب فى نظر الخزانة عوضا عن أمين الدين بن هلال . ورتب فى نظر الدواوين جمال الدين إبراهيم بن صصرى .

وفيها ، أفرج السلطان عن الأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، بعد عوده من قلعة الروم ، وأمر بإحضاره من الديار المصرية إلى دمشق ، فأحضر . فخلع عليه السلطان ، واستصحبه معه إلى الديار المصرية وأمّره .

(١) هذا الخبر لم يرد فى ابن الفرات .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٢ .

وفيها، رتب السلطان الأمير شمس الدين قراسنقر الجوكندار المنصورى، فى تقدمة المماليك السلطانية.(١)

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وجرمك الناصرى ووفاتهما، ووفاة طقصوا والإفراج عن الأمير حسام الدين لاجين

وفى هذه السنة، لما عاد السلطان إلى الديار المصرية، قبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، والأمير سيف الدين جرمك الناصرى. وأمر باعدامهما، وإعدام طقصوا ولاجين. فكان الذى تولى خنق لاجين، الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى، فتلطف به، وانتظر أن تقع به شفاعه. فشفع فيه الأمير بدر الدين بيدرا، فأمر السلطان بالإفراج عنه، وهو يظن أنه قدمات.(٢) فسلّمه الله تعالى، لما كان له فى طى الغيب ما نذكره بعد إن شاء الله تعالى.(٣) وقيل إن السلطان قبض على سنقر الأشقر من دمشق.

وفيها، فى منتصف شهر رمضان، توفى القاضى فتح الدين محمد ابن القاضى محيى الدين عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر، صاحب ديوان الإنشاء. وكانت وفاته بدمشق، ودفن بسفح قاسيون. ومولده فى أحد الربيعين(٤)، سنة ثمان وثلاثين وستمائة. وكان قد تمكّن فى الدولة المنصورية، والدولة

(١) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٤٥.

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٤٥ — ١٤٦.

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٤٦، إشارة إلى ما سوف يذكر بعد، وهو السلطنة بالديار المصرية والشام والبلاد الشامية.

(٤) فى الأصل الربيعين، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٥٢.

الأشرفية تمكنا كثيرا ، وتقدم على أبيه وغيره . ولما اعتل ، رحمه الله ، كتب إلى أبيه :

إن شئت تنظرنى وتنظر حالتى ... قابل إذا هب النسيم قبولا

لتراه مثلى رقة ولطافة[1] ... ولأجل قلبك لا أقول عليلا

وهو الرسول إليك منى ليتنى ... كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ولما مات ، أجرى السلطان الملك الأشرف جامكيته وجرايته وراتبه ، على ولده القاضى ، علاء الدين على[2] ، واستقر فى جملة كتاب الإنشاء . وَوَلِىَ صحابة ديوان الإنشاء ، بعد وفاة القاضى فتح الدين ، القاضى تاج الدين أبو الظاهر أحمد ابن القاضى شرف الدين أبى البركات سعيد بن اشمس لدين أبى جعفر محمد ابن الأثير الحلبى التنوخى ، فلم يلبث إلا شهرا أو قريبا من شهر ، وتوفى إلى رحمة الله تعالى . وكانت وفاته ، يوم الخميس تاسع عشر شوال من هذه السنة ، بظاهر غزة ، ودفن هناك رحمه الله تعالى . وولى بعده صحابة ديوان الإنشاء ، ولده القاضى عماد الدين إسماعيل ، واستمر إلى آخر سنة اثنتين وتسعين وستمائة[3] .

وفيها ، فى يوم السبت العشرين من شوال ، توفى الأمير سابق الدين الميدانى بدمشق ، ودفن بقاسيون رحمه الله تعالى .

---

(١) فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ٣٥ ، نحافة .

(٢) فى الأصل على الدين ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٤ .

(٣) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٤٤ .

واستهلت سنة اثنتين وتسعين وستمائة

[١٢٩٢ - ١٢٩٣ / ٦٩٢]

فى هذه السنة ، فى أولها فوض السلطان نيابة السلطنة بالمملكة الطرابلسية والحصون ، إلى الأمير عز الدين أيبك الخزندار المنصورى ، عوضا عن الأمير سيف الدين طغربل الإيغانى[1] ، بحكم استعفائه من النيابة ، وسؤاله . فوصل إلى دمشق فى سابع عشرين المحرم ، وصحبته خمسة أمراء بطبلخاناة ، وتوجه إلى جهتـــه .

وفيها ، فى صفر ، حصل ببلاد غزة والرملة ولد والكرك[2] ، زلزلة عظيمة ، كان معظمها بالكرك ، فإنها هدمت ثلاثة أبراج من قلعتها . فندب الأمير علاء الدين أيدغدى الشجاعى من دمشق ، وصحبته الصناع لعمارة ما انهدم بالكرك[3] .

وفيها ، أمر السلطان بالقبض على الأمير عز الدين أزدمر العلائى ، أحد الأمراء بدمشق : فقُبض عليه ، وجهز إلى الأبواب السلطانية فى غرة شهر ربيع الأول[4] .

---

(١) فى الأصل الإيغانى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٣ .

(٢) فى الأصل الد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٣) فى الأصل كرك ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٤) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٥ .

ذكر توجه السلطان إلى الصعيد

وفى هذه السنة، توجه السلطان إلى جهة الصعيد للصيد ، واستصحب معه الصاحب شمس الدين [بن السلعوس[1]] ، وترك الأمير بدر الدين بيدرا بقلعة الجبل . وانتهى السلطان إلى مدينة قوص، وتصيد بها . وأمر الحجاب والنقباء أن ينادوا[2] فى العسكر أن يتجهزوا لغزو اليمن . ثم عاد السلطان إلى قلعة الجبل .

ولما كشف الصاحب شمس الدين [بن السلعوس[3]] الوجه القبلى فى هذه السفرة ، وجُدت الجهات الجارية فى ديوان الأمير بدر الدين بيدرا من الاقطاعات والمشتروات[4] والحمايات[5] ، أكثر مما هو جار فى الخاص السلطانى . ووجد الشون[6] السلطانية[7] بنواحى الوجه القبلى ، خالية من الغلال والحواصل ، وشون الأمير بدر الدين بيدرا مملوءة . فأنهى ذلك إلى السلطان وأطلعه عليه ، فتغير السلطان على بيدرا . واتصل هذا الخبر به ، فقصد تلافيه . وجهز للسلطان تقدمة عظيمة ، كان من جملتها ، خيمة أطلس معدنى أحمر ، بأطناب ابريسم[8]

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٣ .

(٢) فى الأصل يبادروا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٣) الإضافة للتوضيح .

(٤) فى الأصل المستروات ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٥) فى الأصل الحامات ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .
والحمايات ، هى مكوس يفرضها الأمير على بعض الأراضى والمتاجر والمراكب لحمايتها . القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ١٣ ، ص ١٥٧ (المصحح).

(٦) فى الأصل الشئون ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٧) فى الأصل السلطانى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٨) فى الأصل ابريسم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

بأعمدة صندل ، محلاة ومفصلة[1] بالفضة المذهبة ، وبسطها[2] ببسط الحرير ، وما يناسب هذه الخيمة من التقادم . وضرب هذه الخيمة بالعدوية[3] ، فنزل السلطان بها ساعة من نهار ، وما أظهر البشاشة للتقدمة[4] ، ولا استحسنها مع عظمها . ثم ركب وطلع إلى قلعة الجبل ، وارتجع بعض جهات بيدرا الخاص [السلطانى][5]

ذكر توجه السلطان الى الشام وأخذ بهسنا من الأرمن ، واضافتها الى الممالك الإسلامية

وفى هذه السنة ، بعد عود السلطان من جهة الصعيد ، تجهز بعساكره إلى إلى الشام . وأمر الأمير بدر الدين بيدرا ، أن يتوجه بالعساكر إلى دمشق على الطريق الجادة[6] . وتوجه الصاحب بالخزانة إليها ، وركب السلطان على الهجن ، وفى خدمته جماعة من الأمراء والخاصكية . وتوجه إلى الكرك وشاهد حصنها ورتب أموالها ، وتوجه منها إلى دمشق . فكان وصوله إليها ، فى تاسع جمادى الآخرة . ووصل نائب السلطنة والصاحب قبله بثلاثة أيام .

ولما حلّ ركابه بدمشق ، أمر بتجهيز العساكر إلى بلاد سيس ، فوصل رسل صاحب سيس ، يسألون مراحم السلطان وعواطفه ، ويبذلون له الرغائب .

---

(١) فى الأصل مفضة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٢) فى الأصل وبسط ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٣) العدوية ، بلدة صغيرة خارج القاهرة ، وكانت حسبما ورد فى ابن دقماق ، كتاب الانتصار جـ ٥ ، ص ٤٣ ، بالقرب من بركة الحبش ، وهى ما بينها وبين طرا على الضفة الغربية للنيل .

(٤) التقدمة ، المقصود هنا الهدية .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٤ .

(٦) فى الأصل البلاد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٥ .

فاتفق الحال على أن يسلموا لنواب السلطان بهسنا ومرعش وعين حمدون . فأعاد السلطان رسله ، وصحبتهم الأمير سيف الدين طوغان والى بر دمشق ، فتسلمها وبلادها . ووصل البريد بذلك فى العشر الأول من شهر رجب . ودقت البشائر لذلك . ورتب السلطان فى نيابة السلطنة ببهسنا[1] ، الأمير بدر الدين بكتاش المنصورى ، وعين لها قاضيا خطيبا . واستخدم بها رجالا وحفظة . ثم وصل الأمير سيف الدين طوغان ، وصحبته رسل سيس ، بالحمل والتقادم . وكان وصولهم إلى دمشق ، فى ثامن عشرين شهر رجب بعد عود السلطان ، فتوجهوا إلى الديار المصرية .

وهذه بهسنا من أعظم القلاع وأحصنها ، ولها ضياع كثيرة . وهى فى فم الدربند[2] ، وكانت بيد ملوك الإسلام بحلب ، إلى أن ملك هولاكو حلب . وكان النائب بها من جهة الملك الناصر ، الأمير سيف الدين العقرب ، فأباعها لصاحب سيس ، بمائة ألف درهم ، أعطاه منها ستين ألف درهم ، وتسلمها الأرمن [أهل سيس][3] ، وبقيت فى أيديهم إلى الآن[4] .

ذكر القبض على الأمير حسام الدين مهنا ابن عيسى وأخوته

وفى هذه السنة ، فى ثانى[5] من شهر رجب ، توجه السلطان من دمشق إلى

---

(١) فى الأصل بهنسا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٥ .

(٢) فى الأصل الدربند ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٥ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٦ .

(٤) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٦ ، إلى أن حل ركاب السلطان الأشرف .

(٥) فى الأصل ثامن وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٦ ؛ انظر ما يلى .

حمص ، بجماعة من العساكر ، وأعاد ضعفة العساكر إلى الديار المصرية . ثم توجه السلطان من حمص إلى سلمية ، فى ضيافة الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى. فلما قدّم للسلطان ضيافته ، أمر بالقبض عليه ، وعلى إخوته فقبض عليهم[1] ، وهو على الطعام ، وجهّزه تحت الاحتياط ، صحبة الأمير حسام الدين لاجين ، فوصل به إلى دمشق ، فى يوم الأحد سابع شهر رجب . ووصل السلطان إلى دمشق ، فى بقية النهار . وجعل السلطان إمرة العرب ، بعد القبض على مهنا ، لابن عمه الأمير محمد بن أبى بكر على بن حذيفة[2] . ثم أمر السلطان الأمير بدر الدين بيدرا نائب السلطنة ، أن يتوجه بالعساكر إلى الديار المصرية ، هو والصاحب شمس الدين والخزانة ، كما حضرا [من حمص[3]] . فتوجها من دمشق فى يوم الخميس حادى عشرة شهر رجب . وتوجه السلطان بعدهما ، ببعض الأمراء والعساكر . وركب من دمشق فى الساعة السابعة من يوم السبت ثالث عشر الشهر . وأراد بذلك الانفراد بنفسه وخواصه ، والأنفراد بهم[4] فى الصيد ، وأن لايشتغل بالعساكر . ووصل إلى غزة ، فى بكرة يوم الأربعاء سابع عشر الشهر . ووصل إلى القاهرة فى الثامن والعشرين من شهر رجب[5] .

ذكر هدم قلعة الشوبك

وفى هذه السنة ، فى شهر رجب ، أمر السلطان الأمير عز الدين أيبك

---

(١) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٦ .

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٦ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٧ .

(٤) كذا فى الأصل ، ولم ترد هذه العبارة فى ابن الفرات .

(٥) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٧ .

الأفرم ، أمير جاندار أن يتوجه إلى قلعة الشوبك ويهدمها ، وذلك عند توجه السلطان من دمشق إلى حمص . فراجعه فى ذلك ، وبيّن له فساد هذا الرأى ، فانتهره ، فتوجه إليها وهدمها ، وأبقى القلة . وكان هدمها من الخطأ ، وسوء التدبير ، فإن القلاع والحصون معاقل الإسلام ، وذخائر المسلمين ، وإليها يلجأون فى أوقات الشدائد والحصارات ، ومنازلة الأعداء ، وهو أمر لا يؤمن[1] .

[وبعد عود السلطان إلى الديار المصرية[2]] ، رسم السلطان للأمير سيف الدين طوغان ، أن يتوجه إلى نيابة السلطنة ، بقلعة المسلمين[3] ، عوضا عن الأمير عز الدين أيبك الموصلى المنصورى . وولى الأمير سيف الدين استدمر[4] كرجى بدمشق[5] ، عوضا عن طوغان .

ذكر حادثة السيل ببعلبك

وفى هذه السنة ، فى رجب ، وصل كتاب النائب ببعلبك ، يخبر أنه وقع على مدينة بعلبك ، أمطار وثلوج كثيرة جدا ، وأن المطر كان ينزل [وكأنه[6]] قد جبل بطين ، وأن السيل وصل إلى باب بعلبك ، المسمى بباب دمشق ،

---

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٦ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٧ .

(٣) قلعة المسلمين هى قلعة الروم ، وجرى إطلاق هذا الاسم بعد أن تم الاستيلاء عليها ، وتقع فى غربى نهر الفرات ، بالقرب من البيرة ، وأميرها من الأرمن ، (القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ١١٩ — ١٢٠ .

(٤) فى الأصل أسدمر ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٧ .

(٥) فى الأصل ترد وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٧ .

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٧ .

وعلا حتى وصل إلى شرفات السور . ثم انحدر بعد ذلك ، واقتلع كروما كثيرة ، ونقل أحجارا وصخورا ، وطم أكثر الطرقات ، وأنه أحصى ما أفسد ببعلبك ، وكانت قيمته تزيد على مائة ألف دينار وخمسين ألف دينار .

وفيها ، أمر السلطان ، بالقبض على الأمير عز الدين أيبك الأفرم ، أمير جاندار ، فقبض عليه في شوال ، ووقعت الحوطة على موجوده وحواصله بالديار المصرية والشام .

ذكر ختان الملك الناصر ، وما حصل من الأهتمام بذلك

وفي هذه السنة ، أمر السلطان بالأهتمام ، لختان أخيه الملك الناصر ، ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور ، وأن ينصب القبق[1] تحت قلعة الجبل مما يلي باب النصر . فنصب في العشرين من ذي الحجة ، ورماه الأمراء والأكابر ومن له ولمثله عادة بذلك . وفرق السلطان الأموال على من أصابه . وكان ممن

---

(١) القبق لفظ تركي معناه القرعة ، ووصف المقريزي : المواظ والاعتبار لعب القبق ، بأن القبق عبارة عن خشبة عالية ، تنصب في براح من الأرض ، ويعمل بأعلاها دائرة من خشب ، ويقف الرماة بقسيهم ، يرمون بالسهام جوف الدائرة ، لكي تمر من داخلها إلى غرض هناك ، تمرينا لهم على احكام الرمي ، ويعبر عن هذا بالقبق في لغة الترك . وأشار Dozy: supp. Dict. Ar. في وصفة للقبق ، إلى أن في رأس الصاري (الخشبة) شكل قرعة من ذهب أو فضة بمثابة هدف ، ويكون في القرعة طائر وتتبارى اللاعبون وهم على ظهور الخيل في رمي الهدف بالنشاب . فمن أصاب منهم القرعة وأطار الحمام ، حاز السبق ، وأخذ القرعة مكافأة له .

المقريزي : السلوك جـ ١ ، ص ٥١٨ حاشية ٦

أصابه الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى . فرماه ما لم يرمه[1] غيره قبله . وذلك أنه كان قد اقترح سرجا وطىء الرادفة[2] جدا . فلما رآه السلطان ، قال له قد كبرت يا أمير بدر الدين ، فاقترحت هذا السرج ، ليسهل عليك الركوب . فقال : إن كان المملوك قد كبر ، فقد رزقت ستة أولاد ، وهم فى خدمة السلطان ولم أكن أقترح[3] هذا السرج إلا لأجل القبق . ثم ساق الأمير بدر الدين نحو صارى القبق . والعادة جارية أن الرامى لا يرميه إلا إذا صار بجانب الصارى . فساق إلى أن تعدى الصارى ، فما شك الناس أنه فاته الرمى . ثم استلقى على ظهر فرسه ، حتى صار رأسه على كفل الفرس ، فرماه وهو كذلك ، بعد أن تعداه ، فأصاب القرعة وكسرها . فصرخ الناس لذلك واستعظموه . وظهرت للسلطان فائدة السرج ، فأمر أن ينعم عليه بما بقى فى ذاك الوقت ، من المال المرصد للإنعام فأعطيه ، وكان خمسة وثلاثين ألف درهم . وخلع عليه ، وعظم فى صدور الناس ، زيادة عما عندهم من تعظيمه . وعلموا عجزهم عن الإتيان بما أتى به ، وفعل ما فعله[4] .

ثم كان الختان المبارك ، فى يوم الاثنين ، الثانى والعشرين من ذى الحجة . ونثر الأمراء الذهب الكثير فى الطشوت حتى امتلأت[5] .

---

(١) فى الأصل يرم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٨

(٢) فى الأصل المرادفة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٧

(٣) فى الأصل يقترح ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٧

(٤) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٥٨

(٥) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ص ، ١٥٨

وفيها ، فى ليلة الثلاثاء حادى عشر صفر ، توفى الأمير الصالح شمس الدين أبو البيان ، نبا ابن الأمير نور الدين أبى الحسن على ابن الأمير شجاع الدين هاشم ابن حسن بن حسين ، أمير جاندار المعروف بابن المحفدار[1] ، بداره بالروضة ، قبالة مصر ، بعد أن صلى العشاء الآخرة ، بسورة[2] ﴿ هل أتى على الإنسان حين من الدهر ﴾ فلما فرغ من الصلاة ، سجد سجدة ، فمات فى سجدته ، وكانت عادته أن يسجد عقيب صلاته ، ويدعو الله فى سجوده . ودفن من الغد فى القرافة بتربته ، بقرب تربة الإمام الشافعى . وكان رحمه الله تعالى ، دينا حسن السيرة والوساطة ، احتوى[3] على أوصاف جميلة ، يشق الملوك به ويعلمون خيره وديانته ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، فى ليلة الأربعاء ، ثانى عشر جمادى الآخرة ، توفى الملك الزاهر مجير الدين داود ابن الملك المجاهد أسد الدين شيركوه ، ابن الملك القاهر ناصر الدين محمد ابن الملك المنصور أسد الدين شيركوه بن شادى بن مروان ، ببستانه المعروف ببستان سامة[4] ، بالسهم ، ظاهر دمشق . وصلى عليه ظهر يوم الأربعاء بالجامع المظفرى ، ودفن بتربته بسفح قاسيون ، رحمه الله تعالى[5] . ذكر وفاته[6] الشيخ شمس الدين الجزرى[7] .

---

(١) فى الأصل المحتدار ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٤

(٢) سورة الإنسان .

(٣) فى الأصل لحتوى ، وما هنا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٤ ؛ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٦ ، ص ١٨ ، ٢٠

(٤) كذا أيضا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦١

(٥) أشار ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦١ إلى أن الجزرى أورده فى تاريخه

(٦) فى الأصل وفاة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦١

(٧) هذه العبارة جعلها الناسخ الأصلى عنوانا لخبر لم يورده ، إذ أنها ليست إلا تكملة للخبر السابق . انظر ما سبق

وفيها، توفى القاضى محيى الدين عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر. كانت وفاته بالقاهرة فى يوم الأربعاء ثالث رجب الفرد ، ودفن بالقرافة ، رحمه الله تعالى . وفضائله وشهرته بالرئاسة والآداب[1]، تغنى عن شرح . وقد قدمنا من كلامه فى كتابنا هذا ، ما يقف عليه فى مواضعه ، وله شعر رقيق .

فمن شعره قوله :

ما غبت عنـــك لجفوة وملالِ ... يوما ولا خطـــر السلُّو ببالى

يا ما نعى طيبَ المنـام وَما نحى ... ثـوب السقام وتاركى كالالِ

عن من أخذت جوازمنعى ريقك المـ ... ـعسول ياذا المعطف العسال

عن ثغرك النظّام[2] أم عن شعرك الـ ... ـفحام أم عن جفنك الغزّالى

فأجابنى أنا مالك شرعَ الهوى ... والحسنُ أضحى شافعى وجمالى

وشـــقائق النعمان أينع نبتهـا ... فى وجنتى وحمـاه رشقُ نبالى

والصبر أحمـــد للحبّ إذا ابتلا ... ه الحبُّ فى شرع الهوى بسؤال

وعلى أسارى الحبّ فى حكم الهوى ... بين الأنام عرفت بالقفّال[3]

وتفقّـــه العشّاق فىّ فكلّ منْ ... نقـــل الصحيح أجزته بوصالى

---

(١) فى الأصل والأذان وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٢

(٢) فى الأصل العظام ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٢

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٢ بالمقال .

(٤) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٢ ، يقل .

(٥) فى الأصل أحزنه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٢ .

(٦) الملحوظ التطابق بين النويرى وابن الفرات ، فيما اقتبساه من شعر محيى الدين بن عبد الظاهر ، وفى ذلك دليل أيضا على دراستهما لمصادر مشتركة .

وفيها ، فى يوم الخميس ، سابع عشر شعبان ، كانت وفاة قاضى القضاة معز الدين[1] النعمان بن الحسن بن يوسف ، قاضى الحنفية بالديار المصرية ، ودفن يوم الجمعة بالقرافة . وولى قضاء الحنفية بعده ، قاضى القضاة شمس الدين أحمد السروجى الحنفى .

وفيها ، كانت وفاة الملك الأفضل نور الدين على ابن الملك المظفر محمود ، وهو عم الملك المظفر ابن الملك المنصور صاحب حماه . وقد تقدم ذكر نسبه فى مواضع من كتابنا هذا[2] . وتوفى بدمشق فى يوم الاثنين ، مستهل ذى الحجة . وصُلّى عليه بجامعها ، فى الثالثة من النهار ، ونقل لوقته إلى حماه ، فدفن بها ، رحمه الله . وهو والد الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل صاحب حماه فى وقتنا هذا[3] .

وفيها ، كانت وفاة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك الأشرف مظفر الدين موسى ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ، ابن الملك المسعود صلاح الدين أقسيس[4] ، ابن الملك الكامل ناصر الدين محمد ، ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب ، قبل العصر من يوم الخميس ، خامس شهر رجب من السنة .

ومولده بالكرك ، بعد العشاء الآخرة ، من ليلة الأربعاء سادس عشر شوال ، سنة تسع وخمسين وستمائة ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٢ معين الدين ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٤٤٧ .

(٢) وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٢ ، ونسبه مذكور فى عدة تراجم من أعمل بيه .

(٣) لم يرد هذا الخبر فى ابن الفرات .

(٤) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٢ أقش . وأقسيس اسم عرف به الملك المسعود ، الذى كان آخر ملوك بنى أيوب باليمن ، انظر القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٥ ، ص ٣٠ . المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٣٦٩ .

واستهلت سنة ثلاث وتسعين وستمائة

[٦٩٣ - ١٢٩٣ / ١٢٩٤]

ذكر مقتل السلطان الملك الأشرف

صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصور

سيف الدين قلاوون رحمهما الله تعالى

كان مقتله رحمه الله ، فى يوم السبت ثانى عشر المحرم ، سنة ثلاث وتسعين وستمائة . وذلك أنه توجه إلى الصيد بجهة البحيرة . وركب من قلعة الجبل فى ثالث المحرم، وعزم على قصد الحمامات الغربية . وتوجه الصاحب شمس الدين [ابن السلعوس(١)] إلى ثغر الإسكندرية ، لتحصيل الأموال ، وتجهيز تعابى(٢) الأقمشة . فوجد نواب الأمير بدر الدين بيدرا بالثغر قد استولوا على المتاجر والاستعمالات(٣) وغير ذلك . فكاتب السلطان بذلك ، وعرفه أنه لم يجد بالثغر

---

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) تعابى الأقمشة ، ترجمها Quatremère : op . cit 1. 2. p - 23 على أنها ثياب ، وترجمها Dozy : supp. Dict. Ar. على أنها قطع قماش ، ولعل المقصود هنا ، ما يختص به الفارس من المتاع ، ويدل على ذلك ما ورد فيما بعد من الاهتمام بالاطلاقات .

(٣) الاستعمالات – لعل المقصود هنا المعاملات ، وهى ما يختص بالتجارة من أمور ، حسبما أشار Dozy : supp. Dict. Ar. إلى أن المقصود بالمعاملة

ما يكفى الإطلاقات[1]، على جارى العادة . فغضب السلطان لذلك غضبا شديدا، واستدعى بيدرا بحضور الأمراء، وأغلظ له فى القول، وشتمه وتوعده. فتلطف بيدرا فى الجواب حتى خرج من بين يدى السلطان، وجمع أعيان الأمراء من خوشداشيته، وهم الأمير حسام الدين لاجين، والأمير شمس الدين قراسنقر المنصورياني وغيرهما. فاتفقوا على الوثوب به . وكان السلطان قد أعطى الأمراء الأكابر دستورا، أن يتوجهوا إلى إقطاعاتهم، وانفرد هو بخاصكيته . وفى أثناء ذلك، ركب السلطان فى نفر يسير من مماليكه للصيد بقرب الدهليز، بمنزلة تروجة[2]. فانتهز بيدرا الفرصة، وركب وصحبته لاجين وقراسنقر وبهادر، رأس نوبة، وأقسنقر الحسامى، ونوغيه[3]، ومحمد خواجا، وطرنطاى الساقى، والطنبغا، رأس نوبة، ومن انضم إليهم . وتوجهوا نحو السلطان، وكان بينهم وبينه مخاضة، فخاضوها وقدموا عليه . فقيل إن بيدرا ضربه بالسيف، فالتقاه بيده، فلم يعمل عملا طائلا . فسبّه لاجين، وضربه بالسيف ضربة هدلت كتفه، وأخذته السيوف حتى قتل، فى التاريخ الذى ذكرناه .

---

(١) الإطلاقات، جمع إطلاق، وهو حسبما نقله

Quatremére: op. cit II. 2. p: 65 n. 26

«إما تقرير عدل لما قرره أحد الملوك السالفة، أو ابتداء فى معروف أو زيادة فى إحسان على ما كان مقررا» ومن معانيه أيضا قطعة أرض تمنح وتعفى من جميع أنواع الضرائب. Dzy: supp. Dict .Aro المقريزى: السلوك جـ ١، ص ٧٨٨، حاشية ٤.

(٢) فى الأصل تزوجه، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٦٧ .

(٣) فى الأصل ترعيه، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٦٨ .

وحكى عن شهاب الدين أحمد بن الأشل، أمير شكار، فى كيفية مقتل السلطان. قال: لما رحل[1] الدهايز والعسكر، جاء الخبر إلى السلطان أن بتروجة طيرا كثيرا، فساق، وأمرنى أن أسوق فى خدمته، فسقت معه. وقال لى: عجّل بنا، حتى نسبق الخاصكية. فسقنا فرأينا طيرا كثيرا، فصرع منه بالبندق. ثم التفت إلىّ، وقال لى: أنا جيعان، فهل معك ما آكل. فقلت: والله ما معى غير رغيف واحد وفروج فى صولق[2]، ادخرته لنفسى. فقال: ناولنيه، فناولته له، فأكله جميعه. ثم قال لى: امسك فرسى، حتى أنزل أبول. وكنت كثير البسط معه. فقلت: ما فيها حيلة، السلطان راكب حصان، وأنا راكب حِجْر[3]، وما يتفقان. فقال لى: انزل أنت، واركب خلفى حتى أنزل أنا.

قال: فنزلت وناولته عنان فرسى، فامسكه. وركبت خلفه. ثم نزل وقعد على عجزه وبال، وبقى يعبث بذكره، ويمازحنى. ثم قام، وركب حصانه، ومسك فرسى حتى ركبت. فبينا أنا وهو نتحدث، وإذا بغبار عظيم قد ثار نحونا. فقال لى السلطان: اكشف لى خبر هذا الغبار، ما هو. قال: فسقت وإذا أنا بالأمير بدر الدين بيدرا والأمراء معه. فسألتهم عن سبب مجيئهم. فلم يكلمونى ولا التفتوا إلىّ، وساقوا على حالهم، حتى قربوا من السلطان. فابتدره الأمير بدر الدين بيدرا، وضربه بالسيف. فقطع يده. ثم ضربه لاجين على كتفه فحله، وسقط إلى الأرض. وجاء بهادر، رأس نوبة، فوضع السيف

(١) فى الأصل دخل، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٦٧.

(٢) الصولق، جراب أو كيس من جلد، يربط على الجانب الأيمن من الحياصة، توضع به حاجات السفر من الزاد. Dozy: supp. Dict. Ar.

(٣) فى ابن الفرات جـ ٨، ص ١٦٧: حجرة. والحجرات الخيل.

فى دبره ، [وأتكأ عليه][(١)] حتى أطلعه من حلقه ، واشترك من ذكرنا من الأمراء فى قتله .[(٢)]

وهذه الحكاية تدل على أن السلطان ، كان قد انفرد عن مماليكه ، ولم يكن معه غير شهاب الدين أمير شكار، الحاكى . وبقى الملك الأشرف ملقى فى المكان، الذى قتل فيه يومين . ثم جاء [الأمير عز الدين ايدمر العجمى][(٣)] متولى تروجة وأهلها إليه ، وحملوه إليها فى تابوت . وغسلوه فى الحمام وكفنوه ، وجعلوه فى تابوت، ووضعوه فى بيت المال ، فى دار الولاية بتروجة، إلى أن حضر من القاهرة الأمير سيف الدين كوجبا[(٤)] الناصرى . فنقله فى تابوته إلى تربته ، التى أنشأها بظاهر القاهرة، بجوار مشهد السيدة نفيسة، ودفن بها فى عصر يوم الخميس[(٥)] الثانى والعشرين من صفر ، من هذه السنة . وكانت مدة سلطنته، ثلاث سنين وشهرين وأربعة أيام .

وكان رحمه الله تعالى ، ملكا شجاعا كريما ، خفيف الركاب ، مظفرا فى حروبه . ولم يخلف ولدا ذكرا ، وإنما مات عن بنتين، وزوجته أردكين[(٦)] أمهما

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٨ .

(٢) هذه الرواية أوردها المقريزى فى السلوك جـ ١ ، ص ٧٨٨ — ٧٩١ وتاريخ سلاطين المماليك ص ٢٧ — ٢٨ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٨ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٩٠ .

(٤) فى الأصل كوحبا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٨ .

(٥) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٨ الجمعة .

(٦) فى الأصل ادركين ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٩ .

ابنة الأمير سيف الدين نوكيه . وورثه معهن[1] أخواه السلطان الملك الناصر ، ودار مختار الجوهرى .

ذكر خبر الأمير بدر الدين بيدرا ومن معه من الأمراء الذين وافقوه ، وما كان منهم ، ومقتل بيدرا .

قال[2] : ولما قتل السلطان الملك الأشرف ، عاد الأمير بدر الدين بيدرا ، ومن معه من الأمراء إلى الوطاق . فتقرر بينهم أن السلطنة تكون لبيدرا ، ولقب الملك القاهر ، وقيل[3] الملك الأوحد . ثم ركبوا وقبضوا على الأمير بدر الدين بيسرى ، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، أمير جاندار ، وقصدوا قتلهما . فشفع فيهما بعض الأمراء . وكان بالدهليز السلطانى من الأمراء : الامير سيف الدين برلغى[4] ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، والأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار ، والأمير بدر الدين بكتوت العلائى ، وجماعة من المماليك السلطانية . فركبوا فى آثار بيدرا ومن معه . وكان الأمير زين الدين كتبغا المنصورى فى الصيد ، فبلغه الخبر ، فلحق بهم . وجدوا فى طلب بيدرا ومن معه[5] .

(١) فى الأصل معهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٩ .

(٢) الإشارة هنا إلى المصدر الذى استمد منه روايته . ولم ترد هذه الإشارة فى ابن الفرات .

(٣) فى الأصل قتل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٩ .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٩ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٩١ برغل ، انظر ما يلى .

(٥) فى الأصل معهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٩

فنحقوه على الطرانة[١]. فلما التقى الجمعان، أطلق بيدرا الأميرين[٢] اللذين[٣] كان قد قبض عليهما، ليكونا عونا له، فكانا عونا عليه.

وتقدم الأمراء، وحملوا على بيدرا حملة منكرة، فانهزم هو ومن معه، فأدركوه فقتل. وهرب لاجين وقراسنقر، فدخلا[٤] القاهرة واختفيا[٥] بها، ثم ظهرا[٦] بعد ذلك، على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وحكى الأمير سيف الدين أبو بكر بن الحمقدار[٧]، نائب أمير جاندار. قال: أرسلنى السلطان أول النهار، إلى الأمير بدر الدين بيدرا، أن يتوجه فى تلك الساعة، بالعسكر، و يسوق تحت الصناجق، فأتيته فأخبرته بما أمر به السلطان، فنفر فى [وجهى][٨]، وقال

(١) الطرانة: موضع، لا يزال معروفا بين البلاد المصرية، وتقع على الشاطئ الغربى لفرع الدلتا الغربى (فرع رشيد): من قرى مركز كوم حمادة محافظة البحيرة (ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة جـ ٨، ص ١٦ حاشية ١ على مبارك: الخطط التوفيقية جـ ١٣، ص ٣٤.

(٢) فى الأصل الأمراء، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٦٩. المقريزى السلوك جـ ١، ص ٧٩٢

(٣) فى الأصل الذى، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٦٩، والمقريزى السلوك جـ ١، ص ٧٩٢

(٤) فى الأصل فدخلوا، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧١

(٥) فى الاصل واختفوا، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧١

(٦) فى الأصل ظهر: وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧١

(٧) فى الأصل المحفدار، وما هنا من ابن الفرات جـ٨، ص ١٦٧، ١٦٩ والمقريزى، السلوك جـ ١، ص ٧٩٢

(٨) الإضافة من ابن الفرات جـ٨، ص ١٦٧

السمع والطاعة . ثم قال : لِم يستعجلني[1][2] ؟ ورأيت فى وجهه أثر الغيظ والغضب ، ومالم أعهده منه . ثم تركته ، وتوجهت إلى الزردخاناة وحملتها ، وحملت ثقلى . وتوجهت أنا ورفيقى الأمير صارم الدين [الفخرى][3] والأمير ركن الدين [بيبرس][4] أمير جاندار . فبينما نحن سائرون[5] عند الماء ، إذ نحن بنجاب سائق ، فأخبرنا بمقتل السلطان . فتحيرنا[6] فى أمرنا ، وإذا بالصناجق السلطانية قد لاحت وقربت . والأمير بدر الدين [بيدرا[7]] تحتها ، والأمراء محدقون به . فتقدمنا وسلمنا عليه . فقال له الأمير ركن الدين بيبرس ، أمير جاندار ، ياخوند ، هذا الذى فعلته كان بمشورة الأمراء . فقال : نعم ، أنا فعلته بمشورتهم وحضورهم ، وها كلهم حاضرون . وكان من جملة من معه ، الأمير حسام الدين لاجين ، والأمير شمس الدين قراسنقر ، والأمير بدر الدين بيسرى ، وأكثر الأمراء سائقون معه . ثم شرع يعدد مساوئ السلطان [الأشرف[8]] ومخازيه ، واستهتاره بالأمراء ، ومماليك أبيه ، وإهماله لأمور المسلمين ، ووزارته ابن السلعوس . قال : ثم سألنا ، هل رأيتم الأمير زين[9] الدين كتبغا ؟ . قلنا : لا . فقال له بعض الأمراء :

(١) فى الأصل كم ؛ وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٧

(٢) فى الأصل يستعجلونى ؛ وما هنا من ابن الفرات جـ٨ ، ص ١٦٧

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٧

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٧

(٥) فى الأصل وكذا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٩ سائرين ؛ وما هنا هو الصواب لغويا . والملحوظ أن رواية النويرى منفصلة بينما وردت رواية ابن الفرات فى موضعين ، ص ١٦٧ ، ١٦٩

(٦) فى الأصل فتجهرنا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٦٩

(٧) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٠

(٨) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٠ .

(٩) فى الأصل ركن الدين ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٠ .

يا خوند ، هل كان عنده علم من هذا الأمر الذى وقع ؟ فقال: نعم ، وهو أول من أشار به . فلما كان فى اليوم الثانى ، إذا نحن بالأمير زين الدين كتبغا ، قد جاء فى طُلّب كبير[1] ، فيه من المماليك السلطانية نحو ألفى فارس ، وجماعة من العسكر والحلقة ، والأمير حسام الدين أستاذ الدار ، فالتقوه بالطرانة فى يوم الأحد أول النهار . ففوّق الأمير زين الدين كتبغا نحو بيدرا سهما ، وقال له يا بيدرا ، أين السلطان . ثم رماه به ، ورمى جميع من معه . فقتل بيدرا ، وتفرق جمعه . وكانت الإشارة أن أصحاب كتبغا ، شدوا مناديلهم من رقابهم إلى تحت أباطهم ، ليعرفوا من غيرهم . ثم حمل رأس بيدرا إلى القاهرة ، وطيف به[2] . هذا ما كان من خبر مقتل بيدرا .

ولما قتل السلطان ، كان الأمير علم الدين سنجر الشجاعى نائب السلطنة ، بقلعة الجبل ، فاحترز على المعادى ، وأمر أهلها أن لايعدّوا بأحد من الجند من برالجيزة إلى ساحل مصر[2] . ثم حضر الأمراء الذين قتلوا بيدرا ، وهم الأمير زين الدين كتبغا ، والأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، والأمير سيف الدين برلغى ، والأمراء الخاصكية ، وهم الأمير سيف الدين طغجى ، والأمير عز الدين[3] طقطاى ، والأمير سيف الدين قطبية ، وغيرهم من المماليك السلطانية . فراسلوا الأمير علم الدين [سنجر][4]

(١) فى الأصل كثير ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٠ .

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٠ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٩٢ .

(٣) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧١ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ص ٧٩٣ .

(٤) فى الأصل سيف الدين ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧١ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٧٩٣ .

(٥) الإضافة للتوضيح .

الشجاعى فى طلب المعادى ، فأرسلها إليهم ، فعدّوا بجملتهم ، وطلعوا إلى القلعة . واجتمعوا واتفقوا كلهم مع الأمير علم الدين سنجر الشجاعى ، على أن تكون السلطنة ، للسلطان ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور . فنصبوه فى السلطنة ، وكان ما نذكره .

ذكر أخبار السلطان الملك الناصر ، ناصر الدين محمد ، ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى .

وهو التاسع من ملوك دولة الترك بالديار المصرية . وأمّه أشلوُن خاتون ابنة سكناى بن قراجين[1] بن جنكاى[2] نوين ، ملك الديار المصرية والممالك الشامية والساحلية والحلبية والفراتية ، وغير ذلك مما هو مضاف إلى هذه الممالك من القلاع والحصون والثغور والأعمال .

وجلس على تخت السلطنة بالديار المصرية ، بقلعة الجبل ، بعد مقتل أخيه ، السلطان الملك الأشرف ، صلاح الدين خليل ، وذلك فى رابع عشر المحرم ، سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، وعمره يومذاك تسع سنين سواء ، فإن مولده فى يوم السبت ، خامس عشر المحرم ، سنة أربع وثمانين وستمائة كما تقدم ، وذلك باتفاق الأمراء المنصورية ، ومن بقى من الأمراء الصالحية النجمية وغيرهم ، وإجماعهم على سلطنته[3] .

---

(١) فى الأصل قراجين ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧١ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٩٣ .

(٢) فى الأصل جيفان ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٢ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٩٤ .

(٣) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٢ .

واستقر أن يكون الأمير زين الدين كتبغا المنصورى ، نائب السلطنة الشريفة ، والأمير علم الدين سنجر الشجاعى وزير الدولة ومدبّرها ، والأمير ركن الدين بيبرس المنصورى الدوادار، وأعطى إمرة مائة فارس وتقدمة ألف، وجعل إليه أمر ديوان الإنشاء فى المكاتبات والأجوبة والبريد. وحصلت النفقة فى العساكر ، واستُحلِفُوا(١) للسلطان الملك الناصر ، فحلفوا بأجمعهم .

هذا ما كان بالديار المصرية ومقر السلطنة .

وأما الشام ، فإنه كُتِب عن السلطان الملك الأشرف كتاب إلى نائب السلطنة بدمشق، وجهز مع الأمير سيف الدين ساطلمش، وسيف الدين بهادر التتارى . فوصلا به إلى دمشق، فى يوم الجمعة رابع عشرين المحرم من هذه السنة. ومضمونه : أنا قد استنبنا أخانا(٢)، الملك الناصر، ناصر الدين محمدا ، وجعلناه ولى عهدنا ، حتى إذا توجهنا إلى لقاء عدّو ، يكون لنا من يخلفنا . ورسم فيه ، أن يحلف الناس له ، ويقرن اسمه باسم السلطان فى الخطبة . فجمع نائب السلطنة الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى الأمراء والمقدمين والقضاة والأعيان، وحلفوا على ذلك(٣) . وخطب له فى يوم الجمعة هذا بولاية العهد ، بعد الملك الأشرف . وكان ذلك بتدبير الأمير علم الدين الشجاعى . واستمر الحال على ذلك ، والخطبة للملك الأشرف، [ثم](٤) من بعده لأخيه الملك الناصر، بولاية العهد، إلى حادى عشر

(١) فى الأصل السلطان ، وما هنا هو الصواب ، ويتفق مع السياق انظر ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٢ .

(٢) فى الأصل وكذا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٢ أخينا ، وما هنا هو الصواب .

(٣) فى الأصل « بعد » وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٣ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٣ .

شهر ربيع الأول . فورد المثال السلطانى الناصرى بالخطبة له استقلالا بالسلطنة، فخطب له فى دمشق، فى يوم الجمعة، الحادى عشر، من الشهر المذكور . وورد البريد إلى الشام، بإيقاع الحوطة على موجود الأمير حسام الدين لاجين، والأمير شمس الدين قراسنقر، والأمير بدر الدين بيدرا وغيرهم من الأمراء [أصحاب بيدرا[1]] فى اليوم الثامن من ورود المرسوم الأول بالخطبة للسلطان بولاية العهد، فوقعت الحوطة على موجودهم وحواصلهم .

ذكر خبر الأمراء الذين وافقوا بيدرا على قتل السلطان الملك الأشرف

لما استقر الحال فى سلطنة السلطان الملك الناصر، أمر بطلب الأمراء الذين وافقوا بيدرا على قتل أخيه الملك الأشرف . فأول من وجد منهم، الأمير سيف الدين بهادر رأس نوبة، والأمير جمال الدين آقش الموصلى الحاجب، فضربت رقبتاهما[2] وأحرقت جثتاهما بالمجاير[3] . ثم حصل الظفر بعدهما بسبعة من الأمراء وهم : طرنطاى الساقى، و [سيف الدين[4]] النساق [الساقى[5]] الحسامى [ويقال له عناق[6]] السلاح دار، و [سيف الدين[7]] اروس [الحسامى[8]] السلاح دار،

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧٣ .
(٢) فى الأصل رقابهما، وما هنا هو الصواب، انظر ما يلى .
(٣) فى الأصل بالمجابر، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧٣ والمجاير جمع جوارة، وهى الفرن التى تحرق فيها الجير Dozy : supp. Dict. Ar
(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧٣ .
(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧٣، والمقريزى : السلوك جـ ١، ص ٧٩٥ .
(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧٣ .
(٧) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧٣، والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٩٥ .
(٨) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٧٣، والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧٩٥ .

و [شمس الدين][1] أقسنقر الحسامى ، و [علاء الدين][2] الطنبغا الجمدار ، [وناصر الدين][3] محمد خواجا ، فاعتقلوا بخزانة البنود[4] . وكان الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، يتوجه إليهم و يعاقبهم ، و يقررهم على من باطنهم . واستمر ذلك إلى يوم الاثنين خامس صفر . ثم قطعت أيديهم وأرجلهم ، وسمروا على الجمال ، وطيف بهم ، وأيديهم فى أعناقهم ، وماتوا شر ميتة . ثم وجدوا بعد بقفر الساقى ، فشنق فى سوق الخيل . وأما الأمير حسام الدين لاجين ، والأمير شمس الدين قراسنقر ، فإنهما هربا واختفيا . وكان من أمرهما ، ما نذكره إن شاء الله تعالى . هذا ما كان من أمر هؤلاء .

ذكر أخبار الصاحب شمس الدين محمد بن السلعوس الوزير وما كان من امره ، منذ فارق السلطان الملك الأشرف الى أن مات

كان الصاحب شمس الدين المذكور ، قد توجه إلى ثغر الإسكندرية كما ذكرنا ، وطالع السلطان فى حق الأمير بدر الدين بيدرا ، بما أوجب هذه الفتنة العظيمة . ولما وصل الصاحب[5] إلى الإسكندرية ، ضيق على أهل الثغر ، وشدد

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٣ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٣ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٣ .

(٤) خزانة البنود من منشئات الخلافة الفاطمية بالقاهرة ، بين قصر الشوك و باب العيد ، لخزن أنواع البنود من الرايات والأعلام ، وأنواع السلاح والآلات الحربية . ثم احترقت سنة ٤٦١ هـ . ثم صارت بعد ذلك حبسا للأمراء والوزراء والأعيان إلى أن زالت الدولة الفاطمية . وظلت زمن الأيوبيين تستخدم سجنا للأمراء والمماليك ، ثم جرى اتخاذها منازل للأسرى من الفرنج ، واستمرت على هذا النحو زمن المماليك . (انظر المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٤٢٣) .

(٥) فى الأصل السلطان ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٤ .

عليهم الطلب . وعزم على مصادرة أعيانهم ، وذرى الأموال منهم . وأمر بإيجاد مقارع لعقوبة أهل الثغر . فبقى الناس من ذلك فى شدة عظيمة ، لا يرجون خلاصا إلا ببذل الأموال والأبشار ؛ وأهان متولى الثغر .

فبينما الناس على مثل ذلك ، إذ وقعت بطاقة لمتولى الثغر ، فى عشية النهار ، تتضمن خبر مقتل السلطان . فكتمها المتولى عن الصاحب وغيره ، وصبر إلى أن دخل الليل ، وجاء إلى باب الصاحب ، واستأذن عليه ، فأذن له . فوقف بين يديه على عادته . فقال له الصاحب : ما الذى جاء بك فى هذا الوقت ، هل ظهرت لك مصلحة يعود نفعها ؟ فقال : يا مولانا ، لم يخف عن علمك أن أهل هذا الثغر غزاة مرابطون ، وما قصد أحد أذاهم ، فتم له مقصوده ، والذى يراه المملوك ، أن يحسن مولانا إليهم ، ويطيب خواطرهم ، ويفرج عنهم — هذا اللفظ أو معناه[1] — فسبه الصاحب أقبح سب . وهم أن يوقع به ، والوالى لا يزيده أن يقول : مولانا يروض نفسه ، فلا فائدة فى هذا الحرج . والصاحب يزيد فى سبه ، والإغلاظ له ، ويتعجب من إقدامه على مخاطبته بمثل هذه الألفاظ . فلما أفرط [الصاحب[2]] فى سبه ، وزاد به الحرج ، تقدم إليه بالبطاقة . وقال يقف مولانا على هذه . فلما قرأها ، سقط فى يده ، وخاطبه بياخوند . فقال له المتولى : ما الذى تختار . فقال : الخروج من هذه الساعة . فلم يؤاخذه المتولى ، بما صدر منه فى حقه وفتح له باب المدينة ، وأخرجه وعرض عليه أن يجهز معه من يوصله القاهرة فامتنع . وخرج من الثغر فى ليلته . ولو أصبح به لقتله أهله .

---

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٥ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٥ .

واستمر به السير إلى أن وصل إلى القاهرة ليلا . فبات بزاوية[1] الشيخ جمال الدين ابن الظاهرى ، ولم ينم فى معظم الليل . وركب بكرة النهار من الزاوية ، وجاء إلى داره ، وهو على حاله وهيئته . وحضر للسلام عليه القضاة وأعيان الدولة ونظارها . فعاملهم بما كان يعاملهم به من الكبر ، وعدم القيام لأكابرهم . ثم استشار بعض الناس فيما يفعل . فأشار بعضهم عليه ، بالاختفاء إلى أن تسكن هذه الفتنة ، وتستقر القاعدة . فقال هذا لانفعله ولا نرضاه لعامل من عمالنا . فكيف نختاره لأنفسنا . واستمر على ذلك خمسة أيام .

وكانت رسالة دور السلطان الملك الأشرف قد خرجت إلى الأمير زين الدين كتبغا ، مضمونها الشفاعة فى أمره ، وأنه لا يؤذى . وذكروه بمحبة السلطان له . وأنهم إنما قاموا فى طلب ثأر السلطان ، وقتل أعدائه . و[أما[2]] هذا فهو أخلص أولياء السلطان بخدمته ، وأدومهم على طاعته — هذا اللفظ أو معناه — . فسكن أمره فى هذه الأيام الخمسة الماضية . فغضب الأمير علم الدين الشجاعى ، واجتمع بالأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة وغيره من أكابر الأمراء . وقال : هذا الصاحب هو الذى أوقع بين السلطان ومماليكه وأمرائه ونائبه . و إنما قُتل السلطان بسبب هذا ، فاتبع رأيه فيه .

---

(١) هذه الزاوية خارج باب البحر ، على الخليج الناصرى . كانت أول الأمر تقع على النيل ، فلما انحسر عن ساحل المقس ، صارت تشرف على الخليج الناصرى . وهذه الزاوية تنتمى إلى أحمد ابن محمد بن عبد الله أبى العباس جمال الدين الظاهرى . وكان أبوه عتيق الملك الظاهر شهاب الدين غازى . مات سنة ٦٩٦ هـ بالقاهرة . المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ، ص ٤٣١ . السلوك جـ ١ ، ص ٧٩٦ حاشيه ٦ .

(٢) الإضافة يتطلبها استقامة المعنى .

فلما كان فى اليوم السادس ، وهو اليوم الثانى والعشرين من المحرم ، طلع [الصاحب شمس الدين بن السلعوس[1]] إلى قلعة الجبل ، فحضر إلى الأمير زين الدين كتبغا نائب السلطنة ، فسلّمه للأمير علم الدين الشجاعى ، فسلّمه الشجاعى للأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى ، وكان من أعدائه ، ليطالبه بالأموال فضربه ضربا شديدا . فأنكر عليه الأمير علم الدين . ثم سيّره إلى الأمير بدر الدين المسعودى ، شاد الدواوين ، وهو نشو ابن السلعوس . فإنه كان قد طلب من دمشق للمصادرة ، لما قتل مخدومه الأمير حسام الدين طرنطاى ، وكان يتولى ديوانه بالشام . فأحسن الصاحب إليه ، وأفرج عنه ، وولاه شد الدواوين بالديار المصرية . فلما سلّم إليه ، عاقبه واستصفى أمواله . وكان يجاس لمصادرته وعقوبته فى المدرسة الصاحبية[2] التى بسوبقة الصاحب بالقاهرة . ولم يزل يعاقبه إلى أن مات تحت الضرب ، وقيل إنه ضرب بعد موته ، ثلاثة عشر مقرعة ، ولم يعلم أنه مات . وكانت وفاته فى يوم السبت عاشر صفر سنة ثلاث وتسعين وستمائة ، ودفن بالقرافة[3] .

ذكر الخلف الواقع بين الأميرين علم الدين سنجر الشجاعى وزين الدين كتبغا ، ومقتل الشجاعى .

كان الأمير علم الدين الشجاعى قد استمر فى الوزارة وتدبير الدولة ، وأحكم

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٦ .

(٢) تنسب هذه المدرسة إلى الصاحب صفى الدين عبد الله بن على بن شكر ، وزير السلطان العادل سيف الدين أبى بكر بن أيوب ، المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ، ص ٣٧٠ ، ٣٧١ وما بعدها .

(٣) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٨ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٧٩٦ ، ٧٩٧ .

أمرها، وهابه الناس . فلما كان فى يوم الخميس ، ثانى عشرين صفر ، من هذه السنة ، اجتمع الأمراء بمساطب باب القلعة على العادة ، ينتظرون فتح باب القلعة ، ليركبوا فى خدمة الأمير زين الدين كتبغا ، نائب السلطنة . فلم يشعروا إلا وقد خرجت رسالة على لسان الأمير جاندار ، يطلب جماعة من الأمراء، وهم سيف الدين قبجاق ، وبدر الدين عبد الله السلاح دار ، وسيف الدين قبلاى (١) ، وركن الدين عمر [السلاح دار (٢)] أخو تمر ، وسيف الدين كرجى ، وسيف الدين طرقجى ، فدخلوا إلى الخدمة السلطانية . وقام الأمراء للركوب ، فبينما هم يسيرون تحت القلعة ، بالميدان الأسود ، جاء اثنان من ألزام الأمير علم الدين الشجاعى ، وهما الأمير سيف الدين قنغر (٣) ، وولده حاروشى (٤) . فأخبرا الأمير زين الدين كتبغا أن الأمراء الذين استدعوا اعتقلوا ، وأن الشجاعى قد دبّر الحيلة عليك وعلى الأمراء ، إذا طلعتم إلى القلعة ، ودخلتم إلى الخوان أن يقبض عليكم . فعرّف كتبغا الأمراء الذين معه فى المواكب الصورة . فتوقفوا عن الطلوع إلى القلعة ، وتوهموا أن الشجاعى اتفق مع الأمراء المنصورية والأمراء البرجية ، والمماليك السلطانية . وكان بالموكب الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار ، والأمير سيف الدين برانى ، أمير مجلس ، فأمسكوهما فى الموكب ، وأرسلوهما إلى ثغر الإسكندرية .

(١) فى الأصل ، قباى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٩ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٧٩ .

(٣) فى الأصل قبمر ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٠ .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٠ ، والمقريزى : السلوك جـ ٢ ، ص ٧٩٩ جاورجى ، واللفظ الأقرب للنطق التترى حاورشى . انظر ابن أبى الفضائل : النهج السديد ص ٤١٣ .

وأخبرنى الأمير ركن الدين[١] بيبرس ، فى ليلة الثامن من شوال سنة سبع وسبعمائة ، أنه ضرب على رأسه بدبوس ، وأرانى[٢] أثر الضربة .

وكان قد ذكر لى ذلك ، فى أثناء ذكره لسالف خدمة السلطان ، وما لقيه وقاساه .

ولما مسكا ، حصلت مفاوضة بين الأمير علم الدين سنجر البندقدارى ، وبين الأمير زين الدين كتبغا . فقال البندقدارى له : أين لاجين ، أحضره . فقال : ما هو عندى . فقال : بل هو عندك . فجرد البندقدارى سيفه ليضرب به كتبغا ، فضربه بدر الدين بكتوت الأزرق ، مملوك كتبغا بسيفه ، حل كتفه ثم ألقوه عن فرسه ، وذبح بسوق الخيل .

وتوجه الأمير زين الدين كتبغا ومن معه من الأمراء ، إلى الباب المحروق وخرجوا منه ونزلوا بظاهر السور ، وأمروا مماليكهم وأزامهم وأجنادهم أن يلبسوا عددهم . وأرسل الأمير زين الدين كتبغا نقباء[٣] الحلقة ، وطلب المقدمين فحضروا إليه ، وراسل السلطان [الملك[٤] الناصر] ، فى طلب الأمير علم الدين الشجاعى . وقال إن هذا قد انفرد برأيه فى القبض على الأمراء . وبلغنا عنه ما أنكرناه ، ونختار حضوره ليحاقق عما نقل عنه . فامتنع عن الحضور . ثم

(١) المقصود هنا هو بيبرس الدوادار صاحب كتاب زبدة الفكرة نظرا لما تعرض له من الأذى من قبل السلطان خليل بن قلاوون .

والواضح هنا أن ابن الفرات ينقل عن النويرى ، لمطابقة روايته عبارة النويرى . ابن الفرات جـ ٨ ص ١٨٠ . وكل ما فعله ابن الفرات أنه عدل فى العبارة إلى صيغة الغائب ، بدلا من صيغة المتكلم .

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٠ ، ولم يزل أثر الضربة فى رأسه ، ولجأ إلى ذلك ليتفق مع سياق العبارة .

(٣) فى الأصل بنقباء ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٠

(٤) الاضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨١

طلع السلطان على البرج الأحمر ، وتراءى للأمراء ، فنزلوا وقبلوا الأرض من مواقفهم[1] . وقالوا نحن مماليك السلطان ، ولم نخلع يدا عن طاعة ، وليس قصدنا إلا حفظ نظام الدولة ، واتفاق الكلمة ، وإزالة أسباب المضار والفساد عن المملكة . واستمر الحصار سبعة أيام ، وكان الشجاعى ينزل إليهم ، ويناوشهم القتال ، ومعه طائفة من الأمراء وهم : الأمير سيف الدين بكتمر ، السلاح دار ، وسيف الدين طفجى[2] ، وجماعة من المماليك السلطانية . ثم فارقه الأمراء والمماليك ، فكانوا يتسللون عشرة عشرة . فلما رأى حاله انتهت إلى هذه الغاية ، قال إن كنت أنا الغريم ، فأنا أتوجه إلى الحبس طوعا منى ، وأبرأ إلى الأمراء مما نقل إليهم عنى . وحضر إلى باب الستارة السلطانية ، وحلّ سيفه بيده ، وذهب نحو البرج . وتوجه معه الأمير سيف الدين الأقوش ، والأمير سيف الدين صمغار ، ليحبساه بالبرج الجوانى . فوثب عليه مملوك الأقوش ، فقتله وحز رأسه . وأنزلوه إلى الأمير زين الدين كتبغا ، وقد لُفّ فى بقجة . فأمر بأن يطاف برأسه القاهرة ومصر ، وظواهرهما . فطاف به المشاعلية على رمح ، واشهروا[3] قتله . ثم طلع الأمير زين الدين كتبغا والأمراء إلى القلعة ، فى يوم الثلاثاء سابع عشرين صفر ، وأفرج عن الأمراء الذين اعتقلوا ، وجددت الأيمان ، وأنزل من كان بالأبراج والطباق ، من المماليك السلطانية ، الذين اتهموا بهذه الفتنة . فأُسْكِنَتْ طائفة

---

(١) فى الأصل مواقفهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨١

(٢) فى الأصل طقجى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨١ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٠٠ ، يرد هذا اللفظ بالرسمين فى المخطوط . وسوف يجرى تصريفه على هذا الرسم ، دون الاشارة إلى ذلك فى الحواشى .

(٣) فى الأصل واشتهروا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٣ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٨٠١

منهم فى مناظر الكبش ، وطائفة فى دار الوزارة ، وطائفة فى الميدان الصالحى والميدان الظاهرى . واعتقل منهم جماعة . وكان من خبرهم ، بعد ذلك ، ما نذكره فى سنة أربع وتسعين وستمائة .

ذكر عدة حوادث كانت فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة خلاف ما قدمناه ، من ولاية وعزل وغير ذلك ، والوفيات

فى هذه السنة ، فى تاسع عشر صفر ، عزل قاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة الشافعى عن القضاء بالديار المصرية . وأعيد قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن ابن بنت الأعز إلى القضاء . واستقر قاضى القضاة بدر الدين فى تدريس مدرسة الشافعى ومشهد الحسين . فلم يزل كذلك ، إلى أن توفى قاضى القضاة ، شهاب الدين محمد بن أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الخوئى[1] قاضى القضاة الشافعى بدمشق . وكانت وفاته بدمشق فى يوم الخميس ، خامس عشر ، شهر رمضان من هذه السنة . ومولده فى رابع عشرين شوال ، سنة ست وعشرين وستمائة ، وقيل فى رجب من السنة . ففوض [الملك الناصر محمد بن قلاوون[2]] ، القضاء بعد وفاته لقاضى القضاة ، بدر الدين بن جماعة ، فتوجه إلى الشام . وكان وصوله إلى دمشق فى رابع عشر ذى الحجة من السنة .

وفيها ، فى تاسع عشرين صفر فوضت الوزارة للصاحب الوزير تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين محمد ابن الصاحب الوزير بهاء الدين على ، المعروف

---

(١) فى الأصل الخوبى ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٨٩ وفى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٠١ الشهير بابن الخوبى :

(٢) الإضافة من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٨٥

با بن حنا . وفوضت وزارة الصحبة ، لابن عمه الصاحب عز الدين ابن الصاحب محيي الدين ابن الصاحب بهاء الدين ، وكانا يجلسان جميعا فى شباك الوزارة ، ويوقع الصاحب تاج الدين[1] .

وفيها ، فى سلخ صفر ، أفرج عن الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى . وكان الملك الأشرف قد اعتقله ، فى يوم السبت ثانى شوال ، سنة اثنتين وتسعين وستمائة .

وفيها ، فى يوم عيد الفطر ، ظهر الأمير حسام الدين لاجين ، والأمير شمس الدين قراسنقر المنصوريان ، من الاستتار[2] ، وكانا عند هربهما ، أطلعا الأمير سيف الدين بخاص الزينى ، مملوك كتبغا على حالهما . فأعلم أستاذه بهما ، وتلطف فى أمرهما . فتحدث الأمير زين الدين كتبغا مع السلطان ، فعفا عنهما ، وأمرهما كما كانا أول مرة . وتلطف كتبغا فى إظهار لاجين تلطفا حسنا . وهو أنه تحدث مع الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى ، أمير سلاح فى إحضاره . فركب معه ، ووقف تحت قلعة الجبل ، ولم يزل إلى أن أذن له ، وأصلح بينه وبين الأمراء والمماليك السلطانية ، وزال ما بينهم من الوحشة . وكان كتبغا فى أمر لاجين ، كالباحث عن حتفه[3] بظلفه[4] . فإنه فعل معه ، ما نذكره إن شاء الله تعالى[5] .

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٣

(٢) انظر ما سبق ص ٢٦٤ ، ٢٧٠ من هذا الجزء (المصحح)

(٣) فى الأصل حقه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٤ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٠٣ .

(٤) فى الأصل مطلقه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٤ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٨٠٣ .

(٥) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٤ .

وفى هـذه السنة ، قصر النيـل فلم يوف ، وانتهت زيادته إلى خمسة عشر ذراعا ، وثلث ذراع . فارتفعت بسبب ذلك الأسعار . وكان من الغلاء ما نذكره بعـد (١) .

وفى هذه السنة ، فى رابع عشرين ربيع الأول ، كانت وفاة الملك شهاب الدين (٢) غازى ابن الملك المعز مجير الدين يعقوب ابن السلطان الملك العادل سيف الدين ابى بكر محمد بن أيوب ، بداره بالخور بدمشق ، ودفن بتربتهم بقاسيون ، رحمهم الله تعالى .

وفيهـا ، كانت وفاة الصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان الأسعردى . وقد قدمنا ذكر وزارته مرة بعـد أخرى . وكان إذ عزل عن الوزارة ، أخذ دواته وعاد إلى ديوان الإنشاء ، وكتب من جملة الكتاب . وأصله من المعدن (٣) ، من أعمال أسعرد (٤) . فلما فتح الملك الكامل آمـد ، كان ابن لقمان يكتب على عرصة الغلة ، وينوب عن ناظر البيوت بهـا . وكان بهاء الدين زهير ، صاحب ديوان الإنشاء للملك الكامل ، وبعده للملك الصالح ، وهو يومئذ وزير الصحبة . فكانوا يستدعون من صاحب أسعرد أصنافا ، فتأتى الرسائل بالأصناف بخط ابن لقمان ،

---

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٥ ما سنذكره إن شاء الله .

(٢) فى الأصل يسبق ، شهاب الدين بياض ، ولم يرد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٩ ما يدل على سقوط لقب أو كنية لهذا الاسم ، ولعل ذلك راجع إلى غفلة الناسخ .

(٣) فى الأصـل المدر ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٦ والمعدن بلد بارمينية قرب منبع نهر دجلة ، وسميت بهذا الاسم لما كان بها من معادن النحاس والحديد بقربها .
Quatremére : op - Cit il i P , 33 Nore 30

(٤) فى الأصل سعرد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٦ ، ووردت فى صور حديدة ، سعرت ، أو اسعرت ، وهى مدينـة تقع على نهر الرزم الذى ينبع من بحيرة وان بارمينية ، ويلتقى بنهر دجلة عند تل فافان انظر ليسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٤٥ — ١٤٦ .

فتعرض على بهاء الدين زهير ، فيعجبه خطه وعبارته . فطلبه لحضر إلى خدمته ، وتحدث معه ، فأعجبه كلامه ، وسأله عن جامكيته . فقال دون دينارين فى الجهتين ، فعرض عليه أن يسافر صحبته [إلى الديار المصرية][1] ، فأجاب إلى ذلك . وسر به ، فاستصحبه معه ، وناب عنه بديوان الإنشاء إلى الأيام الصالحية . ثم استقل بعد ذلك بصحابة ديوان الإنشاء ، ووزر كما تقدم . ولما انفصل من الوزارة [قال][2] : جاءت فما كثّرت ، وراحت فما أثّرت . وله نظم حسن ، وقد قدمنا ذكر شىء من كلامه ، رحمه الله تعالى .[3]

وفيها ، فى يوم الخميس ، منتصف جمادى الآخرة ، توفى الأمير بدر الدين بكتوت العلائى ، وكانت وفاته بالقاهرة ، وقد عظم شأنه ، وسمت همته ، حتى تعرض لطلب بعض الأكابر الأمراء الخاصكية الأشرفية ، مقدمى[4] الألوف . فيقال أنه سق سما فمات ، سامحه الله تعالى .

وفيها ، فى يوم الخميس ، خامس شعبان ، توفى الملك الحافظ غياث الدين أبو عبد الله محمد ابن الملك السعيد معين الدين بن شاهانشاه ابن الملك الأمجد مجد الدين بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهانشاه بن أيوب ، وصُلّى عليه بعد صلاة الجمعة بجامع دمشق ، ودفن بتربة ابن المقدم ، بمقبرة باب الفراديس ، رحمه الله .[5]

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٦ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٦ .

(٣) هذه الترجمة تطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٦ .

(٤) فى الأصل مقدمين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٥) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٨٩ .

واستهلت سنة أربع وتسعين وستمائة

[٦٩٤ ـ ١٢٩٤ / ١٢٩٥]

ذكر الفتنة التى قصد المماليك السلطانية اثارتها

لما كان فى ليلة العاشر من المحرم، من هذه السنة، تجمعت المماليك السلطانية، الذين فى الكمبش، ومناظر الموادين[1]، وحرقوا باب السعادة، ودخلوا منه إلى المدينة. وطلبوا خوشداشيتهم المعتقلين [بها][2]، الذين بدار الوزارة، للركوب معهم، فما أجابوهم لذلك. فكسروا خزانة البنود، وأخرجوا من كان بها من خوشداشيتهم، ونهبوا الإسطبلات التى تحت القلعة. وركبوا الخيول، وداروا عليها تحت القلعة، من جهة سوق الخيل، طول الليل. فلما كان من الغد، ركب الأمراء الذين فى القلعة وقصدوهم، وتصافّوا واقتتلوا يسيرا. ثم جاء الأمير سيف الدين الحاج بهادر، السلاح دار، الحلبى، وهو يومئذ أمير حاجب، فهزمهم فتفرّقوا فى ضواحى القاهرة وشوارعها، فأُخذوا وحُبِسَ بعضهم. وجلس الأمير زين الدين[3] كتبغا بباب القلعة، وضربت رقاب بعضهم بين يديه، وفرق بعضهم على الأمراء، وغرّق بعضهم سرا. وكانت هذه الحادثة سببا لحركة الأمير زين الدين وركوبه فى السلطنة.

---

(١) فى الأصل الموازين، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٨٩.

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٩١.

(٣) فى الأصل ركن الدين، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨، ص ١٩٢.

ذكر سلطنة السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى ، وهو العاشر من ملوك دولة الترك بالديار المصرية .

كان جلوسه على تخت السلطنة فى يوم الأربعاء[1] ، حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة . وكان سبب ذلك ، أنه لما ملك السلطان الملك الناصر ، واستقر هو فى نيابة السلطنة كما تقدم ، شرع يمهد القواعد لنفسه فى مدة نيابته ، ويقرر[2] الأحوال ، ويستميل الأمراء . فلما كان فى أول هذه السنة ، انقطع فى دار النيابة ، بقلعة الجبل ، وادّعى الضعف . وإنما كان انقطاعه لتقرير أمر السلطنة له . وركب السلطان الملك الناصر ، وجاء إلى دار النيابة للسلام عليه وعيادته فلما اتفقت فتنة المماليك المتقدمة ، جلس [الأمير زين الدين كتبغا[3]] فى اليوم الثانى منها ، بدار النيابة . وجمع الأمراء ، وذكر لهم أن ناموس السلطنة ، وحرمة المملكة ، لا يتم لصغر سن السلطان الملك الناصر . فاجتمعت آراء الأمراء على إقامة الأمير زين الدين كتبغا فى السلطنة . وحلفوا له ، وقدم له فرس النوبة بالرقبة الملوكية ، وعليها ألقابه . وركب من دار النيابة ، قبل أذان العصر ، من هذا اليوم . ودخل من باب القلة[4] إلى الأدر السلطانية ، والأمراء مشاة فى خدمته . ودخل على تخت السلطنة ، وتلقب بالملك العادل . وحجب السلطان الملك الناصر ، وجعله فى بعض القاعات هو وأمه . وعامله بما لا يليق أن يعامله

---

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٢ يوم الثلاثاء .

(٢) فى الأصل وتقرر ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٣ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٣ .

(٤) فى الأصل القلعة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٣ ، والمقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٠٩ .

به . فكانت مدة سلطنة السلطان الملك الناصر هذه – وهى السلطنة الأولى – سنة واحدة إلا ثلاثة أيام . ولم يكن له فى هذه المدة من الأمر شىء . وإنما جرى عليه أمر السلطنة ، وخطب باسمه على المنابر ، وضربت السكة باسمه . وأما غير ذلك من الأمر والنهى ، والولاية والعزل ، والإطلاق والمنع ، والتأمير وإعطاء الإقطاعات ، وغير ذلك من الأوامر ، فللأمير زين الدين كتبغا النائب ، الملقب الآن بالملك العادل[1] .

وفى يوم الخميس ثانى عشر المحرم ، مد [الملك العادل زين الدين كتبغا][2] بساطا عظيما ، وجلس على عادة الملوك . ودخل الأمراء إليه ، وقبلوا يده ، وهنوه بالسلطنة وخلع على الأمير حسام الدين لاجين المنصورى ، وفوض إليه نيابة السلطنة ، وجعل الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى ، أمير جاندار ، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى ، أمير حاجب . وأمر أن تجهز الخلع لسائر الأمراء والمقدمين ، وللوزير بن الصاحب تاج الدين وابن عمه عز الدين ، وقضاة القضاة وأرباب المناصب ، ومن جرت عادتهم بالخلع ، والمماليك السلطانية الذين كانوا بدار الوزارة ، كونهم لم يوافقوا خوشداشيتهم ، على إقامة الفتنة .

وركب الناس بالتشاريف ، فى يوم الخميس ، تاسع عشر المحرم . ولما جلس على تخت السلطنة ، كتب إلى نائب السلطنة بدمشق ، وسائر النواب بالممالك

(١) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٢ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٢ .

الشامية والأعمال، يخبرهم بخبر سلطنته ، و يطلب منهم بذل اليمين . و كل أجاب بالسمع والطاعة ، و بادر إلى الحلف ، وما اختلف عليه اثنان .

ومن غريب ما حكى فى أمر الملك العادل هذا ، أن هولا كو لما استولى على حلب ، وملك الشام أجمع ، كما تقدم، وعزم على تجريد العساكر إلى الديار المصرية، أحضر نصير الدين[1] الطوسى، وقال له : تكتب أسماء مقدمى عساكرى، وتنظر أيهم يملك مصر ، و يجلس على تخت السلطنة بها . فكتب أسماءهم ، وحسب ودقق النظر ، فلما ظهر له ، أنه يملك الديار المصرية إلا كتبغا، فذكر ذلك لهولاكو . وكان كتبغا نوين صهر هولاكو، فقدمه على العساكر وسيره، فقتل فى وقعة عين جالوت، كما تقدم . وكان كتبغا هذا، فى عسكر كتبغا نوين، فسبى وهو شاب . ولعله كان فى سن بلوغ الحلم أو نحوه. وأخر الله السلطنة بالديار المصرية لهذا الامر . وكان بين الحادثين ست وثلاثون[2] سنة .

ولما ملك [كتبغا][3]، شرع فى تأمير مماليكه وتقدمتهم . فكان أول من أمر

---

(١) هذه الرواية أوردها ابن تغرى بردى فى النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ٥٥ — ٥٦ ، نقلا عن المؤرخ الشيخ شمس الدين الجزرى ، الذى يعتبر المصدر الذى استمد منه النويرى وابن الفرات روايات عديدة . ونصير الدين الطوسى ، من البارزين فى شتى العلوم فى عصره ، لاسيما الفلك ، وقد بطوس ٥٩٧ (١٢٠١ م) ، اقام عند الإسماعيلية فى آلموت مدة ، وهو الذى أغرى رئيس الإسماعيليه بالتسليم إلى هولاكو ، وقد دخل نصير الدين فى خدمة هولاكو ، وهو الذى اقنعه بقتل الخليفه المستعصم العباسى (المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٤٢ حاشية ٥) .

(٢) فى الأصل سنة وثلاثين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) الإضافة للتوضيح

منهم أربعة ، وهم سيف الدين بُخاص[1] ، وجعله أستاذ الدار ، وسيف الدين اغرلو[2] وبدر الدين بكتوت الأزرق ، وسيف الدين قطلوبك[3] . وركب هؤلاء بالإمرة في يوم واحد . وركب هو بشعار السلطنة على عادة الملوك في يوم الأربعاء ، مستهل شهر ربيع الأول . وأقر نواب السلطنة على حالهم في الأيام الناصرية وفوّض الوزارة بدمشق للصاحب تقي الدين توبة التكريتي على عادته ، في الأيام المنصورية . وكان وصوله إلى دمشق ، لمباشرة هذه الوظيفة ، في سادس عشر صفر . وكتب السلطان له توقيعا ، برد ما أخذ منه ، في الدولة الأشرفية[4] .

ذكر تفويض الوزارة للصاحب فخر الدين عمر بن الخليلي

وفي يوم الثلاثاء ، خامس عشرين جمادى الأولى[5] من هذه السنة ، عزل السلطان الصاحب تاج الدين ، وفوض الوزارة للصاحب فخر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين عبد العزيز بن الخليلي . وكان هذا الصاحب فخر الدين قد ولي نظر ديوان الملك الصالح علاء الدين علي ابن السلطان الملك المنصور . فلما مرض

(١) في الأصل بنجاص ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٩٥ ، والمقريزي ، السلوك ج ١ ، ص ٨٠٨

(٢) هذا الاسم يرد عادة بالرسمين : اغرلو ، واغرلوا ، ويكتفى بالرسم الوارد بالمتن ، وهو المعروف في معظم المصادر العربية .

(٣) في الأصل قطليك وما هنا من المقريزي : السلوك ج ١ ، ص ٨٠٨ وسائر المصادر العربية

(٤) في الأصل من ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٩٥ ، المقريزي ، السلوك ج ١ ص ٨٠٨ .

(٥) في الأصل الأول ، وما هنا هو الصواب لغويا .

واشتد به الوجع ، دخل الصاحب فخر الدين عليه وبكى ، وأظهر الألم الشديد وقال أخشى إن قدر الله تعالى أمرا محتوما ، والعياذ بالله ، أن أوذى ، ويتمكن منى الأمير علم الدين الشجاعى . وطلب الملك الصالح والده السلطان الملك المنصور وأوصاه أن لا يتعرض إليه . ولا إلى أحد من ديوانه بأذية[1] ، وأن لا يمكن الأمير علم الدين الشجاعى منهم . فلما مات الملك[2] الصالح ، أحسن السلطان [المنصور][3] إليه ، وولاه نظر النظار بالديار المصرية ، ونظر الصحبة ، ثم عزل فى الدولة الأشرفية . وباشر نظر ديوان الملك العادل ، فى مدة نيابته عن السلطنة ، وفوض إليه نظر الدواوين ، ثم الوزارة[4] .

وفى هذه السنة ، قصر النيل ولم يوف ، فحصل الغلاء واشتد البلاء بالديار المصرية . وتوقف الغيث بالشام ، فاستسقى الناس ، مرة بعد أخرى . وأجدبت برقة وأعمالها ، وبلاد المغرب ونواحيها . وعمّ الغلاء أكثر البلاد والممالك ، شرقا وغربا وحجازا . واختصت مصر من ذلك البلاء العظيم . وبلغ سعر القمح عن كل أردب مائة درهم وخمسين درهما ، والشعير مائة درهم . واستمر إلى سنة خمس وتسعين وستمائة[5] .

---

(١) فى الأصل بأذنه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٦

(٢) فى الأصل السلطان الملك ، والواضح أن لفظة سلطان زائدة ، لأن الملك الصالح لم يكن سلطانا .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٦ .

(٤) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٦ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٠٨

(٥) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٩ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨١٠

وفيها ، فوض السلطان قضاء العساكر بالشام ، للقاضى نجم الدين محمد بن صصرى وكان بالديار المصرية . فعاد إلى دمشق متوليا هذه الوظيفة ، وكان وصوله إليها فى يوم الثلاثاء سادس عشرين[1] شهر رمضان .

وفيها ، فوض السلطان الملك العادل ، الخطابة والإمامة ، بالجامع الأموى بدمشق ، لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة ، مضافا إلى ما بيده من القضاء والتدريس . فصلى بالناس صلاة الظهر ، من يوم الخميس الخامس من شوال ، وخطب يوم الجمعة السادس من الشهر ، واجتمع له القضاء والخطابة ، ولم يجتمع ذلك لقاضى قبله بدمشق ، فيما عرفناه . ونقل إلينا[2] .

ذكر القبض على الأمير عز الدين أيبك الخزندار نائب السلطنة بالفتوحات ، وولاية الأمير عز الدين أيبك الموصلى المنصورى

وفى هذه السنة ، رسم السلطان الملك العادل ، بالقبض على خوشداشه ، الأمير عز الدين أيبك الخزندار المنصورى ، نائب السلطنة ، بالفتوحات الطرابلسية . وندب لذلك أميرين ، فتوجها إلى دمشق على خيل البريد ، فوصلا إليها ، فى تاسع عشرين شوال . وجرد من دمشق الأمير عز الدين أيبك كرجى[3] ، والأمير سيف الدين استدمر كرجى بسبب ذلك . فلما توجهوا إليه ، لم يمتنع[4] عليهم ، وقال : قد كنت عزمت على مفارقة هذه المملكة . والتوجه إلى باب

(١) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٠٩ سادس عشرى رمضان .

(٢) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٨ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٠٩

(٣) فى الاصل كجى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٩

(٤) فى الأصل فائب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ١٩٩

السلطان ، فقبض عليه . وكان وصوله إلى الأبواب السلطانية ، فى يوم الخميس حادى عشرين ذى القعدة من السنة ، فاعتقل . واستمر فى الاعتقال ، إلى يوم الخميس رابع عشرين صفر سنة خمس وتسعين وستمائة . ولما قبض عليه ، فوضت نيابة السلطنة بالمملكة الطرابلسية والفتوحات ، للامير عز الدين أيبك الموصلى المنصورى (١) .

وفيها أيضا ، رسم بالحوطة على القاضى مجد الدين يوسف بن القباقبى ناظر المملكة الطرابلسية . وندب الأمير شمس الدين الأعسر لذلك . فتوجه إلى طرابلس ، فى العشر الأوسط ، من شوال ، وأوقع الحوطة على موجوده . فيقال إنه وجد فى جشاره (٢) ، ما يلف على سبعين رأس بغالا وا كاديش جياد . وجهز إلى الديار المصرية ، فتكمل حمله ، فيما أدعاه ألف ألف درهم . ثم أعيد بعد ذلك إلى نظر المملكة الطرابلسية ، وكأنه لم يصادر (٣) . فبلغنى أنه جلس ليلة ، وهو يضحك مع أصحابه بطرابلس . فقال له بعضهم : أخذ منك ألف ألف درهم ، وأنت تضحك . فقال : والله أقدر أنفق فى جيش مصر — وأرى أن هذا الكلام (٤) ، إن كان قاله ، فهو من التغالى فى القول — والله أعلم .

---

(١) يقابل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٩

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٨ « شارة » . والجشار هنا ، وجمعه جشارات وجشير ، ويقال الدشار أيضا ، الخيل والأبقار التى تساق الى المراعى ، وتبقى بها عادة دون أن تعود ليلا إلى حظائرها . Dozy: supp . Dict. Ar.

(٣) فى الأصل يصادره ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٨ .

(٤) أورد ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٨ عبارة قريبة من هذه الرواية ، ورفضها « وهذا الكلام إن كان قاله حقيقة ، فهو من التغالى فى القول » .

ذكر وفاة الملك المظفر يوسف بن عمر صاحب اليمن

وفى هـذه السنة ، كانت وفاة الملك المظفر شمس الدين أبى المظفر يوسف ابن الملك المنصور نور الدين عمـر بن على بن رسول ، صاحب اليمن ، فى شهر رمضان ، بقلعة تعز . وكان جوادا شهما ، عفيفا عن أموال الرعايا ، قليل التطلع إلى ما بأيديهـم ، حسن السيرة فيهم ، يمنع أصحابه من التطرق إلى ظلم أحد . وكانت مدة ملكه ، بالبلاد اليمانية ، نحو خمس(١) وأربعين سنة .

وكان للملك المظفر من الأولاد خمسة ، وهم الملك الأشرف ممهد الدين عمر ، والملك المؤيد هزبر الدين داود ، والواثق إبراهيم ، والملك المسعود تاج الدين حسن ، والملك المنصور زين الدين أيوب . وللملك المسعود هـذا ولد اسمه أسد الإسلام محمد . وللملك المنصور ولد اسمـه مأمور(٢) الدين عيسى . ولما مات الملك المظفر هذا ، ملك بعده ولده الملك الأشرف ممهد الدين عمر ، وهو ولى عهده . فلما ملك نازعه أخوه الملك المؤيد هزبر الدين داود فى الملك . وكان المؤيد يوم ذاك ببلاد الشحر ، فجمع جمعا من الجحافل ، وتوجه إلى ثغر عدن ، وحاصر الثغر ثلاثة عشر يوما . وكان متوليه الأمير سيف الدين بن برطاس ، فملك المؤيد الثغر ، واستولى على مابه . فاقترض أموال التجار وأموال الأيتام التى بمـودع الحكم . وتوجه من ثغر عدن نحو تعز . فجرد الملك الأشرف لقتاله الشريف على بن عبد الله ، بجماعة من الجيش ، وولده جلال الدين بن الأشرف . فتوجهوا والتقوا ، فيما بين تعز وعدن ، بمكان يسمى الدعيس . واقتتلوا فخـذل الجحافل المؤيد ، وتفرقوا عنه ، وبقى فى نفر يسير . فتقدم إليه جلال الدين ابن أخيه ، وأشار عليه بالدخول

(١) فى الأصل خمسة ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) فى الأصل تأمور ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ١٩٧ .

فى الطاعة ، وحذر عاقبة المخالفة . وقال له : الملك الأشرف أخوك ، ولا يقتلك ، وأنت بينك و بين الأشراف حرب قبل هـذا الوقت ، فإن ظفروا بـك قتلوك . وأشار عليـه بعض أصحابه بمثـل ذلك ، فرجع إلى قولهم ، ورجع إلى الطاعة . فأراد جلال الدين أن يتوجه به إلى والده [الملك الأشرف[1]] على حاله . فامتنع عليه الشريف على بن عبد الله ، وقال : إن أمر هذا الجيش إلىّ . وقيّد المؤيد ، وحمـله إلى قلعة تعز ، فاعتقله بها إلى أن مات الملك الأشرف . وكانت وفاته فى سنة ست وتسعين وستمائة . فأخرج من الاعتقال ليلا ، قبل دفن أخيه ، فأمر بدفنه . وأصبح الحراس بالقلعة ، فدعوا للملك المؤيد ، وترحّموا على الملك الأشرف وكان مُلْك المـؤيد باتفاق عمته الشمسية ، وقيامها فى أمره . واستمر فى الملك إلى أن مات ، فى سنة إحدى وعشرين وسبعمائة ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى ، فى موضعه .

وفيهـا ، فى يوم السبت ، رابع شهر ربيع الأول ، توفى الأمـير بدر الدين بكتوت الأفرمى بدمشق ، ودفن بمقابر باب الصغير .

وفيها ، كانت وفاة الصاحب عز الدين ابن الصاحب محيى الدين أحمـد ابن الصاحب الوزير بهاء الدين على بن محمد ، رحمهم الله تعالى .

وفيها ، فى شهر رجب توفى بالقاهرة ، الأمـير بدر الدين بكتوت الفارسى الأتابكى ، رحمه الله تعالى .

---

(١) الإضافة من ابن الفرات ج ٨ ، ص ١٩٨ .

وفيها ، فى وقت السحر ، من يوم السبت عاشر شعبان ، توفيت ملكة خاتون ، ابنة الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب . وهى زوجة الملك المنصور ابن الملك الصالح إسماعيل وأم ولديه . وهى التى كان ناصر الدين بن المقدسى أثبت سفهها فى الدولة المنصورية ، واستعاد أملاكها من سيف الدين المسامرى وغيره ، كما تقدم ذكر ذلك ، رحمهما الله تعالى .

واستهلت سنة خمس وتسعين وستمائة

[٦٩٥ = ١٢٩٥ / ١٢٩٦]

فى هـذه السنة ، اشتد الغلاء بالديار المصرية ، وكثر الوباء وانتهى سعر القمح إلى مائة درهم وسبعة وستين درهما ، عن كل أردب ، وقيل إنه بلغ مائة وثمانين . وأعقب ذلك وباء عظيم . وغلت الأسعار فى سائر الأصناف . وبلغ ثمن الفروج عشرين درهما . وسمعت أن بعض الناس اشترى فراريج لمريض عنده ، فوزن لحمها ، فكان بوزن الدراهم التى اشتراها بها (١) . فتقوّم عليه لحم الفراريج ، الدرهم بدرهم فضة . وبيعت البطيخة ، الرطل بأربعة دراهم نقرة . وابيعت السفرجلة ، بثلاثين درهما ، هذا بالقاهرة ومصر . وأما الصعيد الأعلى ، وهو عمل قوص وما يجاوره ، فإن القمح لم يزد ثمنه ، على خمسة وتسعين درهما الأردب . وأعقب هذا الغلاء بالقاهرة فناء عظيم . كان يحضر من يخرج من باب المدينة من الأموات فى اليوم الواحد ، فيزيد على سبعمائة أو نحوها ، هذا من داخل المدينة ، من أحد الأبواب . والقاهرة بالنسبة إلى ظواهرها ، كالشارع (٢) الأعظم ، والحسينية والأحكار ، جزء لطيف . وعجز الناس عن دفن الأموات أفرادا ، فكانوا يحفرون الحفرة الكبيرة ، ويرص (٣) فيها الأموات ، من الرجال والنساء ، ويُجعل الأطفال بين أرجلهم ، ويردم عليهم . وبعض الأموات

(١) فى الأصل يوزن ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٨

(٢) فى الأصل الشارع ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢

(٣) فى الأصل يرض ، وفى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٠ ، وما هنا يستقيم به المعنى .

لم يجدوا من يواريهم فى قبورهم ، فأكلتهم الكلاب ، وأكل الأحياءُ الكلاب . وكان الفناء أيضا بالأعمال البرانية [عن القاهرة ومصر](١) ، حتى خلت بعض القرى وأطراف المدينة ، لفناء أهلها بالموت .

ثم انحطت الأسعار بالديار المصرية فى شهر رجب ، ونزل سعر القمح إلى خمسة وثلاثين درهما الأردب ، والشعير بخمسة وعشرين [درهما الأردب](٢)] وكان أكبر أسباب هذا الغلاء وتزايده بالديار المصرية ، خلو الأهراء(٣) السلطانية من الغلال ، وذلك أن السلطان الملك الأشرف ، كان قد فرّق الغلال ، وأخلى الأهراء منها بالإطلاقات للأمراء وغيرهم ، حتى نفد ما فى الأهراء . وقصر النيل بعد ذلك ، فاحتاج وزير الدولة إلى مشترى الغلال للؤونة والعليق ، فتزايدت الأسعار بسبب ذلك .

وفيها أيضا ، قلّ المطر بدمشق وبلاد حوران ، وجفّ الماء حتى شق ذلك على المسافرين . فكان المسافر يسقى دابته بدرهم ، ويشرب بربع درهم . فلما اشتد ذلك على الناس ، أشار قاضى القضاة ، بدر الدين محمد بن جماعة ، بقراءة صحيح البخارى بدمشق . وتقرر الاجتماع لسماعه بالجامع الأموى ، تحت النسر فى سابع(٤) صفر . وطُلب الشيخ شرف الدين الغزارى لقراءته . فانزل الله تعالى

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١

(٢) الإضافة للتوضيح

(٣) الأهراء السلطانية : الشون التى يرد إليها الغلال والأنيات الخاصة بالسلطان ومنها يصرف ما تحتاجه الأصطبلات الشريفة والمناخات السلطانية .

القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٣٣ ؛ المقريزى ، المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٤٦٤

(٤) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١١ ، تاسع

الغيث فى تلك الليلة قبل الشروع فى القراءة . ثم قرىء الصحيح ، ووقع المطر فى آخر يوم من كانون الأول ، واستمر يومين وبعض ليلة ، فاستبشر الناس بذلك وتزادف نحو جمعه . ثم جاء بعد ذلك ثلج كثير ، فى مستهل شهر ربيع الأول . ثم ارتفع السعر ، وبلغ [سعر[1]] القمح ، عن كل غرارة مائة درهم ، وخمسة وستين درهما . [واشتد الغلاء بالحجاز[2]] أيضا فأبيعت غرارة الشعير بالمدينة ، بسبعمائة درهم ، وغرارة القمح بألف [درهم[3]] . وأبيعت بمكة ، شرفها الله تعالى ، بألف درهم ومائة درهم . ثم جاء المطر بدمشق فى ثانى جمادى الآخرة .

ذكر حادثة عجيبة بالشام

وفى هذه السنة ، فى العشر الأول من المحرم ، استفاض بدمشق وشاع ، وكثر الحديث عن قاضى جبة أعسال[4] ، من قرى دمشق ، أنه تكلم ثور بقرية من قرى جبة أعسال . وهو أن الثور خرج ليشرب من ماء هناك ، ومعه صبى فلما فرغ من شربه ، حمد الله ، فتعجب الصبى . وحكى ذلك لمالك الثور ، فشك فى قوله . وخرج فى اليوم الثانى بنفسه ، فلما شرب الثور ، حمد الله . وحضر فى اليوم الثالث جماعة ، وسمعوه يحمد الله ، بعد شربه . فكلمه بعضهم ، فقال الثور : إن الله كان قد كتب على الأمة سبع سنين جدباء ولكن بشفاعة النبى ، صلى الله عليه وسلم ، أبدلها الله بالخصب . وذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم ،

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١١ .

(٢) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨١٥

(٣) الإضافة للتوضيح .

(٤) فى الأصل بحبة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١١ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٨١١ ، انظر ما يلى .

أمره بتبليغ ذلك ، وأنه قال له يا رسول الله ، ما علامة صدق عندهم ؟ قال : «إنك تموت عقيب الأخبار» . — قال الحاكى لذلك — ثم تقدم الثور إلى مكان مرتفع فسقط ميتا . فأخذ أهل القرية من شعره للتبرك ، وكفن ودفن . حكى هذه الحادثة ، شمس الدين محمد بن إبراهيم الجزرى فى تاريخه حوادث الزمان[1] ، والله علم .

وفيها ، فى العشر الأوسط ، من شهر ربيع الآخر ، قتل بدمشق جماعة بالليل فى الدروب . ومعظم من قتل ، من حراس الدروب ، واستمر ذلك عدة ليال . وفى كل يوم يوجد قتيل واثنان . ولم يعدم لأحد شىء[2] ، مع ذلك ، ولا سرق منزل . فاحترز متولى المدينة فى ذلك . وبقى يركب طول الليل ، فى جماعة كثيرة ، ويطوف البلد ، والأمر يتزايد . فلما كان فى العشر الأوسط ، من جمادى الأولى ، مُسك فقير مولّه ، فاعترف أنه هو الذى قتل الحراس ، فسمر وبقى يومين ، ثم خنق فى اليوم الثالث .

ذكر وفود الأويراتية من بلاد التتار

فى هذه السنة ، وردت طائفة من التتار ، تسمى الأويراتية ، ومقدمهم

(١) التطابق تام بين النويرى وابن الفرات جـ ٨ ص ٣٠٢ . ومن إشارة النويرى وابن الفرات للصدر ، تبين أن أحدهما أو كليهما رجع إليه . وهذا المصدر هو تاريخ الجزرى ، المعروف التاريخ المسمى بحوادث الزمان وأنبائه ، ومؤلفه محمد بن إبراهيم بن أبى بكر الجزرى الدمشقى المتوفى سنة ٧٣٩ هـ (١٣٣٨) م . انظر ابن حجر العسقلانى الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة جـ ٣ ، ص ٣٠١ ، والزركلى : الأعلام جـ ٦ ، ص ١٨٩

Brockelman : Gesch. Ar. Litter. Supp. II P. 45

(٢) فى الأصل شيئا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

طرغاى ، ووصلوا إلى الشام . وكانوا على ما قيل ، ثمانية عشر ألف بيت[١] . وكان السبب فى هزيمتهم[٢] من بلادهم ، أن طرغاى ، هذا المذكور ، كان متفقا مع بيدو ابن طرغاى على قتل كيخاتو . فلما صار الملك إلى غازان ، خافه طرغاى على نفسه ، أن يقتله بعمه كيخاتو . وكان مقيما بتمانه[٣] [بين بغداد والموصل[٤]] . وكان اشتبغا مقيما بتمانه بديار بكر . فأرسل غازان بولاى ومعه تمان[٥] إلى ديار بكر ، عوضا عن اشتبغا ، وأوصاه بحفظ الطرقات على طرغاى ، وأن يساعد من يندب لقتله ، ثم جهز غازان أميرا يسمى قطغوا فى ثمانين فارسا للقبض على طرغاى ومن معه ، من أكابر قبيلة أويرات . فاتفق طرغاى ، ومن معه من الأمراء ، وهم الوص و كككباى[٦] ، وقتلوا قطغوا ومن معه . وعبروا الفرات[٧] إلى جهة الشام ، فتبعهم بولاى بتمانه ، فقاتلوه وهزموه ، وقتلوا أكثر من معه .

ولما وردت مطالعات نواب الشام إلى السلطان الملك العادل بوصولهم ، اهتم بأمرهم . وكتب إلى [نائب السلطنة بدمشق[٨]] ، أن يتوجه الأمير علم الدين

(١) فى الأصل بينا وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) فى الأصل هزيمتهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٤ .

(٣) فى الأصل بتمانه ، وما هنا هو الصواب ، والتمان والتومان فرقة من الجيش ، ويرد أيضا برسم طومان ، وهو الفرقة التى يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل انظر

Quatremère : op. Cit. II 2. p. 152.

(٤) فى الأصل من بغداد ، وما هنا إضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٤ .

(٥) فى الأصل تمانا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) فى الأصل ككتاى وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٤ انظر ما يلى .

(٧) فى الأصل الفراة ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٤ .

(٨) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٤ .

سنجر الدوادارى ، بجماعة إلى الرحبة لتلقيهم[1] . فتوجه من دمشق فى غرة شهر ربيع الأول . ثم توجه بعده ، الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، شاد الدواوين بالشام ، ليلقاهم أيضا . وجهّز السلطان أيضا ، الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، من الديار المصرية إلى دمشق ، بسبب ذلك ، فوصل إليها فى ثانى عشرين شهر ربيع الأول . ثم أردفه بالأمير سيف الدين بهادر الحاج الحلبى الحاجب ، فأقاما بدمشق ، إلى أن وصل أعيان الأويراتية إلى دمشق ، صحبة الأمير شمس الدين الأعسر . وكان وصولهم فى يوم الاثنين ، ثالث عشرين شهر ربيع الأول ، وعدتهم مائة وثلاثة عشر نفرا ، والمقدم عليهم طرغاى ، ومن أكابرهم الوص وككباى . فتلقاهم نائب السلطنة والأمراء ، واحتفل بقدومهم[2] احتفالا كبيرا . ثم توجه بهم الأمير شمس الدين قراسنقر ، إلى الديار المصرية فى يوم الاثنين سابع عشر ربيع الأول . وتوجه بعده الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحاجب ، على خيل البريد إلى الأبواب السلطانية ، فى حادى عشر الشهر . ولما وصلوا إلى باب السلطان بالغ فى إكرامهم ، وأحسن إليهم ، وخلع عليهم ، وأمرهم بالطبلخاناة . وهم على دين الكفرة ، ويأكلون فى شهر رمضان ، ولا يذبحون الخيل ذبيحة ولا نحرا ، بل يربطون الفرس ، ويضربونه على وجهه حتى يموت ، فيأكلونه بعد ذلك . وكانوا يجلسون مع الأمراء بباب القلة ، فأنفت نفوس الأمراء من ذلك وكرهوه ، حتى أوجب ذلك خلع السلطان ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

(١) فى الأصل ليلقيهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٤ .

(٢) فى الأصل لقدومهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٤ .

وأما بقية الأوياتية ، فإن السلطان كتب إلى الأمير علم الدين سنجر الدوادارى أن يتوجه بهم إلى الساحل فينزلهم به ، فتوجه بهم . ولما مرّوا بدمشق ، أنزلهم بالمرج ، ولم يُمكّن أحدا منهم من دخول المدينة . ورسم بإخراج الأسواق إليهم للبيع والشراء بالمرج ، إلى الكسوة والصنمين[1] . وفعل ذلك فى كل منزلة إلى أن وصل بهم إلى أراضى عثليث ، وامتدّوا[2] فى بلاد الساحل . ورسم[3] السلطان باقامة الأمير علم الدين [سنجر[4]] الدوادارى معهم ، إلى أن يحضر السلطان إلى الشام ، ومات منهم خلق كثير . وأخذ الأمراء أولادهم الشباب للخدمة ، وكانوا من أجمل الناس ، وتزوج الجند وغيرهم من بناتهم . ثم انغمس من بقى منهم فى العساكر ، وتفرقوا فى الممالك الإسلامية ، ودخلوا فى دين الإسلام . وبقاياهم فى الخدمة إلى وقتنا هذا[5] .

ذكر وفاة قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز وتفويض القضاء للشيخ ابن دقيق العيد .

وفى هذه السنة ، فى يوم الخميس ، سادس عشر جمادى الأولى ، توفى

---

(١) فى الأصل والصنفين ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٥ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨١٢ .

والصنمين قرية من أعمال دمشق ، فى أوائل حوران ، بينها و بين دمشق مرحلتان ، ياقوت : معجم البلدان جـ ٣ ، ص ٤٢٩ .

(٢) فى الأصل واشتدوا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٥ .

(٣) فى الأصل ورسم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٥ .

(٤) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨١٣ .

(٥) يطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٥ .

قاضى القضاة ، تقى الدين أبو القاسم عبد الرحمن ابن قاضى القضاة تاج الدين أبى محمد عبد الوهاب بن بنت الأعز ، قاضى القضاة الشافعى ، بالديار المصرية ، ودفن بالقرافة ، فى تربة والده ، رحمهما الله . وفى يوم وفاته ، توفى كاتبه نور الدين بن السومى ، وكان خصيصا به . وحملت جنازتاهما[1] معا .

وقد قدمنا من ذكر أخبار قاضى القضاة تقى الدين هذا وولاياته القضاء والوزارة ونظر الخزائن ، ما نستغنى الآن عن إعادته ، رحمه الله تعالى . ولما مات ، فوض السلطان قضاء القضاة بالديار المصرية ، لشيخنا[2] الإمام العلامة ، تقى الدين بقية المجتهدين أبى الفتح محمد ابن شيخ الإسلام مجد الدين على بن وهب بن مطيع القشيرى ، المعروف بابن دقيق العيد . وكانت ولايته فى يوم السبت ثامن عشر الشهر المذكور . ولما ولى القضاء كان كثير التطلع إلى أخبار نوابه بالأعمال[3] البرانية . وكان يذكرهم بكتبه المشتملة على المواعظ والتحذيرات ، من عواقب الغفلة والإهمال . فكان مما كتب به ، إلى بعض نوابه ، فى سنة سبع وتسعين . وقيل إنه كتب إلى جميع النواب مثل ذلك . وكان مضمون كتابه الذى نقلت[4] نسخته هذه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، الفقير إلى الله تعالى ، محمد بن على .

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة

(١) فى الأصل جنازتيهما ؛ وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) فى ابن الفرات ج ٨ ، ص ٢٠٥ الشيخ الإمام .

(٣) الأعمال البرانية ، المقصود بها الأقاليم الخارجة عن مصر والقاهرة وضواحيها .

(٤) التطابق تام بين ابن الفرات ج ٨ ، ص ٢٠٦ والنويرى وكلاهما أورد كتاب ابن دقيق العيد .

عليها ملائكة غلاظٌ شدادٌ لا يَعْصُون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون[1] ﴾ . هذه المكاتبة إلى، فلان ، وفقه الله لقبول النصيحة ، وأناه لما يقربه قصدا صالحا ، ونية صحيحة . أصدرناها إليه ، بعد حمد الله الذى ﴿ يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور[2] ﴾ ، ويمهل حتى يلتبس الإمهال بالإهمال على المغرور ، تذكره بأيام الله ، ﴿ وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون[3] ﴾ . وتحذره[4] صفقة من باع الآخرة بالدنيا ، فما أحد سواه مغبون . عسى أن يرشده بهذا التذكار وينفعه وتأخذ هذه النصائح بحجزته عن النار ، فإنى أخاف أن يتردى ، فيجز من ولاه ، والعياذ بالله ، معه .

والمقتضى لإصدارها ما لحظناه[5] من الغفلة المستحكمة على القلوب ، ومن تقاعد الهمم عن القيام بما يُحب الرب على المربوب ، ومن أنسهم بهذه الدار وهم يزعجون عنها ، ومن علمهم بما بين أيديهم من عقبة كؤود ، وهم لا يتحققون[6] منها ، ولا سيما القضاة الذين يحملون عبء[7] الأمانة ، على كواهل ضعيفة ، وظهروا بصور كبار ، وهممٍ[8] نحيفة . والله إن الأمر لعظيم ، وإن الخطب لجسيم ، ولا

---

(١) سورة التحريم آية ٦ .

(٢) سورة غافر ، آية ١٩ .

(٣) سورة الحج ، آية ٤٧ .

(٤) فى الأصل بحذره ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧

(٥) فى الأصل لحياه ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧

(٦) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧ يتخففون .

(٧) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧ عنا

(٨) فى الأصل وهم ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧

أرى مع ذلك أمنا ولا قرارا ، ولا راحة ، اللهم [إلا](١) رجلا(٢) نبذ الآخرة وراءه ، واتخذ إلهه هواه ، وقصر همّه وهمته على حظ نفسه من دنياه ، فغاية مطلبه(٣) الحياة والمنزلة فى قلوب الناس وتحسين الزى(٤) والملبس ، والركبة والمجلس ، غير مستشعر(٥) خيبة حاله ، ولا ركاكة مقصده ، فهذا لا كلام معه ، فإنك لا تسمع الموتى ، وما أنت بمسمع من فى القبور . فاتق الله الذى يراك حين تقوم ، واقصر أملك عليه ، فالمحروم من أمله غير مرحوم . وما أنا وأنتم أيها النفر ، إلا كما قال حبيب العجمى ، وقد قال له قائل : ليتنا لم نخلق فقال قد وقعتم فاحتالوا . وإن خفى عليك بعض هذا الخطر ، وشغلتك الدنيا ، أن تقضى من معرفته الوطر . فتأمل [من](٦) كلام النبوة القضاة ثلاثة ، وقوله صلى الله عليه وسلم لمن خاطبه مشفقا عليه : لا تأمرن على اثنين ، ولا تلين مال اليتيم ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم(٧) .

وما أنا والسير فى متلف يبرح بالذكر الضابط

هيهات جف القلم ، ونفذ أمر الله ، ولا راد لما حكم . ومن هناك شمّ الناس فى الصدّيق رضى الله عنه ، رائحة الكبد المشوى . وقال الفاروق : ليت أم عمر

---

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧

(٢) فى الأصل أرجل ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى الأصل مطلب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧

(٤) فى الأصل الرأى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧

(٥) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧ خسة

(٦) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٧

(٧) ما حدث من الاضطراب فى ترتيب لوحات المخطوطة الأصلية ، أدى إلى بتر الروايات واضطرابها ، وبفضل ابن الفرات ثم تقويم النصوص والعبارات ، انظر ما سبق الإشارة إليه ص ٢٢٥ من هذا الجزء .

لم تلده . واستسلم عثمان وقال من أغمد سيفه، فهو حر. وقال علي : — والخزائن بين يديه مملوءة — من يشترى منى سيفى هذا ، ولو وجدت ما اشترى به رداء ما بعته . وقطع الخوف نياط قلب عمر بن عبد العزيز، فمات من خشية العرض. وعلق بعض السلف فى بيته سوطا، يؤدب به نفسه إذا فتر. أفترى ذلك سدى ؟ أو وضح إنانحن المقربون وهم البعداء ؟ وهذه أحوال لاتوجد فى كتاب السلم ولا الإجارة(١) ولا الجنايات . نعم إنما تنال بالخضوع والخشوع ، وبأن تظمأ وتجوع ، وتحمى عينك الهجوع . ومما يعينك على الأمر الذى دعوت إليه ، ويزودك فى سيرك إلى الغرض(٢) عليه ، أن تجعل لك وقتا تعمره بالفكر والتدبير ، وأناة تجعلها معدة لجلاء قلبك . فإنه [إن(٣)] استحكم صدأه ، صعب تلافيه(٤) . واعرض عنه من هو أعلم بما فيه ، واجعل أكثر همومك لاستعداد المعاد ، والتأهب لجواب الملك الجواد . فإنه يقول ﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين عما كانوا يعملون(٥) ﴾ .

(١) فى الأصل الاجادة ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٢٠٧ ، وكتاب السلم والإجارة من موضوعات الفقه الإسلامى . فالسلم هو بيع شىء غير موجود بالفعل ، بثمن مقبوض فى الحال ، على أن يوجد الشىء ويسلم للمشترى فى أجل معلوم .

انظر عبد الرزاق السنهورى ، الوسيط فى شرح القانون المدنى ، ١٩٦٠ ، ج ٤ ، ص ٢٢٠ .

أما الاجارة فالمقصود بها ما يؤدى من كراء الأرض من ثمر أو زوع أو مال متفق عليه .

انظر ابن حجر العسقلانى ، كتاب بلوغ المرام من أدلة الأحكام ، القاهرة ١٣٣٠ هـ . ص ١٥٩ .

(٢) فى الأصل العرض ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٢٠٧

(٣) الإضافة من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٢٠٧

(٤) فى الأصل بلاقيه ، وما هنا من ابن الفرات ج ٨ ، ص ٢٠٧

(٥) سورة الحجر ، آية ٩٢ ، ٩٣

ومهما وجدت من همتك قصورا ، واستشعرت من نفسك عما بدا إليها نفورا ، فاجأر إليه وقف ببابه واطلب منه ، فإنه لا يعرض عمن صدق ، ولا تعزب[1] عن علمه[2] خفايا الضمائر ، ألا يعلم من خلق

وهذه نصيحتى إليك ، وحجتى بين يدى الله ، إن فرّطتَ ، عليك ، اسأل الله لى ولك ، قلبا واعيا ، ولسانا ذاكرا ، ونفسا مطمئنة ، بمنّه وكرمه .

وفى هذه السنة ، عزل القاضى جمال الدين بن الشريشى نفسه من نيابة الحكم بدمشق ، عن قاضى القضاة بدر الدين [بن جماعة][4] ، وذلك فى الجمعة ، رابع عشرين شهر رجب . فوقع اختيار قاضى القضاة ، بدر الدين [بن جماعة][5] فى النيابة عنه ، على القاضى جمال الدين سليمان بن عمر بن سالم الأذرعى[6] ، المعروف بالزرعى قاضى زرع[7] . فاحضره منها واستنابه بدمشق ، وذلك فى يوم الاثنين تاسع عشر شوال من السنة .

وفيها ، قدمت والدة الملك العادل بدر الدين سلامش ابن السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس من بلاد الأشكرى[8] ، إلى دمشق . وكان وصولها

(١) فى الأصل يعزب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٨

(٢) فى الأصل عمله ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٨

(٣) فى الأصل من ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٠٨

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٢

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٢

(٦) فى الأصل الأدرعى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٢

(٧) زرع ، من بلاد حوران والغوطة جنوبى دمشق ، وهى وحدة إدارية (محل) مستقلة . القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ١٠٨

(٨) الأشكرى ، وهو امبراطور الدولة البزنطية بالقسطنطينية ، وكان وقتذاك اندرونيكوس الثانى بالورلوغس ١٢٨٣ — ١٣٣٤ ، الذى تقدمت الإشارة اليه .
انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٧١٤ حاشية ٧

فى حادى عشر رمضان . ونزلت بدار الحديث الظاهرية بدمشق . وأرسل إليها نائب السلطنة الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى ، التحف والهدايا والألطاف ، وخدمها أتم خدمة . ثم توجهت من دمشق إلى القاهرة فى عشية الجمعة ، ثامن عشر رمضان .

ذكر توجه السلطان الملك العادل وعزل نائب السلطنة بدمشق الأمير عز الدين الحموى ، وتولية الأمير سيف الدين أغرلوا(١) العادلى وغير ذلك

وفى هذه السنة ، توجه السلطان الملك العادل إلى الشام بجميع العساكر . وكان استقلال ركابه من قامة الجبل ، فى يوم السبت سابع عشر شوال ، بعد الزوال . ووصل إلى دمشق فى الساعة الخامسة من يوم السبت ، خامس عشر ذى القعدة ، والأمير بدر الدين بيسرى حامل الجتر(٢) على رأسه . وحضر فى خدمته نائب السلطنة ، الأمير حسام الدين لاجين ، والصاحب فخر الدين بن الخليلى ونزل

(١) هكذا فى الأصل المنسوخ المحقق ، وكذا فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٤ (أغرلوا) ، أما فى المخطوط (اعزلوا) ، وفى المنهل الصافى تحقيق د . محمد محمد أمين جـ ٢ ، ص ٤٦٢ (أغزلو) ، وفى زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة تحقيق د . زبيدة محمد عطا جـ ٩ ، ص ٢٩٢ (اعرلو) ، وفى السلوك تحقيق د . محمد مصطفى زيادة جـ ١ ، ص ٨١٧ ، وكذا فى الدرر الكامنة جـ ١ ، ص ٣٩٠ (أغراو) (المصحح) .

(٢) الجتر ، لفظ فارسى معرب ، يقصد به المظلة ، وهى قبة من حرير أصفر مزركش بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السلطان فى المواكب ، وهى من رسوم الملك ، ومن بقايا الدولة الفاطمية — القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ص ٧ — ٨ .

الوزير بدار الملك الزاهر . وفى يوم وصوله إلى دمشق ، توجه إلى زيارة قبر والده ، الشيخ مجد الدين بجبل الصالحية . فلقيه القاضى تقى الدين سليمان الحنبلى ، وسلّم عليه ، فعزّف به . فأمر أن يركب بغلته الجنيب ، فركبها ، وحضر معه إلى تربة والده . فلما فرغ من القراءة ، ولّاه الصاحب قضاء القضاة على مذهبه ، فقبل . وخلع عليه فى بكرة النهار ، وعلى بقية القضاة . وكان قاضى الحنابلة قبله ، القاضى شرف الدين الحسن ابن الشيخ شرف الدين عبد الله بن محمد بن قدامة المقدسى قد توفى ، وكانت وفاته فى أول ليلة الخميس ، الثانى والعشرين من شوال ، ودفن ضحى يوم الخميس ، رحمه الله تعالى (١) .

ولما استقر السلطان بدمشق ، خلع على الأمراء والمقدمين ، وعلى الصاحب تقى الدين توبة ، والشيخ نجم الدين بن أبى الطيب ، وولّاه وكالة بيت المال ، وعلى شهاب الدين الحنفى .

ثم شرع الصاحب فخر الدين فى مصادرات الولاة والمباشرين . ورسّم على الأمير شمس الدين الأعسر شاد الدواوين [بدمشق (٢)] ، وعلى الأمير سيف الدين استدمر كرجى (٣) والى البر ، وعزله عن ولاية البر . وولّى الأمير علاء الدين ابن الجاكى عوضه ، وطلب منهما الأموال ، ورسّم على سائر المباشرين ، وطلب من كل منهم جامكية سنة . واستخرج من شهاب الدين بن السلعوس ثمانين ألف درهم ، وكان الأمير شمس الدين صنقر الأعسر باقيا على ولايته ، وهو الذى تولّى

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٣ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٣

(٣) فى الأصل كجي ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٣ .

المستخرج من المصادرين ، استدمر وغيره . وهو مع ذلك يحمل ما تقرر عليه من الأموال[١] .

وفى يوم الاثنين رابع عشر ذى القعدة ، وصل الملك المظفر صاحب حماه إلى خدمة السلطان بدمشق ، فتلقاه السلطان وأكرمه . ثم جرد السلطان جماعة من العسكر المصرى ، وعسكر دمشق إلى جهة حلب[٢] .

وفى يوم الجمعة ، ثامن عشرين ذى القعدة ، حضر السلطان إلى جامع بنى أمية وصلى به الجمعة . وخلع على الخطيب قاضى القضاة بدر الدين [بن جماعة[٣]] ، وزار مصحف عثمان .

وفى يوم الاثنين مستهل ذى الحجة ، حضر الأمير عز الدين الحموى الظاهرى ، نائب السلطنة بدمشق ، إلى خدمة السلطان . فأنكر عليه سوء اعتماده ، وطمع نفسه ، وما بلغه عنه من بسط يده فى أخذ المصانعات[٤] . وأخذ السلطان خيوله المسومة وأمواله وألمشته ، ثم عزله عن النيابة ، وفوضها لمملوكه الأمير سيف الدين أغرلوا العادلى ، وباشر النيابة من يومه . ثم خلع بعد ذلك على الأمير عز الدين الحموى ، وأنعم عليه بإقطاع أغرلوا بالديار المصرية . وانتقل الحموى عند عزله من دار السعادة ، ونزل بداره المعروفة بالجيشى التى بالقصاعين .

---

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٣

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٣

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٣

(٤) المصانعات : المقصود بها هنا أموال الرشوة والمداراة ؛ فى محيط المحيط صانعه رشاه وداراه وداهنه . وفى Dozy: Supp. Dict. Ar أمثلة عديدة للدلالة على ما يؤديه الشخص من الأموال ، حتى لا يتعرض للأذى والضرر .

وفيها، فى ثامن ذى الحجة، فوض السلطان وزارة الشام، لوكيله شهاب الدين الحنفى، عوضا عن تقى الدين توبة، وكان قبل ذلك بل الحسبة بدمشق. وخلع عليه خلعة الوزارة فى يوم عيد الأضحى. ثم توجه السلطان فى ثامن [عشر](١) ذى الحجة، إلى جهة حمص، وتصيّد فى تلك الجهة. ودخل حمص فى تاسع عشر ذى الحجة، وحضر إليه نائب السلطنة بحلب، وبقية النواب. وانسلخت السنة، والسلطان بمخيمه على جُوسِيه(٢)، وهى قرية من قرى حمص، كان قد اشتراها.

وفى هذه السنة، توفى الأمير عز الدين أيبك الأفرم الصالحى، أمير جاندار. وكانت وفاته بمصر، فى يوم الأربعاء، السادس والعشرين من صفر سنة خمس وتسعين وستمائة. ودفن بتربته بالرصد. وكان رحمه الله تعالى، كثير الخير والإحسان إلى خلق الله تعالى. وعمّر المدارس والمساجد والجوامع، وله بإسنا من عمل قوص، مدرسة موقوفة على طائفة الشافعية. وبقوص مدرسة على ساحل البحر كذلك، وبجوار المدرسة مسجد له، يجتمع فيه الفقراء الأعجام القرندلية(٣) فى شهر رمضان من كل سنة، ويذبح لهم فى كل يوم رأس غنم،

(١) الإضافة من ابن الفرات جـ٨، ص ٢١٤، وفى المقريزى: السلوك جـ ١، ص ٨١٧، ثانى عشر.

(٢) كذا جرى ضبطها فى المقريزى: السلوك جـ ١، ص ٨١٧.

(٣) القرندلية، أو القلندرية، طائفة تنتمى إلى الصوفية، نشأت بإيران، وامتد أثرها إلى الشام ومصر منذ زمن الأيوبيين، فكان أول أمرها من الأعاجم، على أنهم لم يتقيدوا بآداب المجالسات، ولم يحفلوا بالصوم والصلاة، والتزموا ألا يدخروا شيئا ولم يتقشفوا ولا زهدوا ولا تعبدوا. وزعموا أنهم قنعوا بطيب قلوبهم مع الله تعالى، ولم يتطلعوا إلى طلب مزيد، ويعتبرون طيب القلب رأس مالهم. أنظر المقريزى: المواعظ والاعتبار جـ ٢، ص ٤٣٢ — ٤٣٣.

وما يحتاجون إليه من النوابل[1] والخبز . وله بمصر مدرسة ، وبكرسى الجسر جامع ، وبالرصد جامع ، وغير ذلك من الأماكن الشريفة المبرورة . ووقف عليها الأوقاف المبرورة الوافرة ، رحمه الله تعالى .

وتوفى أيضا بالديار المصرية جماعة من الأمراء ، منهم الأمير بدر الدين بيليك الحسنى أبو شامة ، وهو الذى كان يندب إلى الكشف بالوجه القبلى بالديار المصرية ، فى الدولة المنصورية ، وما بعدها ، رحمه الله تعالى[2] .

(١) فى الأصل التابل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٥ .

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢١٦ .

واستهلت سنة ست وتسعين وستمائة

[٦٩٦ - ١٢٩٦ / ١٢٩٧]

والسلطان الملك العادل بمخيمه على جُوْسِيَه. ثم رحل منها وعاد إلى دمشق، فدخلها فى يوم الأربعاء ثانى المحرم. وفى يوم الجمعة، حضر السلطان إلى الجامع، وصلى بالمقصورة، وأخذ من الناس قصصهم. ورأى شخصا بيده قصة، فتقدم إليه بنفسه خطوات، وأخذ القصة منه[1].

وفيها، أمّر السلطان الملك العادل، الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك السعيد ابن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ابن الملك العادل سيف الدين بن أبى بكر محمد بن أيوب، وجعله من أمراء الطبلخاناة بدمشق، وذلك فى يوم الخميس سابع عشر المحرم.

وفيها، فى يوم الاثنين، حادى عشرين المحرم، قبض على الأمير سيف الدين استدمر كرجى[2]، واعتقل بالقلعة، وعزل الأمير سيف الدين سنقر الأعسر، عن وظيفة الشد، وولى عوضه الأمير فتح الدين بن صبره.

ذكر عود السلطان الملك العادل إلى الديار المصرية وخلعه من السلطنة ورجوعه إلى دمشق

وفى بكرة نهار الثلاثاء، الثانى والعشرين من المحرم، توجه السلطان بعساكره

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨، ص ٢٢٠، والمقريزى، السلوك جـ ١، ص ٨١٨.

(٢) فى الأصل كجى، وما هنا من المقريزى، السلوك جـ ١، ص ٨١٨ انظر ما سبق ص ٣٠٦ حاشية ٣.

نحو الديار المصرية ، وقد أجمع أكابر الأمراء على خلعه . فلما انتهوا إلى منزلة (١) العوجا ، جلس السلطان فى الدهليز ، وحضر الأمراء إلى الخدمة ، وطلب الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى طلبا مزعجا . وكان قد توجه إلى الزيارة ، فلما حضر ، لم يقم له على عادته . ويقال إنه كلمه بكلام غليظ ، ونسبه إلى أنه كاتب التتار ، وحصل بينهما مفاوضة ، ثم نهض السلطان من المجلس .

وقام الأمراء ، واجتمعوا فى خيمة الأمير حسام الدين لاجين ، نائب السلطنة ، وتكلموا فيما وقع . فسأل الأمير بدر الدين بيسرى ، الأمير حسام الدين عن موجب إغلاظ السلطان له . فقال : إن مماليكه قد كتبوا عنك كتبا إلى التتار ، وأحضروها إليه ، ونسبوك إلى أنك كتبتها ، ونيته إذا وصل إلى قلعة الجبل ، أن يقبض علىّ وعليك ، وعلى أكابر الأمراء ، ويقدم مماليكه . فأجمعوا عند ذلك على (٢) خلعه . وركب الأمير حسام الدين لاجين ، والأمير بدر الدين بيسرى ، والأمير شمس الدين قرا سنقر ، والأمير سيف الدين قبجاق ، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى الحاجب ومن انضم إليهم . واستصحبوا معهم حمل نقارات (٣) ، وساقوا إلى باب الدهليز . وحركت النقارات حربيا ، وذلك فى يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم ، سنة ست وتسعين وستمائة . فلما مروا بخيمة بكتوت الأزرق العادلى

(١) فى الأصل مجلس ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢١ ، وبشير المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨١٩ إلى أن هذا الموضع قريب من الرملة .

(٢) فى الأصل إلى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢١ .

(٣) كانت النقارات ، وواحدتها نقارة ، من الآلات الملكية المختصة بالمواكب العظيمة بمصر ، منذ أيام الفاطميين . وكانت تحمل على عشرين بغلا ، على كل بغل ثلاث . (القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٤٧٥) . وكانت النقارات تحمل فى ركاب السلاطين إلى الحرب ، فتستخدم فى إصدار الأوامر ، وفى الإيذان ببدء القتال ، كما هو واضح بالمتن .

قتلوه . وركب بتخاص[1] العادلى ، وتوجه إلى باب الدهليز فقتلوه أيضا . ولما شاهد الملك العادل ذلك ، خرج من ظهر الدهليز ، وركب فرس النوبة ، وعبر على القنطرة التى على ماء العوجا ، وساق ركضا ، وأدركه خمسة أو ستة من مماليكه . واستقر به السير إلى دمشق . ودخل قلعتها ، فكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى[2] .

ذكر سلطنة السلطان الملك المنصور

حسام الدين لاجين المنصورى

وهو السلطان الحادى عشر من ملوك الترك ، بالديار المصرية . وهو من مماليك السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون . اشتراه فى زمن إمرته[3] مرتين . وكان من مماليك الملك المنصور نور الدين على ابن الملك المعز [أيبك[4]] ، فلما سُفِّر إلى بلاد الأشكرى ، تأخر بالقاهرة ، فاشتراه السلطان الملك المنصور ، فى أيام إمرته بسبعمائة وخمسين درهما . ثم تبيَّن له بعد ذلك أنه من مماليك الملك المنصور ابن الملك المعز ، وقيل له إنه غائب ولا يصح بيعه إلا من حاكم [شرعى[5]] ، فاشتراه ثانيا من قاضى القضاة ، تاج الدين بن بنت الأعز ،

(١) فى الأصل بنجاص ، وماهنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢١ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٢٠ .

(٢) هذه الرواية تطابق ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢١ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨١٩ — ٨٢٠ .

(٣) فى الأصل امرأته ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٢ .

(٤) الإضافة من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٢٠ .

(٥) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٢

بما يزيد عن ألف درهم . و باعه على الغائب ، بالغبطة له . وقد شاهدت أنا عهديته[1] فى جملة عُهَد المماليك المنصورية السيفية، وشذَّ عنى تحقيق الثمن الثانى ، إلا أنه يزيد على ألف درهم . ولعل ذلك ألف وخمسون درهما . وكان يوم ذاك يدعى شقير . كذا رأيت عهديته (لاجين المدعو شقير)، وكان فى البيت المنصورى يعرف بلاجين الصغير . وتأمر ونابَ عن السلطنة بدمشق ، وهو لايعرف بين الناس إلا بلاجين الصغير[2] . وسألت بعض أكابر الأمراء من المماليك المنصورية ، الذين كانوا فى خدمة السلطان ، فى زمن إمرته ، عن لاجين الكبير ، الذى مُيِّزَ هذا بالصغير بسببه ، فما عرفوه . ولعل هذه الشهرة وقعت عليه وقوع اللقب ، والله أعلم .

وتنقل لاجين هذا فى خدمة السلطان الملك المنصور ، من وظيفة الأوشاقية إلى السلاح دارية . ولما قبض عليه السلطان الملك الأشرف ، بعد عزله من نيابة الشام ، ثم أفرج عنه وجعله سلاح دارا كما كان ، فى خدمة أبيه السلطان الملك المنصور ، قبل أن يستنيبه بدمشق . وقد تقدم من أخباره وتنقلاته ، ما نستغنى الآن عن إعادته[3] .

مُلِّك بمنزلة العوجاء من بلاد الساحل . وذلك أنه لما هرب الملك العادل كتبغا من الدهليز ، وتوجه إلى نحو دمشق ، فى الثامن والعشرين من المحرم ، سنة ست وتسعين وستمائة ، اجتمع الأمراء وتشاوروا فمن ينصب فى السلطنة .

(١) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٢ ، عهدته .

(٢) فى الأصل بذلك ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٢ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٢١ .

(٣) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٣ .

فاتفقوا على إقامته فى السلطنة ، وتلقب بالملك المنصور . وشرط الأمراء عليه شروطا فقبلها والتزمها . منها أن يكون معهم كأحدهم ، وأن لاينفرد برأى دونهم ، وأن لايبسط أيدى مماليكه فيهم ، ولا يقدمهم عليهم ، وحلّفوه على ذلك ، فحلف عليه . فقال له الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى : — وكان من جملة الأمراء المشار إليهم — نخشى أنك إذا جلست فى المنصب ، تنسى هذا الذى تقرر بيننا وبينك ، وتقدم مماليكك ، وتُخوِّل[1] منكوتمر . فكرر الحلف أنه لايفعل [ذلك][2] ، ولا يخرج عمّا التزمه . فعند ذلك ، حلفوا له وركب بشعار السلطنه ، وتوجه بالعساكر نحو الديار المصرية .

ولما وصل إلى غزة ، حمل الأمير بدر الدين بيسرى الجتر على رأسه . ثم رحل منها ، وكان وصوله إلى قلعة الجبل ، وجلوسه على تخت السلطنة ، فى يوم الجمعة عاشر صفر ، سنة ست وتسعين وستمائة . ثم ركب بشعار السلطنة ، وشَقّ المدينة فى يوم الخميس سادس عشر صفر[3] .

ورتب فى نيابة السلطنة [بالديار المصرية[4]] مقر ملكه ، الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، وجعل الأمير سيف الدين سلار أستاذ الدار ، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار أمير جاندار ، والأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى حاجبا . واستمر الصاحب فخر الدين بن الخليل فى الوزارة برهة ،

---

(١) فى الأصل وتحوّل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٣ .

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٣ .

(٣) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٤ .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٤ .

ثم عزله على ما نذكره إن شاء الله . وفوض نيابة السلطنة بالشام إلى الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى .

هذا ما كان بالديار المصرية ، فلنذكر أخبار الملك العادل [كتبغا][1]

ذكر أخبار الملك العادل وما اعتمده بدمشق[2] وما كان من أمره إلى أن انتقل إلى صرخد

لما فارق الملك العادل الدهليز والأمراء، توجه إلى دمشق . وقدم قبله أحد مماليكه ليعلم مملوكه الأمير سيف الدين أخرلوا نائب السلطنة بدمشق ما تجدد ، ويخبره بوصول السلطان . فوصل [أمير شكار][3] فى بكرة نهار الأربعاء ، سلخ المحرم . فجمع [نائب السلطنة بدمشق][4] الأمراء ، وركب جماعة من العسكر ، وأمرهم بالوقوف خارج باب النصر .

ثم وصل الملك العادل إلى دمشق ، فى وقت العصر من اليوم المذكور ، ومعه أربعة أو خمسة من مماليكه . ودخل إلى القلعة ، واستقر بها ، وحضر إلى خدمته الأمراء ، وخلع على جماعة . وأمر بإيقاع الحوطة على حواصل الأمير حسام الدين لاجين ونوابه[5] . ثم وصل الأمير زين الدين غلبك العادلى[6] فى

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) يقابل العنوان الوارد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٤

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٤

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٤

(٥) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٥

(٦) فى الأصل العادل ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٥

يوم الخميس ، مستهل صفر ، بجماعة يسيرة من المماليك العادلية . وجلس شهاب الدين الحنفى وزير الملك العادل فى الوزارة بالقلعة . ورتب أحوال السلطنة. وأمّر العادل جماعة من دمشق ، ووضع بعض[1] المكوس ، وقرىء بذلك توقيع فى يوم الجمعة سادس عشر صفر .

وفى يوم السبت رابع عشرين الشهر ، وصل الأمير سيف الدين بكتكن وجماعة من الأمراء ، كانوا معه بالرحبة مجردين ، فلم يدخلوا دمشق ، وتوجهوا إلى جهة ميدان الحصا . وأعلن باسم السلطان الملك المنصور [حسام الدين لاجين][2] ، وخرج إليه الأمراء بدمشق ، طائفة بعد طائفة . فلما علم الملك العادل بذلك ، وتحقق انحلال أمره ، وتخاذل الناس عنه ، وثبات قدم الملك المنصور فى السلطنة ، وانضمام الناس إليه ، أذعن إلى الطاعة ، والدخول فيما دخل الناس فيه . وقال للأمراء : السلطان الملك المنصور ، هو خوشداشى ، وأنا فى خدمته وطاعته ، وأنا أكون فى بعض القاعات بالقلعة إلى أن يكاتب السلطان ، ويرد جوابه بما يقتضيه رأيه فى أمرى . فعند ذلك اجتمع الأمراء بباب الميدان ، وحلفوا بأجمعهم للسلطان الملك المنصور ، وكتبوا إليه بذلك .

وتوجه البريد إليه بالخبر ، ودخل الأمير سيف الدين جاغان إلى القلعة ورتب من يحفظ الملك العادل بها ، إلى أن يرد جواب السلطان [المنصور][3] فى أمره ، وغلقت أبواب دمشق ، فى يوم السبت خلا باب النصر . وركب عسكر دمشق بالسلاح ، وأحاطوا بالقلعة حفظا لها ، وخوفا أن يخرج الملك العادل منها ،

(١) فى الأصل بين ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٥

(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٦

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٦

و يقصد جهة أخرى قبل ورود جواب السلطان فى أمره[1] . ثم دقت البشائر فى وقت العصر من يوم السبت المذكور ، وأعلن باسم السلطان الملك المنصور . وقرأ المؤذنون فى ليلة الأحد الخامس والعشرين من الشهر بالمآذن ﴿ قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء[2] ﴾ إلى آخر الآية . ودعوا للملك المنصور ، ودعا له قارىء المصحف ، بعد صلاة الصبح وضربت البشائر على أبواب الأمراء ، وأظهروا الفرح والسرور بسلطنته ، وفتحت أبواب البلد وزينت ، وفتح[3] الناس حوانيتهم .

وفى يوم الأحد المذكور ، اجتمع القضاة بدار السعادة ، وحضر الأمراء والعساكر وحلفوا للملك المنصور ، وتولى التحليف القاضى شمس الدين بن غانم ، بحضور الأمير سيف الدين أغرلو ، نائب السلطنة ، وحلف هو أيضا ، وأظهر السرور بسلطنة الملك المنصور . وقال : السلطان ، أعز الله تعالى نصره ، هو الذى عينى لنيابة السلطنة ، وأستاذى كان قد استصغرنى ، فأشار هو بى ، فأنا نائب السلطان الملك المنصور . ثم توجه هو والأمير سيف الدين جاعان إلى الأبواب السلطانية[4] .

وخطب للملك المنصور حسام الدين لاجين ، بجوامع دمشق ، فى يوم الجمعة ، مستهل شهر ربيع الأول ، سنة ست وتسعين وستمائة . وكان الأمير شمس الذى سنقر الأصبر ، قد حضر من جهة السلطان الملك المنصور إلى ظاهر

---

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٦

(٢) سورة آل عمران ، آية ٢٦ .

(٣) فى الأصل وفتحوا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٧

(٤) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٧

دمشق ، فى ليلة الأحد رابع صفر . وأرسل إلى الأمراء كتبا كانت معه ، وحلف جماعة منهم . وتوجه إلى قارا[1] فى ليلته ، وكان بها جماعة من الأمراء المجردين ، فاجتمع بهم ، وقرر الأمر معهم ، وكتب إلى السلطان بذلك . ثم رجع وأقام بلد بجماعته ، حفظا للبلاد بتلك الجهة[2] . فلما بلغه[3] استقرار الأمور بدمشق ، توجه إليها ، ودخلها فى يوم الخميس ، سابع عشرين صفر . فتلقاه الناس ، واشتعلت الشموع لقدومه نهارا ، وحضر الأكابر والأعيان إلى خدمته . ونودى بدمشق ، من له مظلمة ، فليحضر إلى دار الأمير شمس الدين [سنقر الأعسر[4]].

ثم وصل الأمير حسام الدين أستاذ الدار إلى دمشق ، بجماعة من العسكر . وجمع الأمراء بدار السعادة ، بحضور القضاة . وقرئ عليهم كتاب السلطان ، يتضمن استقراره فى الملك ، وجلوسه على تخت السلطنة ، بقلعة الجبل ، واجتماع الكلمة عليه ، وركوبه بالخلع الخليفية ، والتقليد من أمير المؤمنين ، الحاكم بأمر الله ، أبى العباس أحمد[5] .

ثم وصل الأمير سيف الدين جاغان الحسامى ، من الأبواب السلطانية ، فى عشية يوم الاثنين ، حادى عشر شهر ربيع الأول . ودخل فى بكرة نهار الثلاثاء ،

---

(١) قارا ، وهى قرية جنوبى حمص ، على مسافة ستة وثلاثين ميلا منها ، وتقع على الطريق بين حمص ودمشق (ياقوت : معجم البلدان) .

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٦ والملحوظ ما كان من اختلاف بين النويرى وابن الفرات فى ترتيب الأحداث .

(٣) فى الأصل بلغته ، وما هنا هو الصواب ، ويتفق مع ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٧ ، الذى أورد الخبر فى موضعين .

(٤) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٧ .

(٥) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٧ .

إلى قلعة دمشق ، هـو والأمير حسام الدين أستاذ الدار ، والأمير سيف الدين كجكن ، وقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ، واجتمعوا بالملك العادل . فحلف للسلطان الملك المنصور يمينا مستوفاة مغلظة ، أنه فى طاعة السلطان الملك المنصور وموافقته ، وإخلاص النيـة له ، وأنه رضى بالمكان الذى عينه له ، وهو قلعة صرخد ، وأنه لا يُكَاتِب ولا يستفسد أحدا ، إلى غير ذلك ، مما اشترط عليه . ثم وصل الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى ، نائب السلطنة بالشام ، إلى دمشق فى يوم السبت سادس عشر شهر ربيع الأول ، ونزل بدار السعادة ، على عادة النـواب (١) .

وخرج الملك العادل ، من قلعة دمشق ، وتوجه إلى صرخد ، فى ليلة الثلاثاء تاسع عشر ، شهر ربيع الأول . وتوجه معه مماليكه ، وجرد معه جماعة من العسكر الشامى ، إلى أن وصـل إلى قلعة صرخد .

فكانت مـدة سلطنة الملك العادل ، منذ جلس على تخت السلطنة ، بقلعـة الجبل ، فى يوم الأربعاء حادى عشر المحرم سنة أربع وتسعين وستمائة ، وإلى أن فارق الدهليز بمنزلة العوجا ، وتوجه إلى دمشق ، فى يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم ، سنة ست وتسعين وستمائة ، سنتين وسبعة عشر يوما ، وإلى أن خلع نفسه من السلطنة بدمشق ، فى يوم السبت رابع عشرين صفر ، شهرا واحدا ، وأحد عشر يوما (٢) .

ولمـا وصل الأمير سـيف الدين جاغان إلى دمشق ، أحضر على يديه توقيعا

(١) يقابـل ماورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٨ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ٨٢٥ — ٨٢٦ .

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٩ .

للصاحب تقى الدين توبة ، بوزارة دمشق على عادته ، وتوقيعا للقاضى أمين الدين بن حلال ، بنظر الخزانة ، عوضا عن تقى الدين توبة ، وتوقيعا للشيخ أمين الدين العجمى بنظر الحسبة بدمشق . فباشر كل منهم ما فوض إليه . ثم خلع على الأمراء والمقدمين ، والقضاة ، وأعيان الدولة بدمشق ، فى يوم الاثنين ثانى شهر ربيع الآخر . فيقال إن عدة التشاريف التى فرقت ستمائة تشريف (١) .

ذكر الإفراج عن جماعة من الأمراء

وفى هذه السنة ، أفرج السلطان الملك المنصور عن جماعة من الأمراء المعتقلين ، وهم الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، والأمير سيف الدين برلغى الأشرفى ، والأمير شمس الدين الركن السلاح دار ، وغيرهم من المماليك السلطانية . وأعطى الأمير ركن الدين بيبرس [الجاشنكير (٢)] إمرة بالديار المصرية ، والأمير سيف الدين برلغى إقطاعا بدمشق ، فتوجه إليها .

وفيها ، أمر السلطان الملك المنصور جماعة من مماليكه ، وهم الأمير سيف الدين منكوتمر ، والأمير علاء الدين ايدغدى شقير ، والأمير سيف الدين بيدوا (٣) ، والأمير سيف الدين جاغان ، والأمير سيف الدين بهادر المعزى .

ذكر تجديد عمارة الجامع الطولونى
وترتيب الدروس به ، والوقف على ذلك

وفى هذه السنة ، أمر السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين بتجديد

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات ، جـ ٨ ، ص ٢٢٩ والمقريزى : السلوك جـ ١ ص ٨٢٦ .
(٢) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٩ .
(٣) فى الأصل بيدرا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٩ ، والمقريزى : السلوك ١ ، ص ٨٢٦ — ٨٢٧ .

عمارة الجامع الطولونى . وندب لذلك الأمير علم الدين سنجر الدوادارى . وأقر لعمارته من خالص ماله ، عشرين ألف دينار عينا . فاهتم الأمير علم الدين ، المشار إليه ، بعمارته وعمارة أوقافه . وابتاع السلطان من بيت المال منية أندونه[1] ، من الأعمال الجيزية ، ووقفها على المدرسين والمشتغلين وأرباب الوظائف بالجامع . ورتب فيه درسا لتفسير كتاب الله العزيز ، ودرسا لحديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ودروسا للفقه على المذاهب الأربعة . وجعل لهذه الدروس مدرسا لكل طائفة ، ومعيدين وطلبة . ورتب دروسا للطب[2] ، وميعادا[3] للرقائق[4] ، وشيخا للسبحة ، ومكتب سبيل ، وغير ذلك من أنواع البر . ورتب لهم الجامكيات المتوفرة ، واستمر ذلك إلى الآن[5] .

وفى هذه السنة ، نقل السلطان ، الخليفة الحاكم بأمر الله أبا العباس[6] أحمد

---

(١) كذا فى ابن دقماق : قوانين الدواوين ص ١٩ ، عرفت بهذا الاسم نسبة إلى أندونه كاتب أحمد المدائنى ، زمن أحمد بن طولون بمصر ، وهى بمحافظة الجيزة الحالية ، المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ١ ، ص ٢٨ ، مبارك : الخطط التوفيقية . جـ ١٦ ، ص ٥٩ .

(٢) فى الأصل للطلب ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٩ .

(٣) الميعاد ، وهو درس دينى للوعظ والإرشاد ، والحث على التقوى . المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٢٧ حاشية ٣ .

(٤) فى الأصل الرقايق ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٩ .

والرقائق ، والمفرد رقيقة ، لفظ اصطلاحى يطلق فى كتب الحديث على باب خاص من أبواب الحديث النبوى . وسميت أحاديث ذلك الباب بهذا الاسم ، لأن فيها من الوعظ والرحمة والتنبيه ، ما يجعل القلب رقيقا رحيما . انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٥٥٧ . حاشية ١ .

(٥) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٢٩ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٢٧ .

(٦) فى الأصل أبى العباس ، وما هنا هو الصواب لغويا .

العباسي أمير المؤمنين ، من البرج الذى كان يسكنه بقلعة الجبل إلى مناظر الكبش . وأجرى عليه وعلى أولاده الأرزاق الواسعة ، ووصله بالصلات الجزيلة ، وصار يركب معه فى الموكب . والتمس الخليفة من السلطان الإذن فى الحج ، فأذن له فى سنة سبع وتسعين وستمائة ، وجهزه بما يحتاج إليه (١) .

ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية والشام لمن يذكر .

وفى هذه السنة ، حضر إلى الأبواب السلطانية جماعة من قضاة القضاة والأعيان بدمشق ، منهم قاضى القضاة حسام الدين الحنفى الرومى ، وقاضى القضاة جمال الدين المالكى ، والقاضى إمام الدين القزوينى ، والرئيس عز الدين حمزة بن الفلانسى وغيرهم . فلما وصلوا ، أكرمهم السلطان ، وأحسن إليهم ، وخلع عليهم . وفوض إلى قاضى القضاة حسام الدين الحنفى قضاء القضاة بالديار المصرية ، وعامله بما يُعامِل به أحدا من الإكرام ، والتقريب والبر والتشاريف . وأفرد ولده القاضى جلال الدين على قضاء الشام . وفوض إلى القاضى إمام الدين القزوينى الشافعى ، قضاء القضاة بدمشق على مذهب الإمام الشافعى . وكُتِب تقليده فى رابع جمادى الأولى ، عوضا عن قاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة . واستقر بيد القاضى بدر الدين الخطابة بالجامع الأموى بدمشق ، وتدريس المدرسة القيمرية ، وأعيد القاضى جمال الدين الزواوى المالكى إلى دمشق على عادته ، وخلع عليهما ، فكان وصولهما إلى دمشق فى ثامن شهر رجب . وجلس القاضى إمام الدين للحكم بالمدرسة العادلية ، وامتدحه الشعراء . فكان ممن امتدحه الشيخ كمال الدين بن الزملكانى بقصيدته التى أولها :

---

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣٠ ، والمقريزى السلوك جـ ١ ، ص ٨٢٨ .

تبدّلت الأيام من عسرها يسرا فأضحت ثغور الشام تفتر بالبشرى (١)

وأما الرئيس عز الدين حمزة بن القلانسى ؛ فإنه تأخر بالديار المصرية مدة، ثم عاد إلى دمشق ، فوصلها فى الخامس والعشرين من شهر رمضان . وقد خلع عليه خلع الوزراء ، تشريفا كاملا بطرحة ومنديل هنكرى (٢) مزركش ، وخلع على ولديه . واستعاد [له (٣)] من ورثة السلطان الملك المنصور، ما كان قد صودر به ، وأخذ منه فى الأيام (٤) المنصورية . وأثبت ذلك فى وجه وكيل الورثة المنصورية ، وتعوض عنها أملاكا ، من الأملاك المنصورية . فذكر أن قيمتها أضعاف ما أخذ منه ، منها حصة بقرية الرمثا (٥) وغير ذلك .

وفيها ، ولى الأمير سيف الدين جاغان الحسامى شد الشام ، وباشر ذلك فى يوم الاثنين العشرين من شهر رجب ، عوضا عن الأمير فتح الدين بن صبره (٦) .

ذكر تفويض الوزارة بالديار المصرية للأمير شمس الدين سنقر الأعسر .

وفى هذه السنة ، تقدم أمر السلطان بطلب الأمير شمس الدين سنقر الأعسر المنصورى ، من دمشق ، على خيل البريد . فركب منها فى سابع عشر جمادى الآخرة . ووصل إلى الأبواب السلطانية فى الشهر المذكور ، فأكرمه السلطان

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣١ .

(٢) فى الأصل هفكرى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣١ .

(٣) الإضافة من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣١ .

(٤) فى الأصل باقى ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣١ .

(٥) فى الأصل الزمنا ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣١ .

(٦) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣١ .

وأحسن إليه ، وشرّفه وأمّره بالديار المصرية . ثم فوض إليه الوزارة ، وتدبير الدولة ، بالديار المصرية والممالك الشامية[1] .

وكان جلوسه فى دست الوزارة ، فى السادس والعشرين ، من شهر رجب . وعزل الصاحب فخر الدين بن الخليلى ، وسلّم إليه ، ليستخرج منه مالا[2] . واستمر فى الوزارة إلى يوم السبت ثالث عشرين ذى الحجة ، فقبض عليه لأمور أنكرها السلطان ، وظهرت له منه .

ذكر القبض على الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة ، وتفويض نيابة السلطنة للأمير سيف الدين منكوتمر .

وفى هذه السنة ، فى يوم الثلاثاء منتصف ذى القعدة ، قبض السلطان على نائبه وخوشداشه ، الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى واعتقله . وأمر بإيقاع الحوطة على موجوده وحواصله ، بالديار المصرية والبلاد الشامية . وفوّض السلطان ، بعد القبض عليه ، نيابة السلطنه بمقر ملكه ، لمملوكه الأمير سيف الدين منكوتمر الحسامى[3] .

وفى هذه السنة ، بعد القبض على الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، ركب السلطان الملك المنصور إلى الميدان ، للعب بالكرة ، فتقنطر به فرسه ، فسقط إلى الأرض ، وانكسر أحد جانبى يديه وبعض أضلاعه . ووجد شدّة

(١) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣٢ .

(٢) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣١ — ٢٣٢ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٢٩ .

(٣) يقابل ما ورد فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣٢ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٢٩ .

عظيمة لذلك . واحتاج المجبرون إلى كسر عظم الجانب الآخر من يده ، لأجل صحة الجبر ، فإنه لا يجبر[1] أحد الجانبين ، و إن انجبر قصر عن الجانب الآخر ، فتعذّر[2] الانتفاع باليد ، واضطرّ إلى ذلك ، وتوقف عن الإجابة إليه . فدخل عليه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر — وكان ذلك قبل القبض عليه — وقال له : أنا حصل لى مثل هذا ، فلما احتجت إلى كسر النصف الآخر ، ضربته بدقماق حديد[3] ، فانكسر ثم جبر . وكلّمه فى ذلك بكلام فيه غلظ واستخفاف . ولم يسلك ما جرت العادة به من الآداب الملوكية . فكان هذا من أسباب القبض عليه كما تقدم .

واستمر السلطان على الانقطاع لهذه الحادثة ، إلى أن كملت صحته ، وصح ما جبر من يده وجسده . ثم ركب فى حادى عشر صفر ، سنة سبع وتسعين وستمائة فاستبشر الناس بذلك ، ودقّت له البشائر بمصر والشام .

وفى سنة ست وتسعين وستمائة ، فى الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول كانت وفاة الشيخ الإمام ، السيد الشريف ضياء الدين مفتى المسلمين ، أبى الفضل جعفر ابن الشيخ العارف القطب اتفاقا ، عبد الرحيم بن أحمد بن مجنون الحسينى الشافعى ، رحمه الله . وكان قد ولى وكالة بيت المال ، فى أول الدولة المنصورية ، مدة لطيفة ، ثم عزل نفسه .

---

(١) فى الأصل لا يتجبر ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣٢ .

(٢) فى ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣٢ فيتعذر .

(٣) فى الأصل جديد ، وما هنا من ابن الفرات جـ ٨ ، ص ٢٣٢ والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٠ .

وفيها ، فى ليلة الثلاثاء ، سادس عشرين ربيع الأول ، توفى الشيخ الإمام الحافظ جمال الدين أبو العباس أحمد ابن الشيخ محمد بن عبد الله الظاهرى ، وولده محمد ، عتيق السلطان الملك الظاهر غازى . ودفن بتربته بمقبرة باب النصر ، ظاهر القاهرة ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، فى يوم الاثنين ثامن عشر شعبان ، توفى الصدر سيف الدين أحمد ابن محمد بن جعفر الساوى بدمشق ، ودفن بداره ، جوار المدرسة الكروسية ، داخل دمشق . وكان كبير المال فى النفوس ، مشهور المكانة عند الخليفة المستعصم بالله وغيره . وقد تقدم ذكره فى الدولة المنصورية . وكان حسن الشعر إلا أنه كان كثير الهجاء . وأهاجيه مشهورة ، منها الأرجوزة التى عملها فى مباشرى(١) الدولة المنصورية الناصرية بدمشق ، وهى مشهورة .

وفيها ، فى ليلة الخميس الثالث والعشرين من ذى القعدة ، كانت وفاة الأمير عز الدين أزدمر العلائى ، أحد الأمراء بدمشق . وهو أخو الحاج دلاء الدين طيبرس الوزيرى ، رحمهما الله تعالى .

وفيها ، كانت وفاة الصاحب محيى الدين أبى عبد الله محمد بن يعقوب بن إبراهيم بن النحاس الأسدى . وكانت وفاته ببستانه بالمزة ، فى سلخ ذى الحجة ودفن فى مستهل المحرم . ولى الوزارة بالشام مرارا . ولما توفى ، كان مدرسا بالمدرسة الريحانية والظاهرية وناظر الخزانة ، رحمه الله تعالى .

---

(١) فى الأصل مباشرين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

واستهلت سنة سبع وتسعين وستمائة

[٦٩٧ = ١٢٩٧/١٢٩٨]

ذكر وصول الملك المسعود نجم الدين خضر ومن معه من القسطنطينية إلى الديار المصرية[1]

كان السلطان قد كتب إلى الأشكرى ، صاحب القسطنطينية ، فى سنة ست وتسعين وستمائة ، إذ تجهزوا أولاد الملك الظاهر إلى الديار المصرية مكرمين ، هم ومن معهم . فجهز إليه الملك المسعود نجم الدين خضر ووالدته . وأحضر الملك العادل سلامش فى تابوت مصبرا ، وكان قد مات بالقسطنطينية . وكان وصولهم فى هذه السنة ، فأكرمهم السلطان ، وأحسن إليهم . وكان قد تزوج إحدى بنات الملك الظاهر ، فلذلك كتب بإحضارهم ، ودفن الملك العادل بدر الدين سلامش . ثم استأذن الملك المسعود السلطان فى الحج ، فأذن له ، فحج فى هذه السنة . وجهزه السلطان بما يحتاج إليه . ولما عاد ، سكن القاهرة المعزية .

وفى هذه السنة ، كتب تقليد الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى ، بنيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ، وجهز إليه إلى دمشق ، فوصل إليه فى يوم الأربعاء مستهل شهر ربيع الأول ، يزينه التشريف السلطانى والسيف والحياصه والفرس . ويقال إنه تولى نيابة دمشق فى هذه المدة الماضية بغير تقليد ، فوصل

---

(١) انظر ما سبق ص ٢١٤ من هذا الجزء (المصحح) .

إليه الآن ، فجدّد الحلف للسلطان بحضور القضاة والأمراء . وركب بكرة نهار الخميس ، وعليه التشريف ، وقبّل عتبة باب السر بقلعة دمشق على العادة .

ذكر توجه الملك السلطان الناصر إلى الكرك وإقامته بها

وفى هذه السنة ، جهز السلطانُ الملك المنصور حسام الدين [الملكَ السلطان الناصر(١)] إلى الكرك ، فتوجه إليها ، وتوجه فى خدمته الأمير سيف الدين سلار أستاذ الدار ، فوصل إليها فى رابع شهر ربيع الأول . فأخبرنى قاضى القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكى ، عن خبر إرساله إلى الكرك . قال : طلبنى الملك المنصور حسام الدين ، وقال لى : « إعلم أن السلطان الملك الناصر ابن أستاذى ، وأنا والله فى السلطنة مقام النائب عنه . ولو علمت أنه الآن يستقل بأعباء السلطنة ولا تنخرم هذه القاعدة ، ويضطرب الأمر ، أقمته وقمت بين يديه . وقد خشيت عليه فى هذا الوقت ، وترجع عندى إرساله إلى قلعة الكرك . فيكون بها إلى أن يشتدعضده ، ويكون من الله الخير . والله ما أقصد بإرساله إليها إبعاده ، ولكن حفظه ، [وأما(٢)] السلطنة فهى له » . وأمثال هذا الكلام . قال : فشكرته على ذلك ، ودعوت له . ولعل السلطان الملك المنصور ، إنما قال هذا القول تطييبا لقلب قاضى القضاة ، لا حقيقة ، وكان فى طى الغيب كذلك .

ولما توجه السلطان الملك الناصر إلى الكرك ، توجه فى خدمته جماعة من مماليكه ومماليك أبيه السلطان الملك المنصور ، منهم الأمير سيف الدين بهادر الحموى المنصورى وهو أكبرهم سنا . وهو القائم فى خدمته مقام اللالا ، والأمير

(١) الإضافة تتطلبها السياق ، وتتفق مع ما ورد فى المقريزى « السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٢

(٢) الإضافة يقتضيها السياق .

سيف الدين أرغون المنصورى الناصرى الدوادار ، وكان قد تربى فى خدمة السلطان من صغره ، وسيف الدين طيدمر جوباش[1] ، رأس نوبة الجمدارية وغيرهم .

وكان النائب بالكرك يوم ذاك ، الأمير جمال الدين أقش الأشرفى المنصورى وكان فى خدمة السلطان الملك الناصر بالكرك ، وهو باق على نيابته بها .

ذكر القبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى وغيره

وفى هذه السنة ، فى سادس شهر ربيع الآخر ، قبض السلطان على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى ، واعتقله بالقاعة الصالحية ، بقلعة الجبل . وكان مكرما فى اعتقاله ، وأحضر إليه زوجته المنصورية ، والدة أمد ابن السلطان الملك المنصور . وكان سبب ذلك أن السلطان ندبه فى هذه السنة لكشف جسور الجيزية واتقانها . وهذه الوظيفة بالنسبة له إطراح[2] كثير له ولعظامته[3] ، وإن كانت كثيرة فى حق غيره . فتوجه إلى الجيزية بسائر مماليكه وألزامه . فاجتمع معه جمع كثير ، يقال إنهم كانوا نحو سبعمائة . وكان يحضر إلى الخدمة فى يومى الاثنين والخميس ، ويعود إلى مخيمه . فلما تكامل اتقان الجسور ، استأذن فى عمل ضيافة للسلطان هناك . فأذن له واهتم لها اهتماما كثيرا . وحصل بسببها جملة من الأغنام والأصناف وغيرذلك . وقرر مع السلطان أنه يحضر هذه الضيافة . فأوهم نائبه الأمير سيف الدين منكوتمر[4] ، السلطان من خروجه وحذره منه .

(١) فى الأصل بحق باش ، وما هنا من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٢

(٢) فى الأصل اطراحا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى الأصل وعظامته ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) فى الأصل مكتومر ، وماهنا هو الصواب .

وأحضر بهاء الدين أرسلان ، أستاذ دار الأمير بدر الدين بيسرى ، وهو ابن مملوك بدر الدين بيليك ، أمير مجلس . وكان قد ربى أرسلان هذا كالولد . فلما كبر قدّمه على جماعة من أكابر مماليكه الذين كانوا فى منزلة أبيه ، وجعله أستاذ داره ، وأحسن إليه إحسانا كثيرا ، فخدمه الأمير سيف الدين منكوتمر ولاطفه ووعده بإمرة طبلخاناة ، إن هو أنهى إلى السلطان ، أن مخدومه الأمير بدر الدين بيسرى يقصد اغتياله . فأطمعت أرسلان نفسه ، بما وعده منكوتمر ، ووافقه على ما قصده . وحضر إلى السلطان وأوهمه من أستاذه أنه إن حضر ضيافته قبض عليه وقتله . ثم عضّد ذلك أن الأمير بدر الدين بيسرى ، أرسل إلى منكوتمر يطلب منه الدهليز السلطانى ، ليُنصَبَ فى مكان المهم ، ولم يشعر بما وقع . فرُسم بتسليم الدهليز لمماليك الأمير بدر الدين بيسرى ، وأن يتوجه مقدم الفراشين السلطانية ومن معه لنصبه ، ولم يطلع السلطان على ذلك . فلما حمل الدهليز السلطانى على الجمال ، ومرّ به المماليك والغلمان ، تحت القلعة ليتوجهوا به إلى الجيزية ، رآه السلطان من القلعة . فأرسل إلى الأمير سيف الدين منكوتمر ، وسأله عن أمره ، فأنكر أن يكون اطلع على شىء من حاله . وقال إن مماليك بيسرى أخذوه من الفراش خاناة السلطانية من غير استئذان . ثم قال للسلطان ، هذا مما يحقق صدق ما نقل عنه ، وأغراه به . فأمر السلطان بإعادة الدهليز إلى الفراش خاناة (١) .

وكان الحامل للأمير سيف الدين منكوتمر على ذلك أن أستاذه الملك المنصور حسام الدين ، كان قد عزم على أن يجعله ولىّ عهده بعده ، كما فعل السلطان الملك المنصور والملك الظاهر بأولادهما ، ويقرن اسمه مع اسمه فى الخطبة ، لأن لاجين لم يكن له ولد ذكر . فتحدث فى ذلك مع الأمير بدر الدين بيسرى ، فأنكره غاية

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٢٤

الإنكار ، وأجاب عنه بأقبح جواب ، وردّه بأشنع ردّ . فكان مما حكى أنه قال للسلطان : اعلم أن مماوكك هذا الذى أشرت إليه ، لايصلح للجندية ، وقد أمّرته وقدمته ، فصبر الناس لك على هذا . وجعلته نائب السلطنة ، ومشّيت الأمراء والجيوش فى خدمته ، فأجابوا إلى ذلك ، طاعة لك ، وطلبا لرضاك ، مع ما تقدم من أيمانك عند السلطنة ، أنك لاتقدم مماليكك على الأمراء ، ولا تمكنهم منهم . ثم لم تقنع له بما خوّلته فيه ، ومكنته منه ، ورفعته من قدره ، حتى تقصد أن تجعله سلطانا مثلك ، هذا لايوافقك الناس عليه أبدا . وحذره من ذلك غاية التحذير ، ونهاه عنه ، وعن الحديث فيه مع غيره . ولعمرى لقد بالغ فى النصيحة(١) له . فأعلم السلطان منكوتمر ، بما دار بينه وبين الأمير بدر الدين بيسرى فى أمره ، وبما أجاب به فى معناه . فرأى منكوتمر أنه منعه مُلْكاً عظيما ، وسلبه أمرا جسيما . وعلم أنه لايتم له هذا الأمر ، الذى أشار به السلطان ، ولايتمكن منه ، مع بقاء بيسرى وأمثاله من الأمراء . فشرع فى التدبير عليهم ، وأغرى مخدومه بهم . وابتدأ بالتدبير على بيسرى . وعلم أنه إن ينقل(٢) عنه أمرا ، ربما أن السلطان لا يتلقاه بقبول ، فأخذه من مأمنه . وتحيّل على أستاذ داره أرسلان ، حتى أنهى عنه ما أنهاه . ثم عضد ذلك بواقعة الدهليز ، فتحقق ما نقل عنه . ولما وقع ذلك ، أطلع عليه بعض الأمراء الأكابر ، فراسلوا الأمير بدر الدين بيسرى ، وأعلموه ، بما اطلعوا عليه وكان ممن راسله فى ذلك ، الأمير سيف الدين طقجى الأشرفى وغيره من الأمراء ، وحذروه من السلطان ، وحلفوا له على الموافقة والمعاضدة . فلم يرجع إلى قولهم ، ولا أصغى

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٣ .

(٢) فى الأصل ، يقتل : وما هنا به يستقيم المعنى .

إليهم . ثم أرسل إليه سيف الدين أرغون ، أحد مماليك الملك المنصور ، وخاصكيته وأقربهم عنده ، يخبره أن السلطان قد عزم على القبض عليه ، ويحذره من الحضور إلى الخدمة ، وإنه إن حضر يكون فى أهبة واستعداد . وكان الحامل لأرغون على ذلك ، أن أستاذه أمرّ غيره من مماليكه ، ولم يؤمره بطبلخاناة مع اختصاصه به ، وانما أعطاه إمرة عشرة (١) ، فوجد فى نفسه . ومن العجب أن كل واحد ، من السلطان وبيسرى ، أُتِى فى هذا الأمر من مأمنه ، وأذاع سره أخص الناس به . فإن أرسلان كان من بيسرى بالمكان الذى ذكرناه ، كأعز أولاده عنده ، وأرغون هذا كان من أخص المماليك المنصورية الحسامية ، حتى لقد بلغنى أنه أعطاه فى يوم واحد ، سبعين فرسا ، وغير ذلك . فحمل أرسلان الطمع بالإمرة ، و [حمّل (٢)] أرغون الغيرة من تقديم أمثاله عليه . ففعلا ما فعلا ، ونقلا ما نقلا .

وحضر الأمير بدر الدين بيسرى إلى الخدمة ، فى يوم الاثنين السادس من شهر ربيع الآخر . فأخبرنى ركن الدين بيبرس الجمدار ، أحد المماليك (٣) البدرية ، الذين كانوا معه ، يوم القبض عليه ، أنه لما عبر إلى الخدمة ، تلقاه السلطان قائما على عادته . وجلس إلى جانبه ، وبالغ السلطان فى إكرامه . ولما قدم السماط ، امتنع الأمير بدر الدين من الأكل ، واعتذر بالصوم . فأمر

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٥ .

(٢) الإضافة للتوضيح . وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٦ : كان أرسلان ابنا لبدر الدين بيليك أمير مجلس ، وكان بدر الدين هذا مملوكا للأمير بيسرى كالولد حتى كبر ، وقدمه على أكابر مماليكه وعمله أستاذداره . .

(٣) فى الأصل مماليك ، وما هنا هو الصواب .

السلطان برفع مجمع من الطعام لفطوره ، فرفع له . وبقى السلطان يحادثه سرا ، ويؤانسه ويشغله عن القيام، إلى أن رفع السماط . وخرج الأمراء ، وقام الأمير بدر الدين معهم على عادته . فلما انتهى إلى بعض الإيوان ، استدعاه السلطان ، فعاد إليه . فقام له أيضا وجلس معه ، وحدّثه طويلا . والحجاب والنقباء يستحثون الأمراء على الخروج[1] . ثم قام [بيسرى][2] ، فاستدعاه [السلطان][3] أيضا ، فعاد إليه . وقام السلطان له ، وجلس معه وتحدثا .

قال الحاكى لى : ورأيت السلطان قد ناوله شيئا من جيبه ، ما أعلم ما هو ، فتناوله الأمير بدر الدين ، ووضعه فى جيبه ، وقبّل يد السلطان وفارقه . وقد خلى المجلس والدهاليز إلا من المماليك السلطانية . فلما خرج، أتاه الأمير سيف الدين طقجى ، والأمير علاء الدين ايدغدى شقير الحسامى ، وعدلا به إلى جهة أخرى . وقبض ايدغدى شقير على سيفه ، وأخذه من وسطه ، ونظر إليه طقجى وبكى عند القبض عليه . وتوجها به إلى المكان الذى جهز لاعتقاله به . ولم يزل الأمير بدر الدين معتقلا إلى أن مات ، فى الدولة الناصرية على ما نذكره إن شاء الله تعالى[4] .

وقبض السلطان أيضا على الأمير سيف الدين الحاج بهادر الحلبى الحاجب، وعُقِل الأمير سيف الدين كرد أمير آخور إلى الحجبة[5] . وقُبِض على الأمير شمس

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٥ .

(٢) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٥ .

(٣) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٥ .

(٤) يقابل ماورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٥ .

(٥) فى الاصل الحجبة ، وماهنا به يستقيم المعنى .

مسنقر شاه[١] الظاهرى . وقبض أيضا فى أواخر السنة على الأمير عز الدين أيبك الحموى الظاهرى .

[وفى جمادى الأولى[٢]] ، أمر السلطان بمصادرة القاضى بهاء الدين بن الحلى ناظر الجيوش المنصورة ، وأخذ خطه بألف ألف درهم ، وعزله عن الوظيفة[٣] . أُحضر عماد الدين بن المنذر ، ناظر جيش الشام ، فولّاه النظر . وكان قد جلس فى نظر الجيش ، فيما بين عزل بهاء الدين وحضور ابن المنذر ، القاضى أمين الدين المعروف بابن الرقاقى . فلما وصل ابن المنذر ، فوض إليه النظر . ومرض أمين الدولة ، وانقطع فى داره لما حصل له من الألم[٤] .

وفى هذه السنة ، أقيمت الخطبة وصلاة الجمعة بالمدرسة المعظمية بسفح قاسيون ، ولم تكن قبل ذلك ، وخطب بها مدرسها شمس الدين بن الشرف بن العز الحنفى ، فى يوم الجمعة عاشر ربيع الآخر ، باتفاق الملك الأوحد ناظر المدرسة[٥] .

ذكر إعادة الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى الى الوزارة

وفى هذه السنة ، فى جمادى الأولى ، رسم السلطان بإعادة الصاحب الوزير فخر الدين عمر ابن الشيخ مجد الدين عبد العزيز الخليلى إلى الوزارة فعاد ،

(١) فى الأصل سنقرجاه ، وماهنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٣ ؛

(٢) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٦ ، وفى الأصل بياض ،

(٣) يقابل ماورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٦ ،

(٤) يقابل ماورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٦ ،

(٥) يقابل ماورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٦ ،

وصادر ألزام الأمير شمس الدين [صنقر](١) الأعسر(٢) .

ذكر تجريد العساكر إلى سيس وما فتح من قلاعها

وفى هذه السنة ، جرّد السلطان الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى الصالحى أمير سلاح ، والأمير حسام الدين لاجين الرومى ، أستاذ الدار ، والأمير شمس الدين آقسنقر كرناى(٣) ، ومن معهم من مضافيهم . وأمرهم أن يتوجهوا إلى بلاد سيس . فتوجهوا من القاهرة ، فى جمادى الأولى ، والمقدم على الجيش أجمع الأمير بدر الدين [بكتاش(٤)] أمير سلاح .

وكان وصولهم إلى دمشق فى يوم الخميس ، خامس جمادى الآخرة ، وتوجهوا منها فى ثامن الشهر . وجرّد معهم من عسكر دمشق ، الأمير ركن الدين بيبرس العجمى الجالق ، والأمير سيف الدين كجكن ، والأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى ومضافيهم(٥) . وجرد العسكر الصفدى ، ومقدمه الأمير علم الدين [ايدغدى](٦) الإلدكزى(٧) . وجرّد جماعة من العسكر الطرابلسى ، والملك المظفر صاحب حماه بعسكرها .

(١) الإضافة من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٦ .

(٢) يقابل ماورد فى المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٦

(٣) فى الأصل كرتية ، وماهنا من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٨

(٤) الإضافة من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٧

(٥) يقابل ماورد فى المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٨

(٦) الإضافة من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة حـ ٨ ، ص ٩

(٧) فى الأصل الإزكرى ، وماهنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ٩

ولما اتصل خبر تجريد العسكر بصاحب سيس ، جهز رسله إلى الأبواب السلطانية ، يستعطف السلطان ، ويسأل مراحمه ، فلم تُجْدِ[1] رسالته نفعا . ووصلت هذه العساكر إلى حلب . وأردف السلطان هذه العساكر بالأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، أحد مقدمى العساكر بالديار المصرية ، ومضى فيه ، فخرج مسرعا ، وأدرك الجيش بحلب . وجرد من العسكر الحلبى الأمير علم الدين المعروف بالزغلى و[الأمير علم الدين سنجر الحلبى][2] ، ومضافيهما . وتوجهت هذه الجيوش بجهاتها إلى بلاد سيس . فلما نزلوا بالعمق ، افترقت العساكر فرقتين . فتوجه الأمير بدر الدين بكتاش ، أمير سلاح ، والأمير حسام الدين أستاذ الدار ، والأمير ركن الدين الخالق ، والأمير بهاء الدين قرا أرسلان ، والعسكر الصفدى من عقبة بغراس إلى باب اسكندرونة ، ونازلوا تل حمدون . وتوجه الملك المظفر صاحب حماه ، والأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، والأمير شمس الدين آقسنقر كرتاى[3] ، وبقية الجيش من عقبة المريت[4] . وصار نهر جيهان[5] بين الفريقين وكان دخولهم إلى درند سيس ، فى يوم الخميس ، رابع شهر رجب .

(١) فى الأصل يجد ، وماهنا به يستقيم المعنى .

(٢) فى الأصل الحلبى ، وماهنا هو الاسم بالكامل ، المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٨

(٣) فى الأصل كرتيه ، وما هنا من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٨

(٤) فى الأصل عقبة المربى ، وماهنا من

Howorth: History of the Mangols Part III p.430

حيث أوردها بالرسم Merit

(٥) فى الأصل بهر ، وماهنا من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٨ ، وهو المعروف بنهر جيهان ، الذى ينبع من مرتفعات أرمينية الصغرى ، ويصب فى البحر المتوسط فى خليج آياس ، انظر لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٣ — ١٦٤ .

ولما صاروا ببلاد سيس ، اختلف الأمير بدر الدين أمير سلاح ، والأمير علم الدين الدوادارى ، فأشار أمير سلاح بالحصار ومنازلة القلاع . وأشار الدوادارى بالإغارة والإقتصار عليها . وقال أنا المقدم على هذه الجيوش كلها ، وأنا آخركم عهدا بالسلطان ، وإنما رسم السلطان بالإغارة . فاضطر أمير سلاح ومن معه ، لموافقة الدوادارى ، وقطعوا جهات من مخاضة العمودين ، وتوجهوا للإغارة . فتوجه صاحب حماه والدوادارى ، ومن معهما إلى سيس نفسها . وتوجه أمير سلاح ومن معه إلى ناورزه[1] ، وأقاموا عليها يوما وليلة . ورحلوا إلى أذنة ، واجتمعت الطائفتان[2] بها ، بعد أن قتلوا من ظفروا به من الأرمن ، واستاقوا ما مرّوا به من الأبقار والجواميس . وعادوا من أذنة إلى المصيصة بعد الإغارة ، وأقاموا بها ثلاثة أيام ، حتى نصبوا جسرا مرت العساكر عليه ، ورجعوا إلى بغراس ، ثم إلى مرج أنطاكية . وأقاموا ثلاثة أيام ، ورحلوا إلى جسر الحديد بأرض الروج[3] ، عازمين على العود إلى الديار المصرية ، بالعساكر[4] المصرية إلى مستقرها .

وكان الأمير بدر الدين أمير سلاح ، لما نازعه الدوادارى فى التقدمة ، ومنعه من الحصار ، وصمم على الأقتصار على الإغارة ، قد كتب إلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخى ، نائب السلطنة بالمملكة الحلبية ، يعلمه بما وقع والتمس منه مطالعة السلطان بذلك . فطالع بصورة الحال ، فورد الجواب من السلطان ، والعساكر

(١) ناورزه ، وهى مدينة Anazarbus من مدن أرمينية الصغرى جنوب مدينة سيس ، انظر استرنج : بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦١ . Howorth : op. Cit. III. p. 431.

(٢) فى الأصل الطائفتين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) الروج قرية تقع غرب حلب ، بينها وبين المعرة (ياقوت : معجم البلدان ج ٢ ، ص ٨٢٥) .

(٤) فى الأصل والعساكر ، وما هنا به يستقيم المعنى .

بالروج ، يتضمن الإنكار على الأمير علم الدين الدوادارى ، كونه ادّعى التقدمة على الأمير بدر الدين أمير سلاح ، واقتصر على الإغارة ، وأن الدوادارى إنما خرج مقدما على مضافيه خاصة ، وإن التقدمة على سائر الجيوش للأمير بدر الدين أمير سلاح . ورسم السلطان أن العساكر لا تعود ، إلا بعد فتح تل حمدون . وإن عادت قبل فتحها ، فلا إقطاع لهم بالديار المصرية ، إلى غير ذلك من الحث على فتحها . فعند ذلك ، عطفت العساكر من الروج إلى جهة حلب ، ووصلوا إليها ، وأقاموا بها ثمانية أيام ، وتجهّزوا منها بما يحتاجون إليه . ودخلوا إلى بلاد سيس بأثقالهم ، وعبروا بجملتهم من عقبة بغراس . وجرّد الأمير بدر الدين [بكتاش[1]] أمير سلاح ، الأميرين سيف الدين بكمكن ، وبهاء الدين قرا أرسلان ، إلى إياس ، فأمكن لهم الأرمن فى البساتين ، فلم تمكن العسكر من قتالهم ، ورحلوا شبه المنهزمين ، فأنكر أمير سلاح عليهم وسبّهم . فاعتذروا بضيق المسلك والتفاف الأشجار ، وعدم التمكن من العدو . ثم رحل بجميع الجيش ، ونزل على تل حمدون ، فوجدها خالية ، وقد أنتقل من بها من الأرمن إلى قلعة نُجيمة ، فتسلمها ، فى سابع شهر رمضان ، وسلمها للأمير علم الدين الشيبانى ، النائب ببغراس .

ولما دخل الجيش إلى بلاد سيس ، جرّد الأمير سيف الدين الطباخى ، نائب السلطنة بحلب ، طائفة من عسكرها ، ومن انضم إليهم من التركمان وغيرهم ، ففتحوا قلعة مرعش ، فى عاشر شهر رمضان أيضا . ثم جاء الخبر إلى العسكر أن واديا تحت قلعة نجيمة وحوص[2] قد امتلأ بالأرمن ، وأن المقاتلة من قلعة

(١) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٩ .

(٢) فى الأصل حيمص ، وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٤٠ ، حيص ، وما هنا من ابن أبى الفضائل : النهج السديد ص ٢٠٦ وتقع هذه القلعة شرق تل حمدون . ووردت باسم حوص (Hamus) انظر Le strange: Palestine Under Moslems p, 543

نجيمة يحمونهم . فندب إليه طائفة من العسكر ، فرجعوا ولم يبلغوا غرضا . ثم [سيّر][1] طائفة ثانية ، فرجعوا كذلك[2] . فرحل الأمراء بجملتهم فى نفر من أعيان الجيش وأقوياته ، وقاتلوا أهل نجيمة ، حتى ردوهم إلى القلعة .

ثم تقدم الجيش إلى الوادى ، وقتلوا من به من الأرمن ، وأسروا ونهبوا ، ونازلوا قلعة نجيمة ، ليلة واحدة . ثم خرج العسكر إلى الوطاة[3] ، وبقى صاحب حماه وأمير سلاح ، فى مقابلة من بالقلعة ، حتى خرج العسكر ، خشية أن يخرج أهل نجيمة ، فينالوا من أطراف العسكر . ثم خرجوا بجملتهم واجتمعوا بالوطاة . فوصل البريد بكتب السلطان ، يتضمن أنه بلغه أن تل حمدون أخليت ، وأنها أخذت بغير قتال ولا حصار ، وانتقل من بها إلى قلعة نجيمة . وأمر بمنازلة قلعة نجيمة وحصارها ، إلى أن تفتح ، فعادت العساكر إليها وحاصروها . واختلف أمير سلاح والدوادارى أيضا ، فقال الدوادارى : إن هذا الجيش بجملته إذا نازل هذه القلعة ، لايظهر من اجتهد وقاتل ، ممن تخاذل وعجز . والقتال عليها إنما هو من وجه واحد . والرأى أن يتقدم فى كل يوم مقدم ألف ، ويزحف بجماعته ليظهر فعله ، واستقل القلعة واستصغرها وحقّر أمرها . وكان فى جملة كلامه أن قال : أنا آخذ هذه القلعة فى مجرى . فاتفق الأمر على أن يتقدم الدوادارى بألفه ، للزحف فى أول يوم . فزحف بمن معه حتى لاحف[4] السور . فأصابه حجر منجنيق فى مشط رجله ، فقطعه وسقط إلى الأرض . فتبادر الأرمن بالنزول إليه ،

(١) الإضافة من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٤٠ .

(٢) فى الأصل لذلك ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٣) الوطاة ، المقصود هنا السهل الذى يجتازه الناس فى يسر .

(٤) المقصود أنه زحف حتى صار فى لحف السور أى جانبه (محيط المحيط) .

وكادوا يأسرونه . فحمل أمير سلاح بجماعته ، حتى حجزهم عنه . وأخرج الدوادارى على جنوية[1] ، وحمل إلى وطاقه[2] . وعادوا إلى حلب ، ثم توجه منها إلى الديار المصرية . وقد سكنت نفسه ، ونقصت حرمته عما كانت عليه ، وكان قبل ذلك له حرمة وافرة . وقتل الأمير علم الدين سنجر طقصبا الناصرى ، على هذه القلعة . وزحف الأمير شمس الدين آقسنقر كرتاى[3] فى اليوم الثانى ، وانتهى إلى سور القلعة ونقبه ، وخلّص منه ثلاثة أحجار . واستشهد من مماليكه وأجناده أحد عشر رجلا ، ونفران من الحجارين .

ثم زحف أمير سلاح ، وصاحب حماه ، وبقية الجيش . ورتّبهم أمير سلاح طوائف ، طائفة تتلو أخرى . وقرر معهم ، أن يردف بعضهم بعضا . وتقدموا بالجنويات ، حتى وصلوا إلى السور ، وأخذوا مواضع النقوب[4] ، وأقاموا الستائر[5] . ولازموا الحصار عليها واحدا وأربعين يوما . وقد اجتمع بها جمع كثير من الفلاحين والنساء والصبيان من أهل القرى المجاورة لها ، فقلّت المياه بالقلعة . فاضطر الأرمن إلى إخراجهم منها ، فأخرجوهم فى ثلاث دفعات . فأخرجوا فى المرة الأولى مائتى رجل ، وثلاثمائة امرأة ومائة وخمسين صبيا . فقتل العسكر الرجال ، وتفرّقوا النساء والصبيان . ثم أخرجوا فى المرة الثانية مائة وخمسين

---

(١) الجنوية — أنظر ما سبق ص ١٨٢ حاشية ٢ .

(٢) الوطاق — انظر ما سبق ص ٢٠٩ حاشية ٢ .

(٣) فى الأصل كرتبه ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٤٠ .

(٤) فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٤٠ ، وأخذوا فى النقب .

(٥) الستائر . ومفردها ستارة ، ستار من الخشب ، يتخذ مواضعهم خلفه المقاتلون فى حالتى الهجوم والدفاع . انظر ابن أبى الفضائل : كتاب النهج السديد ص ٢٨٠ .

Dozy: supp. Dict Ar.

رجلا ، ومائتى امرأة ، وخمسة وسبعين صبيا ، ففعلوا بهم كذلك . ثم أخرجوا جماعة أخرى فى المرة الثالثة . ولم يتأخر بالقلعة الا المقاتلة ، وقلّت عندهم المياه ، حتى اقتتلوا بالسيف على الماء ، فسألوا الأمان فأعطوه ، وسلموا القلعة فى ذى القعدة من السنة . وخرجوا منها ، وتوجهوا إلى مأمنهم[1] .

وفى أثناء هذا الحصار ، وصلت إلى العسكر مفاتيح النقير[2] وجبر شغلان وسرقند كار وزنجفره وحمص[3] ، وتتمة أحد عشر حصنا من حصون الأرمن . وسلم الأمير بدر الدين أمير سلاح هذه[4] الفتوح إلى الأمير سيف الدين استدمر كرجى[5] أحد الأمراء بدمشق ، وجعله نائبا بها . فلم يزل [استدمر[6]] بهذه الحصون ، إلى أن بلغه حركة التتار وقربهم ، فأباع ما بها من الحواصل وتركها خالية ، فاستولى الأرمن عليها .

ولما تكامل هذا الفتح ، عادت العساكر إلى حلب ، ونزلوا بها ، ليريحوا خيولهم . وترادف عليهم الأمطار وتزايدت ، حتى سكنوا الخانات والدور . ثم أردفهم السلطان بتجريدة أخرى ، من الديار المصرية ، صحبة الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، والأمير سيف الدين طقطاى ، والأمير مبارز الدين أوليا

---

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٤١ .

(٢) فى الأصل النقيره ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٤١ .

(٣) فى الأصل حميص ، انظر ما سبق ص ٣٤٠ ، حاشية ٢ .

(٤) فى الأصل هذا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٥) فى الأصل استدمر كرجى ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٤١ .

(٦) الإضافة للتوضيح .

ابن قرمان ، والأمير علاء الدين ايدغدى شقير الحسامى . فوصلوا إلى دمشق ، فى ذى القعدة ، وتوجهوا إلى حلب ، وأقاموا بها مع العسكر . وجهز صاحب سيس رُسُلاً[1] إلى الأبواب السلطانية يسأل عواطف السلطان ومراحمه . واستمر العسكر بحلب ينتظرون ما يرد عليهم ، من أبواب السلطان . فأقاموا عليها شهورا ، إلا الأمير حسام الدين أستاذ الدار ، فإنه توجه إلى الأبواب السلطانية ، على خيل البريد . وكان عود هـذا العسكر إلى الديار المصرية ، ووصوله إلى القاهرة ، فى منتصف شهر ربيع الآخر ، سنة ثمان وتسعين وستمائة ، بعد مقتل السلطان بثلاثة أيام على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

ذكر حادثة غريبة ظهر فيها آية من آيات الله عز وجل

وفى سنة سبع وتسعين وستمائة ، فى العشر الأول ، من جمادى الأولى[2] ، ورد على السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ، مطالعة مضمونها : أن شخصا بقرية جينين[3] ، من الساحل الشامى ، كانت له زوجة ، فتوفيت إلى رحمة الله تعالى . فحملت بعد تغسيلها وتكفينها ودفنت . فلما عاد زوجها من المقبرة ، تذكر أن منديله وقع فى القبر ، وفيه جملة من الدراهم . فأتى إلى فقيه فى القرية ، فاستفتاه فى نبش القبر . فقال له فى ذلك يجوز نبشه وأخذ المال منه . ثم تداخل الفقيه المفتى فى ذلك شىء فى نفسه . فقام وحضر معه إلى القبر ، فنبش الزوج القبر ليأخذ المال ، والفقيه على جانب القبر . فوجد الزوج زوجته مقعدة[4]

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٤٤ .

(٢) فى الأصل الأول ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى الأصل جنبين ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ (، ص ٨٣٧ .

(٤) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ٨٣٧ حالة .

مكتوفة بشعرها ، ورجليها مكتوفتين بشعرها ، [فحاول حل كتافها[1]] ، فلم ينحل له ذلك ، فأمعن في ذلك ، فخسف به و بزوجته . ولم يوجد أو لم يعلم لخسف منتهى . وأما الفقيه فإنه أقام مغشيا عليه يوما وليلة أو ليلتين . — نسأل الله أن يسترنا ولا يفضحنا ، وأن لا يؤاخذنا بسوء أفعالنا — . ولما وردت المطالعة على السلطان بهذه الحادثة ، عرضها على شيخنا قاضي القضاة تقي الدين ابن دقيق العيد وغيره . وكتب يستعلم عن سيرة هذه المرأة والزوج المخسوف بهما ، فما علمت ما ورد عليه من الجواب في ذلك[2].

ذكر روك[3] الإقطاعات بالديار المصرية وتحويل السنة

وفي سنة سبع وتسعين وستمائة أيضا ، رسم السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين ، بروك الإقطاعات والمعاملات والنواحي والجهات بالديار

(١) الإضافة من المقريزي ، السلوك ج ١ ، ص ٨٣٧ .

(٢) أشار إلى هذا الحادث المقريزي ، السلوك ج ١ ص ٨٣٧ .

(٣) الروك في كتب المؤرخين ، مصدر الفعل الثلاثي راك ، ومعناها في الأصل مسح أراضي الزراعة في بلد من البلاد ، لتقدير الخراج المستحق عليه لبيت المال ، والمعروف أن الخراج كان المصدر الرئيسي للدخل ، ومنه تصرف أعطية الجند ، ورواتب الولاة وموظفي الدولة . وكان خراج مصر مقسما إلى أربعة وعشرين قيراطا ، توزع على القرى بما يناسب طاقتها .

وكانت جباية الخراج معرضة للتعديل ، فإذا زادت عمارة البلاد وتوافر زرعها ، زادت الجباية ، فان قل أهلها وأجدبت أرضها وخربت ، نقصت . ولعل ذلك من أسباب تكرار مساحة أرض مصر .

ولما حل النظام الإقطاعي بمصر ، ظلت النسبة الخراجية جارية على النظام الجديد ، وهي أربعة وعشرون قيراطا ، فالسلطان منها أربعة قراريط ، وللأجناد عشرة قراريط ، وللأمراء عشرة . انظر ، المقريزي : السلوك ج ١ ، ص ٨٤٦ — ٨٤٧

وانظر أيضا التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ، محمد قنديل البقلي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ، ص ١٦٤ — ١٦٥ (المصحح)

G. Demombynes: La syrie. à L' Epouque de Mamlouk, Gauthner, Paris 1923. Introd. P. xxxix .

المصرية . وندب لذلك من الأمراء، الأمير بدر الدين بيليك[1] الفارسى الحاجب ، والأمير بهاء الدين قراقوش الظاهرى ، المعروف بالبريدى .

وتوجه الكشاف إلى الأقاليم البرانية ، بالوجهين القبلى والبحرى ، ومسحوا البلاد مساحة روك، وحرروا الجهات وعادوا . وانتصب لهذا جماعة من الكتاب ، كان المشار إليه فيهم ، تاج الدين عبد الرحمن المعروف بالطويل ، وهو أحد مستوفي[2] الدولة ، من مسالمة[3] القبط ، وممن يشار إليه فى معرفة صناعة الكتابة ، ويعتمد على قوله ، ويرجع إليه فيها ، فرتب ذلك على حسب ما اقتضاه رأى السلطان فى تقريره .

واستقر فى الخاص السلطانى الأعمال الجيزية والأطفيحية وثغر الإسكندرية وثغر دمياط ومنفلوط وكفورها ، وهو ، والكوم الأحمر من الأعمال القوصية ، وفى كل إقليم بلاد .

وتقرر إقطاع نيابة السلطنة من أعظم الإقطاعات وأكثرها متحصلا . فكان من جملته بالأعمال القوصية ، مرج بنى همـيم وكفورها ، وسمهود وكفورها ، ودواليبها ومعاصرها ، وحرجة[4] مدينة قوص وأدفو . وهذه النواحى يزيد متحصلها

(١) فى الأصل إلك ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٤٣

(٢) فى الأصل مستوفين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) المسالمة ، لفظ يطلق على كل رجل دخل فى الإسلام حديثا من النصارى وغيرهم من أبناء الديانات الأخرى بالبلاد الاسلامية . انظر Dozy: supp. Dict. Ar. Quatremère: op. cit. III .2. p. 66. nôte 27.

(٤) حرجة ، الحرجة الموضع الذى يلتف شجره ، والخراج السلطانية بالوجه القبلى تشمل جهات عديدة ، فى البهنسا ، وفى الأشمونين ، وفى أخميم ، وفى شرقى قوص . انظر ابن مماتى : قوانين الدواوين ، ص ٣٤٤ — ٣٤٥ ، ياقوت : معجم البلدان .

من الغلال خاصة ، على مائة ألف وعشرة آلاف أردب ، خارجا عن الأموال والقنود[١] والأعسال والتمر والأحطاب وغير ذلك . وفى كل إقليم من الديار المصرية نواحى ومعاصر ، فكان فى خاصه سبع[٢] وعشرون[٣] معصرة ، لاعتصار قصب السكر.

وكان نجاز الروك فى ذى الحجة سنة سبع وتسعين وستمائة . واستقبل به سنة ثمان وتسعين الهلالية[٤] . وحولت السنة الخراجية من سنة ست وتسعين إلى سنة سبع وتسعين . وهذا التحويل جرت به العادة ، بعد انقضاء ثلاث وثلاثين سنة ، تحول سنة ، وهو التفاوت فيما بين السنة الشمسية والقمرية . فيجمع من ذلك فى طول السنة ، ما ينغمس به سنة . وهو حجة ديوان الجيش فى اقتطاع التفاوت الجيشى . وقيل إن قوله تعالى : ﴿ ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا[٥] ﴾ ، إن التسعة هى هذا التفاوت[٦] ، ما بين السنتين ، والله تعالى أعلم . وهذا التحويل لا ينقص بسببه شىء من الأموال البتة ، وإنما هو تحويل بالأقلام خاصة[٧].

---

(١) القند : لفظ فارسى معرب ، وهو عسل قصب السكر . انظر الجاحظ : كتاب التبصر بالتجارة ص ٢٧ ، ابن سيده : المخصص جـ ٥ ، ص ٣ ، الجواليقى : المعرب ، ص ٢٦١

(٢) فى الأصل سبعة ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى الأصل عشرين ، وما هنا هو الصواب لغويا

(٤) يوافق العام الهجرى ٦٩٨ أوله من التاريخ الميلادى ٩ أكتوبر ١٢٩٨ ؛ دائرة معارف الشعب : القاهرة ، ١٩٥٩ : ص ٢٢٨ (المصحح).

(٥) سورة الكهف ، آية ٢٥ .

(٦) جرت العادة أن تسقط من استحقاق أرباب الإقطاعات فى كل سنة ، أحد عشر يوما وربع يوم ، وهى التفاوت بين السنة الشمسية والقمرية ، النويرى : نهاية الأرب جـ ٨ ، ص ٢٠١ ، ٢٠٢ .

(٧) يقابل ما أورده بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٤٢

ولما نجز هذا الروك ، أقطعت البلاد للأمراء والأجناد در بسته[1] ، لم يستثن منها غير الجوالى[2] والمواريث الحشرية[3] ، فإن ذلك جعل فى جملة الخاص السلطانى . واستثنيت الرزق الأحباسية[4] المرصدة لمصالح الجوامع والمساجد ، والربط والزوايا ، والخطباء والفقراء . واستقرت فى سائر البلاد على ما يشهد به ديوان الأحباس . وما عدا ذلك من سائر الأموال وغيرها ، دخل فى الإقطاع .

وفى هذه السنة ، كانت وفاة الأمير عز الدين الجناجى ، نائب السلطنة ومقدم العسكر بغزة . وكان قبل وفاته قد أودع عند فخر الدين الاعزازى التاجر بقيسارية الشرب بدمشق صندوقا ، ولم يطلع على ذلك إلا خزندار . وكان الصندوق المودع عنده قبل ذلك وديعه ، عند بعض أصحاب الأمير المذكور ، فأخذ منه ، ثم أودعه عند فخر الدين . واتفقت وفاة خزندار الأمير ، وهو الذى اطلع على الوديعة قبل وفاة مخدومه بأيام . ثم مات الأمير ، فلما اتصلت وفاته بفخر الدين الاعزازى ، اجتمع بقاضى القضاة إمام الدين الشافعى بدمشق ، وعرفه خبر الوديعة . فأمره بالتأنى فى أمرها ، حتى تثبت وفاة المذكور ، ويتحقق أمر ورثته ، ففعل ذلك . وفى أثناء ذلك ، طلب الأمير سيف الدين جاغان ؛

---

(١) فى الأصل ، وفى المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٤٤ ، دربسنا ، وما هنا هو الصحيح ، إذ أن دربسته لفظ فارسى معناه هنا كاملا . Steingass · Pers. Eng Dict

(٢) الجوالى : ما يؤديه أهل الذمة من الجزية وفقا للأحكام الشرعية ، فلا يؤديها النساء والصبيان والرهبان والعبيد والمجانين . انظر التفاصيل فى ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣١٧ — ٣١٨

(٣) المواريث الحشرية : ما يؤول إلى بيت المال من المواريث التى لم يستحقها كلها أو بعضها أحد من الورثة . ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣١٩

(٤) الرزق الأحباسية : الأموال المرصودة لأرباب المعاشات .

Dozy: supp. Dict. Ar.

شاد الدواوين بالشام ، الوديع الأول وطالبه بما عنده من الوديعة . فادعى أن الجناجى استعاد ذلك منه ، فلم يصدقه ، وقصد ضربه وعقوبته ، بسبب ذلك . فأتاه فخر الدين المذكور واعترف أن الوديعة عنده ، وأحضر الصندوق إلى الديوان السلطانى . وفُتِح واعتبر ما فيه ، فكان فيه من الذهب اثنان وثلاثون[1] ألف دينار ، ومائتا[2] دينار ، وأربعة وثلاثون[3] دينارا ، وحوائص ذهب ، وطرز زركش بتتمة خمسين ألف دينار ، هكذا نقل إلىّ ثقة .

وفيها ، توفى الأمير سيف الدين بلبان الفاخرى ، أمير نقباء العساكر المنصورة بالأبواب السلطانية ، وكانت وفاته فى رابع عشر ربيع الآخر . وأعطى إقطاعه سيف الدين بكتمر الحسامى الطرنطاى أمير آخور . وكان السلطان ، قبل ذلك أمره بعشرة طواشية ، فنقله الآن إلى إمرة الطبلخاناة . ثم تنقل بعد ذلك فى المناصب والنيابات عن السلطنة والوزارة وغير ذلك ، على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى فى مواضعه .

وفيها ، فى يوم الاثنين حادى عشر جمادى الأولى ، كانت وفاة الأمير سعد الدين كوجا الناصرى . وكان يتولى نيابة دار العدل ، وتولى ثغر الإسكندرية وكان بيده إمرة عشرة طواشية .

---

(١) فى الأصل اثنين وثلاثين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) فى الأصل ومائتى ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى الأصل أربعة وثلاثين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

وفيها، توفيت الخاتون الجليلة الكبرى ، نسب خاتون ، ابنة الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين مودود ابن السلطان الملك العادل سيف الدين أبى بكر أيوب، فى العشر الأوسط فى ،شهر ربيع الأول . ودفنت عند والدها بقاسيون ،رحمهما الله تعالى .

واستهلت ثمـان وتسعين وستمائة

[٦٩٨ - ١٢٩٨ / ١٢٩٩]

فى هذه السنة ، فى أولهـا جهز السلطان الأمير جمال الدين أقش الأفرم ، والأمير سيف الدين حمـدان بن صلغاى[1] إلى الشام ، وأمرهما أن يتوجها إلى دمشق ، ويخرجا نائب السلطنة الأمـير سيف الدين قبجاق[2] وبقية العسكر إلى البلاد الحلبية . فوصلا إلى دمشق على خيل البريد ، فى يوم الأربعاء سابع المحرم . فتجهز الأمير سيف الدين قبجاق نائب السلطنة ، وخرج بسائر عساكر دمشق حتى بحيرة القلعة ، وجماعة الأمير علم الدين سنجر أرجواش نائب القلعة ، وتأخر بدمشق الأمـير سيف الدين جاغان . وكان خروج نائب السلطنة من دمشق ، فى عشية الأربعاء ، رابع عشر المحرم ، وبات بالميدان الأخضر . وركب فى بكرة النهار ، وتوجه بالعساكر إلى جهـة حمص . وكان سبب هذه الحركة ظاهرا ، أن السلطان بلغه أن التتار قد عزموا على الدخول إلى البلاد الإسلامية بالشام . وعلم الأمير سيف الدين قبجاق ، أن الأمر ليس كذلك . فإن القصاد قبل ذلك بيسير ، حضروا إليه من بـلاد الشرق ، وأعلموه أن التتار كانوا قد تجهزوا وعزموا على الحضور إلى الشام . فلما كانوا باثناء الطريق ، وقعت عليهم صواعق كثيرة ، وأهلكت منهم خلقا كثيرا ، فتفرقوا فى مشاتيهم ، ولم يرد خلاف ذلك .

---

(١) فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ص ٣٣٦ صلغيه

(٢) فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٥٣ قبجق

والقصاد لا تصل إلى الباب السلطانى بالديار المصرية ، إلا بعد الإجتماع بنائب السلطنة بدمشق ، فاستشعر الأمير سيف الدين قبجاق السوء ، وعلم أن هذه الحركة إنما هى تدبير[1] عليه ، وعلى غيره من الأمراء . فأوجب ذلك توجههم إلى التتار .

ذكر مفارقة من ذكر من نواب السلطنة والأمراء الخدمة السلطانية ، ولحاقهم بقازان ملك التتار

وفى هذه السنة ، فى شهر ربيع الآخر ، توجه الأمير سيف الدين قبجاق المنصورى ، نائب السلطنة بالشام ، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، أحد مقدمى الجيوش المنصورة المصرية ، والأمير فارس البكى الساقى ، نائب السلطنة بالمملكة الصفدية ، والأمير سيف الدين بزلار ، والأمير سيف الدين عزار [الصالحى][2] ، إلى بلاد التتار ، والتحقوا بملكها قازان محمود .

وسبب ذلك أن الأمير سيف الدين منكوتمر ، نائب السلطنة ، ثقلت عليه وطأة الأمراء الأكابر . وقصد القبض عليهم أولا ، و إقامة خوشداشيته ليصفو له الوقت ، ويخلص له الأمر ، ويتمكن السلطان بما قصده من تفويض ولاية العهد بعده له . فحسّن للسلطان القبض على من تقدم ذكرهم ، فقبض عليهم . ثم شرع فى التدبير على من بالشام من الأمراء والنواب ، الذين يعلم منهم المماألاة[3] والمناواة . فجهز الأمير علاء الدين ايدغدى شقير[4] إلى حلب ، كما تقدم ، وأردفه بالأمير سيف الدين حمدان بن صلغاى ، وعلى يده كتاب إلى نائب السلطنة

(١) فى الأصل تدبيرا وما هنا هو الصواب لغويا

(٢) الاضافة من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٣٣٧

(٣) فى الأصل المماثلة ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) فى الأصل ايدغي ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٥٣

بالمملكة الحلبية ، بالقبض على الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، [وعلى][1] الأمير فارس الدين البكى ، والأمير سيف الدين طقطاى ، والأمير سيف الدين بزلار ، والأمير سيف الدين عزار . ومن يَعْذُر عليه القبض عليه ، يتحيَّل فى سقيه . فسقى الأمير سيف الدين طقطاى فمات بحلب ، فى أول شهر ربيع الأول . واتصل الخبر ببقية الأمراء ، فاحتاطوا لأنفسهم ، واحترزوا فى ما كلهم ومشربهم وملبسهم . وأعمل الأمير سيف الدين الطباخى الحيلة فى القبض عليهم ، وذلك بعد خروجهم من سيس . فجهز سماطا ، واحتفل به ، وتحدث مع الأمراء أن يتوجهوا معه ، ويحضروا السماط ، فامتنعوا من ذلك ، واعتذروا له ، وتوجهوا إلى خيامهم . فلم تجمع[2] هذه المكيدة . وكان السلطان قد كتب إلى الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، أن يجهز طُلْبَه وأثقاله إلى المملكة الطرابلسية ، ويكون نائبا عن السلطنة بها ، وذلك بعد وفاة الأمير عز الدين أيبك الموصلى . وأن يحضر هو بنفسه إلى الأبواب السلطانية ، على خيل البريد ، ليوصيه السلطان مشافهة . فأظهر البشر لذلك ، وعلم أنه خديعة .

ولما كان فى مساء النهار ، الذى عمل الطباخى فيه السماط ، اجتمع الأمير سيف الدين الطباخى النائب بحلب ، والأمير سيف الدين كجكن ، والأمير علاء الدين ايدغدى شقير ، وأرسلوا إلى الأمير بكتمر السلاح دار والبكى ومن معهما ، يطلبونهم للحضور لمشورة . وأن سبب هذا الاجتماع ، أن بطاقة وردت فى البيرة فى أواخر النهار ، تتضمن أن التتار أغاروا على ماحول البيرة ، فأجابوا بالامتثال ، وأنهم يحضرون إلى الخدمة فى إثره . فعاد ، وركبوا فى الوقت على حميته .

(١) الإضافة للتوضيح .
(٢) كذا فى الأصل ، والمقصود لم تنجح أو تنجع هذه المكيدة .

فأما بزلار فإنه ساق هـو وخمسة نفر ، وعبر الفـرات إلى رأس العين وانتهى إلى سنجار فتوفى بها . وأما الأمير سـيف الدين بكتمر السلاح دار ، والأمير فارس الدين البكى ، والأمير سـيف الدين عزار ، فإنهم توجهوا إلى حـمص ، واجتمعوا بالأمير سـيف الدين قبجاق ، وأطلعوه على جلية الحال ، وحلفـوه لأنفسهم ، وحلفـوا له . وكتب إلى السلطان يعلمه بما وقع من الاختـلاف ، وبوصول الأمراء إليه ، ويسأل لهم الأمان ، وأن يطيب السلطان خواطرهم . وسيّر بذلك الأمير سيف الدين بلغاق(١) ابن الأمير سيف الدين كونجك الخوارزمى على خيل البريد . فوصل إلى دمشق ، فى يوم السبت خامس شهر ربيع الآخر ، وتوجه منها إلى باب السلطان .

وكتب الأمير سـيف الدين قبجاق إلى الأمير سـيف الدين جاغان ، وهو بدمشق ، يطلب منه أن يرسل إليـه مالا وخلعا من الخزانة ، لينفـق المـال على الأمراء ، ويخلـع عليهم ، ويطيب خواطرهم . فلم يجب إلى ذلك . وكتب إليه يلومه على إغفاله أمر الأمراء ، الذين وصلوا إليه ، وهم طلبـة السلطان ، وكونه تمكن من القبض عليهم ، ولم يفعل . وكتب إليه الأميران سيف الدين كجكن ، وعلاء الدين ايدغدى شقير ، وهما يلومانه وينكران عليـه كونه أقر هؤلاء الأمراء عنده ، مع تمكنه من القبض عليهم ، وقد علم خروجهم على الطاعة وأغلظا له فى القول ، وتواعداه ، أنه متى لم يقبض عليهـم ، حضروا إليـه ، وقبضوا عليـه وعليهم . وكاشفاه فى القول مكاشـفة ظاهرة . فتسلّل(٢) عن الأمير

(١) فى الأصل بلقاك ، وماهنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٥٥ .

(٢) فى الأصل وتغلل ، وماهنا من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٥٥ .

سيف الدين قبجاق من معه من العسكر الشامى ، وعادوا إلى دمشق ، أولا فأولا . فكتب إلى جاغان فى ذلك ، وأن يردّهم إليه ، فلم يفعل . وشكر [جاغان[1]] من حضر .

فرأى الأمير سيف الدين قبجاق أن أمره قد انتقص ، وبلغه أن العسكر المجرد بحلب قد توجه نحوه . فركب فى ليلة الثلاثاء ، ثامن شهر ربيع الآخر من حمص ، هو والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، والأمير فارس الدين البكى ، والأمير سيف الدين عزار ، وقبضوا على الأمير علاء الدين أقطوان النائب بحمص ، واستصحبوه معهم إلى القريتين ، ثم أخذوا فرسه وأطلقوه . وتوجهوا فى جماعة ، يقال إن عدة من صحبهم من ألزامهم ومماليكهم خمسمائة فارس . وتوجهوا لا يلوون على شىء ، وتعقبهم الأمير سيف الدين كجكن والأمير علاء الدين ايدغدى شقير ، فى طائفة من العسكر إلى الفرات ، فما أدركوهم ، ووجدوا بعض أثقالهم فأخذوها[2] .

ثم ورد عليهم الخبر بقتل السلطان ، فانحلت عزائمهم ، وتفاءلت أراؤهم . وساق سيف الدين بلبان القصاص البريدى إلى رأس عين ، ولحق الأمير سيف الدين قبجاق بها . وأعلمه بمقتل السلطان ، وسأله الرجوع بمن معه . وحلف له على صحة ما أخبره به ، فظن أن ذلك مكيدة . ثم تحقق الحال بعد ذلك وقد تورط ، وصار فى بلاد العدو ، فلم يمكنه الرجوع .

ولما وصل الأمراء إلى رأس عين ، بلغ مقدم التتار بتلك الجهة خبر وصولهم ، فخافهم . ثم تحقق أنهم حضروا إلى خدمة الملك قازان ، فحضر إليهم وأكرمهم ،

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٥٥ .

وخدمهم صاحب ماردين ، وقدّم لهم أشياء كثيرة . وقصد بولاى مقدم التتار ، بتلك الناحية ، أن الأمراء يتوجهون[1] إلى جهة قازان على خيل البريد . ويتأخر من معهم من أتباعهم وأزامهم عن الوصول إلى البلاد ، حتى يرد المرسوم . فامتنع قبجاق من ذلك ، وأبى إلا الدخول بالطُّلْب[2] والجماعة الذين معه ، فامتنع التتار عليه . فيقال إنه أخرج إليهم كتاب الملك قازان إليه ، وهو فى بالشت[3] ذهب . فعند ذلك خضعوا له ، ومكّنوه مما أراد ، من الدخول بالطُّلْب . وتوجهوا كذلك ، ودخلوا إلى الموصل بطُلْبين[4] ، والتقاهم أهل البلد . وتوجهوا من الموصل ، وانتهوا إلى بغداد . فخرج إليهم عسكر المغل والخواتين والتقوهم . ثم توجهوا إلى قازان ، وهو يومئذ بأرض السهب[5] من أعمال واسط . فأكرمهم وأحسن إليهم ، وأوجب ذلك وصول قازان بجيوشه إلى الشام على ما نذكره إن شاء الله تعالى .

---

(١) فى الأصل يتوجهوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) الطلب ، انظر ما سبق ص ٤٢ حاشية ١ .

(٣) بالشت ، لفظ فارسى ، معناه الوسادة والحشية ، ولعل المقصود هنا ، حقيبة يزركش ذهب تحفظ بها الرسائل الهامة ، انظر Steingass : Pers. Eng. Dict . ويشير المقريزى : السلوك ج ١ ص ٨٧٢ إلى أن قبجاق كان مدة نيابته لدمشق ، يكاتب قازان ، وعندما عزم على اللحاق به استدعى منه طلغا البريد التى يركب بها الأمراء عندهم ، فبعثها قازان إليه ، وصارت عنده ، حتى ركب من ماردين لحملها إليه . وهذه الرواية قريبة من رواية النويرى بالمتن ، فالطلغا والتلغا ، لفظ تركى الأصل ، معناه هنا أمر ملكى ، ومن معانيه أيضا علامة متفق عليها ، مصنوعة من الذهب أو الفضة .

(٤) فى الأصل طلبين ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٥) السهب ، كورة فى إقليم واسط . ياقوت : معجم البلدان .

ذكر مقتل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ونائبه منكوتمر

كان مقتلهما فى ليلة يسفر[1] صباحها عن يوم الجمعة ، الحادى عشر من شهر ربيع الآخر ، سنة ثمان وتسعين وستمائة . وسبب ذلك ، أن السلطان كان قد فوّض الأمور إلى مملوكه نائبه الأمير سيف الدين منكوتمر ، وقصد التخلى والراحة والدعة ، وعزم على أنه إذا خلى وجهه من الأمراء ، وقبض على من يخشى غائلته منهم ، فوّض إليه أمر السلطنة ، واحتجب هو ، على قاعدة الخلفاء . وإنما كان يمنعه من ذلك ، وجود أكابر الأمراء ، الذين لا يوافقونه[2] على الرأى هذا . فلما قبض على من ذكرنا من أكابر الأمراء ، وأبعد من بقى منهم بالتجريد إلى جهة الشام ، استخف حينئذ منكوتمر ، بمن بقى منهم ، واستبد بالأمر . وآخر ذلك ، أن السلطان رسم له أنه إذا كُتِب مرسوم سلطانى بإنعام أو غيره ، بغير إشارته ، يقطعه بعد العلامة السلطانية . فثقلت وطأته على الناس ، وأنفت نفوس الأمراء من ذلك ، وكرهوا بقاء الدولة ، وأحبوا زوالها بسببه ، مع إحسان السلطان إلى كثير منهم[3] . وكان الأمير سيف الدين كرجى ، أحد الأمراء المماليك السلطانية ، قد اختص بخدمة السلطان ، وتقدم عنده ، وجعله مقدما على المماليك السلطانية ، على ما كان عليه الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، فى الدولة الأشرفية . فبقى كرجى هو الساعى فى مصالح المماليك

(١) الملحوظ أن المؤلف اتخذ فى الكتابة أسلوبا مختلفا عما سبق أن درج عليه فيما أورده من روايات.

(٢) فى الأصل يوافقوه ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) وردت هذه الرواية ، مع بعض التعديل ، فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ٩٨ .

السلطانية والمتلقى لمصالحهم ، فانضموا إليه ودخلوا تحت طاعته ، وقويت شوكته بهم ، وشوكتهم به . فثقل ذلك على منكوتمر ، وعمل على إبعاده . وحسّن إلى السلطان أن يبعثه إلى نيابة السلطنة بالفتوحات ببلاد سيس (١) .

وكان قد تقدم من الأمراء ، قبل كرجى ، الأمير سيف الدين تمربغا ، فعمل عليه منكوتمر وأبعده وأخرجه إلى الكرك . ثم نقله من الكرك إلى طرابلس ، فى جملة الأمراء ، فمات بها . فلما اتصل الخبر بكرجى ، حضر إلى بين يدى السلطان ، وتضرر واستعفى من هذه الولاية فأعفاه السلطان ، وشرع فى العمل على منكوتمر . واتفق أن الأمير سيف الدين طقطاى ، أحد الأمراء الحاصكية ، وهو نسيب الأمير سيف الدين طقجى ، خاطب منكوتمر فى أمر فأغلظه فى القول ، وسبّه ، فشكا ذلك إلى الأمير سيف الدين طقجى (٢) ، فأسرّها فى نفسه . واجتمع هؤلاء الأمراء ، وتشاكوا فيما بينهم ، وذكروا سوء سيرة منكوتمر فيهم ، وقبح فعله واستخفافه بهم . وعلموا أنهم لا يتمكنون (٣) منه ، مع بقاء السلطان مخدومه ، فاجتمع رأيهم على اغتيال السلطان .

فلما كان فى هذه الليلة المذكورة ، جلس السلطان يلعب الشطرنج مع إمامه [نجم الدين] بن (٤) العسال ، وكان قد تقدم عنده ، وعنده قاضى القضاة

---

(١) يقابل ما ورد فى ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ١٠٠ — ١٠١ .

(٢) فى الأصل طفجى ، وما هنا جرى اثباته بهذا الرسم ، وفقا للصورة التى سبق وروده عليه ، وسوف تتخذ هذه الصورة دون الإشارة إلى ذلك . والمعروف أن هذا الاسم وارد بكل من الصيغتين بمواضع شتى . انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٥٥ حاشية ٥ .

(٣) فى الأصل يتمكنوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٥٦ .

حسام الدين[1] الحنفى ، وكانت له عادة بالمبيت عند السلطان فى بعض الليالى . فدخل عليه كرجى على عادته ، فسأله السلطان عما فعل . فقال : قد أغلقت على الصبيان فى أماكن مبيتهم ، وكان قد رتب بعضهم فى أماكن من الدهاليز . فشكره السلطان ، وأثنى عليه . وذكر للقاضى حسام الدين خدمته للسلطان ، وملازمته الخدمة . فقبّل كرجى الأرض ، ثم تقدم لإصلاح الشمعة التى بين يدى السلطان ، فأصلحها وألقى فوطة خدمة كانت بيده على نمجاة[2] السلطان . وكان سلاح دار النوبة قد وافقه وباطنه على قتل السلطان . ثم قال كرجى للسلطان : ما يصلى مولانا السلطان العشاء ، فقال نعم ، وقام للصلاة . فأخذ السلاح دار النمجاه من تحت الفوطة . فعند ذلك ، جرد كرجى سيفه ، وضرب السلطان به على كتفه ، فأراد السلطان أخذ النمجاه فلم يجدها . فقبض على كرجى ، ورماه تحته ، فضربه السلاح دار بالنمجاه على رجله ، فقطعها . فانقلب [السلطان][3] على ظهره ، وأخذته السيوف ، حتى قتل . وهرب ابن العسال الإمام إلى خزانة ، وصرخ قاضى القضاة حسام الدين عند ضرب السلطان ، لا يحل [هذا لكم][4] ، فهم كرجى بقتله . ثم تركه ، وأغلق كرجى الباب عليه ، وعلى السلطان .

---

(١) هو حسام الدين الرازى الذى ولى قضاء قضاة الحنفية سنة ٦٩٧ ، واستمر إلى أن قتل لاجين سنة ٦٩٨ ، فنقل إلى قضاء دمشق . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٧ ، ص ١٢٨ — ٧٢٩ .

(٢) النمجاه ، بالهاء ، خنجر مقوس شبه السيف القصير ، وهو معرب اللفظ الفارس نيمجه . ويقال أيضا نمجا ونمجه ونمشا ونمشاه ونمشه . انظر Dozy: Supp. Dict. Ar. المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٥٧ حاشية ١ .

(٣) الإضافة للتوضيح .

(٤) الإضافة من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٥٧ .

ثم خرج [كرجى](١) إلى الأمير سيف الدين طقجى ، وقد استعد هو أيضا ، وهو ينتظر ما يفعله كرجى ، فأعلمه بقتل السلطان . ثم توجهوا إلى دار النيابة ، وقد أغلقت . فطرق كرجى الباب ، واستدعى الأمير سيف الدين منكوتمر برسالة السلطان ، فأنكر حاله ، واستشعر السوء ، وامتنع من الإجابة . ثم قال له : كأنكم قتلتم السلطان ، فقال : نعم قتلناه ، وسبّه . فعند ذلك ذلّ منكوتمر ، وضعفت نفسه ، واستجار بالأمير سيف الدين طقجى ، فأجاره وحلف له أنه لا يؤذيه ، ولا يمكن من أذاه ، فاطمأن ليمينه وخرج إليهم . فأرسلوه إلى الجب ، وأنزلوه إليه ، فلما رآه الأمراء ، قاموا إليه ، وظنوا أن السلطان نقم عليه ، وسألوه عن الخبر . فأخبرهم بقتل السلطان ، فسبوه ، وذكّروه بسوء فعله ، وقصدوا قتله ، ثم تركوه .

ثم رجع كرجى بعد اعتقال منكوتمر إلى مجلسه . وقال لطقجى : نحن ما قتلنا السلطان لإساءة صدرت منه إلينا ، وإنما قتلناه بسبب منكوتمر ، ولا يمكن ابقاءه . ثم قام ، وتوجه إلى الجب ، وأخرجه وذبحه من قفاه على باب الجب(٢) .

فكانت مدة سلطنة الملك المنصور حسام الدين لاجين ، منذ فارق الملك العادل الدهليز ، وحلف الأمراء له بمنزلة العوجا ، فى يوم الاثنين الثامن والعشرين من المحرم سنة ست وتسعين وستمائة ، وإلى أن قتل فى هذه الليلة ، سنتين وشهرين وثلاثة عشر يوما ، ومنذ خلع الملك العادل نفسه بدمشق ، وحلف له ، واجتمعت الكلمة عليه بمصر والشام ، فى يوم السبت رابع عشرين صفر من السنة

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) يقابل ما ورد فى المقريزى ، السلوك ج١ ، ص ٨٥٨ ، وبيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ج٩ ، ص ٣٤٧ .

المذكورة إلى هذا التاريخ الذى قتل فيه ، سنتين وشهرين إلا ثلاثة عشر يوما . ودفن بتربته بالقرافة ، ودفن نائبه منكوتمر بالتربة أيضا .

وكان رحمه الله تعالى ملكا عادلا ، يحب العدل ويعتمده ، ويرجع إلى الخير ويميل إليه ، ويقرب أهله . وكان حسن العشرة ، يجتمع بجماعة من المتعممين والعوام ، ويأكل طعامهم . وكان أكولا ، ولم يكن فى دولته وأيامه ما يعاب وينكر ، إلا انقياده إلى مملوكه نائبه منكوتمر ، والرجوع إلى رأيه ، وموافقته على مقاصده حتى كان عاقبة ذلك قتلهما . وأثرت موافقته له ، من الفساد على العباد والبلاد وسفك دماء المسلمين ، ما لم يستدرك . وذلك أن الأمراء الذين فارقوا الشام ، وتوجهوا إلى التتار خوفا منه ، أوجب توجههم إلى قازان ، وصوله إلى الشام وخراب البلاد ، وسفك الدماء ، على ما نذكره بعد فى موضعه إن شاء الله تعالى .

وبلغنى أن الملك المنصور هذا مازال يستشعر القتل ، منذ قتل السلطان الملك الأشرف ، وأنه فى يوم الخميس بعد العصر ، العاشر من شهر ربيع الآخر ، وهو اليوم الذى قتل فيه عشيته ، أحضر إليه ندب[1] نشاب ميدانى ، من السلاح خاناة السلطانية . فجعل يقلبه فردة فردة ، ويفتل كل فردة منها ، ويقول عند فتلها ، من قتل قتل ، وكرر هذا القول مرارا . فقتل بعد أربع ساعات من كلامه أو نحوها . وأجرى الله هذا الكلام على لسانه ، والنفوس حساسة فى بعض الأحيان .

---

(١) الندب : الحزمة من النشاب . Dozy: Supp. Dict. Ar

وحكى لى بعض من أثق به ، عن الأمير بدر الدين بكتوت العلائى حكاية عجيبة تتعلق به ، و بالسلطان الملك الأشرف ، أحببت ذكرها فى هذا الموضع ، فالشىء بالشىء يذكر .

قال بكتوت العلائى : كنت فى خدمة السلطان الملك الأشرف فى الصيد ، وأنا يومئذ والأمير حسام الدين لاجين سلاح دارية ، نحمل السلاح خلف السلطان . فاجتمعنا بحلقة صيد ، وكانت النوبة فى حمل السلاح[1] خلف السلطان للأمير حسام الدين . وقد تقدمت إليه أنا ، فى مكان من الحلقة ، و إذ أنا بلاجين قد أدركنى ، وأعطانى سلاح السلطان . وقال : خذ السلاح ، وتوجه إلى السلطان ، فإنه قد رسم بذلك . فأخذت السلاح ، وتوجهت إلى خدمة السلطان . وساق لاجين فى مكانى الذى كنت به من الحلقة . فلما انتهيت إلى السلطان ، وجدته وهو على فرسه ، وقد جعل طرف عصا المقرعة على رأس النازين[2] ، والطرف بجهته ، وكأنه فى غيبة[3] من حسه . فلما جئت قال لى : يا بكتوت والله ، التفت إلى ورائى ، فرأيت لاجين خلفى ، وهو حامل سلاحى ، والسيف فى يده . فخيل إلىّ أنه يريد أن يضربنى به ، فنظرت إليه ، وقلت له يا أشقر[4] ، أعط السلاح لبكتوت يحمله ، وتوجه أنت مكانه . قال بكتوت العلائى : فقلت للسلطان ، أعيذ مولانا السلطان بالله ، أن يخطر هذا بباله ، ولاجين أقل من هذا ، وأضعف نفسا أن يخطر هذا بباله ، فضلا [عن][5] أن يُقدِم عليه ، وهو

(١) فى الأصل السلطان ، وما هنا من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٥٥ .

(٢) النازين ، وهو السرج حسبما ورد فى المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٦٠ .

(٣) فى الأصل عينه ، وما هنا من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٦٠ .

(٤) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٦٠ باشقير .

(٥) الإضافة من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٦٠ .

مملوك السلطان ، ومملوك السلطان الشهيد ، وتربية بيته الشريف . هذا معنى كلامه .

قال : وشرعت أصرفه عن هذا . فقال لى : والله ما عرفتك إلا ما خطر لى وتصورته . قال بكتوت العلائى : فخشيت على لاجين ، كون هذا السلطان يتخيل هذا الأمر فيه ، وينكفه عنه . وأردت أن أنصحه ، فاجتمعت به فى تلك الليلة فى خلوة . وقلت له : بالله عليك ، تجنب هذا السلطان ، ولا تكثر من حمل السلاح ، ولا تنفرد معه . فسألنى عن موجب هذا الكلام . فأخبرته بما ذكره السلطان لى ، وبما أجبته . فشرع يضحك ضحكا كثيرا ويتعجب . فقال ، ما ضحكى إلا من إحساسه ، والله لما نظر إلىّ ، وقال لى يا أشقر[1] كنت قد عزمت على تجريد سيفه وقتله به . قال بكتوت العلائى : فعجبت من ذلك غاية العجب . ولنرجع إلى سياقة الأخبار بعد مقتلهما ، إن شاء الله تعالى .

ذكر ما اتفق بعد مقتل الملك المنصور ونائبه منكوتمر ، من الحوادث والوقائع المتعلقة بأحوال السلطنة بمصر والشام ، إلى أن عاد السلطان الملك الناصر

لما قتل الملك المنصور حسام الدين لاجين ، ونائبه الأمير سيف الدين منكوتمر ، كان بالقلعة من الأمراء ، غير طقجى وكرجى ، الأمير عز الدين أيبك الخزندار ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير [وسيف الدين سلار الأستادار[2]] ، والأمير حسام الدين لاجين الرومى أستاذ الدار ، وكان قد وصل

(١) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٦٠ بأشقر .

(٢) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٦٠ .

على خيل البريد من حلب ، بعد خروجه من بلاد سيس ، والأمير جمال الدين آقش الأفرم ، وكان قد عاد من دمشق ، بعد إخراج نائبها والعسكر منها إلى حمص ، كما تقدم ، والأمير بدر الدين عبد الله السلاحدار ، والأمير سيف الدين كرد[1] الحاجب ، هؤلاء الأمراء المشار إليهم . فاجتمعوا ، واتفقت آراؤهم على مكاتبة السلطان الملك الناصر وإحضاره من الكرك ، وإعادة السلطنة إليه ، وأن يكون الأمير سيف الدين طقجى الأشرفى نائب السلطنة ، وانفصل الحال على ذلك .

ثم سمت بالأمير سيف الدين طقجى نفسه ، إلى طلب السلطنة لنفسه ، وتقرير النيابة لكرجى . وتأخر الإرسال إلى السلطان الملك الناصر . وركب الأمير سيف الدين طقجى فى يوم السبت حادى عشر[2] ، شهر ربيع الآخر ، فى موكب النيابة ، والأمراء فى خدمته . وعاد إلى القلعة ، وجلس . ومدّ السلطان السماط ، وقد تفوه الناس له بالسلطنة ، ولكرجى بالنيابة[3] .

حكى تاج الدين عبد الرحمن الطويل ، مستوفى الدولة ، قال : طلبنى الأمير سيف الدين طقجى ، وسألنى عن إقطاع نيابة السلطنة ، فذكرت له بلاده

---

(١) فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٦٠ كرت .

(٢) هكذا فى الأصل المنسوخ المحقق ، وبمتابعة التواريخ التى وردت فى الصفحات ٣٥٧ ، ٣٦١ ، ٣٦٥ من هذا الجزء يتبين أن يوم السبت يوافق ثانى عشر ربيع الآخر (المصحح) .

(٣) ما أورده النويرى هنا مختصرا ، جاء بالتفصيل فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٦٦ ، إذ وصف ما دار من الحديث بين الأمراء على السماط ، حول السلطنة ، واستدعاء الملك الناصر . فقام كرجى وقال : « يا أمراء ! أنا الذى قتلت السلطان لاجين ، وأخذت ثار أستاذى ، والملك الناصر صغير ، ما يصلح ، ولا يكون السلطان إلا هذا » — وأشار لطقجى — ، « وأنا أكون نائبه ، ومن خالف فدونه » فسكت الأمراء كلهم إلا كرت الحاجب ، فإنه قال : « يا خوند ! الذى فعلته أنت قد حلفه الأمراء ، ومهما رسمت ماثم من يخالف » ، وانقضوا .

وعبرها[1] ومتحصلاتها ، وما انعقدت عليه جملة ذلك ، فاستكثره ، وقال هذا كثير ، وأنا لا أعطيه لنائب . ورسم أن يوفر منه جملة ، تستقر فى الخاص. ولم يبرز المرسوم بذلك . ثم خرجت من عنده ، فطلبنى كرجى ، وسألنى عن إقطاع النيابة ، كما سألنى طقجى ، فأخبرته بذلك . فاستقله ، وقال أنا ما يكفينى هذا ، ولا أرضى به . وشرع يسأل عن بلاد يطلبها زيادة على إقطاع منكوتمر .

قال : فعجبت من ذلك ، كونهما جعلا فكرتهما وحديثهما فى هذا الأمر ، قبل وقوع سلطنة هذا ، ونيابة هذا[2] .

ذكر مقتل سيف الدين طقجى[3] وسيف الدين كرجى

كان مقتلهما فى يوم الإثنين ، رابع عشر شهر ربيع الآخر ، من السنة المذكورة . وذلك أن الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى ، أمير سلاح ، وصل من غزاة سيس ، فى هذا اليوم ، هو ومن معه . وقد اتصل به خبر مقتل السلطان فاتفق الأمراء الأكابر على الخروج لتلقيه ، وعرضوا ذلك على الأمير سيف الدين طقجى ، وأشاروا أن يركب معهم . فامتنع من ذلك ، وأظهر عظمة وكبراً . فقالوا له إن عادة الملوك تتلقى أكابر الأمراء ، إذا قدموا من الغزاة ، سيما مثل هذا الأمير الكبير ، الذى هو بقية الأمراء الصالحية . وقد طالت غيبته ، وفتح هذه الفتوح . ولاطفوه ، إلى أن ركب معهم ، وخرج للقائه . فلما التقوا ،

---

(١) فى الأصل غيرها ، وما هنا به يستقيم المعنى ، والمقصود بالعبرة .

(٢) هذه الرواية أوردها باختصار المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٦٦ .

(٣) فى الأصل للطقجى ، وما هنا هو الرسم المعروف لهذا الاسم .

سلموا عليه ، وسلم عليهم . ثم قال الأمير بدر الدين [بكتاش][1] ، أمير سلاح ، للأمراء : « أنا عادتى إذا قدمت من الغزاة ، يتلقانى السلطان . وكيف ما أجرانى على عادتى » . وكان قد علم بمقتل السلطان . وإنما أراد بذلك فتح باب الحديث . فقال له طقجى : — وهو إلى جانبه — « السلطان قتل » . فقال : « ومن قتله » . قال بعض الأمراء : « قتله كرجى ، وهذا » . — وأشار إلى طقجى — فقال : « لا بد من قتل قاتله » ، ونفر فى طقجى ، وقال له : « لا تسوق إلى جانبى » . فرفس طقجى فرسه ، وبرز عنه . فحمل عليه أحد المماليك السلطانية ، فضربه بسيفه ، فقتل . واتصل خبر مقتله بكرجى ، وكان قد تأخر فى طائفة من المماليك السلطانية ، تحت القلعة . فهرب وقصد جهة القرافة فأدركوه عند قبور أهل الذمة ، بيساتين الوزير ، فقتل هناك ، ولقى عاقبة بغيه[2] .

قضى الله أن البغى يصرع أهله وأن على الباغى تدور الدوائر

ولما قُتل الأمير سيف الدين طقجى ، توجه الأمير بدر الدين بكتاش الفخرى أمير سلاح إلى داره[3] بالقاهرة[4] ، واستقر بها . وكانت غيبته فى غزوة سيس هذه ، أحد عشر شهرا وأياما . وحضر إليه بعض الأمراء الأكابر ، واستشاره فى أمر السلطنة . فأشار بإعادة السلطان الناصر ، ووافق رأيه رأيهم واتفقت الأراء على أن ترجع الحقوق إلى نصابها ، وتفز السلطنة الشريفة بيد

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) وردت هذه الرواية مع بعض التعديل : فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٦٩ — ٨٦٩ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة : ج ٩ ، ص ١٠٤

(٣) فى الأصل دوره ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٦٩

(٤) فى الأصل بالقصر ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٦٩

من هو أحق وأولى بها ، وتعود السلطنة إلى من نشأ في حجرها وليدا ، وتخول من منصبها الشريف طارفا وتليدا . وندبوا الأمير سيف الدين آل[1] ملك الجوكندار[2] ، والأمير علم الدين سنجر الحاولى ، فتوجها إلى خدمة السلطان الملك الناصر بالكرك ، على خيل البريد ، لإحضاره . وطالعه الأمراء بما وقع ، وما اجتمعت الآراء عليه .

وبقى الأمر بالديار المصرية مشتركا ، بعد مقتل طقجى ، بين الأمراء ، إلى أن وصل السلطان الملك الناصر من الكرك . وكانت الكتب تصدر ، وعليها خط ستة من الأمراء وهم : الأمير سيف الدين سلار ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، والأمير عز الدين أيبك الخزندار ، والأمير جمال الدين آقش الأفرم ، والأمير سيف الدين بكتمر أمير جاندار[3] ، والأمير سيف الدين كرد الحاجب . وصدرت الكتب فى بعض الأوقات ، وعليها خط ثمانية ، خط هؤلاء الستة والأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار ، والأمير بدر الدين[4] عبد الله الصلاح دار .

---

(١) فى الأصل الملك ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٦٩

(٢) فى الأصل الجوكان دار ، وما هنا من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٦٩ ويرد هذا الاسم بهذين الرسمين ، على أن الصورة المثبتة فى المتن هى التى ترد عادة فى المصادر العربية ، ولذا سوف يجرى اثبات الاسم بهذا الرسم ، دون الإشارة إلى ذلك .

(٣) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٦٩ ، وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ص ١٠٥ ، كرت .

(٤) كذا فى الأصل ، وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٦٩ ، وابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ، جـ ٨ ، ص ١٠٥ ، جمال الدين .

وجلس الأمير عزالدين أيبك الخزندار ، فى ابتداء الأمر فى مرتبة النيابة . فإن الأمراء دعوا له حق التقدمة فى خدمة البيت المنصورى . وكان له رأى فاسد فى مملوك ، كان عند الأمير سيف الدين طقجى ، اسمه تسنّاى[1] ، فطلبه وهو فى المجلس بالدركاه ، بباب القلعة ، وألحّ فى طلبه فأحضر إليه . فلما رآه ، لم يتمالك عند رؤيته ، أن لفّ شعره على يده ، وقام من الدركاه ، وخدم الأمراء ، وتوجه بالصبى إلى داره . وكان غرضه من المناصب والتقدم فى الدولة ، تحصيل هذا المملوك ، فاشتغل به عماسواه ، وفارق المجلس ، وقد ظفر بما تمناه . فعلم الأمراء عند ذلك ، سوء تدبيره ، وقلة دينه ، وأنه لا يعتمد عليه فى شىء ، ولا يصلح للتقدم ، وأنه لم يكن فيه من الصبر ، عن غرضه الفاسد ، التأنى بعض ساعة ، حتى ينقضى ذلك المجلس ، ويتفرق ذلك الجمع الكثير ، وشاهدوا فعله بحضرتهم ، وعدم تحاشيه منهم . فتقدم الأمير سيف الدين سلار عند ذلك وصار يجلس فى مرتبة النيابة ، إلى أن حضر السلطان الناصر من الكرك .

هذا ملخص ما كان بالديار المصرية .

وأما دمشق وما اتفق بها ، بعد توجه الأمير سيف قبجاق ، نائب السلطنة بها ، منها :

فإن الأمير سيف الدين بلفاق[2] الخوارزمى ، لما توجه إلى الديار المصرية ، من جهة الأمير سيف الدين قبجاق — كما قدمنا ذكر ذلك — وصل إلى القاهرة ، فى يوم السبت ثانى عشر ، شهر ربيع الآخر ، بعد مقتل الملك المنصور [لاجين][3] ،

(١) فى الأصل بستاى ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٦٩

(٢) فى الأصل بلقاق ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ : ص ٨٧٠

(٣) الإضافة للتوضيح .

فاجتمع بالأمير سيف الدين طقجى ، وهو صاحب الأمر يومئذ ، وأوصله ما كان على يده من المطالعات من جهة الأمير سيف الدين قبجاق ، فقرئت عليه . وقال نكتب بإطابة قلبه ، وقلوب الأمراء . ثم كان من قتل طقجى ما قدمناه . فكتب الأمراء الثمانية على يده إلى الأمراء بدمشق ، بما وقع من قتل السلطان ونائبه منكوتمر ، وطقجى وكرجى . وأن الحال قد استقر على عود الدولة الناصرية ، وإطابة قلوب الأمراء . فوصل إلى دمشق فى يوم السبت ، تاسع عشر الشهر ، وكان المتحدث بها يومئذ الأمير سيف الدين جاغان الحسامى . فقبض الأمير بهاء الدين قرا أرسلان المنصورى السيفى على جاغان وحسام الدين لاجين الحسامى ، وكان قد ولى بدمشق ، فى أوائل سنة ثمان وتسعين وستمائة ، واعتقلهما بقلعة دمشق . وأوقع الحوطة على نواب الأمراء الأربعة المقتولين ، وحواصلهم بدمشق . وجمع الأمراء بدمشق ، وحلّفهم للسلطان الملك الناصر ، وتحدث بدمشق حديث نواب السلطنة . ولم تطل مدته ، فإنه مات فى ثانى جمادى الأولى[1] ، فيقال إنه سقى .

ثم وردت كتب الأمراء ، مدبرى[2] الدولة بالديار المصرية إلى دمشق ، فى يوم السبت ، رابع جمادى الأولى[3] ، وهى مؤرخة بالسادس والعشرين من شهر ربيع الآخر ، أن يستقر الأمير سيف الدين قطلبك[4] المنصورى السيفى ، فى وظيفة الشد بالشام ، عوضا عن جاغان . فباشر فى يوم الاثنين بعد العصر ، وكان الملك المنصور لاجين قد جهّزه إلى حلب ، يتحدث فى الأموال والحصون ، ويشارك

(١ ، ٣) فى الأصل الأول ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) فى الأصل مدبرين ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٠ قطلوبك .

الأمير سيف الدين الطباخى فى الأمر، فوصل إلى دمشق، ونزل بالقصر الأبلق. واتفق قتل السلطان وهو بدمشق ، فلم يمكنه التوجه إلى حلب وأقام بالميدان . فلما ورد هذا الكتاب ، انتقل من القصر ، وسكن دار الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، وتحدث فى الأموال وغيرها . وبقى هو المشار إليه ، إلى أن وصل إلى نائب السلطنة بدمشق .

ذكر عود السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون إلى السلطنة ثانيا

قد ذكرنا أن الأمراء أرسلوا إلى خدمة السلطان الأمير بن سيف الدين آل[1] ملك الجوكندار[2] ، وعلم الدين سنجر الجاولى ، فتوجها إلى السلطان ، فوجداه يتصيد بجهة بحور الكرك . فلما شاهداه ترجلا ، وقبلا الأرض بين يديه ، وقدما إليه مطالعات[3] الأمراء ، وأعلماه بهذه الحوادث . فركب من وقته وعاد إلى الكرك ، وتجهز منها ، وركب إلى الديار المصرية .

وكان وصوله إلى قلعة الجبل ، فى يوم السبت الرابع من جمادى الأولى سنة ثمان وتسعين وستمائة . وجلس على تخت[4] السلطنة ، فى يوم الاثنين سادس الشهر

(١) فى الأصل الملك ، وماهنا من المقريزى : السلوك حـ ١ ص ٨٧٣ ، انظر ماسبق ص ٣٦٧ حاشية ١ .

(٢) فى الأصل الجوكان دار : وماهنا من المقريزى : السلوك حـ ٢ ص ٨٧٣ ، انظر ماسبق ص ٣٦٧ حاشية ٢ .

(٣) انظر ماسبق ص ١٩ حاشية ٣ .

(٤) تخت ، وهو سرير الملك ، وهو منبر من رخام يصعد إيوان السلطان الذى يجلس فيه ، وهذا المنبر مستند إلى الحائط ، ويجلس عليه السلطان فى الأيام العامة ، القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٤ ، ص ٦ — ٧ .

المذكور، فكأنه المعنى بقول القائل :

قد رجع الحق إلى نصابه وأنت من دون الورى أولى به
ما كنت إلا السيف سلته يد ثم أعادته إلى قرابه

وركب فى ثانى عشر الشهر بشعار السلطنة . ولما جلس ، استشار الأمراء الأكابر ، فيمن يرتبه فى النيابة والوظائف . فوقع الاتفاق على أن يكون الأمير سيف الدين سلار المنصورى الصالحى نائب السلطنة بالأبواب الشريفة ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير أستاذ الدار العالية ، والأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار المنصورى أمير جاندار ، والأمير جمال الدين آقش الدوادارى الأفرم الحاجب ، نائب السلطنة بالشام ، والأمير سيف الدين كُرْد[1] الحاجب ، نائب السلطنة بالمملكة الطرابلسية ومامعها ، عوضا عن الأمير عز الدين أيبك الموصلى المنصورى ، وكان قد توفى إلى رحمة الله تعالى ، فى صفر من هذه السنة . وأحضر الأمير سيف الدين قطلبك[2] المنصورى من الشام ، ورتب أمير حاجب بالأبواب السلطانية . وأقر السلطان الصاحب الوزير فخر الدين عمر بن الخليلى على وزارته . وخلع السلطان على الأمراء والأعيان ، على جارى العادة .

وتوجه الأمير جمال الدين آقش الأفرم إلى دمشق ، على خيل البريد ، فكان وصوله إليها ، فى يوم الأربعاء ثانى عشرين جمادى الأولى . وأفرج عن الأمير سيف الدين جاغان الحسامى ، فى يوم الأربعاء ، تاسع عشرين الشهر ، حسبما رسم به من الأبواب السلطانية . فتوجه إلى الديار المصرية ، فوجد البريد وهو فى أثناء الطريق ، بإعادته إلى الأمرة بدمشق ، فعاد واستقر .

(١) فى المقريزى ، السلوك جـ ١ : ص ٨٧٣ كرت ، انظر ماسبق .

(٢) فى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٣ قطلوبك انظر ماسبق .

وفى يوم الخميس حادى عشر جمادى الآخرة ، خلع على الأمراء والأعيان بدمشق ، ولبسوا تشاريف السلطان . ووصل طلب نائب السلطنة ، الأمير جمال الدين فى هذا اليوم ، فتلقاه والأمراء فى خدمته ، وعليه التشاريف ، ودخل دخولا حسنا .

وفيها ، فى شهر رجب ، توجه الأمير سيف الدين كُرْدا[1] الحاجب ، لنيابة السلطنة الشريفة بالمملكة الطرابلسية .

وفيها ، رسم السلطان بالقبض على الأمير سيف الدين بَكْتَمُر ، أحد الأمراء الأكابر المقدمين بدمشق . فقبض عليه فى يوم الجمعة ، ثانى عشرين شهر رجب ، واعتقل بقلعة دمشق . ثم جُهِّز إلى الأبواب السلطانية مقيدا ، ثانى شهر رمضان ، هو وحمدان وأخوه ، ولدا صلغاى . وجرد معهم مائة فارس من عسكر الشام . فوصلوا بهم إلى الأبواب السلطانية[2] .

ذكر الإفراج عن الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وتفويض الوزارة إليه

وفى هذه السنة ، فى شهر رمضان ، أفرج عن الأمير شمس الدين سنقر الأعسر العزّى المنصورى ، وفوض إليه وزارة المملكة الشريفة ، وتدبير الدولة بالديار المصرية ، وعزل الصاحب فخر الدين الخليلى[3] .

---

(١) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٢ كرت .

(٢) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٨ .

(٣) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٨ .

ذكر وفود سلامش بن أفال بن بيجو[1] وأخيه قطقطوا ومن معهما ، وعود سلامش وقتله

كان سلامش هذا ، قد جهزه قازان[2] ملك التتار إلى بلاد الروم ، مقدما على تمان[3] ، وقيل بل كان معه خمسة وعشرون[4] ألف فارس . وأمره قازان أن يأخذ عساكر الروم ، ويتوجه إلى الشام من جهة سيس ، وأن قازان يحضر بنفسه ، ببقية جيوشه من جهة الفرات ، وأن يكون اجتماعهم على حلب ، ثم يعبرون[5] بجملتهم إلى الشام . فلما وصل سلامش إلى بلاد الروم ، خلع طاعة قازان ، وحدثته نفسه بالملك ، وكاتب ابن قرمان أمير التركمان ، فأطاعه وانضم إليه فى عشرة آلاف فارس . وكتب إلى السلطان [المنصور لاجين[6]] ، يستنجده على قازان . ووصل برسالته وكتبه إلى الأبواب السلطانية ، مخلص الدين الرومى . فكتب السلطان إلى دمشق بتجهيز العساكر لنصرته وإنجاده .

---

(١) فى الأصل بجول ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٤ ، وفى ابن أبى الفضائل : النهج السديد ص ٤٥٨ حاشية ١ ، بنجو .

(٢) كذا فى الأصل ، وورد بصورة غازان فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٨ وسائر المصادر العربية .

(٣) التمان والطومان ، انظر ما سبق ص ٢٩٧ حاشية ٣

(٤) فى الأصل عشرين ، وما هنا هو الصواب لغويا . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ١١٧ .

(٥) فى الأصل يعبروا ، وما هنا هو الصواب لغويا . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ١١٧ .

(٦) الإضافة من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٦ .

ولما اتصل بقازان خبر خروجه عن الطاعة ، انثنى عزمه عن قصد الشام ، فى هذه السنة . وجرد العساكر إلى سلامش فى أوائل جمادى الآخرة ، وكانوا خمسة وثلاثين ألفا ، مع ثلاثة[1] مقدمين ، ومرجعهم إلى بولاى[2] . فتوجهوا إلى سلامش ، وكان قد جمع نحو ستين ألف فارس . وهو يحاصر سيواس ، فإنها كانت قد عصت عليه . فأتته العساكر فى شهر رجب ، والتقوا ، ففارقه من كان معه من عسكر التتار ، والتحقوا ببولاى ، وكذلك عسكر الروم ، ولحق التركمان بالجبال . وبقى سلامش فى دون خمسمائة فارس ، ففر من سيواس إلى بلاد سيس ، ووصل إلى بهسنا[3] فى أواخر شهر رجب[4] ، ثم وصل إلى دمشق فى يوم الخميس ، ثانى عشر شعبان ، وصحبته الأمير بدر الدين[5] الذردكاش نائب بهسنا[6] ، فتلقته عساكر دمشق بأحسن زى صحبة نائب السلطنة بدمشق .

ثم توجه سلامش إلى الأبواب السلطانية ، فى يوم الأحد خامس عشر شعبان ، على خيل البريد ، فوصل إلى الأبواب السلطانية ، وهو وأخوه قطقطوا ،

---

(١) فى الأصل ثلاث ، وما هنا هو الصواب لغويا . انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ١١٨ .

(٢) فى الأصل مولاى ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٧٧ ؛ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ١١٥ .

(٣) فى الأصل بهنسا ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ١١٩ والمقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٧٧ .

(٤) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٨٧ .

(٥) فى الأصل عز الدين ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٧٧ ، انظر ما يلى .

(٦) فى الأصل بهنسا وما هنا هو الصواب انظر ما سبق أعلاه حاشية ٣ .

فأكرمهما السلطان والأمراء ، وأحسنوا إليهما . وخيّر [سلامش][1] بين المقام بالديار المصرية أو العود . فسأل أن يجرد السلطان معه جيشا ، ليتوجه إلى بلاد التتار ، ويأخذ عياله[2] ، ويرجع إلى خدمة السلطان . فجهزه السلطان إلى حلب . ورسم أن يجرد معه الأمير سيف الدين بكتمر الحلمى[3] ، وأعانه[4] . فوصل إلى دمشق فى الحادى والعشرين من شهر رمضان . وتوجه فى الثالث والعشرين من الشهر ، صحبة الأمير بدر الدين الذردكاش . ولما وصل إلى حلب ، جرد معه الأمير سيف الدين بكتمر الحلمى حسب المرسوم . فساروا إلى بلاد سيس ، فشعر بهم صاحبها والتتار الذين بتلك الأعمال . فأخذوا عليهم الطرق والمضايق ، والتقوا واقتتلوا ، فقتل الحلمى ، ولحق[5] سلامش إلى بعض القلاع . فأرسل قازان فى طلبه ، واستنزله فحمل إليه فقتله .

واستقر قطقطو[6] ومخلص الدين الرومى فى الخدمة الشريفة السلطانية بالديار المصرية . فأنعم السلطان على قطقطو بإقطاع ، وعلى مخلص الدين براتب .

---

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) فى الأصل لعياله ، وما هنا هو الصواب لغويا . وفى المقريزى . السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٧ ، ويحضر بعياله .

(٣) فى الأصل الحلبى ، وما هنا من المقريزى ، السلوك ، جـ ١ ، ص ٨٧٨ ، ومن بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٢٤٠ .

(٤) فى الأصل وأعاده ، وما ورد بالمتن به يستقيم المعنى .

(٥) فى الأصل ونجا ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٢٤٠ ، وفى المقريزى ، السلوك جـ ١ ص ٨٧٧ وغير .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٢٤٠ ، وورد بالرسم قطقطوا أيضا فى مواضع عديدة ، انظر ما سبق .

وفى هذه السنة ، فى شهر رمضان ، وصل رسول صاحب سيس ورسول صاحب القسطنطينية بتحف وهدايا ، وتقادم للسلطان . فوصلوا إلى دمشق فى رابع الشهر ، وتوجهوا منها إلى الأبواب السلطانية ، فى سادسه[1] . ويقال إن مضمون رسالة صاحب القسطنطينية ، الشفاعة فى صاحب سيس ، والله أعلم .

ذكر وصول مراكب الفرنج الى ساحل الشام وتكسير بعضها[2] ، ورجوع ما سلم منها[3][4]

وفى هذه السنة ، فى العشر الأخر من شعبان ، وصل إلى بيروت مراكب كثيرة . وبطش[5] للفرنج فيها جماعة كثيرة من المقاتلة ، يقال إن البطش كانت ثلاثين بطشة ، فى كل بطشة منها ، نحو سبعمائة . وقصدوا أن يطلعوا من مراكبهم إلى البر ، وتحصل إغارتهم على بلاد الساحل . فلما قربوا من البر ، أرسل الله عز وجل عليهم ريحا مختلفة . فغرقت بعض هذه المراكب ، وتكسر بعضها . ورجع من سلم منهم على أسوأ حال ، وكفى الله تعالى شرهم . وحكى عن

---

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٧٨

(٢) فى الأصل بعضهم ، وما هنا هو الصواب لغويا

(٣) فى الأصل من ، وما هنا هو الصواب لغويا

(٤) فى الأصل منهم ، وما هنا هو الصواب لغويا

(٥) البطشة : « البطسه » السفينة الكبيرة ، وأشار ابن واصل « مفرج الكروب ج ٢ ، ص ٣٥١ إلى أن صلاح الدين أمر سنة ٥٨٧ هـ بتعبيه بطشة عظيمة هائلة ببيروت « مشحونة بالآلات والأسلحة والنار والرجال والمقاتلة لتدخل إلى عكا وكانت عدة المقاتلة بها ستمائة وخمسين رجلا

Dozy: Supp. Dict. Ar.

الريس ببيروت ، أنه قال : والله لى خمسون[1] سنة ، ألازم هذا البحر ، فما رأيت مثل هذه الريح ، التى خرجت على هذه المراكب ، وليست من الرياح المعروفة عندنا[2] .

وفى هذه السنة ، عزل قاضى القضاة حسام الدين الرومى الحنفى عن القضاء بالديار المصرية ، وأعيد إلى القضاء بدمشق عوضا عن ولده القاضى جلال الدين. وكان وصوله إلى دمشق فى يوم الخميس ، سادس ذى الحجة . ولما عزل فوض القضاء بالديار المصرية ، على مذهب الإمام أبى حنيفة ، للقاضى شمس الدين أحمد السروجى الحنفى ، على عادته .

وفيها ، كانت وفاة الأمير الزاهد بدر الدين الصوابى فجأة فى ليلة الخميس ، تاسع جمادى الأولى ، ودفن بسفح قاسيون بكرة النهار . وكان أميرا دينا صالحا ، خيرا كثير البر والصدقة . وروى الحديث النبوى ، وكان له فى الإمرة نحو أربعين سنة . وكان من مقدمى الألوف وأمراء المائة بالشام ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، كانت وفاة بدر الدين بيسرى الشمسى الصالحى النجمى ، الأمير الكبير المشهور فى معتقله ، بالقاعة الصالحية ، بقلعة الجبل المحروسة ، وأخرج ودفن بتربته . وكان الملك الناصر ، لما عاد الى المُلك ، رسم بالإفراج عنه . فوقف الأمراء فى ذلك[3] ، وحسّنوا للسلطان إبقاءه على ما هو عليه . فرجع إلى رأيهم وأبقاه[4] ، فمات بعد ذلك بمدة يسيرة . وكان رحمه الله تعالى ، كريم النفس ، عالى الهمة ، يعطى الكثير ويستقله ، وكان عليه فى أيام إمرته لجماعة كثيرة من

(١) فى الأصل خمسين ، وما هنا هو الصواب لغويا

(٢) يقابل ما ورد فى المقريزى السلوك ج ١ ، ص ٨٧٥

(٣) انظر ما سبق ص ٣٣١ — ٣٣٥ من هذا الجزء (المصحح) .

(٤) فى الأصل ابقاؤه ، وما هنا هو الصواب لغويا .

مماليكه وأولادهم ، وخدامه ، الرواتب الوافرة من اللحم والتوابل والجرايات والعليق . فرتب لبعضهم فى كل يوم سبعين رطلا من اللحم بالمصرى ، وما يحتاج إليه من التوابل والخضراوات والحطب، وسبعين عليقة ، ولأقلهم خمسة أرطال، وخمس علائق ، ولبعضهم عشرين رطلا وعشرين عليقة ، هذا زيادة من جهته على مالهم من الإقطاعات السلطانية . وبلغ ما يحتاج إليه فى كل يوم بسماطه ودوره المرتب عليه فيما بلغنى ، ثلاثة آلاف رطل لحم ، وثلاث[1] آلاف عليقة . وكان ينعم بألف دينار عينا ، وبألف أردب غلة ، وبألف قنطار من العسل . ويتصدق على الفقراء بألف درهم وخمسمائة درهم . ولا يعطى أقل من ذلك إلا فى النادر عند التعذر . ولا يفعل ذلك عن امتلاء[2] ولا سعة . ما زال عليه لأرباب الديوان أربعمائة ألف درهم ، وأكثر من ذلك . وإذا وفى دينا ، اقترض خلافه ، يتكرم بذلك . ولا يتجاسر أحد من مماليكه وألزامه أن يعدله عن ذلك ، ولا يشافهه فى الإمساك عنه ، والاختصار منه . وإن كلمه أحد منهم ، أنكر عليه ، وربما ضربه وأهانه ، وعزله عن وظيفته ، وإن كان أستاذ دار أو مباشرا عنده . وكانت مكارمه كثيرة مشهورة وعطاياه وصلاته وافره مذكورة ، ما رأى أهل عصره من أمثاله فى المكارم والعطايا والإنفاق والهبات والصلات مثله ، رحمه الله تعالى ، ومات وعليه من الديون ، ما يزيد على أربعمائة ألف درهم ، ورتب بعده من موجوده وأملاكه ، رحمه الله تعالى[3] .

(١) فى الأصل ثلاثة ، وما هنا هو الصواب لغويا

(٢) فى الأصل ملاءة ، وما هنا من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٧٩

(٣) انظر ترجمته فى المقريزى ، السلوك حـ ١ ، ص ٨٧٩ — ٨٨٠ ، والمواعظ والاعتبار جـ ٢ ، ص ٦٩ . وانظر أيضا ترجمته فى المنهل الصافى ، (المرجع السابق) ، حـ ٣ ، ترجمة رقم ٧٤١ . وعقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان ، للعينى ، تحقيق د . محمد محمد أمين ، مركز تحقيق التراث ، ١٩٩٠ . القسم الثالث ، ص ٤٠٥ ، ٤٨٣ (المصحح) .

ذكر وفاة الملك المظفر صاحب حماه

وفى يوم الخميس ، الحادى والعشرين من ذى القعدة ، كانت وفاة الملك المظفر تقى الدين محمود ابن الملك المنصور ناصر الدين محمد ابن الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب صاحب حماه ، بها . ودفن ليلة الجمعة ، آخر الليل عنده أبيه رحمهما الله تعالى . ومولده فى الساعة العاشرة ، من ليلة الأحد ، خامس عشر المحرم ، سنة سبع وخمسين وستمائة . وأمه عائشة خاتون بنت الملك العزيز غياث الدين محمد ابن الملك الظاهر غازى ابن الملك الناصر صلاح الدين يوسف ابن أيوب . فيكون عمره ، رحمه الله تعالى ، إحدى وأربعين سنة وعشر أشهر وسبعة أيام ، ومدة ملكه بحماه خمس عشرة سنة[1] وشهرا واحدا ويوما واحدا ، رحمه الله تعالى . وانقطع ملك حماه بعده من البيت الأيوبى سنين[2] ، إلى أن أعاده السلطان الملك الناصر فى سلطنته الثالثة ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى فى موضعه . ولما مات ، فوضت نيابة السلطنة بحماه إلى الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ، كما تقدم ، وتداولها جماعة من النواب يأتى ذكرهم ، إن شاء الله تعالى ، فى مواضعه .

وفيها ، توفى الملك الأوحد نجم الدين يوسف ابن الملك الناصر صلاح الدين داود ابن الملك المعظم شرف الدين عيسى ابن الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد بن أيوب ، رحمهم الله تعالى ، فى ليلة الثلاثاء الرابع والعشرين من ذى الحجة بالقدس الشريف ، ودفن من الغد برباطه عند باب خطّه شمالى الحرم ، وكان

---

(١) فى الأصل خمسة عشر سنة ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) انظر أبو الفدا : المختصر فى أخبار البشر ، طبعة القاهرة ١٣٢٥ ، ج ٤ ، ص ٤١ - ٤٢

من المشهورين بالجلالة والتقدم فى المجالس ، وعند الملوك ؛ وكان كثير الإحسان إلى الضعفاء ، رحمه الله تعالى (١) .

وفيها ، توفى نجم الدين أيوب ابن الملك الأفضل على ابن الملك الناصر داود بدمشق ، وصلى عليه يوم الجمعة ، رابع عشر ذى الحجة ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، كانت وفاة الشيخ الإمام حجة العرب بهاء الدين أبى عبد الله محمد بن إبراهيم ابن محمد بن نصر بن النحاس الحلبى النحوى بالقاهرة ، فى يوم الثلاثاء سابع جمادى الأولى ، فى الثالثة من النهار ، وأخرج من الغد ، ودفن بالقرافة ، ومولده بحلب ، فى يوم الأربعاء ، سلخ جمادى الآخرة ، سنة سبع وعشرين وستمائة ، رحمه الله تعالى (٢) .

وفيها ، توفى تقى الدين توبة بن على بن مهاجر التكريتى ، فى ليلة الخميس ، ثانى جمادى الآخرة بدمشق . ودفن بتربته بسفح قاسيون رحمه الله تعالى (٣) .

وفيها ، كانت وفاة الأمير جمال الدين آقش المغيثى ، متولى البيرة ، وكان له بها نحو أربعين سنة (٤) .

ذكر توجه السلطان إلى الشام

وفى هذه السنة ، تواترت الأخبار بحركة التتار ، فندب السلطان الجيوش المصرية وجردها ، وكان قد جرد فى جمادى الآخرة ، الأمير سيف الدين بلبان

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٨١ .

(٢) وردت له ترجمة وافية فى ابن شاكر : فوات الوفيات جـ ٢ ، ص ١٧٢ — ١٧٤ وانظر ترجمته أيضا فى عقد الجمان ، (المرجع السابق) القسم الثالث ، ص ٤٧٧ (المصحح) .

(٣) يقابل ما ورد فى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٨١ .

(٤) يقابل ما ورد فى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٧٩ .

الحبيشي ومضافيه ، والأمير بدر الدين عبد الله السلاح دار ومضافيه ، والأمير جمال الدين آقش الموصلي المعروف قتال السبع ، والأمير مبارز الدين الرومي أمير شكار ومضافيه ، فوصلوا إلى دمشق ، في سابع شهر رجب . فلما قويت الأجناد الآن ، جرّد الأمير سيف الدين قطلبك الحاجب ومضافيه ، والأمير سيف الدين نوكيه التتاري ومضافيه ، فوصلوا إلى دمشق في يوم الاثنين رابع عشرين ذي الحجة . ثم توجه السلطان بعد ذلك ، بالعساكر المنصورة . فاستقل ركابه الشريف من قلعة الجبل في الرابع والعشرين من ذي الحجة . واستناب في غيبته بقلعة الجبل المحروسة ، الأمير ركن الدين بيبرس الدوادارى المنصورى .

واستهلت سنة تسع وتسعين وستمائة

[١٢٩٩-٦٩٩ / ١٣٠٠]

والسلطان الملك الناصر متوجه[1] بالجيوش إلى الشام ، فوصل إلى غزة فى المحرم . ونزل بتل العجول .

ذكر الفتنة التى أثارها الأويراتية بهذه المدينة[2]

لما حل ركاب السلطان بمنزلة تل العجول ، اتفق جماعة من الأويراتية ، الذين وفدوا إلى الديار المصرية ، فى الأيام العادلية الزينية ، مع الأمير سيف الدين برلطاى[3] ، أحد الأمراء المماليك السلطانية الذين كانوا بدار الوزارة ، على إثارة فتنة . فبينما الأمراء فى الموكب ، لم يشعروا إلا وقد شهر برلطاى سيفه ، وحمل نفسه ، وكرّ صوب الدهليز المنصور السلطانى ، فأمسك ، وسيره السلطان إلى الأمراء ، فقتل لوقته . وقبض على جماعة من المماليك السلطانية ، وسيروا إلى قلعة الكرك ، واعتقلوا بها . وقبض على جماعة من الأويرانية ، فشنقوا بظاهر غزة . وكان من أنهم بمباطنتهم قطلوبرس[4] العادلى ، فَطُلِب فلم يوجد ، واختفى مدة ، ثم حصل الظفر به ، بعد ذلك ، فشنق بسوق الخيل تحت القلعة .

---

(١) فى الأصل متوجها ، وما هنا من المقريزى ، السلوك حـ ١ ، ص ٨٨٢ .

(٢) انظر عقد الجمان ، (المرجع السابق) ، القسم الثالث ، ص ٤٦٢ — ٤٦٩ حيث وردت حوادث تلك الفتنة بالتفصيل (المصحح) .

(٣) فى المقريزى ، السلوك حـ ١ ، ص ٨٨٣ برنطاى وفى عقد الجمان ، المرجع السابق ، القسم الثالث ، ص ٤٦٣ برنطيه (المصحح) .

(٤) كذا فى الأصل ، والمقريزى ، السلوك حـ ١ ، ص ٨٨٤ .

وأقام السلطان [الناصر[1]] بهذه المنزلة مدة ، ثم رحل منها ، وتوجه نحو دمشق ، فوصل إليها فى يوم الجمعة ، ثامن شهر ربيع الأول ، ونزل بقلعتها . وهذه السفرة، هى أول وصول السلطان الملك الناصر إلى دمشق، وحال وصوله ، أمر بخروج العسكر الشامى، فخرج من دمشق ، وتلته العساكر المصرية . ثم توجه السلطان فى أعقابهم ، إلى جهة حمص، لقتال التتر ، ودفعهم عن الشام ، وكان رحيله من دمشق، فى وقت الزوال، من يوم الأحد سابع عشر شهر ربيع الأول[2] .

ذكر وقعة غازان[3] ملك التتار بمجمع المروج[4] ببلاد حمص

كانت هذه الوقعة فى يوم الأربعاء، الثامن والعشرين، من شهر ربيع الأول، سنة تسع وتسعين وستمائة . وذلك أن السلطان الملك الناصر ، لما رحل من دمشق ، إلى جهة حمص ، تواترت الأخبار بوصول التتار[5] إلى وادى الخزندار . فسار السلطان إليهم ، وحث السير . فقطع ثلاث مراحل ، فى مرحلة واحدة ، فأشرف على مجمع المروج ، وقد تعبت خيول العساكر الإسلامية ، وركب غازان فى جيوش التتار ، ومن انضم إليها من الكرج والأرمن وغيرهم ، ومعه الأمير سيف الدين قبجاق ، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، والأمير فارس

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) يقابل ما ورد فى المقريزى « السلوك جـ ١ ، ص ٨٨٦ .

(٣) يرد هذا الاسم أيضا برسم قازان ، والواقع أن غازان وقازان كلاهما اسم لملك التتار، انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ١١٨ .

(٤) مجمع المروج ، موضع يقع فى وادى الخازندار ، بين حماه وحمص ، انظر ابن أبى الفضائل : النهج السديد ص ٤٧ .

(٥) هذا الاسم يرد أيضا برسم التر فى مواضع عديدة انظر ما سيق .

فارس الدين البكى ، والأمير سيف الدين عزاز[1] . والتقى الجمعان فى الخامسة من النهار المذكور . فحملت الميسرة الإسلامية على ميمنة التتار ، فهزمتها أقبح هزيمة ، وقتل من التتار خلق كثير . فلما عاين غازان انهزام ميمنته ، اعتزل فى نحو ثلاثين فارسا ، وعزم على الفرار . فمنعه الأمير سيف الدين قبجاق ، وثبته ومناه بالظفر[2] . وكان قصده بذلك ، فيما قال بعد عوده ، القبض على غازان عند استمرار الهزيمة بجيوشه .

ثم ركبت فرقة من التتار ، كانت لم تشهد الحرب ، واجتمعوا كراديس[3] ، وحملوا حملة منكرة . وقصدوا قلب العساكر الإسلامية ، وضعفت الميمنة الإسلامية ، عن لقاء ميسرتهم . فكان من الهزيمة ما كان ، وذلك بعد العصر من اليوم المذكور .

ذكر تسمية من استشهد وفقد ، فى هذه الوقعة من المشهورين

كان من استشهد وفقد من الأمراء والمشهورين ، فى هذه الوقعة ، الأمير سيف الدين كرد ، نائب السلطنة بالمملكة الطراباسية ، والأمير ناصر الدين محمد ابن الأمير عز الدين أيدمر الحلبى ، أحد الأمراء بالديار المصرية ، والأمير سيف الدين بلبان التقوى ، من أمراء طرابلس ، والأمير ركن الدين بيبرس العتمى[4] ، النائب بحصن المرقب ، والأمير صارم الدين أزبك ، النائب بقلعة

(١) كذا فى الأصل ، انظر ما سبق .

(٢) انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٨٧ .

(٣) كراديس جمع كردوس أو كردوسة ، وهى الفرقة الحربية الراكبة ، والقطعة العظيمة من الخيل (محيط المحيط) . Dozy : Supp . Dict. Ar

(٤) فى الأصل الغيمى ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٨٨ ، وبيبرس الدواداد : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٥٨ .

بلاطنس ، والأمير بدر الدين بيليك المنصورى المعروف بالطيار ، من أمراء دمشق ، قتل فى عوده بعد الوقعة ، والأمير سيف الدين نوكيه[1] التتارى ، والأمير جمال الدين أقش كرجى الحاجب ، والأمير جمال الدين أقش المطروحى ، حاجب الشام[2] . فقدوا نحو ألف فارس من الحلقة والمماليك السلطانية وأجناد الأمراء ومماليكهم . وهؤلاء الأمراء ، منهم من استشهد فى المعركة ، ومنهم من أصابته جراحة ، فمات بعد انفصال الوقعة فيعد شهيدا[3] ، ومنهم من عدم ولم تحقق وفاته . وعدم قاضى القضاة حسام الدين الحنفى الرومى ، والقاضى عماد الدين إسماعيل ابن الأثير الموقع[4] . وقتل من التتار فيما قيل نحو أربعة عشر ألف[5] .

ولما تمت الهزيمة ، وشاهد غازان من قتل من أصحابه وكثرتهم ، وقلة من قتل من العساكر الإسلامية ، بالنسبة إلى من قتل من التتار ، ظن أن هذه الهزيمة مكيدة ، واستجرار[6] لعساكره ، فتوقف عن اتباع العساكر الإسلامية ، حتى تبين له صحة الهزيمة . ثم سار من مكان الوقعة إلى حمص ، وبها الخزائن السلطانية ،

---

(١) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٨٨ ، نوكاى .

(٢) يقابل ما ورد فى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٨٨ ، وبيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٥٨ .

(٣) يقابل ما ورد فى بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٥٨ .

(٤) فى الأصل الأمير ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٨٨ ، والموقع هو الذى يكتب المكاتبات والولايات فى ديوان الإنشاء السلطانى ، وكان يعرف من قبل باسم كاتب الدرج ، القلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٥ ، ص ٤٦٥ .

(٥) فى الأصل ألفا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) فى الأصل استجرارا وما هنا هو الصواب لغويا .

فسلمها متوليها محمد بن الصارم ، من غير ممانعة ، ولا مدافعة[1] ، ثم رحل عنها إلى جهة دمشق ونزل بالغوطة[2] .

ذكر ما اتفق بدمشق بعد الوقعة ومفارقة العساكر الإسلامية فى مدة استيلاء التتار عليها ، إلى أن فارقوا البلاد ، وعادوا إلى الشرق

كانت[3] الأخبار وصلت إليهم بانهزام الجيوش الإسلامية ، وتحققوها فى يوم السبت ، مستهل شهر ربيع الآخر . فتوجه من أمكنه السفر إلى الديار المصرية فى هذا اليوم . فكان ممن توجه قاضى القضاة إمام الدين الشافعى ، وقاضى القضاة جمال الدين الزواوى المالكى ، وابن الشيرازى ، ومتولى مدينة دمشق ، ومتولى برّها ، ومحتسب المدينة ، وجماعة كبيرة من أهل البلد ، ممن قدر على الانتزاح . وفى ليلة الأحد ، أحرق المعتقلون بسجن باب الصغير بابه ، وخرجوا منه ، وكانوا نحو مائة وخمسين . وتوجهوا إلى باب الجابية ، وكسروا الأقفال ، وخرجوا منه . وبقى البلد لاحامى له ، ولا ممانع عنه . فاجتمع أكابر دمشق ، فى يوم الأحد الثانى من الشهر ، بمشهد علىّ بالجامع الأموى . واتفقوا على أن يتوجهوا إلى الملك غازان ، ويسألوا[4] الأمان لأهل البلد . فتوجه قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ، وهو الخطيب يومئذ ، والشيخ تقى الدين بن تيمية ، والشيخ زين الدين الفارقى ، والقاضى نجم الدين بن صصرى ، والقاضى

(١) يقابل ما ورد فى بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٠٩ .

(٢) كان الذهبى مؤلف كتاب تاريخ الإسلام بدمشق ، لما دخلها غازان ، ولم يوردشيئا من هذا الحادث . انظر JRAS Oct. 1936 .

(٣) فى الأصل كان أن ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٤) فى الأصل ويسألون ، وما هنا هو الصواب لغويا .

شمس الدين الجزرى، والقاضى جلال الدين ابن القاضى حسام الدين، وفخر الدين ابن الشيرجى، وعز الدين بن الزكى، ووجيه الدين بن منجا، والرئيس عز الدين حمزة بن القلانسى، وابن عمه الصدر شرف الدين، وأمين الدين بن شقير الحرانى، والشريف زين الدين بن عدنان، ونجم الدين بن أبى الطيب، وناصر الدين بن عبد السلام، وشريف الدين بن الشيرجى، وشهاب الدين الحنفى، والشيخ محمد ابن قوام البالسى، وجلال الدين أخو القاضى إمام الدين، وجماعة كبيرة من القراء والفقهاء والعدول. وتوجهوا بعد صلاة الظهر، من يوم الاثنين، ثالث الشهر، واجتمعوا بالملك غازان، وهو عند النبك[1]، وهو سائر. ونزلوا عن مراكبهم. وقبّل بعضهم الأرض، فوقف غازان بفرسه لهم. وترجل جماعة من التتار عن خيولهم. وتكلم الترجمان بينهم وبين الملك غازان، وسألوا الأمان لأهل دمشق. وكان المخاطب له عن أهل دمشق، فخر الدين بن الشيرجى. فقال غازان: الذى حضرتم بسببه من الأمان[2] قد أرسلناه قبل وصولكم. وقدموا ما كان معهم من المأكول، فلم يكن له وقع عندهم. وأذن لهم فى الرجوع إلى دمشق، فرجعوا. وكان وصولهم بعد صلاة العصر، من يوم الجمعة، سابع الشهر. ولم يُخطب فى هذه الجمعة لسلطان[3].

وكان قد وصل إلى دمشق، فى يوم الخميس، سادس[4] الشهر أربعة من التتار،

---

(١) فى الأصل البنك، وما هنا من المقريزى: السلوك ج ١، ص ٨٨٩ والنبك قرية بين حمص ودمشق. ياقوت: معجم البلدان ج ٤، ص ٧٣٩.

(٢) فى الأصل نسبه، وما هنا من المقريزى: السلوك ج ١، ص ٨٨٩.

(٣) يقابل ما ورد فى المقريزى: السلوك ج ١، ص ٨٨٩.

(٤) فى الأصل المنسوخ المحقق «ثالث» والصواب ما أثبت، انظر ما سبق وما يلى. (المصحح).

من جهة غلزان ، ومعهم الشريف القمى[1] . وكان قد توجه قبل توجه الجماعة ، هو وثلاثة من أهل دمشق إلى غلزان ، فعاد وبيده أمان لأهل دمشق .

ثم وصل بعد صلاة الجمعة ، الأمير إسماعيل في جماعة من التتار ، فنزلوا بالمستان الظاهرى ، بطريق القابون ، ثم ركب [الأمير] إسماعيل فى يوم السبت ، ودخل إلى دمشق ، وجاء إلى مقصورة الخطابة بالجامع الأموى ، لقراءة الفرمان[2][3] وقرأه أحد العجم الواصلين صحبة الأمير إسماعيل[4] ، وبلغ عنه المجاهد المؤذن ، ومضمونه : —

بقوة الله تعالى ، ليعلم أمراء التومان[5] والألوف والمائة ، وعموم عساكرنا المنصورة ، من المغول والتازيك[6] والكرج[7] وغيرهم ، ممن هو داخل تحت زبقة

(١) فى الأصل القيمى ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٩٠ .

(٢) فى الأصل بقراءة ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٣) الفرمان ، لفظ فارسى قديم ، ومعناه الأصل الأمر . ثم اتسع استعماله فصار مرادفا للرسوم السلطانى أو التقليد En. Is. Ferman.

(٤) فى الأصل وقراءة ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٥) التومان والطومان ، وهو الفرقة التى يبلغ عددها عشرة آلاف مقاتل . انظر .

Quatremère: op. cit. II. 2. p. 152.

(٦) فى الأصل التاريك ، وما هنا أورده Quatremère: op. cit. II. 2. p. 154. وكان هذا اللفظ يطلق أصلا على العرب والمسلمين عامة ، ثم استعمله المغول للدلالة على أهل فارس فقط . وهذا المعنى هو المقصود هنا . انظر ، المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٦٣ ، ١٠ ، حاشية ٣ .

Quatremère: op. cit. II. 2.p. 152.

(٧) الكرج ، أمة من المسيحيين ، مساكنها بجبال القوقاز المجاورة لتفليس ، وكانت انجاز معقلهم ، وأغار عليهم خوارزم شاه جلال الدين سنة ٦٢١ فانتزع تفليس منهم . انظر ياقوت : معجم البلدان .

Allen: History of the Georgian People pp. 85-112.

طاعتنا . إن الله لما نوَّر قلوبنا بنور الإسلام ، وهدانا إلى ملة النبي ، عليه أفضل الصلاة والسلام ﴿ أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك فى ضلال مبين[1] ﴾ .

ولما أن سمعنا أن حكام مصر والشام خارجون عن طريق الدين ، غير متمسكين بأحكام الإسلام ، ناقضون لعهودهم ، حالفون بالأيمان الفاجرة ، ليس لديهم وفاء ولا ذمام ، ولا لأمورهم التئام ولا انتظام ، وكان أحدهم إذا تولى ، سعى فى الأرض ليفسد فيها ، ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد . وشاع من شعارهم الحيف على الرعية ، ومدّ الأيدى العارية ، إلى حرمهم وأموالهم ، والتخطى عن جادة العدل والإنصاف ، وارتكابهم الجور والإعساف ، حملتنا الحمية الدينية ، والحفيظة الإسلامية ، على أن توجهنا إلى تلك البلاد ، لإزالة هذا العدوان ، وإماطة هذا الطغيان ، مستصحبين الجم الغفير من العساكر .

ونذرنا على أنفسنا ، إن وفقنا الله تعالى بفتح تلك البلاد ، أزلنا العدوان والفساد ، وبسطنا العدل والإحسان فى كافة العباد ، ممتثلا للأمر الإلهى : ﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون[2] ﴾ . وإجابة لما ندب إليه الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، « إن المُقْسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين الدين ، يعدلون فى حكمهم وأهليهم وما ولوا » . وحيث كانت طويتنا

---

(١) سورة الزمر ، آية ٢٢ .

(٢) سورة النحل ، آية ٩٠ .

مشتملة على هذه المقاصد الحميدة والنذور(١) الأكيدة . منّ الله علينا بقبلج(٢) تباشير النصر المبين، والفتح المستبين . وأتمّ علينا نعمته، وأنزل علينا سكينته، فقهرنا العدو الطاغية، والجيوش الباغية، ونزقناهم أيدى سبا ، ومزقناهم كل ممزق، حتى جاء الحق وزهق الباطل، إن الباطل كان زهوقا فازدادت صدورنا انشراحا للإسلام، وقويت نفوسنا بحقيقة الأحكام ، منخرطين فى زمرة من حبّب إليهم الإيمان ، وزينه فى قلوبهم، وكرّه إليهم الكفر والفسوق والعصيان، أولئك هم الراشدون، فضلا من الله ونعمة .

فوجب علينا رعاية تلك العهود الموثقة ، والنذور المؤكدة. فصدرت مراسيمنا العالية ، أن لا يتعرض أحد من العساكر المذكورة على اختلاف طباقاتها لدمشق وأعمالها ، وسائر البلاد الإسلامية الشامية ، وأن يكفوا أظفار التعدّى عن أنفسهم وأموالهم وحريمهم ، ولا يحوموا حول حماهم بوجه من الوجوه ، حتى يشتغلوا بصدور مشروحة ، وآمال(٣) مفسوحة بعمارة البلاد ، وبما هو كل واحد بصدده من تجارة وزراعة وغير ذلك. وكان هذا الهرج العظيم، وكثرة العساكر ، فتعرّض(٤) بعض نفر يسير من السلاحية وغيرهم ، إلى نهب بعض الرعايا وأسرهم ،

(١) فى الأصل البدور ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، جـ ٩ ص ٣٦٨ — ٣٧٢ انظر أيضا المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ١٠١٢ (الملحق ١٢) .

(٢) فى الأصل بقبلج ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ، جـ ٩ ، ص ٣٦٨ — ٣٧٢ انظر أيضا المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ١٠١٢ (الملحق ١٢) .

(٣) فى الأصل وأما ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٦٩ — ٣٦٢ انظر أيضا المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ١٠١٢ (الملحق ١٢)

(٤) فى الأصل تعرض ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٦٠ — ٣٦٢ انظر أيضا المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ١٠١٢ (الملحق ١٢)

فقتلناهم ليعتبر الباقون ، ويقطعوا أطماعهم عن النهب والأسر ، وغير ذلك من الفساد ، وليعلموا أنا لا نسامح بعد هذا الأمر البليغ البته ، وأن لا يتعرضوا لأحد من أهل الأديان ، على اختلاف أديانهم ، من اليهود والنصارى والصابئة . فإنهم إنما يبذلون الجزية عنهم ، من الوظائف الشرعية ، لقول علي عليه السلام : « إنما يبذلون الجزية ، لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا » . والسلاطين موصون على أهل الذمة الطيعين (١) ، كما هم موصون على المسلمين (٢) ، فإنهم من جملة الرعايا . قال صلى الله عليه وسلم : « الإمام الذى على الناس ، راع عليهم وكل راع مسئول عن رعيته » .

فسبيل (٣) القضاة والخطباء والمشايخ والعلماء والشرفاء والأكابر والمشاهير وعامة الرعايا ، الاستبشار بهذا النصر الهنى والفتح السنى ، وأخذ الحظ الوافر من السرور ، والنصيب الأكبر من البهجة والحبور ، مقبلين على الدعاء لهذه الدولة القاهرة ، والمملكة الظاهرة ، آناء الليل وأطراف النهار .

وكتب فى خامس ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وستمائة .

ولما قرىء هذا الفرمان ، حصل للناس بعض الطمأنينة ، وجلس التتار بالمقصورة إلى أن صلوا العصر ، وعادوا إلى منزلتهم بالهسنان الظاهرى . وأغلق الأمير علم الدين سنجر أرجواش أبواب قلعة دمشق ، وامتنع بها فى أول هذه الحادثة .

---

(١) فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة حـ ٩ ، ص ٢٧١ — ٢٧٢ للطيعين .

(٢) فى الأصل هو ، وما هنا هو الصواب .

(٣) فى الأصل فسئل ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة حـ ٩ ، ص ٢٧٣ .

واجتمع أهل دمشق فى يوم الأحد تاسع الشهر بالقيمرية، واجتمعوا فى تحصيل الخيل والبغال والأموال ، ليرضوا بها التتار ، ونزل غازان ملك التتار بالغوطة ، فى يوم الاثنين العاشر من الشهر ، وأحدقت الجيوش بالغوطة ، وقتلوا طائفة من أهل القرى .

ووصل الأمير سيف الدين قبجاق ، والأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، وغيرهما فى هذا اليوم ، ونزلوا بالميدان . ولما مروا بالقلعة ، خاطبوا الأمير علم الدين سنجر أرجواش (١) ، نائب القلعة ، وأشاروا عليه بتسليمها ، فسبهم أقبح سب .

وفى بكرة نهار الثلاثاء ، حادى عشر الشهر ، ورد مثال الأمير إسماعيل نائب التتار ، يأمر العلماء والمشايخ والرؤساء ، أن يتوجهوا إلى القلعة ، ويتحدثوا مع نائبها فى تسليمها ، وأنه متى امتنع من ذلك ، دخل الجيش البلد ونهبها ، وسفكت الدماء . فاجتمع جماعة كثيرة إلى باب القلعة ، وسألوا الأمير علم الدين [سنجر أرجواش (٢)] ، أن يرسل إليهم رسولا ، فامتنع وسبهم أقبح سب . وقال : قد وردت على بطاقة من السلطان ، أنه جمع الجيوش بغزة ، وكسر الطائفة التى اتبعتهم من التتار ، والسلطان يصل عن قريب بعساكره (٣) .

ثم دخل قبجاق دمشق فى يوم الأربعاء ثانى عشر الشهر ، وجلس بالمدرسة العزيزية ، وأمر العلماء والأكابر بمراجعة أرجواش فى تسليم القلعة ، فتوجهوا

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٩٠

(٢) الإضافة للتوضيح .

(٣) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٩٠

إليـه ، فلم يسمع كلامهم . و كُتِبَ فى هذا اليوم بالعزبية فرامانات من شيخ الشيوخ [نظام الدين محمود بن على الشيبانى (١)] ، ومقـدم من مقدمى التتار ، ذكر أنه رضيع الملك غازان ، ومن قبجاق ، فـلم تُجد نفعا .

وفى يوم الجمعة رابع عشر الشهر [ربيع الآخر (٢)] خطب لغازان على منبر دمشق ، بما رسم لهم به من الألقاب والنعوت وهى « مولانا السلطان ، الملك الأعظم ، سلطان الإسلام والمسلمين ، مظفر الدنيا والدين ، محمود غازان » . وصلى بالمقصورة جماعة من المغل . وحضر إلى المقصورة ، عقيب الصلاة الأمير سيف الدين قبجاق ، وصعد هـو والأمير إسماعيل ، إلى سدّة المؤذنين . واجتمع جمع كثير من عامة الناس تحت المنبر (٣) . وقـرئ عليهم تقليد بتولية الأمير سيف الدين قبجاق الشام أجمع ، وعيّن فيه مدينة دمشق وحلب وحماه وحمص وغير ذلك ، من الأعمال والجهات . وجعل إليـه ، أن يولى القضاة ، والحكماء والخطباء ، وغيرهـم . ونثر على الناس الذهب والدراهم ، فاستبشر الناس بولاية قبجاق ، ظنا منهم أنه يرفق بهم . وحضر فى هذا اليوم شيخ الشيوخ نظام الدين محمود بن على الشيبانى ، إلى المدرسة العادلية . وأحضرت إليـه ضيافة ، وأظهر العتب (٤) على أهل البلد ، كونهم لم يترددوا إليه . وذكر أنه يصلح أمرهم ، ويتفق معهم ، على ما يفعل (٥) فى أمر القلعة . فقال بعض من حضر [إن] الأمير سيف الدين قبجاق يخرّب (٦) أمر

(١) الإضافة من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٩١

(٢) الإضافة للتوضيح .

(٣) كذا فى الأصل ، وفى تاريخ سلاطين المماليك ص ٦٦ .

(٤) فى الأصـل ، الدنت ، وما هنا من المقـريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٩١ وتاريخ سلاطين المماليك ص ٦٨ .

(٥) الإضافة من تاريخ سلاطين المماليك ص ٦٨ .

(٦) فى الأصل يخبر ، وما هنا من تاريخ سلاطين المماليك ص ٦٨ .

متولى القلعة . فقال [شيخ الشيوخ](١) : « خمسمائة من قبجاق ما يكونون فى خانمى » ، وعظّم نفسه تعظيما كثيرا .

وفى يوم السبت خامس عشر الشهر . ابتدئ بنهب جبل الصالحية ، وما به من الدور والمدارس وغيرها . فتوجه الشيخ تقى الدين بن تيمية إلى شيخ الشيوخ ، فركب إليهم فى يوم الثلاثاء . فلما وصل إلى جبل الصالحية ، هرب من به من التتار ، ودخل أهل الجبل إلى دمشق عرايا فى أسوأ حال(٢) .

وتوجه التتار إلى قرية المِزّة(٣) ، فنهبوها وسبوا أهلها . وتوجهوا إلى داريا(٤) ، وفعلوا كذلك ، وقتلوا جماعة من أهلها ، وقتل أهلها جماعة من التتار . فتوجه الشيخ تقى الدين بن تيمية . يوم الخميس إلى الملك غازان ، وهو بتل راهط(٥) ، فدخل عليه ليشكو له ما جرى من التتار بعد أمانه ، فلم يُمكّن(٦) من ذلك . وقيل له : إن شكوت إليه أمرا ، يقتل(٧) بعض المغل ، فيكون ذلك سبب الإختلاف ، وتدور الدائرة على أهل دمشق . فعدل الشيخ عن الشكوى إلى الدعاء ، وفارقه واجتمع بالوزير [ين] سعد الدين ، ورشيد الدين ، وتحدث معهما . فذكرا(٨) أن

(١) الإضافة للتوضيح . انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٩١ .

(٢) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٩٢ .

(٣) المزة ، قرية كبيرة فى وسط بساتين دمشق ، بينها وبين دمشق نفسها ، نصف فرسخ (ياقوت : معجم البلدان) .

(٤) داريا ، وهى قرية كبيرة من قرى دمشق بالغوطة . (ياقوت : معجم البلدان) .

(٥) الراجح أن المقصود هنا مرج راهط ، من نواحى دمشق . انظر ياقوت : معجم البلدان .

(٦) كذا فى الأصل ، وفى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٩٢ فلم يمكنه الاجتماع به .

(٧) فى الأصل يقتل ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٨) فى الأصل فذكر ، وما هنا هو الصواب لغويا .

جماعة من المقدمين والأكابر ، لم يصل إليهم من مال دمشق شيء ، ولابد من إرضائهم . وأمر الوزير بإطلاق الأسرى .

ثم اشتد الأمر على أهل دمشق ، فى طلب الأموال وحصار القلعة ، وجاء منجنيقى ، فالتزم بأخذ القلعة ، وقرر أن يكون نصب المجانيق عليها بالجامع الأموى . فأجمع أرجواش رأيه ، أنه متى نصب المجانيق بالجامع ، رمى عليها بمجانيق القلعة . وكان ذلك يؤدى إلى هدم الجامع . فانتدب رجال من أهل القلعة ، بعد أن تهيأت أعواد المجانيق ، ولم يبق إلا نصبها . وخرجوا بالحمية الإيمانية ، وهجموا الجامع ، ومعهم المناشير ، فأفسدوا ما تهيأ من أعواد المجانيق . ثم جددوا غيرها ، واحترزوا عليها . وحضر جماعة من المغل يبيتون بالجامع . فيقال إنهم انتهكوا حرمته ، وارتكبوا فيه المحارم ، من شرب الخمور والزنا ، وطرح القاذورات والنجاسات ، وقل حضور الناس فيه ، حتى أنه لم تقم فيه صلاة العشاء الآخرة ، فى بعض الليالى . ونهب التتار سوق باب البريد .

وتحول الناس من حول الجامع ، وزهدوا فى قربه لمجاورة التتار . فانتدب رجل من أهل القلعة ، وبذل نفسه ، والتزم بقتل المنجنيقى ، وخرج إلى الجامع ، والمنجنيقى بين المغل ، وهو فى ترتيب العمل . فتقدم إليه ، وضربه بسكين فقتله . وهجم رجال القلعة ، فتفرق المغل عن القاتل ، وحماه أصحابه ، فلجأ[1] إلى القلعة ، وبطل على التتار ما دبروه من عمل المجانيق . واضطر أرجواش إلى هدم ما حول القلعة ، من المساكن والمدارس والأبنية ودار السعادة ، وطواحين باب

(١) فى الأصل فنجى ، وما هنا به يستقيم المعنى .

الفرج ، وغير ذلك ، كل ذلك احترازا على حفظ القلعة ، وأن يتطرق العدو إليها . وحصل من إفساد التتار والأرمن وإخرابهم الأماكن ، بإفسادهم الصالحية ، وحرق جامع التوبة[1] بالعقيبة[2] وغير ذلك[3] ، ما بقيت آثاره ، بعد ذهاب العدو زمنا طويلا . ثم أعاد المسلمون ذلك ، والحمد لله تعالى ، إلى أحسن ما كان .

واشتد الأمر على أهل دمشق فى طلب الأموال ، فى أواخر شهر ربيع الآخر ، وأوائل جمادى الأول ، وطلب من البلد ما لايتحمله أهله . وتولى استخراج الأموال ، والمطالبة بها من أهل دمشق ، صفى الدين السنجارى ، وولد الشيخ محمد ابن الشيخ على الحريرى . وغلت الأسعار بدمشق هذه المدة[4] .

ثم رجع غازان إلى بلاد الشرق ، فى يوم الجمعة ، ثانى عشر جمادى الأولى ونزل قطلوشاه[5] نائبه بدمشق وجماعة كثيرة من التتار معه ، وجعل نيابة الشام إلى الأمير سيف الدين قبجاق ، ونيابة حلب وحمص إلى الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ، ونيابة صفد وطرابلس والسواحل إلى الأمير فارس الدين البكى ولما توجه غازان ، استصحب الوزير معه ، من أكابر دمشق بدر الدين

(١) فى الأصل خرق ، وما هنا به يستقيم المعنى . انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٩٣

(٢) فى الأصل التوبة ، وما هنا من المقريزى : السلوك ، جـ ١ ، ص ٨٩٣ .

(٣) فى الأصل العقبة ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٩٣ .

(٤) أورد المقريزى فى السلوك جـ ١ ، ص ٨٩٣ ، تفاصيل من ارتفاع أسعار السلع المختلفة ، لم تجر الإشارة إليها فى نهاية الأرب

(٥) فى الأصل قطلوشا ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٩٣ وتاريخ سلاطين المماليك ص ٧٥

ابن فضل الله ، وعلاء الدين على ابن الصدر شرف الدين محمد بن القلانسى ، وشرف الدين بن الأثير .

وفى يوم السبت ثالث عشر[1] جمادى الأولى ، رسم التتار بإخلاء المدرسة العادلية ، ووقف جماعة منهم على بابها يفتشون من يخرج منها ، ويأخذون ما أحبوا من أمتعتهم ، وعجز أهلها عن نقل أكثر أثاثهم . ودخل التتار إليها ، عقيب خروجهم منها ، وكسروا أبواب البيوت ، ونهبوا ما بها ، وأخلى التتار ما حول القلعة ، وطلعوا إلى الأسطحة ، ورموا منها النشاب على القلعة . فعند ذلك ، أمر أرجواش بإحراق ذلك كما تقدم . وكان إحراق المدرسة العادلية فى الحادى والعشرين من جمادى الأولى .

وفى يوم الجمعة تاسع عشر الشهر ، قرئ[2] على سدة الجامع كتابان : أحدهما يتضمن تولية الأمير سيف الدين قبجاق النيابة بالشام[3] ، والثانى يتضمن تولية الأمير ناصر الدين يحيى بن جلال الدين شد الشام . وتضمن أحد الكتابين أن يصرف ما كان لخزائن السلاح ، من مال الجامع فى مصالح السبيل إلى الحجاز الشريف . ويتضمن أيضا أن غازان يعود إلى الشام فى فصل الخريف[4] ، ويتوجه إلى الديار المصرية ، وأنه توجه [إلى البلاد[5]] ونزل نائبه قطلوشاه فى ستين ألف فارس لحماية الشام ، إلى غير ذلك مما تضمنه .

---

(١) فى الأصل ثالث وما هنا من المقريزى ، السلوك ج ١ ، ص ٨٩٥

(٢) فى الأصل قرأ ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٣) أورد بيبرس الدوادار فى كتابه زبدة الفكرة ج ١ . ص ٣٧٢ — ٣٧٥ نص الكتاب ولذا جرى جعله ملخصا فى آخر هذا الجزء .

(٤) هذه الإشارة وردت فى الكتاب الثانى ، وأثبتها مؤلف كتاب تاريخ سلاطين المماليك ص ٧٠ ونصها : أننا توجهنا إلى البلاد ، وتركنا بالشام ستين ألفا من جيشنا لحفظه ، وأننا فى فصل الخريف ، نرجع إلى البلاد ، قاصدين الديار المصرية (انظر المقريزى ، السلوك ج ١ ، ص ٨٩٥ حاشية ٣ .

(٥) الإضافة من تاريخ سلاطين المماليك ص ٧٠ ، انظر الحاشية السابقة .

واستمر قطلوشاه بعد توجه غازان أياما يحاصر القلعة، فلم يتهيأ له منها ما يريد، فجمع له قبجاق مالا من أهل البلد، فأخذه وعاد إلى بلاد الشرق. وكان رحيله فى يوم الثلاثاء[1] الثالث والعشرين من جمادى الأولى. وتوجه الأمير سيف الدين قبجاق لوداعه. وعاد فى يوم الخميس الخامس والعشرين من الشهر، ودخل إلى دمشق، من باب شرقى، وشق البلد، وخرج من باب الجابية، وكانا مغلقين فى مدة مقام التتار، ففتحا له الآن، ونزل بالقصر الأبلق.

وعاد الأمير يحيى بن جلال الدين والصفى السنجارى بجماعة من التتار، وشقوا البلد، وتوجهوا إلى القصر أيضا. ثم نودى فى البلد، فى يوم الجمعة، أن يتوجه الناس إلى ضياعهم وقراهم. وكان قد نودى فى أول هذا النهار، أن لا يخرج أحد إلى الجبل والغوطة[2]، وأن لا يخاطر بنفسه، ولا يغرر بنفسه.

وفى تاسع عشر جمادى الأولى، دخل الأمير سيف الدين قبجاق، ومن معه إلى المدينة، ونزلوا بدار الأمير سيف الدين بهادر آص، وما يجاورها من الأدر، بقرب مأذنة فيروز.

وفى يوم الثلاثاء، مستهل جمادى الآخرة، وثانيه، نودى فى دمشق بأمر الأمير سيف الدين قبجاق أن يخرج الناس إلى[3] أماكنهم. وانضم إلى قبجاق

---

(١) فى المقريزى: السلوك جـ ١ ص ٨٩٦، فى يوم الاثنين ثانى عشره جمادى الأولى.

(٢) فى الأصل والخواطر، وما هنا من المقريزى: السلوك جـ ١، ص ٨٩٦.

(٣) فى الأصل فى، وما هنا هو الصواب

جماعة من الجند فى أول هذا الشهر ، يركبون فى خدمته ، ويترجلون فى ركابه ، وفتحت أبواب البلد ، إلا ما يجوار القلعة منها .

وفى يوم الجمعة رابع الشهر ، ضربت البشائر بالقلعة . وفى يوم الاثنين سابع جمادى الآخرة ، أمّر الأمير سيف الدين قبجاق ، أستاذ داره علاء الدين ، وطاجار ، وركبا بالشرابيش (١) والطبلخاناة (٢) . ثم أمّر ثلاثة فى العشر الأوسط من الشهر ، وركبوا بالشرابيش والطبلخاناة . وأمّر بإدارة الخمارة بدار ابن جراده ، فأظهرت الخمور والفواحش ، وضمنت فى كل يوم ألف درهم (٣) ، واستمر الحال على على ذلك بقية جمادى الآخرة وبعض شهر رجب .

وكان غازان قد جرد من عسكره عشرين ألف فارس ، صحبة بولاى (٤) ، وأشبقا (٥) وحجك (٦) وهولاجو ، فنزلوا بالأغوار ، وشنوا الغارات ونهبوا ، ووصلت غاراتهم إلى بلد القدس والخليل ، ودخلوا إلى غزة ، وقتلوا بجامعها خمسة عشر نفرا من

---

(١) الشرابيش والمفرد شربوش . قلنسوة على شكل مثلث ، تجعل على الرأس بغير عمامة . ويتخذها الجندى من الأتراك بعد تأميره . وبطل استعمال الشربوش بمصر ، زمن المماليك الجراكسة . المقريزى : المواعظ والاعتبار ج ٢ ، ص ٩٩ Dozy : Supp. Dict.Ar انظر أيضا الملابس المملوكية (المرجع السابق) ص ٥١ (المصحح)

(٢) فى الأصل الطليخاناة ، وما هنا هو الصواب .

(٣) يقابل ماورد فى المقريزى : السلوك ج ١ ص ٨٩٦ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ٧٨

(٤) فى الأصل ، وفى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٣٧١ ، مولاى ، وما هنا من ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ١٢٨

(٥) فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٣٧١ اشقا

(٦) فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٣٧١ حنجك .

المسلمين[1] ، ثم رجعت هـذه العساكر إلى دمشق ، وعادت إلى بلاد الشرق ، فى ثانى شهر رجب ، واستصحبوا معهم أمين الدين بن شقير الحرّانى .

وعاد التتار بجملتهم فى ثامن شهر رجب ، لمـا بلغهم اهتمام السلطان ، وخروج العساكر . ولم يفتح غازان شيئا من القلاع الشامية ، بل امتنعت بجملتها ، اقتداء بقلعة دمشق . وتمسك نواب القلاع من تسليمها ، واعتذروا أنهم لا يمكنهم ذلك إلا بعد تسليم قلعة دمشق ، فسلمت القلاع بجملتهـا .

ثم توجه الأمير سيف الدين قبجاق والأمراء إلى خدمة السلطان الملك الناصر على ما نذكره .

ولمـا توجه قبجاق من دمشق ، دبّر أمر البلد الأمير علم الدين أرجواش . وأعيدت الخطبة بدمشق ، باسم السلطان فى يوم الجمعـة السـابع عشر من شهر رجب . وكانت انقطعت من سابع شهر ربيـع الآخر ، فانقطعت مائة يوم . وفى هـذا اليوم أبطل ما كان جدّد من المنكرات ، وأغلقت الخمارات ، وأريق ما فيها ، وكسرت المواعين ، وشقت الظروف[2] . وتولى ذلك الشيخ تقى الدين بن تيمية وأصحابه .

هذا ما كان بدمشق ، فلنذكر ما اعتمده السلطان عند عـوده .

ذكر ما اعتمده السلطان الملك الناصر عند عوده إلى الديار المصرية من الاهتمام بأمر الجيوش والعساكر

لمـا كان من أمر هذه الحادثة ما قدمناه ، رجع السلطان عن مكان الوقعة

(١) يقابل ما ورد فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٧٨ .

(٢) الظروف جمع ظرف وهو الوعاء ، القاموس المحيط (المصحح)

إلى الديار المصرية . وتفرقت العساكر ، فأخذت كل فرقة طريقا . وكان وصول السلطان إلى قلعة الجبل ، فى يوم الأربعاء ، ثانى عشر شهر ربيع الآخر ولم يصحبه فى هذه السفرة إلا بعض خواصه ، والأمير سيف الدين بكتمر الحسامى أمير آخور ، والأمير زين الدين قراجا ، فى نفر يسير . وخدم الأمير سيف الدين بكتمر ، المشار إليه ، السلطان فى هذه السفرة أتم خدمة . فكان يركبه وينزله ، ويُشدّ خيله ، ويشترى لها العليق ، ويسقيها ، إلى غير ذلك من أنواع الخدمة.[1]

ثم ترادفت الجيوش إلى الديار المصرية متفرقة . ووصل النواب بالممالك الشامية . وكان فيمن وصل الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى . فمشى فى خدمة نائب السلطنة الأمير سيف الدين سلار ، وجاس بين يديه ، وكان يُرمِّل علامته إذا كتب . ووصلت العساكر ، وعدمت خيولهم وأقمشتهم وأموالهم ، وأثقالهم وأسلحتهم . فجرد السلطان الأهتمام ، وأخرج الأموال الكثيرة ، وأنفق فى الجيوش ، ووسع عليهم ، وسلّم إلى كل نائب من نواب الشام نفقة عسكره . فسلم إلى الأمير جمال الدين أقش الأفرم نفقة عسكر الشام ، وإلى الأمير سيف الدين بلبان الطباخى نفقة عسكر حلب ، وإلى الأمير سيف الدين كراى المنصورى نفقة عسكر صفد . وسلّم نفقة عسكر طرابلس[2] إلى الأمير شرف الدين قيران الدوادارى ، ثم إلى الأمير سيف الدين قطلبك . وكانت النفقة فى الجيوش ذهبا . ورخص سعر الذهب بالديار المصرية ، حتى بلغ صرف الدينار سبعة عشر درهما وارتفعت أسعار العدد والسلاح والأقمشة والدواب . ومع ذلك فلم تمض الأيام

(١) يقابل ماورد من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٩٦ .

(٢) فى الأصل الطرابلسى ، وماهنا هو الصواب .

القلائل على العسكر، حتى كملت عدتهم وخيولهم، وجميع مايحتاجون إليه من الأسلحة والأفشة.[1]

وجهّز السلطان إلى نواب الحصون بالشام أجمع القصاد بالملطفات يعلمهم ماهو عليه، من الاهتمام وسرعة حركة ركابه، ويحثهم على حفظ الحصون. فوصلت القُصّاد إليهم، فامتثلوا ذلك، وحفظوا الحصون، فحفظت وسلمت، ولله الحمد والمنة. وأحسن السلطان إلى نواب الحصون، وكافأهم على اهتمامهم بها وحفظها. ولما تكامل ماتحتاجه العساكر، توجه السلطان بهم، لقصد الشام.

ذكر توجه السلطان بالعساكر إلى جهة الشام، ووصوله إلى منزلة الصالحية وإرسال الجيوش إلى دمشق والممالك الشامية، وعود الأمراء إلى الخدمة السلطانية ورجوع السلطان إلى قلعة الجبل، وماتقرر من أمر النواب

وفي تاسع شهر رجب، من هذه السنة، توجه السلطان بجميع العساكر

(١) يقابل ماورد في المقريزي: السلوك ج ١، ص ٨٩٦ انظر أيضا بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة ج ٩، ص ٣٧٩.

والنواب إلى الشام ، لدفع التتار . فاتصل به عود التتار ومفارقتهم الشام ، فأقام بالصالحية . وتوجه نائبه الأمير سيف الدين سلار ، وأستاذ داره الأمير ركن الدين بيبرس إلى الشام ، وصحبتهما سائر النواب والأمراء . ورحلوا من الصالحية فى الثانى العشرين من هذا الشهر . وكانت الملطفات[1] قد سيرت إلى الأمراء : سيف الدين قبجاق ، وسيف الدين بكتمر ، وفارس الدين البكى ، بالحضور إلى الخدمة السلطانية ، ومراجعة الطاعة ، واستدراك مافرط ، فأجابوا بالسمع والطاعة . وبادروا بالحضور إلى الخدمة الشريفة السلطانية ، واجتمعوا بالأمراء بمنزلة سكرير[2] . وتوجهوا إلى خدمة السلطان ، وهو مقيم بمنزلة الصالحية ، وذلك فى العاشر من شعبان . فركب السلطان وتلقاهم وأكرمهم وأحسن إليهم ، وعاد وهم فى خدمته إلى قلعة الجبل . وكان وصوله إليها فى رابع عشر شعبان ، وأسكن الأمراء المذكورين بالقلعة ، وأجرى عليهم الإقامات ، وشملهم بالإنعام[3] .

وأما الأمير سيف الدين سلار والعساكر ، فإنهم توجهوا إلى دمشق . وكان وصول الأمير جمال الدين أقش الأفرم نائب السلطنة بدمشق إليها بالعسكر[4] الشامى ، فى يوم السبت عاشر شعبان .

---

(١) الملطفات ، رسائل كانت تكتب عادة إلى الأمراء المرضية والمدح أو التقرير والتأمين ، تمهيدا لما يزمعه السلطان لهم من عقوبة أو قتل . أنظر Dozy : Supp. Dict. Ar.

المقريزى : السلوك جـ ١ ص ٨٥٢ حاشية ٧ .

(٢) فى الأصل ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٣٧ سكرير ، وفى ابن أبى الفضائل : النهج السديد ، ص ٥٢٥ سكر ، ولعل المقصود بلدة السكرية الواردة فى Le Strange : Palestine under Moslems P. P. 527,547 . وهى على مسافة مرحلة من الرملة .

(٣) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٠ .

(٤) فى الأصل العساكر ، وما هنا به يستقيم المعنى .

وفى يوم الأحد وصل الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة بحلب بعساكرها ، وكان قد فوض إليه نيابتها، والأمير سيف الدين قطليك نائب الفتوحات الطرابلسية جميعا (١) .

وفى يوم الاثنين ، ثانى عشر الشهر ، وصلت ميسرة الجيوش المصرية ، ومقدمها الأمير حسام الدين لاجين أستاذ الدار . وفى يوم الأربعاء ، رابع عشر الشهر ، وصل قلب الجيش ، وفيه الأمير سيف الدين سلار ، نائب السلطنة الشريفة . والمماليك السلطانية ، والعادل زين الدين كتبغا المنصورى فى خدمته . ونزلت العساكر بالمرج (٢) .

وقرر الأمير سيف الدين سلار النواب بالممالك على ما رسم به السلطان له عند سفره . فأقر الأمير جمال الدين آقش الأفرم على عادته بدمشق . وفوض إلى الأمير زين الدين كتبغا الملقب — كان — بالملك العادل ، نيابة السلطنة بالمملكة الحموية (٣) ، عوضا عن الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى المذكور ، وذلك بحكم أن الأمير سيف الدين بلبان الطباخى استعفى من النيابة بحلب واستقر فى جملة الأمراء المقدمين بالديار المصرية ، على اقطاع الأمير شمس الدين آقسنقر كرتيه (٤) ، بحكم وفاته . وفوض نيابة السلطنة بالمملكة الطرابلسية والفتوحات إلى الأمير سيف الدين قطلوبك (٥) المنصورى . وأعاد الأمير سيف الدين كراى المنصورى إلى نيابة السلطنة بالمملكة الصفدية على عادته .

---

(١) انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٠ .
(٢) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠١ .
(٣) انظر ما ورد فى ابى الفدا : المختصر فى أخبار البشر جـ ٤ ، ص ٤٤ .
(٤) فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠١ كرتاى .
(٥) يرد هذا الاسم أيضا بالرسم قطليك ، انظر ما سبق .

وفوّض قضاء القضاة الشافعية بدمشق لقاضى القضاة بدر الدين محمد بن جماعة الحموى ، فى خامس شهر شعبان ، بحكم وفاة القاضى إمام الدين عمر ابن القاضى سعد الدين بن الكرجى القزوينى القونوى . وكانت وفاته بالقاهرة ، فى يوم الثلاثاء خامس عشرين ، شهر ربيع الآخر ، ودفن بالقرافة . وفوّض قضاء القضاة الحنفية ، لقاضى القضاة شمس الدين محمد ابن الشيخ صفى الدين الحريرى ، فى يوم الأربعاء الحادى والعشرين من الشهر .

وفوّض شاد الدواوين بالشام ، إلى الأمير سيف الدين أجقبا المنصورى . وولى بردمشق للأمير عز الدين أيبك التجيبى . وفوّض حسبة دمشق لأمين الدين الرومى ، إمام المنصور لاجين (١) .

وأقام الأمير سيف الدين سلار نائب السلطنة ، والأمير ركن الدين بيبرس بدمشق ، إلى أن استقرت أحوالها ، وترتبت وظائفها . ثم رجعا إلى الديار المصرية . وكان رحيلهما من دمشق بالجيوش المصرية المنصورة ، فى يوم السبت ثامن شهر رمضان . ووصلا إلى خدمة السلطان بقلعة الجبل ، فى يوم الثلاثاء ، ثالث شوال . ولما وصلا ، فوّض إلى الأمير سيف الدين قبجاق نيابة السلطنة بالشوبك . وأعطى الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار إمرة مائة فارس وتقدمة ألف ، بالديار المصرية ، والأمير فارس الدين البكى الساقى ، إمرة بدمشق . واستقرت الحال على ذلك .

---

(١) يقابل ما ورد فى المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠١ .

ذكر ما اعتمده الأمير جمال الدين [أقش][1] نائب السلطنة بدمشق ، بعد عود العساكر المصرية .

لما عاد الأمير سيف الدين سلار والعساكر المصرية من دمشق ، وخلا وجه الأمير جمال الدين أقش الأفرم ، نائب السلطنة بالشام ، تتبع من أذى المسلمين عند التتار ، وتجاهر بذلك . فعامل كلا[2] منهم بما نذكره ، مما أدى إليه اجتهاده ، واقتضاه رأيه وتدبيره . فكحل الحاج مندوبه[3] ، وسمر الشريف[4] القمى ، وابن العونى[5] البرددار ، وابن خطلوشا[6] المزى ، وحملهم على الجمال ، ثم أطلق ابن العونى ، بعد ثلاثة أيام . وشنق كاتب مسطبة الولاية بدمشق ، وإبراهيم مؤذن بيت لهيا[7] ، ورجلا من اليهود . وقطع لسان ابن طاعن ، وقطع يد ورجل أحد من أمرهم[8] قبجاق ، فمات بعد ثلاثة أيام . وكحل الشجاع همام ، فمات بعد ليلة .

ثم توجه فى العشرين من شوال إلى جبال الكسروان والدرزية[9] ، وقصد

---

(١) الإضافة للتوضيح .

(٢) فى الأصل كل ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) كذا فى الأصل .

(٤) فى الأصل التشريف ، وما هنا من المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٩٠٢ .

(٥) كذا فى الأصل .

(٦) كذا فى الأصل .

(٧) بيت لهيا ، وهى قرية بغوطة دمشق (ياقوت : معجم البلدان) .

(٨) فى الأصل أمره ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٩) الدرزية أو الدروز من فئات سكان لبنان ، انتشروا أيضا فى جبل كسروان المتصل بجبال لبنان ، ونزل الدروز أيضا حول دمشق ، وفى جبال حوران . واسمهم مشتق من درزى ، أحد دعاة الباطنية الذين قالوا بألوهية الخليفة الفاطمى الحاكم بأمر الله ، وكان درزى من أصل فارسى واسمه

استقصال شأفتهم ، لما عاملوا به العساكر الإسلامية ، عند هزيمتها ، من السلب والأذى . فالتزموا برد ما أخذوه من أقمشة العسكر ، وحمل ما ترد عليهم ، وعاد إلى دمشق ، فى يوم الأحد ثالث ذى القعدة من السنة .

وألزم أهل دمشق أرباب الحوانيت بتعليق الأسلحة فى حوانيتهم ، وأمروا برماية النشاب ، ونودى بذلك . وحضرت رسالة قاضى القضاة بذلك إلى فقهاء المدارس . وعرض عوام البلد فى الحادى والعشرين من القعدة ، فحضروا بالسلاح . وقدم على أهل كل سوق رجلا منهم . ثم عرض السادة الأشراف ، فى يوم الخميس رابع عشرين الشهر ، بالعدة الكاملة ، مع تقييمهم نظام الملك .

وفى هذه السنة ، كانت وفاة الأمير الطواشى حسام الدين جلال المغيثى الجلالى ، نسبة إلى الملك المغيث ابن الملك الصالح نجم الدين أيوب . وكانت وفاته فى تاسع شهر ربيع الآخر ، بمنزلة السوادة (١) ، وحمل إلى قطيا (٢) ، ودفن بها . وكان قد مرض بدمشق ، فأعيد ، ولم يشهد الوقعة . وكان رحمه الله تعالى دينا خيرا .

= محمد بن إسماعيل ، قدم إلى مصر سنة ٤٠٨ (١٠١٧ م) ، ووصل فى خدمة الحاكم بأمر الله ، ودعا إلى ألوهيته ، وألف فى ذلك كتابا قرأه بالجامع الأزهر بالقاهرة ، فأحدث ضجة بين الناس ، فخرج من مصر ، ولجأ إلى جبال لبنان ، حيث نشر مذهبه . ومات سنة ٤٦٠ (١٠٢٠) انظر

En. Is. Arts. Drnzes, Darazi, Hamaza

المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٢٠٩ حاشية ٣ .

(١) السواده ، وهى من بلاد إقليم الشرقية ، ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٨٩ ، وتعتبر من قرى مركز فاقوس بمحافظة الشرقية .

(٢) قطيا ، قرية فى الطريق من مصر إلى الشام فى وسط الرمل ، قرب الفرما . (ياقوت : معجم البلدان) .

وفيها ، توفى القاضى علاء الدين أحمد ابن قاضى القضاة تاج الدين عبد الوهاب ابن خلف بن بدر العلائى . وكانت وفاته ... ... (١) .

وصليت عليه فيمن صلى ، وكانت جنازته مشهودة ، ودفن بتربتهم بالقرافة رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى الأمير سيف الدين جاغان الحسامى بأرض البلقاء من الشام .

وفيها ، توفى الأمير علم الدين سنجر الدوادارى بحصن الأكراد ، فى ثالث شهر رجب وكان قد انصرف من الوقعة ، والتحق بحصن الأكراد ، فمات به ، رحمه الله تعالى .

وفيها ، توفى والدى ، رحمه الله تعالى ، تاج الدين أبو محمد عبد الوهاب ابن أبى عبد الله ، محمد بن عبد الدائم بن منجا بن على البكرى ، التيمى القرشى المعروف بالنويرى . وقد تقدم ذكر باقى نسبه ، عند ذكر مولدى فى سنة سبع وسبعين وستمائة (٢) . وكانت وفاته رحمه الله ، قبل أذان المغرب ، من يوم الخميس الثانى والعشرين من ذى الحجة سنة تسع وتسعين وستمائة ، بالمدرسة الصالحية النجمية ، بقاعة التدريس المالكية . وكان ابتداء مرضه ، فى يوم الأربعاء ، الرابع عشر من الشهر . ومولده بمصر بالمدرسة المعروفة بمنازل العز سنة ثمان عشرة وستمائة . ومات رحمه الله تعالى ، ولم تفته صلاة . ولقد توضأ لصلاة

---

(١) فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ٤ ، ٩ ، ورد اسمه كاملا ، وهو علاء الدين أحمد بن تاج الدين عبد الوهاب بن خلف بن محمود بن بدر العلائى ، المعروف بابن بنت الأعز الشافعى . ولم يذكر من التفاصيل ما يسد البياض الوارد فى الأصل وانظر أيضا ترجمته فى المنهل الصافى (المرجع السابق) ج ١ ، ص ٣٧٨ (المصحح)

(٢) انظر النويرى : نهاية الأرب ج ٣٠ ، ص ٣٨٩ . (المصحح) .

العصر ، من يوم وفاته أربع مرات ، وكان به ذرب ، ثم صلى صلاة العصر جالسا . ومات قبل أذان المغرب من يومه . وكان آخر كلامه ، بعد أن دعا الله تعالى لى بخير ، التلفظ بالشهادتين . ثم قبض رحمه الله تعالى ، ودفن من الغد ، فى يوم الجمعة الثالثة من النهار ، بتربة قاضى القضاة زين الدين المالكى ، بالقرافة ، رحمه الله تعالى وإيانا .

واستهلت سنة سبعمائة يوم الجمعة

[٧٠٠ هـ / ١٣٠٠ - ١٣٠١]

والسلطان الملك الناصر بقلعة الجبل ، ومدبرو[1] الدولة ، ونواب المملكة من ذكرناهم .

ذكر جباية المقرر على أرباب الأملاك والأموال بالديار المصرية والشام

وفى هذه السنة ، فى أولها قرر ناصر الدين محمد [بن][2] الشيخى ، أحد الأمراء بالديار المصرية ، ومتولى القاهرة ، أن يستخرج من أرباب العقارات والأموال مالا[3] سماه مقرر الخيالة[4] ، وانتصب لإستخراج ذلك بدار العدل ، تحت قلعة الجبل . وأحضر أرباب الأموال والأملاك ، وقرر على كل منهم بحسب قدرته ، واستخرج من ذلك تقدير مائة ألف دينار[5] . وتعدى ضرره إلى سائر الناس ، حتى أراد [أن][6]

---

(١) فى الأصل ومديرى ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) الإضافة من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٦ ٩ .

(٣) فى الأصل مال ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) مقرر الخيالة ، ضريبة تقررت سنة ٦٩٩ هـ على سائر الناس بالقاهرة والأقاليم ، ليتفق منها على إعداد العساكر وتجهيزهم لقتال التتار ، زمن السلطان الناصر محمد بن قلاون . انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٨٩٨ ، وفى المتن ما يدل على أن هذه الضريبة التزم بأدائها أرباب العقارات والأموال .

(٥) انظر المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٨٩٨ .

(٦) الإضافة للتوضيح .

يستخرج من العدول[1] الجالسين بسوق الوراقين ، من كل عدل عشرين دينارا ، ومن كل عاقد[2] أربعين دينارا . فنهض قاضى القضاة زين الدين المالكى فى ذلك ، وتحدث مع الأمراء فى ذلك . وذكر ضرورة العدول وفاقتهم واحتياجهم ، وأن جلوسهم فى سوق الوراقين ، لتحصيل أقواتهم ، ولو قدروا على القوت ما جلسوا ، وقام فى ذلك أتم قيام ، حتى اندفعت عنهم هذه المظلمة ، وأعفوا[3] منها . واستخرج من سائر الأعمال والبلاد والقرى بالديار المصرية أموال ، قررت على كل بلد من البلاد المقطعة ، واستخرجت الأموال من الرعايا والفلاحين .

وأما دمشق ، فإنه رُسم باستخراج أجرة أربعة أشهر من أرباب الأملاك والأوقاف التى بدمشق وظاهرها ، ومن الضياع ، التى ضمانها أكثر من أمدائها ثلث ضمانها . وإن كانت أمداؤها أكثر من ضمانها ، استخرج عن كل مدى ، ستة دراهم وثلثا درهم — والمدى أربعون ذراعا فى مثلها ، يكون تكسيره ألف ذراع وستمائة ذراع ، بذراع العمل[4] — فنال الناس من ذلك شدة . وكان المال المطلوب ، عن ما تحصل فى سنة تسع وتسعين وستمائة .

وفيها ، فى المحرم ، كثرت الأراجيف بحركة التتار ، فجفل أهل الشام أجمع ، منهم من التجأ إلى الحصون ، وأكثرهم وصلوا إلى الديار المصرية ، حتى امتلأت

(١) العدول ، ومفردها عدل ، وهو الشاهد (المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٧ .

(٢) العاقد ، هو الذى يتولى تحرير العقود وكتابتها : كعقود البيع والزواج : وهو دون القاضى فى الرتبة . المقريزى : السلوك جـ ١ : ص ٥٠١ حاشية ٣ .
Dozy ; Supp. Dict Ar.

(٣) انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٧

(٤) ذراع العمل : مقياس طوله ثلاثة أشبار ، بشبر رجل معتدل . انظر القلقشندى : صبح الأعشى جـ ٣ ، ص ٤٤٦ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٧ حاشية ٤ .

القاهرة ومصر منهم . وكان سعر القمح ، قبل وصول هذه الجفول ، عن كل أردب عشرين درهما . فنزل إلى خمسة عشر درهما ، على ما نذكره إن شاء الله تعالى[1] .

ذكر توجه السلطان الملك الناصر بالعساكر إلى الشام وعوده

لما كثرت الأراجيف وقويت الشناعة ، بقرب التتار ، توجه السلطان بالعساكر إلى الشام . واستقل ركابه من منزلة مسجد التبن[2] ، وهي المنزلة الأولى من قلعة الجبل ، في يوم السبت ثالث عشر صفر ، ووصل إلى غزة ، ونزل بمنزلة بدعرش[3] ، وأقام بها . وتوالت الأمطار وكثرت ، واشتد البرد ، وانقطعت الأجلاب عن العسكر ، حتى عدمت الأقوات . واستمر السلطان بهذه المنزلة إلى سلخ شهر ربيع الآخر . ثم عاد إلى القاهرة ، فكان وصوله إلى قلعة الجبل في يوم الاثنين ، حادي عشر جمادى الأولى ، بعد أن جرد من منزلته بدعرش[4] ، الأمير سيف الدين بكتمر السلاح دار ومضافيه ، والأمير بهاء الدين يعقوبا الشهرزوري

(١) المقريزي : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٨ ؛ ٩٠٩ .

(٢) مسجد التبن . أشار المقريزي : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ، ص ٤١٢ ، إلى مسجد تبر ، الذي يقع خارج القاهرة : قريبا من المطرية ، والمعروف قديما بالبئر والجيزه . وتسميه العامة خطأ مسجد التبن . وتبر هو أحد الأمراء الأكابر ، زمن كافور الأخشيدي — انظر المقريزي : السلوك جـ ١ : ص ٦٥٤ حاشية ٣ .

(٣ ، ٤) كذا في الأصل ؛ وفي تاريخ سلاطين المماليك ص ٨٣ . وأشار بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ : ص ٣٨٨ إلى أن هذا الموضع هو المنزلة المعروفة بخان العوجا ، قرب دمشق . انظر أيضا المقريزي ، السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٨ : وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ١٣١ حاشية ٢ . والمعروف أن السلطان الناصر عاد ، بعد أن عاين سوء الأحوال الجوية . بيبرس الدوادار زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٦٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ١٣١ .

ومضافيه . . فتوجهوا إلى دمشق بألفى فارس ، فوصلوا إليها ، فى سابع جمادى الأولى[١] .

ولما ظهر بدمشق عود السلطان إلى الديار المصرية ؛ خرج من بقى من الدماشقة إلى الديار المصرية . وذلك أن متولى دمشق ، كان يمر بالأسواق فيقول للناس : مايجلسكم هاهنا ، وأى شىء تنتظرون ، وأشباه هذا الكلام[٢] . ثم نودى بدمشق فى تاسع جمادى الأولى ، من أقام ، فدمه فى عنقه ، ومن عجز عن السفر فليتحصن بالقلعة[٣] .

وفى مدة مقام السلطان بمنزلة بدعرش ، توفى الأمير سيف الدين بلبان الطباخى . واستعفى الأمير سيف الدين كراى المنصورى من نيابة السلطنة[٤] بصفد ، فاعفى منها ، وأقطع إقطاع الأمير سيف الدين الطباخى بالديار المصرية . وفوضت نيابة المملكة الصفدية إلى الأمير سيف الدين تخاص[٥] المنصورى ، أحد أمراء الشام .

ذكر وصول غازان إلى الشام وعوده وما فعلته جيوشه

كان من خبر غازان فى هذه السنة ، أنه وصل بجيوشه إلى بلاد حلب ،

---

(١) المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٩

(٢) انظر المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٩ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٩ ، ص ١٣٢ .

(٣) هذه العبارة ، وردت مع شىء يسير من التعديل فى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٩ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، جـ ٩ ، ص ١٣٢ .

(٤) فى الأصل من ، وماهنا من المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٩ انظر مايلى .

(٥) فى الأصل بخاص ، وما هنا من بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٨٩ .

ونزل بقرون حماه إلى بلاد سرمين . وبعث معظم جيوشه إلى جبال أنطاكية وجبال السماق[1] . فنهبوا من الدواب والأغنام والأبقار شيئا كثيرا . وسبوا من النساء والصبيان وأسروا من الرجال خلقا كثيرا . وكانوا فى سنة تسع وتسعين وستمائة لم يصلوا إلى هذه الجهة ، فظن الناس أنهم لا يقصدونها[2] فى هذه السنة . فاجتمع بها خلق كثير ، فقتلوا وأسروا وسبوا . ورخصت الأسرى من المسلمين ، حتى أبيع الأسير والأسيرة بعشرة دراهم . واشترى الأرمن منهم خلقا كثيرا ، وسيروا فى المركب إلى بلاد الفرنج . وأرسل الله تعالى على غازان وجيوشه أمطارا كثيرة وثلوجا ، حتى هلك كثير منهم . فرجع بعساكره إلى بلاد الشرق ، وقد تلف من خيولهم مالا تحصى كثرة ، فرجعوا شبه المكسورين . وعجزت كل طائفة من المسلمين والتتار ، عن ملاقاة الأخرى . وكان رجوعهم فى جمادى[3] الآخرة . وغلت الأسعار فى هذه السنة بدمشق ، فابيعت غرارة القمح بثلثمائة درهم ، ووطل اللحم بتسعة دراهم ، ثم رخصت الأسعار[4] .

وفيها ، استعفى الأمير سيف الدين قطليك المنصورى من نيابة المملكة الطرابلسية ، فأعفى . وفوضت النيابة بها إلى الأمير سيف الدين استدمر كرجى[5] .

---

(١) جبال السماق ، سلسلة مرتفعات عظيمة بجهات حلب ، تقع بها مدن كبيرة وقرى وقلاع للاسماعيلية . ولعلها اتخذت هذا الاسم لكثرة ما ينبت بها من أشجار السماق التى تقارب أشجار الرمان فى الطول ، وتحمل عناقيد ذات حب صغير شديد الحموضة ، انظر ياقوت . معجم البلدان جـ ٢ ، ص ٢١ ، ومحيط المحيط .

(٢) فى الأصل لا يقصدوها : وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) انظر ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٩ ، ص ١٣٢ .

(٤) المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩٠٩ ، وتاريخ سلاطين المماليك ص ٨٤ .

(٥) فى الأصل استدمر كبى ، وما هنا من المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩١٤ وابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة جـ ٨ ، ص ١٥٧

وفيها ، فنيت الأبقار بالديار المصرية فناء ، لم يسمع بمثله . وحكى لى أن بعض مشايخ البلاد باشموم طناح ، كان يملك ألف رأس وأحد وعشرين رأسا من بقر الخيس[1] ، فمات منها ألف رأس وثلاثة وعرس ، و بقى له ثمانية عشر رأسا ، وغلت الأبقار بعد هذا الفناء ، حتى كادت تعدم . و بيع الثور منها بألف درهم وما يقارب هـذا الثمن . واستعمل الناس فى السواقى بالديار المصرية لإدارتها ، الخيل والجمال والحمير[2] .

ذكر خبر أهل الذمة وتغيير لباسهم وما تقرر فى ذلك ، والسبب الذى أوجبه

فى هذه السنة ، وصل وزير بلاد المغرب[3] إلى الديار المصرية ، بسبب الحج . وتكلم مع الأمراء فى أمر أهل الذمة ، وذكر ماهم فيه من الذل والصغار ببلاد المغرب ، وأنهم لا يمكنونهم[4] من ركوب الخيل والبغال ، ولا يستخدمونهم[5] فى المناصب ، وذكر أشياء كثيرة من هذا القول . فرسم أن يعقد مجلس بحضور الحكام ، وندب لذلك قاضى القضاة شمس الدين السروجى الحنفى ، فجلس بالمدرسة الصالحية . وحضر القاضى مجد الدين بن الخشاب ، وكيل بيت المال ، وجماعة من الفقهاء ، وأحضر بطرك النصارى[6] وجماعة من أساقفتهم ، وأكابر قسيسيهم ، وأعيان ملتهم

(١) فى الأصل الجيش ، وما هنا من ابن مماتى : قوانين الدواوين ص ٣٥١

(٢) انظر المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٩١٣ — ٩١٤

(٣) كان سلطان المغرب وقتذاك أبا يعقوب يوسف بن يعقوب المرينى ، الناصر لدين الله ، (٦٨٥ — ٧٠٦ هـ) انظر تاريخ سلاطين المماليك ص ٩٧

(٤) فى الأصل يمكنوهم ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٥) فى الأصل يستخدموهم ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) المقصود بالنصارى هنا طائفة القبط من المصريين ، وكان بطركهم وقتذاك بوتيا الثانى .

وديان اليهود وأكابر ملتهم ، وسئلوا عما أقروا عليه فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، من عقد الذمة . فلم يأتوا عن ذلك بجواب . وبحث الفقهاء فى ذلك ، فاقتضت المباحث الشريفة بين العلماء ، أن يميز النصارى بلبس العمائم الزرق غير الشعرى (١) ، واليهود بلبس العمائم الصفر . وتميز نساء أهل كل ملة كذلك بعلامة تظهر . ولا يركبون (٢) الخيول ولا يحملون (٣) سلاحا ، ويركبون الخيول الحمر بالأكف (٤) عرضا من غير تزيين لها ولا قيمة ، ويتجنبون (٥) أوساط الطرق للمسلمين فى مجالسهم (٦) عن مرانبهم ، ولا يرفعون (٧) أصواتهم على أصوات المسلمين . ولا يعلو بناؤهم على بناء المسلمين ، ولا يظهرون (٨) شعانينهم (٩) ، ولا يضربون (١٠) بالنواقيس . ولا ينصرون مسلما ولا يهودونه . ولا يشترون من

(١) كذا فى الأصل .

(٢) فى الأصل لا يركبوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى الأصل ولا يحملوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٤) الأكف جمع أكاف ، وهو برذعة الحمار (القاموس المحيط)

(٥) فى الأصل يتجنبوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) هذه اللفظة تجعل العبارة مضطربة ، وما ورد فى كتاب الجزية ، الذى كتبه عمر بن الخطاب لأهل الذمة ، يشير إلى أنهم لا يتصدرون فى المجالس ، انظر الشيزرى ، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ٧٦ ، ولعل العبارة « ويتزلون فى مجالسهم ... » انظر أيضا تحرير الأحكام فى تدبير أهل الإسلام لقاضى القضاة بدر الدين بن جماعة مخطوطة دار الكتب رقم ١٩٧٢٧ ب لوحة رقم ١٤١ (المصحح)

(٧) فى الأصل ولا يرفعوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٨) فى الأصل ولا يظهروا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٩) عيد الشعانين ، ويطلق عليه أيضا عيد الزيتونة ، أحد أعياد القبط فى مصر ويقع فى سابع أحد من صومهم الكبير ، الذى يسبق عيد الفصح ، وفيه يخرجون بسعف النخيل ، ويرون أنه يوم ركوب المسيح بالقدس ، والناس بين يديه يسبحون ، وهو يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر . انظر : المقريزى : المواعظ والاعتبار جـ ٢ ، ص ٢٥ .

(١٠) فى الأصل ولا يضربوا ، وما هو هنا الصواب لغويا .

الرقيق مسلما ولا من سباه مسلم، ولا من[1] جرت عليه سهام المسلمين . ومن دخل منهم الحمام يميز نفسه بعلامة عن المسلمين، يجرس فى حلقه . ولا ينقشون[2] فصوص خواتيمهم بالعربية[3] ، ولا يعلمون[4] أولادهم القرآن ، ولا يستخدمون[5] فى أعمالهم الشاقة مسلما ، ولا يرفعون[6] النيران . ومن زنى منهم بمسلمة قتل .

وقال بطرك النصارى بحضرة جماعة العدول : «حرمت على أهل ملتى وأصحابى مخالفه ذلك ، والعدول عنه» . وقال رئيس اليهود وديانهم : «أوقعت الكلمة على أهل ملتى وطائفتى فى مخالفة ذلك ، والخروج عنه[7]» .

ونظمت المكاتيب بذلك ، ورسم بحمل الأمراء[8] على حكمها . وكتب إلى سائر أعمال الديار المصرية بإجرائهم على ذلك . وكتب إلى [أمراء[9]] الشام بذلك ، فالتزموا به فى شعبان من السنة .

وتقرر بدمشق أن تلبس النصارى العمائم الزرق ، واليهود العمائم الصفر ، والسامرة العمائم الحمر . واستقر ذلك فى سائر المملكة . إلا بالكرك ، فإن النائب بها الأمير جمال الدين آقش الأشرفى ، رأى إبقاءهم على حالتهم . واعتذر أن أهل

(١) فى الأصل ما ، وما هنا من الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٣١ ، وهو الصواب لغويا .

(٢) فى الأصل ولا ينقشوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٣) فى الأصل بالعربى ، وما هنا من الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، ص ١٣١ .

(٤) فى الأصل ولا يعلموا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٥) فى الأصل ولا يستخدموا وما هنا هو الصواب لغويا .

(٦) فى الأصل ولا يرفعوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٧) يقابل ما ورد فى المقريزى ، السلوك جـ ١ ، ص ٩١٠ ــ ٩١١ .

(٨) فى الأصل الأمر ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٩) الإضافة يتطلبها السياق ــ انظر ما يلى .

الكرك نصارى ، وأن المسلمين بها قليل ، وأن هذا القدر[1] يؤدى إلى ظهور كثرتهم للغريب ، وما أشبه هذه الأعذار . فاستقر ذلك بالكرك والشوبك إلى الآن[2].

وأخبرنى الأمير سيف الدين بلبان الجوكندار المنصورى فى سنة إحدى وسبعمائة وهو يؤمئذ أستاذ الدار السلطانية وشاد الدواوين بدمشق ، قال : ركبت فى الموكب مع الأمير جمال الدين آقش الأفرم ، نائب السلطنة بها ، فمر بنا طائفة من أهل الذمة ، بالأقمشة النفيسة والعمائم اللانس[3] . قال : فشق ذلك علىّ كونهم لم يتميزوا بعلامة . فذكرت ذلك لنائب السلطان ، وقررت معه أن يأمر بتغيير هيأتهم ، وأن تلبس النصارى العمائم الزرق ، واليهود العمائم الصفر ، والسامرة[4] العمائم الحمر . وتقرر أن يطالع فى ذلك ، فورد مثال السلطان بذلك ، قبل وصول المطالعة إليه ، ووافق تاريخ تلبيسهم بالديار المصرية ، التاريخ الذى حدثت نائب السلطان فيه بسببه . ولما منعوا من الاستخدام بالديار المصرية ، أسلم جماعة كثيرة من أعيانهم ، لأجل مناصبهم . فاستمروا بعد إسلامهم على ما كانوا عليه[5] .

---

(١) كذا فى الأصل ، ولعلها القرار

(٢) انظر ما ورد عن ذلك ، فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٩١٢

(٣) كذا فى الأصل ، واللانس لفظ فارسى ، يقصد به الحرير الموصلين . انظر . Steingass ; Persian — English Dict .

(٤) السامرة طائفة من اليهود ، لها توراة اختصت به ، غير التوراة المعروف عند طائفتى الربانيين والقرائين ، فضلا عن مخالفتها لهما فى كثير من الأصول (انظر القلقشندى : صبح الأعشى ج ١٣ ، ص ٢٥٣ — ٢٧٠)

(٥) كان مؤلف كتاب تاريخ سلاطين المماليك معاصرا لهذه الأحداث ، ومع أنه أورد فى كتابه ص ٨٨ وما يليها خطبة له عن هذا الموضوع ، فإنه لم يورد من التفاصيل ما أورده النويرى .

وقد وقفت على كتاب « الدر الثمين فى مناقب المسلمين ومثالب المشركين » ، تصنيف محمد بن عبد الرحمن بن محمد الكاتب[1] . وهو كتاب خدم به السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، رحمه الله تعالى[2] .

وقد رأيت أن أذكر منه نبذة فى هذا الموضع ، لتعلقه به ، فالشىء بالشىء يذكر. جاء فى[3] الكتاب المذكور، فى صدره، بعد تفويض السلطان الملك الناصر المشار إليه ، نثرا ، والاستشهاد بأبيات من الشعر فى معناه . ثم قال : وكان مولانا الملك الناصر ، خلد الله ملكه ، وأبقى دولته ، لما ملّكه الله الديار المصرية والشامية وما قاربها . ووعده على لسان عدله ، أن يفتح على يديه مشارق الأرض ومغاربها . انتصر لله ، وتعصب لدينه ، واجتهد فى رضاه ، والعمل بحكم كتابه ، وسنة نبيه ، ولحقته الحمّية الإسلامية ، وسار السيرة العمرية . وأمر بصرف الذمة وأن لا يتصرفوا ما بقيت هذه الأمة . وسطرها الكاتبان[4] فى صحائف حسناته . وأثبتها المؤرخون فى محاسن سيرته ، ونظمها الشعراء فى مدائح عقد مدائحه . وشغله النظر فى مصالح الإسلام ، عن تميم هذا الاهتمام ، والأعمال بخواتيمها .

---

(١) لم يرد المؤلف كتاب بهذا العنوان فى . Brockelman

(٢) الملحوظ أن عبد الرحمن بن نصر الشيزرى مؤلف كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة أورد بابا عن الحسبة على أهل الذمة يشتمل على فصلين ، تضمنا قدرا كبيرا من المعلومات الواردة فى نهاية الأرب . والمعروف أن الشيزرى كان معاصرا للسلطان صلاح الدين الأيوبى ، ولعله وضع كتابه فى الحسبة بناء على طلبه ، إذ أهدى إليه كتابه النهج المسلوك فى سياسة الملوك — انظر : الشيزرى : كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مقدمة الناشر ، ص ٦ ا — ١٠٧ .

(٣) فى الأصل من ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٤) كذا فى الأصل ، لعل المقصود بالكاتبين ، العماد الكاتب ، والمؤلف الذى نقل عنه النويرى هذا النص .

ونرجو من الله ، أن يبادر بتكميلها وتتميمها . ولقد قيل إن الشريف مسعود بن الحسن المعروف بالبياضى ، رؤى فى المنام بعد موته ، فقيل له ما فعل الله بك . قال : غفر لى بأبيات قلتها ، وكتبت بها إلى الراضى وهى :

يا ابن الخلائف من قريش والاولى ... طهرت أصولهم من الأدناس

قلدت أمر المسلمين عدوهم ... ما هكذا فعلت بنو العباس

حاشاك من قول الرعية أنه ... ناسٍ لقاء الله أو متناسى

ما العذر إن قالوا غدا هذا الذى ... ولّى اليهود على رقاب الناس

أتقول كانوا وفّروا أموالهم ... قبيوتهم قفر بلا آساس

لاتذكرن إحصاءهم ما وفّروا ... ظلما وتنسى مُحْصِىَ الأنفاس

وخَفِ القضاء غدا إذا وافيت ما ... كسبت يداك اليوم بالقسطاس

فى موقف ما فيه إلا شاخص ... أو مهطع أو مُقْنِع للراس

أعضاؤهم فيه الشهود وسحتهم ... نار وخازنهم شديد البأس

إن عطل اليوم الديون مع الغنى ... فغدا يؤديها مع الإفلاس .

لاتعتذر عن صرفهم بتعذر المـ ... ـتصرّفين الحُذّق الأكياس

ما كنت تفعل بعدهم لو أهلكوا ... فافعل وعُدّ القوم فى الأرماس،

ثم قال المصنف محمد بن عبد الرحمن : قرأت أن النصيحة من الدين . وقرأت : ﴿وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين﴾(١) . ثم ذكر ما ورد فى كتاب الله تعالى

(١) سورة الذاريات آية ٥٥ .

من التحذير، فبدأ بقوله تعالى: ﴿ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ (١) وقوله تعالى: ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ (٢) وقوله تعالى: ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير﴾ (٣).

ثم ذكر نسخة كتاب كتب إلى عمر بن الخطاب، عن أهل الذمة، فقال: قال عبد الرحمن بن عثمان: كتبنا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضى الله عنه، فى نصارى أهل الشام ومصر ما نسخته:

« هذا كتاب لعبد الله عمر، أمير المؤمنين، من نصارى أهل الشام ومصر.

لما قدمتم علينا، سألناكم الأمان لأنفسنا وذرارينا وأموالنا، وأهل ملتنا. وشرطنا على أنفسنا، أن لا نحدث فى مدائننا، ولا فيما حولها، ديرا ولا كنيسة، ولا قلاية (٤)، ولا صومعة لراهب (٥). ولا نجدد (٦) ما خرب منها، ولا ما كان فى خطط

---

(١) سورة البقرة: آية ١٠٥.

(٢) سورة البقرة: آية ١٠٩.

(٣) سورة البقرة: آية ١٢٠.

(٤) فى الأصل قلية، وما هنا من الشيزرى، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٢١ والقلايا، وجمعها قلاية، بناء مرتفع ينفرد فيه راهب واحد، لينصرف إلى العبادة الإنعزالية، وقد لا يكون القلاية باب ظاهر، إمعانا فى العزلة. انظر الخفاجى، شفاء الغليل ص ١٦٩.

(٥) فى الأصل راهب، وما هنا من الشيزرى، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٢١.

(٦) فى الأصل يجدد، وما هنا من الشيزرى، نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٢١.

المسلمين ، وأن نوسع[1] للمارة ولبني السبيل . وأن ننزل[2] من مربتنا من المسلمين ثلاث ليال ، نطعمهم . ولا نأوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوسا ، ولا نكتم عينا على المسلمين . ولا نعلم[3] أولادنا القرآن ، ولا نظهر شركنا ، ولا ندعو إليه أحدا . ولا نمنع أحدا من ذوي قرابتنا الدخول في دين الإسلام ، إن أراد[4] . وأن نوقر المسلمين ، ونقوم لهم في مجالسنا ، إذا أرادوا الجلوس . ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم ، في قلنسوة ، ولا عمامة ولا نعلين ، ولا فرق شعر . ولا نتسمى بأسمائهم ، ولا نتكنى بكناهم . ولا نركب بالسروج[5] ، ولا نتقلد السيوف[6] ، ولا نتخذ شيئا من السلاح ولا نحمله . ولا ننقش على خواتمنا[7] بالعربية . وأن نجز[8] مقادم رؤوسنا . ونلزم زيّنا حيث كنا ، وأن نشد الزنانير على أوساطنا ، وأن لا نظهر صلباننا ، ولا نفتح كنائسنا[9] في طرق المسلمين[10] ولا أسواقهم . ولا نضرب بنواقيسنا ، في كنائسنا ، في شيء من حضرة المسلمين . ولا نخرج [في][11] شعانيننا ، ولا طاغوتنا . ولا نرفع

(١) في الأصل توسع ، وما هنا من الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٢١ .

(٢) في الأصل ، ينزل ، وما هنا من الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٢١ .

(٣) في الأصل السلمين ، وما هنا به يستقيم المعنى .

(٤) في الأصل أرادوا ، وما هنا هو الصواب .

(٥) كذا في الأصل وفي ، الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٢١ ، السروج .

(٦) في الأصل بالسهوف ، وما هنا من الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٢١ .

(٧) في الأصل خواتيمنا ، وما هنا هو الصواب ، من الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٢١ .

(٨) كذا في الأصل ، وفي الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٢١ ، وأن لا نجز .

(٩) في الأصل كنفنا ، وما هنا من الشيزري : نهاية الرتبة في طلب ص ١٢١

(١٠) في الأصل طريق ، وما هنا من الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٢١ .

(١١) الإضافة من الشيزري : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ص ١٢١

أصواتنا مع موتانا . ولا نوقد النيران فى طرق المسلمين ولا أسواقهم . ولا نجاورهم بموتانا . ولا نتخذ[1] من الرقيق[2] ، من جرت عليه سهام المسلمين . ولا نطلع [عليهم][3] فى منازلهم ، ولا تعلو منازلنا منازلهم . فلما أتيت أمير المؤمنين عمر بالكتاب زاد فيه : « ولا نضرب أحدا من المسلمين » .

شرطنا ذلك على أنفسنا وأهـل ملتنا ، وقبلنا عليه الأمان . فإن نحن خالفنا فى شىء مما اشترطناه لكم علينا ، وضمناه عن أنفسنا ، وأهل ملتنا ، فلا ذمة لنـا عليكم ، وقد حل بنا ما حل بغيرنا ، من أهل المعاندة والشقاق . فكتب عمر رضى الله عنه : امض ماسألوه ، والحق فيه حرفين ، اشترطهما عليهم ، مع ماشرطوه ، أنه من ضرب مسلما عمدا فقد خلع عهده[4] .

قال عبد الرحمن بن عثمان : وأجمع العلماء بعد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، رضى الله عنه ، على أنه متى نقض الذمى عهده ، بمخالفة شرط من هذه الشروط

(١) فى الأصل فنحدث ، وما هنا من الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٢١ .

(٢) فى الأصل ما ، وما هنا من الشيزرى : نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٢١ .

(٣) الإضافة من الشيزرى نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٢١

(٤) فى الأصل اشترطها ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٥) هذا الإشهاد على أهل الذمة ورد على هذه الصورة فى الشيزرى كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ص ١٢٠ — ١٢٢ . وقـد انفردت به مخطوطة فيينا عن سائر المخطوطات ، لذا جرى جعله ملحقا بالكتاب . وما ورد فى الباب التاسع والثلاثين عن الحسبة على أهل الذمة ، يعتبر رواية أخرى لهذا الإشهاد . انظر الشيزرى كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة ، مقدمة الناشر ، ص ١٠٦ — ١٠٧ ، ١٢٠ — ١٢٢

وما ورد فى نهاية الأرب من كتاب الدر الثمين فى مناقب المسلمين ومثالب المشركين ، تصنيف محمد بن عبد الرحمن بن محمـد الكاتب وما انطوى عليه من هذا الاشهاد ، يدل على أن مؤلف هذا الكتاب ، هو مؤلف كتاب نهاية الرتبة فى طلب الحسبة .

المأخوذة عليهم، فالإمام مخيّر فيه بين القتل والأسر. ويلزمهم مع ذلك أن يتميزوا عن المسلمين فى اللباس والزى، ولا يتشبهون بهم[1] فى أمر من أمور زيهم. ويشدّون الزنانير[2] فى أوساطهم . ويكون فى رقابهم خواتم رصاص أو نحاس أو جرس ، يدخل معهم فى الحمام . وليس لهم أن يلبسوا العمائم والطيلسان .

وأما المرأة فتشد الزنار من تحت الإزار، وقيل من فوق الإزار وهو الأولى . ويكون فى عنقها خاتم رصاص ، يدخل معها الحمام. ويكون أحد خفيها أسود، ليبقى مشتهرا ظاهرا ، والآخر أبيض .

ويركبون الحمير بالأكف ، ولا يركبون بالسروج. ولا يتصدرون فى المجالس ولا يبدأون بالسلام . ويلجأون إلى أضيق الطرق . ويُمنعون أن يعلو بناؤهم على أبنية المسلمين ، وتجوز المساواة ، وقيل لا تجوز ، بل يُمنعون . ويجعل الإمام عليهم رجلا يكتب أسماءهم وحلاهم ، ويستوفى عليهم ما يؤخذون[3] به من هذه الشرائط . وإن زنى منهم أحد بمسلمة، أو أصابها بنكاح ، برئت منه الذمة . وقال أبو هريرة : أمر أمير المؤمنين عمر بن خطاب ، رضي الله عنه ،

---

(١) فى الأصل يتشبهوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) الزنانير، ومفردها زنار، وهو حزام يشده المسيحى فى وسطه تمييزا له عن المسلم ، أبو يوسف كتاب الخراج ص ١١٧ .

(٣) فى الأصل يأخذوا ، وما هنا هو الصواب لغويا .

بهدم كل كنيسة استجدّت بعد الهجرة ، ولم يبق إلا ما كان قبل الإسلام (١) . وسيّر عروة بن محمد ، فهدم الكنائس بصنعاء . وصانع القبط على كنائسهم بمصر ، وهدم بعضها ، ولم يبق من الكنائس إلا ما كان قبل بعثة النبى ، صلى الله عليه وسلم . هذا آخر ما لخصناه من الكتاب المذكور (٢) . فلنرجع إلى تتمة حوادث سنة سبعمائة .

ذكر وصول رسل غازان ملك التتار وما وصل على أيديهم من المكاتبة وما أجيبوا به

وفى هذه السنة ، فى ذى القعدة ، وصل رسل غازان إلى البلاد الشامية (٣) ، وهم الأمير ناصر الدين على خواجا ، والقاضى كمال الدين موسى بن يونس ، ورفيقهما . فوصل البريد من حلب بوصولهم . فرسم بتوجه الأمير سيف الدين كراى المنصورى لإحضارهم . فتوجه على خيل البريد فأحضرهم إلى الأبواب السلطانية . وكان وصولهم إلى قلعة الجبل ، فى ليلة الاثنين ، خامس عشر ذى الحجة . وأحضروا بين يدى السلطان ، فى عشية نهار الثلاثاء . فخطب كمال الدين خطبة فى معنى الصلح ، واتفاق الكلمة ، ورغب فيه . ثم أخرج كتابا نسخته (٤) :

بسم الله الرحمن الرحيم . بقوة الله تعالى ، وميامين الملة المحمدية فرمان السلطان محمود غازان .

---

(١) فى الأصل يهدم ، وما هنا هو الصواب لغويا .

(٢) أورد قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة فى كتابه « تحرير الأحكام فى تدبير أهل الإسلام » (المرجع السابق) بابا كاملا — الباب السابع عشر — فى عقد الذمة وأحكامه وما يجب بالتزامه ، والمعروف أن ابن جماعة كان معاصرا لتلك الأحداث سنة ٧٠٠ هـ (المصحح)

(٣) فى الأصل الإسلامية ، وما هنا من بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٣٩٠

(٤) أورده المقريزى ، السلوك ج ١ ، ص ٩١٥ وصفا تفصيليا لاجتماع رسل غازان بالسلطان الناصر محمد بن قلاوون ، وا كتفى بتلخيص كتاب غازان إلى السلطان وتتفق روايته مع رواية ابن تغرى بردى ، النجوم الزاهرة ج ٨ ، ص ١٣٥ — ١٣٦

ليعلم السلطان الملك المعظم الناصر ، أنه فى العام الماضى ، بعض عساكرهم[1] المفسدة ، دخلوا أطراف بلادنا ، وأفسدوا فيها ، لعناد الله وعنادنا ، كماردين ونواحيها ، وجاهدوا الله بالمعاصى فيمن ظفروا به من أهلها ، وأقدموا على أمور بديعة ، وارتكبوا آثاما شنيعة ، من محاربة الله وخرق ناموس الشريعة . فأنفنا من تهجمهم[2] ، وغرنا من تقحمهم[3] . وأخذتنا الحمية الإسلامية ، فحدتنا[4] على دخول بلادهم ، ومقاتلتهم على فسادهم . فركبنا بمن كان لدينا من العساكر ، وتوجهنا بمن اتفق منهم أنه حاضر . وقبل وقوع الفعل منا ، واشتهار الفتك عنا ، سلكنا سنن سيد المرسلين ، واقتفينا آثار المتقدمين[5] . واقتدينا بقول الله : ﴿ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل[6] ﴾ . وأنفذنا صحبة يعقوب السكرجى ، جماعة من القضاة والأئمة والثقات ، وقلنا : ﴿ هذا نذير من النذر الأولى أزفت الآزفة ليس لها من دون الله كاشفة[7] ﴾ .

فقابلتم ذلك بالإصرار ، وحكمتم عليهم وعلى المسلمين بالأضرار ، وأهنتموهم وسجنتموهم . وخالفتم سنن الملوك فى حسن السلوك . فصبرنا[8] على تماديكم فى غيكم ، وخلودكم إلى بغيكم ، إلى أن نصرنا الله ، وأراكم فى أنفسكم قضاه . ﴿ أفأمنوا مكر

---

(١) كذا فى الأصل وفى بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩١ .

(٢) فى الأصل تنعمهم ، وما هنا من بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩١ .

(٣) فى الأصل تفخمهم ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩١ .

(٤) فى الأصل فحدينا ، وما هنا من بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩١ .

(٥) فى الأصل المقدمين ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩١ .

(٦) سورة النساء : آية ١٦٥ .

(٧) سورة النجم : الآيات ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ .

(٨) فى الأصل ، وصبرنا ، وما هنا بين بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩١ .

-الله فلا يأمن مكر الله[1] ﴾ . وظننا أنهم حيث تحققوا كنه الحال ، وآل بهم الأمر إلى ما آل ، أنهم ربما تداركوا الفارط فى أمرهم ، ورتقوا ما فتقوا بغدرهم ، وأوجه[2] إلينا وجه عذرهم ، وأنهم ربما سيروا إلينا حال دخولهم إلى الديار المصرية ، رسلا لإصلاح تلك القضية . فبقينا بدمشق غير متحنثين ، وتنبطنا تنبط المتملكين المتمكنين . فصدهم عن السعى فى صلاح حالهم التوانى ، وملّوا نفوسهم عن اليقين بالأمانى .

ثم بلغنا ، بعد عودنا إلى بلادنا ، أنهم ألقوا فى قلوب العساكر والعوام ، وراموا جبر ما أوهنوا من الإسلام ، أنهم فيما بعد يلقوننا[3] على حلب أو الفرات . وأن عزمهم مصر على ذلك لا سواه . فجمعنا العساكر وتوجهنا للقياهم . ووصلنا الفرات مرتقبين ثبوت دعواهم ، وقلنا ولعلهم وعساهم[4] . فما طلع لهم بارق ، ولا ذرّ شارق . فتقدمنا[5] إلى أطراف حلب ، وتعجبنا من بطئهم غاية العجب . فبلغنا رجوعهم[6] بالعساكر ، وتحققنا نكوصهم عن الحرب . وفكرنا فى أنه متى تقدمنا بعساكرنا الباهرة وجموعنا العظيمة القاهرة ، ربما أخرب البلاد مرورها ، وباقامتهم فيها فسدت أمورها . وعم الضرر العباد ، والخراب البلاد . فعدنا بُقْيا عليها ، ونظرة لطف من الله إليها .

(١) سورة الأعراف : آية ٩٩

(٢) كذا فى الأصل ، وفى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩١ .

(٣) فى بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٢ .

(٤) فى الأصل ولعل ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٢

(٥) فى الأصل ، فقدمنا ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٢ .

(٦) فى الأصل رجوعه ، وما هنا من بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٢ .

وها نحن الآن [أيضا](١) مهتمون بجمع العساكر المنصورة ، ومشحذون(٢) غرار(٣) عزماتنا المشهورة ، ومشتغلون بصنع المجانيق وآلات الحرب ، وهازمون بعد الإنذار ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾(٤)

وقد سيرنا حاملي هذا الفرمان : الأمير الكبير ناصر الدين على خواجه ، والإمام العالم ملك القضاة ، كمال الدين موسى بن يونس . وقد حملناهما كلاما يشافههم(٥) به . فليثقوا(٦) بما تقدمنا به إليهما . فإنهما من الأعيان المعتمد عليهما ، لنكون كما قال الله تعالى: ﴿ قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين ﴾(٧) . فيعدوا(٨) لنا الهدايا والتحف . فما بعد الإنذار من عاذر . وإن لم يتداركوا الأمر ، فدماء المسلمين وأموالهم مطلولة(٩) بتدبيرهم ، ومطلوبة منهم عند الله على طول(١٠) تقصيرهم .

---

(١) الإضافة من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٢ .

(٢) فى الأصل مشحذون ، وما هنا من بيبرس الدوادار جـ ٩ ، ص ٣٩٢ .

(٣) فى الأصل هرار ، وما هنا من بيبرس الدوادار جـ ٩ ، ص ٣٩٢ .

(٤) سورة الإسراء : آية ١٥ .

(٥) فى الأصل تشافههم ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٢ .

(٦) فى الأصل فليثقوا ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٢ .

(٧) سورة الأنعام : آية ١٤٩ .

(٨) فى الأصل فتعدوا ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٣ .

(٩) كذا فى الأصل وفى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٣ .

(١٠) فى الأصل فى ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٣ .

فليمعن السلطان لرعيته النظر فى أمره . فقد قال صلى الله عليه وسلم : « من ولاه الله أمرا من أمور هذه الأمة ، واحتجب دون حاجتهم وخلّتهم وفقرهم . احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره » . وقد أعذر من أنذر ، وانصف من حذّر . والسلام على من اتبع الهدى .

كتب فى العشر الأوسط من شهر رمضان سنة سبعمائة بجبال الأكراد ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا [محمد](١) المصطفى وآله الطاهرين(٢) .

فقرئ كتابه ، ورسم بإنشاء جوابه ، فكتب . وهو من إنشاء المولى القاضى علاء الدين على ابن المولى المرحوم فتح الدين محمد ابن القاضى المرحوم محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر . وأعاد السلطان رسله ، من غير أن تصحبهم رسولا ، بل استحضرهم بمنزلة الصالحية ، وأنعم عليهم وجهزهم ، فتوجهوا فى سنة إحدى وسبعمائة .

ونسخة الجواب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، بقوة الله تعالى ، وميامين الملة المحمدية .

أما بعد حمد الله ، الذى جعلنا من السابقين الأوّلين ، الهادين المهتدين ، التابعين لسنة سيد المرسلين ، بإحسان إلى يوم الدين . والصلاة على سيدنا محمد والسلام على آله وصحبه الذين فضل الله من سبق منهم إلى الإيمان فى كتابه

(١) الإضافة من بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ١ ، ص ٣٩٣ .

(٢) هذه الرسالة مطابقة لرسالة الواردة فى بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩١ — ٣٩٣ .

المكنون ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿والسابقون السابقون أولئك المقربون﴾[1] بإقبال دولة السلطان الملك الناصر .

كلام محمد بن قلاوون :

« ليعلم[2] السلطان المعظم ، محمود غازان ، أن كتابه ورد ، فقابلناه بما يليق بمثلنا لمثله من الإكرام . ورعينا له حق القصد ، فتلقيناه منّا بسلام . وتأملناه تأمّل المتفهم لدقائقه ، المستكشف عن حقائقه . فألفيناه قد تضمن مؤاخذت[3] بأمور ، هم بالمؤاخذه عليها أحرى ، معتذرا فى التعدى بما جعله ذنوبا لبعض ، طالب بها الكل . والله تعالى يقول : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾[4] .

أما حديث إغارة من أغار على ماردين من رجّالة بلادنا المتطرفة ، وما نسبوه إليهم من [الإقدام[5] على] الأمور البديعة والآثام[6] الشنيعة ، وقولهم : إنهم أنفوا من تهجمهم ، وغاروا من تقحمهم ، واقتضت الحميّة ركوبهم فى مقابلة ذلك ، فقد تلمّحنا هذه الصورة التى أفاموها عذرا فى العدوان ، وجعلوها سببا إلى ما ارتكبوه من طغيان . والجواب عن ذلك أن الغارات من الطرفين ، لم يحصل من المهادنه [و][7] الموادعة ، ما يكف يدها الممتدة ، ولا يفتر همهما المستعدّة . وقد

(١) سورة الواقعة : آية ١٠ ، ١١ .

(٢) فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ص ، ٣٩٦ فليعلم بكتابك فى صبح الأعشى جـ ٧ ص ٢٤٣ (المصحح) .

(٣) فى زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٦ مؤاخذة (المصحح) .

(٤) سورة الأنعام : آية ١٦٤ .

(٥) الإضافة من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٦ .

(٦) فى الأصل الآثار ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٦ . وصبح الأعشى جـ ٧ . ص ٢٤٤ (المصحح) .

(٧) الإضافة من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٦ .

كان أباؤكم وأجدادكم على ما علمتم من الكفر والشقاق[1]، وعدم المصافاة للإسلام والوفاق. ولم يزل ملك ماردين ورعيته منفذين[2] ما يصدر[3] من الأذى للبلاد والعباد عنهم، متولين كبر مكرهم، والله تعالى يقول: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم﴾[4]. وحيث جعلتم هذا ذنبا، موجبا للحمية الجاهلية، وحاملا على الانتصار، الذى زعمتم أن همتكم به ملية[5]، فقد كان [هذا] القصد، الذى ادعيتموه[6]، يتم[7] بالانتقام من أهل تلك الأطراف، التى أوجب ذلك فعلها، والافتصار على أخذ الثأر ممن ثار اتباعا لقوله تعالى: ﴿وجزاء سيئة سيئة مثلها﴾[8]، لا أن تقصدوا الإسلام بالجموع الملفقة[9]، على اختلاف الأديان وتطأوا البقاع الطاهرة بعبدة الصلبان، وتنتهكوا حرمة البيت المقدس، الذى هو ثانى بيت الله الحرام[10]، وشقيق مسجد رسول الله، عليه الصلاة والسلام. وإن احتججتم أن زمام الغارة بيدنا[11]، وسبب تعديهم من سننا. فقد أوضحنا الجواب عن ذلك، وأن عدم الصلح والموادعة، أوجب سلوك هذه المسالك».

(١) فى بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة جـ ٩ ص ٣٩٦، النفاق (المصحح).

(٢) فى بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة جـ ٩، ص ٣٩٧ ورعاياه.

(٣) فى الأصل متعدين، وما هنا من بيبرس الدوادار جـ ٩، ص ٣٩٧ وصبح الأعشى جـ ٧ ص ٢٤٤ (المصحح).

(٤) سورة المائدة: آية ٥١.

(٥) الإضافة من بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة جـ ٩، ص ٣٩٧ وصبح الأعشى جـ ٧، ص ٢٤٤ (المصحح).

(٦) فى الأصل اذعتموه، وما هنا من بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة جـ ٩، ص ٣٩٧، وصبح الأعشى جـ ٧ ص ٢٤٤.

(٧) فى الأصل أتم، وما هنا من بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة جـ ٩، ص ٣٩٧ وصبح الأعشى جـ ٧، ص ٢٤٤

(٨) سورة الشورى: آية ٤٠.

(٩) فى الأصل وتطوا، وما هنا من بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة جـ ٩، ص ٣٩٧

(١٠) فى الأصل الديارة، وما هنا من صبح الأعشى جـ ٧ ص ٢٤٤ (المصحح).

(١١) فى الأصل بيدينا، وما هنا من بيبرس الدوادار، زبدة الفكرة جـ ٩، ص ٣٩٧.

وأما ما ادعوه من سلوك سنن المرسلين واقتفاء آثار المتقدمين ، فى انفاذ الرسل أولا ، فقد تلمحنا هذه الصورة ، وفهمنا ما أوردوه من الآيات[1] المسطورة . والجواب عن ذلك أن هؤلاء الرسل ما وصلوا إلينا [إلا][2] وقد دنت الخيامُ من الخيام ، وناضلت السهام السهام ، وشارف القومُ القوم . ولم يبق للقاء إلا يومٌ أو بعضُ يوم ، وأشرعت[3] الأسنةُ من الجانبين ، ورأى كلُّ خصمه رأى العين . وما نحن ممن لاحت[4] له رغبة راغب ، فتشاغل عنها ولهى ، ولا ممن يُسالم فيقابل[5] ذلك بجفوة النفار[6] ، والله تعالى يقول : ﴿ وإن جنحوا للسلم فاجنح لها[7] ﴾ . كيف والكتاب بعنوانه . وأمير المؤمنين على بن أبى طالب ، رضى الله عنه ، يقول : « ما أضمر إنسانٌ شيئا إلا ظهر ، فى صفحات وجهه وفلتات لسانه » .

ولو كان حضور هؤلاء الرسل والسيوفُ وادعةٌ فى أغمادها ، والأسنة[8] مستكنّة فى أعوادها ، والسهام غير مفوقة ، والأعنة غير مطلقة ، لسمعنا خطابهم وأعدنا جوابهم .

---

(١) فى الأصل الآثار ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٧ .

(٢) الإضافة من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٧ .

(٣) فى الأصل اسرعت ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ٣٩٧ .

(٤) فى الأصل لاحب ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٧ .

(٥) فى الأصل فيقاتل ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٧ .

(٦) فى الأصل البقار ، وما هنا من زبدة الفكرة فى تاريخ الهجرة جـ ٩ ، ص ٣٩٧ .

(٧) سورة الأنفال : آية ٦١ .

(٨) فى الأصل والألسنة ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٧ .

وأما ما أطلقوا به لسان قلمهم (١) ، وأبدوه من غليظ كلمهم فى قولهم : فصَبِّرْنا على تماديكم فى غيكم ، وإخلادكم إلى بَغْيكم . فأىُّ صبر ممن أرسل عنانه إلى المكافحه ، قبل إرسال رسل المصالحه ، وجاس خلال الديار قبل ما زعمه من الإنذار والأعذار ؟ وإذا فكروا فى هذه الأسباب ، ونظروا فيما صدر عنهم من خطاب ، علموا (٢) العذر فى تأخير (٣) الجواب ، وما يتذكر (٤) إلا أولوا الألباب .

وأما ما تحججوا (٥) به مما (٦) اعتقدوه من نصره ، وظنّوه من أن الله جعل لهم على حزبه الغالب [فى] (٧) كل كرةٍ الكرة . . فلو تأملوا ما ظنوه ربحا ، لوجدوه هو الخسران المبين . ولو أنعموا النظر فى ذلك ، لما كانوا به مفتخرين ، ولتحقّقوا أن الذى انفق لهم ، كان غرما (٨) لا غُنما ، وتدبروا معنى قوله تعالى ، ﴿ إنما نُملى لهم ليزدادوا إثما (٩) ﴾ . ولم يخف عنهم من أبلته (١٠) السيوف الإسلامية منهم . وقد رأوا عزم من حضر من عساكرنا ، التى لو كانت مجتمعه عند اللقاء ، ما ظهر خبر عنهم .

(١) فى الأصل قدمهم ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٨ .

(٢) فى الأصل عملوا ، وما هنا من بيبرس الدوادار ؛ زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٨ .

(٣) فى الأصل تأن ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٨ .

(٤) فى الأصل يذكر ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٨ .

(٥) فى صبح الأعشى جـ ٧ ، ص ٢٤٥ تبجحوا (المصحح)

(٦) فى الأصل فيا ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٨ .

(٧) الإضافة من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٨ .

(٨) فى الأصل عزما ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٨

(٩) سورة آل عمران : آية ١٧٨

(١٠) فى الأصل افلته ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٩ وفى صبح الأعشى جـ ٧ ، ص ٢٤٥ نالته (المصحح)

فإنا كنا فى مقتنع ملكنا ، ومبتدإ أمرنا ، حللنا بالشام للنظر فى أمور البلاد والعباد. فلما تحققنا خبركم ، وقفونا أثركم ، بادرنا نقد[1] أديم الأرض سيرا ، وأسرعنا لندفع عن المسلمين ضررا وضيرا ، ونؤدى من الجهاد السنة والفرض ونعمل بقوله تعالى: ﴿ وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض[2] ﴾ فاتفق اللقاء بمن حضر من عساكرنا المنصورة ، وثوقا بقوله تعالى: ﴿ كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة[3] ﴾ وإلا فأكابركم[4] يعلمون وقائع الجيوش الإسلامية ، التى كم وطئت موطئا يغيظ الكفار. فكُتِب لها [به][5] عمل صالح ، وسارت فى سبيل الله ، ففتح الله عليها أبواب المناجح . وتعددت أيام نصرتها[6] ، التى لو دققتم الفكر فيها لأزالت ما حصل عندكم من لبس ، ولما قدرتم [على][7] أن تنكروها ، وفى تعب من يجحد ضوء الشمس . ومازال الله لنا نعم المولى ونعم النصير. وإذا راجعتموهم قصّوا عليكم نبأ الاستظهار ، ولا ينبئك مثل خبير .

وما زالت تتفق الوقائع بين الملوك والحروب ، وتجرى المواقف التى هى بتقدير الله ، فلا فخر فيها للغالب ، ولا عار على المغلوب . وكم من ملك استظهر عليه ،

---

(١) فى الأصل بقد ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٣٩٩

(٢) سورة آل عمران : آية ١٣٣ .

(٣) سورة البقرة : آية ٢٤٩ .

(٤) فى الأصل فأكثركم ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ص ٣٩٩ .

(٥) الإضافة من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ص ٣٩٩

(٦) فى الأصل نصرها ، وما هنا من بيبرس الدوادار زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٣٩٨

(٧) الإضافة من بيبرس الدوادر : زبدة الفكرة ج ٩ : ص ٣٩٨ وفى صبح الأعشى ج ٧ ، ص ٢٤٦ بدون تلك الإضافة (الصحح)

ثم نصر[1] ، وعاوده التأييد . فجبر بعدما كسر ، خصوصا ملوك هذا الدين ، فإن الله تكفل لهم بحسن العقبى . فقال سبحانه : ﴿ والعاقبة للتقين[2] ﴾ .

وأما إقامتهم الحجة علينا ، ونسبتهم التفريط إلينا ، فى كوننا لم نُسَيِّرْ إليهم رسولا ، عندما حلوا[3] بدمشق فنحن عندما وصلنا إلى الديار المصرية ، لم نزد على أن اعتددنا[4] وجمعنا جيوشنا من كل مكان ، وبذلنا فى الاستعداد غاية الجهد والإمكان وأنفقنا جزيل الأموال فى العساكر والجحافل ، ووثقنا بحسن الخلف ، لقوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل[5] ﴾ .

ولما خرجنا من الديار المصرية ، وبلغنا خروج الملك من البلاد ، لأمر حال بينه وبين المراد ، توقفنا[6] عن المسير ، توقف من أغنى رُعْبُه عن حث الركاب ، وتثبتنا تثبت الراسيات ﴿ وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب[7] ﴾ وبعثنا طائفة من العساكر لمقاتلة من أقام بالبلاد ، فما لاح لنا منهم بارق ولا ظهر . وتقدمت فتخطفت من حمله على التأخر الغرر ، ووصلت الفرات فما وقفت القوم على أثر .

---

(١) فى الأصل قصر ، وما هنا من بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ : ص ٣٩٩

(٢) سورة القصص : آية ٨٣

(٣) فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٣٩٩ : : عند حلولنا .

(٤) فى صبح الأعشى جـ ٧ ، ٢٤٦ ، اعتدينا (المصحح)

(٥) سورة البقرة : آية ٢٦١

(٦) فى الأصل فوقفنا : وما هنا من بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ : ص ٤٠٠

(٧) سورة النمل : آية ٨٨

وأما قولهم : أننا ألقينا فى قلوب العساكر والعوام ، أنهم فيما بعد يلتقوننا[(١)] على حلب أو الفرات ، وأنهم جمعوا العساكر ورحلوا[(٢)] إلى الفرات وإلى حلب ، مرتقبين وصولنا . فالجواب عن ذلك ، أنه من حين بلغنا حركتهم ، جزمنا ، وعلى لقائهم عزمنا[(٣)] ، وخرجنا وخرج أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله ، ابن عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الواجب الطاعة على كل مسلم ، المفترض المبايعة والمتابعة على كل منازع ومسلم ، طائعين لله ولرسوله فى أداء فرض[(٤)] الجهاد ، باذلين فى القيام بما أمرنا الله تعالى غاية الاجتهاد ، عالمين أنه لا يتم أمر دين ولا دنيا إلا بمشايعته . ومن والاه[(٥)] فقد خفظه الله وتولاه . ومن عانده أو عاند من أقامه ، فقد أذله الله .

فحين وصلنا إلى البلاد الشامية ، تقدمت عساكرنا إلى[(٦)] السهل والجبل ، وتبلغ بقوة الله تعالى فى النصر الرجاء والأمل . ووصلت أوائلها إلى أطراف حماه وتلك النواحى[(٧)] ، فلم يقدم أحدمنهم عليها . ولا جسر أن يمد [حتى][(٨)] ولا الطرف إليها . فلم نزل مقيمين ، حتى بلغنا رجوع الملك إلى البلاد ، وإخلافه موعد اللقاء ، والله لا يخالف الميعاد . فعدنا لا ستعداد جيوشنا التى لم تزل تندفع فى

(١) فى الأصل يلتقونا ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٤٠٠ فى صبح الأعشى ج ٧ ، ص ٢٤٧ يتلقونا (المصحح) .

(٢) فى الأصل ووصلوا : وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ص ٤٠٠

(٣) فى الأصل عرضا ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكر ج ٩ : ص ٤٠٠

(٤) فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٤٧ مفترض (المصحح) .

(٥) فى الأصل ولاه : وما هنا من بيبرس الدوادز : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٤٠٠

(٦) فى صبح الأعشى ج ٧ ص ٢٤٧ تملأ (المصحح) .

(٧) فى الأصل اللواحى : وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٤٠٠

(٨) الإضافة من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ج ٩ ، ص ٤٠٠ وكذلك صبح الأعشى ج ٧ ، ص ٢٤٧ (المصحح) .

ولما اتصل خبر تجريد العسكر بصاحب سيس ، جهز رسله إلى الأبواب السلطانية ، يستعطف السلطان ، ويسأل مراحمه ، فلم تُجْدِ[1] رسالته نفعا . ووصلت هذه العساكر إلى حلب . وأردف السلطان هذه العساكر بالأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، أحد مقدمى العساكر بالديار المصرية ، ومضى فيه ، فخرج مسرعا ، وأدرك الجيش بحلب . وجرد من العسكر الحلبى الأمير علم الدين المعروف بالزغلى و[الأمير علم الدين سنجر الحلبى[2]]، ومضافيهما . وتوجهت هذه الجيوش بجملتها إلى بلاد سيس . فلما نزلوا بالعمق ، افترقت العساكر فرقتين . فتوجه الأمير بدر الدين بكتاش ، أمير سلاح ، والأمير حسام الدين أستاذ الدار ، والأمير ركن الدين الجالق ، والأمير بهاء الدين قرا أرسلان ، والعسكر الصفدى من عقبة بغراس إلى باب اسكندرونة ، ونازلوا تل حمدون . وتوجه الملك المظفر صاحب حماه ، والأمير علم الدين سنجر الدوادارى ، والأمير شمس الدين آفسنقر كرتاى[3] ، وبقية الجيش من عقبة المريت[4] . وصار نهر جيهان[5] بين الفريقين وكان دخولهم إلى درند سيس ، فى يوم الخميس ، رابع شهر رجب .

---

(١) فى الأصل يجد ، وماهنا به يستقيم المعنى .

(٢) فى الأصل الحلبى ، وماهنا هو الاسم بالكامل ، المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٨

(٣) فى الأصل كرتيه ، وما هنا من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٨

(٤) فى الأصل عقبة المربى ، وماهنا من

Howorth: History of the Mangols Part III p.430

حيث أوردها بالرسم Merit

(٥) فى الأصل بهر ، وماهنا من المقريزى : السلوك حـ ١ ، ص ٨٣٨ ، وهو المعروف بنهر جيحان ، الذى ينبع من مرتفعات أرمينية الصغرى ، ويصب فى البحر المتوسط فى خليج أياس ، انظر لسترنج بلدان الخلافة الشرقية ص ١٦٣ — ١٦٤ .

إلى أحد من المسلمين يد أضراره . هذه سنة أهل الإسلام ، وفعل من يريد لملكه الدوام .

وأما ما أرعدوا به وأبرقوا ، وأرسلوا به عنان قلمهم وأطلقوا ، وما أبدوه[1] من الاهتمام بجمع عساكرهم ، وتهيئة المجانيق ، إلى غير ذلك مما ذكروه من التهويل ، فالله تعالى يقول : ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل[2]﴾ .

وأما قولهم : وإلا فدماء المسلمين مطلوله ، فما كان أغناهم عن هذا الخطاب ، وأولاهم بأن [لا][3] يصدر إليهم عن ذلك جواب ، ومن قصد[4] الصلح والإصلاح ، كيف يقول هذا القول ، الذى عليه فيه من جهة الله ، ومن جهة رسوله أى جناح؟ . وكيف يضمر هذه النية ، ويتبجح بهذه الطوية ؟ ولم يخف مواقع الزلل [من[5]] هذا القول وخلله ، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول « نية المرء أبلغ من عمله » . وبأى طريق تهدر دماء المسلمين ، التى من تعرض إليها ، يكون الله له فى الدنيا والآخرة مطالبا وغريما ، ومؤاخذا بقوله تعالى : ﴿ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما[6]﴾ .

وإذا كان الأمر كذلك ، فالهشرى لأهل الإسلام ، بما نحن عليه من الهمم المصروفة إلى الاستعداد ، وجمع العساكر التى يكون لها الملائكة الكرام ،

(١) فى الأصل أنذروا ، وما هنا من بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٤٠٢ وفى صبح الأعشى جـ ٧ ، ص ٢٤٨ ، أبدوا (المصحح) .

(٢) سورة آل عمران : آية ١٧٣ .

(٣) الإضافة من صبح الأعشى جـ ٧ ، ص ٢٤٨ (المصحح) .

(٤) فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٤٠٢ قصدة .

(٥) الإضافة يتطلبها السياق .

(٦) سورة النساء : آية ٩٣ .

إن شاء الله تعالى من الأنجاد، والاستكثار من الجيوش الإسلامية المتوفرة العدد، المتكاثرة المدد، الموعودة بالنصر، الذى يحفها فى الظعن والإقامة، الواثقة بقوله صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على عدوهم إلى يوم القيامة». المبلغة فى نصر دين الله آمالا، المستعدة لإجابة داعى الله إذ قال: ﴿انفروا خفافا وثقالا﴾[1].

وأما رسلهم، وهم [فلان وفلان][2]، فقد وصلوا إلينا، ووفدوا علينا، وأكرمنا وفادتهم، وعززنا لأجل مرسلهم من الإقبال مادتهم، وسمعنا خطابهم، وأعدنا جوابهم هذا، مع كوننا لم يخف علينا انحطاط قدرهم، ولا ضعف أمرهم. وأنهم ما دفعوا لأفواه الخطوب إلا لما ارتكبوه من ذنوب. وما كان ينبغى أن يُرسَل مثل هؤلاء لمثلنا من مثله. ولا يندب لهذا الأمر المهم إلا من يُجمع على فصل خطابه وفضله.

وأما ما التمسوه من الهدايا والتحف، فلو قدموا من هداياهم حسنة، لعوضناهم بأحسن منها. ولو أتحفونا بتحفة لقابلناهم[3] بأجل عوض عنها. وقد كان عمهم الملك أحمد[4]، راسل والدنا السلطان الشهيد وناجاه[5] بالهدايا [والتحف][6] من مكان بعيد. وتقرب إلى قلبه بحسن الخطاب، فأحسن له الجواب، وأتى البيوت من أبوابها، بحسن الأدب، وتمسك من الملاطفة بأقوى سبب.

(١) سورة التوبة: آية ٤١.
(٢) الإضافة من بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة جـ ٩، ص ٤٠٣.
(٣) فى صبح الأعشى، جـ ٧، ص ٢٤٩ لقابلناها (المصحح).
(٤) المقصود هنا السلطان أحمد تكدار. انظر ما سبق.
(٥) فى الأصل، وفاجاه، وما هنا من بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة جـ ٩، ص ٤٠٣.
(٦) الإضافة من بيبرس الدوادار: زبدة الفكرة جـ ٩، ص ٤٠٣ وصبح الأعشى جـ ٧، ص ٢٤٩ (المصحح).

والآن، فحيث انتهت الأجوبة إلى حدها، وأدركت الأنفة من مقابلة ذلك الخطاب غاية قصدها، فنقول: إذا جنح الملك للسلم، جنحنا لها، وإذا دخل في الملّة المحمدية، ممتثلا ما أمر الله به، مجتنبا ما عنه نهى، وانضم في سلك الإيمان، وتمسك بموجباته، تمسك المتشرف بدخوله فيه لا المنانّ، وتجنّب التشبه بمن قال الله عز وجل في حقهم: ﴿ قل لا تمنّوا علي إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان ﴾[٢]. وطابق فعله قوله، ورفض الكفار الذين لا يحل له أن يتخذهم حوله، وأرسل إلينا رسولا من جهته يرتّل آيات الصلح ترتيلا، ويروق خطابه وجوابه، حتى يتلو كل أحد عند عوده ﴿ يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا ﴾[٣]. صارت حجّتنا وحجّته المركبة على[٤] من خالف ذلك، وكلمتنا وكلمته قامعة أهل الشرك في سائر الممالك، ومظافرتنا له تكسب[٥] الكافرين هوانا، والمشاهد لتصافينا يتلو قوله تعالى: ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا ﴾[٦]. وينتظم إن شاء الله تعالى شمل الصلح، أحسن انتظام. ويحصل التمسك من الموادعة والمصافاة[٧] بعروة ولا انفصال لها ولا انفصام. وتستقر قواعد الصلح، على ما يرضى الله ورسوله علية أفضل الصلاة والسلام، إن شاء الله تعالى.

(١) في صبح الأعشى، ج ٧، ص ٢٤٩ انتظم (المصحح).

(٢) سورة الحجرات، آية ١٧

(٣) سورة الفرقان: آية ٢٧.

(٤) في صبح الأعشى ج ٧، ص ٢٥٠ مركبة (المصحح).

(٥) في الأصل بكسب، وما هنا من بورس الدوادار: زبدة الفكرة ج ٢٩ ص ٤٠٤

(٦) سورة آل عمران: آية ١٠٣.

(٧) في الأصل والمضافرة، وما هنا من بورس الدوادار: زبدة الفكرة ج ٩، ص ٤٠٤ وفي صبح الأعشى ج ٧، ص ٢٥٠ المظافرة (المصحح).

كتب فى ثامن وعشرين المحرم سنة إحدى وسبعمائة (١) .

وفى سنة سبعمائة ، ولى الأمير فارس الدين البكى الساقى نيابة السلطنة بحمص .

وفيها ، توجه الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وزير الدولة ومدبرها ، إلى الممالك الشامية لكشفها ، ووصل إلى المملكة الحلبية ، وعاد إلى الديار المصرية ، فى سنة إحدى وسبعمائة ، وعزل عن الوزارة فى غيبته (٢) .

وفيها ، توجه الأمير سيف الدين بكتمر الجوكان دار ، أمير جاندار ، إلى الحجاز الشريف ، وتصدق بصدقات عظيمة . فيقال إنه أنفق فى هذه السفرة خمسة وثمانين ألف دينار عينا (٣) .

وفى هذه السنة ، توفى الأمير عز الدين ايدمر الظاهرى ، وهو الذى ناب عن السلطنة بالشام ، فى الدولة الظاهرية والسعيدية . وكانت وفاته برباطه بجبل الصالحية ، فى يوم الأربعاء ثانى شهر ربيع الأول ودفن هناك رحمه الله تعالى (٤) .

وفيها ، توفى الشيخ زين الدين عبد الرحمن ابن الشيخ برهان الدين إبراهيم بن سعد الله بن جماعة ، أخو قاضى القضاة بدر الدين . وكانت وفاته بحماه فى سابع

---

(١) هذا الكتاب يطابق ماورد فى بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ص ٣٩١ — ٤٠٤ ، والقلقشندى ، صبح الأعشى جـ ٧ ص ٢٤٢ — ٢٥٥ .

(٢) انظر : تاريخ سلاطين المماليك ص ٩٧ ، والمقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩١٧ ، بيبرس الدوادار ، زبدة الفكرة جـ ٩ ، ص ٤٠٥ .

(٣) المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩١٧ .

(٤) تاريخ سلاطين المماليك ص ٩٥ ، المقريزى : السلوك جـ ١ ، ص ٩١٧

واستهلت ثمان وتسعين وستمائة

[٦٩٨ - ١٢٩٨ / ١٢٩٩]

فى هذه السنة ، فى أولها جهز السلطان الأمير جمال الدين أقش الأفرم ، والأمير سيف الدين حمدان بن صلغاى[1] إلى الشام ، وأمرهما أن يتوجها إلى دمشق ، ويخرجا نائب السلطنة الأمير سيف الدين قبجاق[2] وبقية العسكر إلى البلاد الحلبية . فوصلا إلى دمشق على خيل البريد ، فى يوم الأربعاء سابع المحرم. فتجهز الأمير سيف الدين قبجاق نائب السلطنة ، وخرج بسائر عساكر دمشق حتى بحيرة القلعة ، وجماعة الأمير علم الدين سنجر أرجواش نائب القلعة ، وتأخر بدمشق الأمير سيف الدين جاغان . وكان خروج نائب السلطنة من دمشق ، فى عشية الأربعاء ، رابع عشر المحرم ، وبات بالميدان الأخضر . وركب فى بكرة النهار ، وتوجه بالعساكر إلى جهة حمص . وكان سبب هذه الحركة ظاهرا ، أن السلطان بلغه أن التتار قد عزموا على الدخول إلى البلاد الإسلامية بالشام . وعلم الأمير سيف الدين قبجاق ، أن الأمر ليس كذلك . فإن القصاد قبل ذلك بيسير ، حضروا إليه من بلاد الشرق ، وأعلموه أن التتار كانوا قد تجهزوا وعزموا على الحضور إلى الشام . فلما كانوا باثناء الطريق ، وقعت عليهم صواعق كثيرة ، وأهلكت منهم خلقا كثيرا ، فتفرقوا فى مشاتيهم ، ولم يرد خلاف ذلك .

---

(١) فى بيبرس الدوادار : زبدة الفكرة ص ٣٢٦ صلغيه

(٢) فى المقريزى : السلوك ج ١ ، ص ٨٥٣ قبجق

كمل الجزء التاسع والعشرون من كتاب

نهاية الأرب فى فنون الأدب

وافق الفراغ من كتابته ، فى يوم الاثنين السادس من شهر رمضان سنة ست وستين وستمائة[1] ، على يد الفقير إلى الله تعالى عبد المنعم بن شرف الدين السنبلاوينى .

يتلوه إن شاء الله تعالى فى أول السفر الموفى ثلاثين

واستهلت سنة إحدى وسبعمائة للهجرة النبوية

والحمد لله وحده ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا ،

وحسبنا الله ونعم الوكيل

---

(١) كذا فى الأصل ، وهذا التاريخ ليس دقيقا ، فالمعروف أن النويرى قد ولد سنة ٦٧٧ ، فليس معقولا أن تجرى الكتابة ، والنويرى لم يولد بعد .

فهرس موضوعات الجزء الحادى والثلاثون من كتاب نهاية الأرب للنويرى

تقديم ٥

ذكر أخبار السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون الألفى الصالحى النجمى ٧

ذكر عزل الصاحب برهان الدين السنجارى عن الوزارة، وتفويضها للصاحب فخر الدين إبراهيم بن لقمان، وغير ذلك ١٢

ذكر أخبار الأمير شمس الدين سنقر الأشقر وخروجه عن طاعة السلطان، وسلطنته بدمشق، وما كان من أمره إلى أن عاد للطاعة، ورجع إلى الخدمة السلطانية ١٤

ذكر التقاء العسكر المصرى والعسكر الشامى وانهزام عسكر الشام، وأسر من يذكر من أمرائه فى المرة الأولى ١٥

ذكر تجريد العساكر إلى دمشق، وحرب سنقر الأشقر وانهزامه، وإخلائه دمشق، ودخول العسكر المصرى إليها ١٧

ذكر توجه الأمير شمس الدين سنقر الأشقر إلى صهيون وتحصنه بقلعتها ٢٠

ذكر انتظام الصلح بين السلطان الملك المنصور وبين سنقر الأشقر ، وما استقر بينهما وانتقاض ذلك وأخذ صهيون منه ٢١

ذكر خبر الملك السعيد وما كان من أمره بالكرك واستيلائه على الشوبك واستعادتها منه ٢٤

ذكر وفاة الملك السعيد ، وقيام أخيه الملك المسعود خضر مقامه بالكرك ٢٥

ذكر الصلح بين السلطان والملك المسعود وانتقاض ذلك ، وإخراجه من الكرك ٢٧

ذكر الفتوحات والغزوات التى شهدها السلطان بنفسه والتى ندب إليها عساكره المؤيده

ذكر عبور التتار إلى الشام ، والمصاف الذى وقع بينهم وبين العساكر المنصورة بحمص وانهزام التتار ٣٠

ذكر الميمنة المنصورة ٣٣

ذكر الجاليش ، وهو مقدمة القلب ٣٣

ذكر فتوح قلعة قطيا ٣٧

ذكر فتوح ثغر الكخثا ٣٨

ذكر الإغارة على بلاد سيس ٣٨

ذكر فتوح حصن المـرقب ٣٩
ذكر غزوتى النوبة الأولى والثانية ٣٩
ذكر تجريد الجيش فى المـرة الثانية إلى النوبة ٤١
ذكر فتوح طرابلس الشام ٤٦
ذكر أخبار طرابلس الشام ، منذ فتحها المسلمون فى خلافة عثمان إلى وقتنا هذا ٤٩
ذكر ما اتفق فى الدولة المنصورية على حكم السنين خلاف ما ذكرناه من إقامة النواب ، ومهادنة الفرنج ، والحوادث الغريبة ، التى يتعين إيرادها ، والوفيات سنة ثمـان وسبعين وستمائة ٦١
سنة تسع وسبعين وستمائة ٦٤ — ٧٢
ذكر ما تجـدد بدمشق بعد أن فارقها الأمـير شمس الدين سـنقر الأشقر ٦٤
ذكر عزل قاضى القضاة شمس الدين أحمد بن خلكان عن القضاة بدمشق واعادته ، وما اتفق فى هذه السنة الحادثه ٦٥
ذكر تفويض السلطنة ولاية العهـد للملك الصالح علاء الدين على ابن السلطان الملك المنصور ٦٨
ذكر توجه السلطان إلى غزة ، وعوده إلى الديار المصرية ٦٩
ذكر توجه السلطان إلى الشام ٧٠

سنة ثمانين وستمائة ٧٣ — ٨٦

ذكر ما تقرر من المهادنات مع الفرنج وبيت الاسبتار ٧٣

ذكر حادثة الأمير سيف الدين كوندك ومن معه ، والقبض عليه... ٧٧

ذكر وفاة قاضى القضاة تقى الدين رزين ، وولاية القاضى وجيه الدين ، واستعفائه من قضاء القاهرة ، وولاية القاضى شهاب الدين الحوبى... ... ... ٨٢

سنة إحدى وثمانين وستمائة ٨٧ — ٩٤

ذكر تفويض نيابة السلطنة بحلب للأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى ٨٧

ذكر وصول رسل أحمد سلطان ، وهو توكدار بن هولاكو ، ملك التتار ٨٩

ذكر الظفر بملك من ملوك الكرج وإمساكه... ... ... ٩١

سنة اثنتين وثمانين وستمائة ٩٥ — ١١٨

ذكر توجه السلطان إلى الشام وعوده ٩٦

ذكر عزل قاضى القضاة عز الدين بن الصائغ الشافعى عن القضاء ، وتولية قاضى القضاة بهاء الدين يوسف بن الزكى ٩٧

ذكر وصول الشيخ عبد الرحمن ومن معه من جهة أحمد سلطان ، ووفاة مرسلهم ، وما كان من خبرهم ٩٩

ذكر عمارة التربة المنصورية والبيمارستان ومكتب السبيل ١٠٥

العودة إلى بقية حوادث سنة اثنتين وثمانين وستمائة ١١٣

سنة ثلاث وثمانين وستمائة ١١٩ — ١٢٤

ذكر توجه السلطان إلى الشام ١١٩

ذكر حادثة السيل بدمشق ١١٩

ذكر وفاة الأمير شرف الدين عيسى بن مهنا وشيء من أخباره ،

وأمر ولده الأمير حسام الدين مهنا ١٢٠

ذكر وفاة الملك المنصور صاحب حماه وولاية ولده الملك المظفر ... ١٢١

سنة أربع وثمانين وستمائة ١٢٥ — ١٢٨

ذكر مولد السلطان الملك الناصر ١٢٥

سنة خمس وثمانين وستمائة ١٢٩ - ١٤٣

ذكر حادثة غريبة اتفقت بحمص ١٢٩

ذكر توجه السلطان إلى الكرك وما رتبه من أمر النيابة وعوده ... ١٣٢

ذكر وفاة قاضي القضاة وجيه الدين ، وتفويض القضاة بمصر

والوجه القبلي ، لقاضي القضاة تقي الدين بن بنت الأعز ١٣٣

ذكر وفاة قاضي القضاة تقي الدين بن شاس المالكي ، وتفويض

القضاة لقاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف المالكي ١٣٣

ذكر وفاة قاضي القضاة بهاء الدين بن الزكي ، وشيء من أخباره ... ١٣٤

سنة ست وثمـانين وستمائة ١٤٥ - ١٥١

ذكر تفويض قضاء القـاهرة والوجه البحرى للقاضى برهان الدين السنجارى ، ونقـلة القاضى شهاب الدين الحـوبى إلى الشام ، ووفاة السنجارى ، وإضافة قضاء القاهرة للقاضى تقى الدين بن بنت الأعز... ١٤٥

ذكر خبر واقعة ناصر الدين بن المقدسى وأعيان دمشق ، ومصادرة أكابر دمشق ، وتوكيل ناصر الدين بن المقدسى عن السلطان ١٤٧

سنة سبع وثمـانين وستمائة ١٥٣ - ١٦١

ذكر عزل الأمير علم الدين سنجر الشجاعى عن الوزارة ومصادرته ، وتفويض الوزاة لقاضى القضاة تقى الدين ، ثم إلى الأمـير بدر الدين بيـدرا ١٥٣

ذكر توجه ناصر الدين بن المقـدسى إلى دمشق وما فوض إليـه من مناصبها ، وما اعتمده ١٥٧

ذكر وفاة الملك الصالح وتفويض ولاية العهد إلى الملك الأشرف ١٥٩

سنة ثمـان وثمـانين وستمائة ١٦٣ - ١٦٥

ذكر ما اتفق بدمشق من المصادرات ١٦٣

سنة تسع وثمـانين وستمائة ١٦٧ - ١٨٥

ذكر إيقاع الحـوطة على ناصر الدين المقدسى وشنقه ١٦٨٠

ذكر وفاة قاضى القضاة نجـم الدين المقدسى الحنبلى وتفـويض القضاء بدمشق بعده للشيخ شرف الدين المقدسى ١٧١

ذكر تسمية نواب السلطان الملك المنصـور ووزرائه ١٧٤

ذكر أخبار السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان الملك المنصـور سـيف الدين قـلاوون الصالحى ١٧٧

ذكر القبض على الأمير حسام الدين طرنطاى وقتـله ، وعلى الأمير زين الدين كتبغا واعتقـاله ١٨٠

ذكر تفويض نيـابة السلطنـة الشريفـة للأمير بدر الدين بيـدرا المنصـــورى ١٨٣

سنة تسعين وستمائة ١٨٧ - ٢٢٤

ذكر تفويض الـوزارة للصاحب شمس بن السلعـوس وشىء من أخبـاره ١٨٧

ذكر القبـض والإفراج على من نذكر من الأمراء ١٩٤

ذكر فتوح عكا وصـور وصيدا وحيفا ١٩٥

ذكر القبض على الأمير حسام الدين لاجين نائب السلطنـة بالشام ٢٠٩

ذكر رحيل السلطان عن عكا ودخوله دمشق ، وما قرره من أمر النيابة بهـا ، وبالكرك وغير ذلك ٢١٠

ذكر فتـوح برج صـيدا ٢١٢

ذكر فتح بيروت ٢١٣

ذكر إنفاذ ولدى السلطان الملك الظاهر ووالدتهما إلى بلاد الأشكرى ٢١٤

ذكر الإفراج عن الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى، وغيره من الأمراء ٢١٤

ذكر عزل قاضى القضاة تقى الدين بن بنت الأعز عن القضاء ومصادرته ٢١٨

ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية لقاضى القضاة بدر الدين محمد ابن جماعة الشافعى ٢٢٠

ذكر متجددات كانت بدمشق ٢٢١

سنة إحدى وتسعين وستمائة ٢٢٥ — ٢٤٦

ذكر توجه السلطان إلى الشام ٢٢٥

ذكر فتوح قلعة الروم وتسميتها قلعة المسلمين ٢٢٦

ذكر توجه الأمير بدر الدين بيدرا وبعض العساكر إلى جبال الكسروان واضطراب العسكر ٢٤٠

ذكر هرب الأمير حسام الدين لاجين والقبض عليه واعتقاله، والقبض على طقصوا ٢٤٢

ذكر تفويض نيابة السلطنة بالشام والفتوحات، وعود السلطان إلى الديار المصرية ٢٤٢

ذكر عدة حوادث كانت فى خلال فتح قلعة الروم وقبله وبعده ... ٢٤٣

ذكر القبض على الأمير شمس الدين سنقر الأشقر، وجرمك الناصرى
ووفاتهما ، ووفاة طقصوا ، والإفراج عن الأمير حسام الدين لاجين ... ٢٤٥

سنة اثنتين وتسعين وستمائة ٢٤٧ — ٢٥٧

ذكر توجه السلطان إلى الصيد ٢٤٨

ذكر توجه السلطان إلى الشام وأخذ بهسنا من الأرمن وإضافتها إلى الممالك
الإسلامية ٢٤٩

ذكر القبض على الأمير حسام الدين مهنا بن عيسى وأخوته ٢٥٠

ذكر هـــدم قلعة الشوبك ٢٥١

ذكر حادثة السيل ببعلبـك ٢٥٢

ذكر ختان الملك الناصر ، وما حصل من الاهتمام بذلك ٢٥٣

سنة ثلاث وتسعين وستمائة ٢٥٩ — ٢٨٠

ذكر مقتل السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل ابن السلطان
الملك المنصور سيف الدين قلاوون رحمهما الله... ... ... ٢٥٩

ذكر خبر الأمير بدر الدين بيدرا ومن معه من الأمراء الذين وافقوه
وما كان منهـم ، ومقتل بيدرا ٢٦٣

ذكر أخبار السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمـد ابن السلطان
الملـك المنصـور سيف الدين قـلاوون الألفى الصالحى ٢٦٧

ذكر خـبر الأمراء الذين وافقوا بيـدرا على قتل السلطان الملـك
الأشرف ٢٦٩

ذكر أخبـار الصاحب شمس الدين محمـد بن السلعوس الوزير ،
وما كان من أمره منذ فارق السلطان الملك الأشرف إلى أن مات ... ٢٧٠
ذكر الخلف الواقع بين الأميرين علم الدين سنجر الشجاعى وزين
الدين كتبغا ومقتـل الشجاعى ٢٧٣
ذكر عدة حوادث كانت فى سنة ثلاث وتسعين وستمائة، خلاف
ما قدمناه ، من ولاية وعزل وغـير ذلك والوفيات ٢٧٧

سنة أربع وتسعين وستمائة ٢٨١ — ٢٩١

ذكر الفتنة التى قصد المماليـك السلطانية إثارتها ٢٨١
ذكر سلطنة السلطان الملك العادل زين الدين كتبغا المنصورى، وهو
العاشر من مـلوك دولة الترك بالديار المصرية ٢٨٢
ذكر تفويض الوزارة للصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى ٢٨٥
ذكر القبض على الأمـير عز الدين أيبك الخزنـدار نائب السلطنة
بالفتوحات، وولاية الأمير عز الدين أيبك الموصلى المنصورى ٢٨٧
ذكر وفاة الملك المظفر يوسف بن عمر صاحب اليمن ٢٨٩

سنة خمس وتسعين وستمائة ٢٩٣ — ٣٠٩

ذكر حادثة عجيبـة بالشام ٢٩٥
ذكر وفود الأويراتية من بلاد التتار ٢٩٦
ذكر وفاة قاضى القضاة تقى الدين عبد الرحمن بن بنت الأعز ،
وتفويض القضاء للشيخ ابن دقيق العيـد ٢٩٩

ذكر توجه السلطان الملك العادل ، وعزل نائب السلطنة بدمشق الأمير عز الدين الحموى ، وتولية الأمير سيف الدين أغرلوا العادلى ، وغير ذلك ٣٠٥

سنة ست وتسعين وستمائة ٣١١ — ٣٢٧

ذكر عـود السلطان الملك العـادل إلى الديار المصرية وخلعـه من السلطنة ورجوعه إلى دمشق ٣١١

ذكر سلطنـة السلطان المـلك المنصور حسام الدين لاجين المنصـورى ٣١٣

ذكر أخبار الملك العادل وما اعتمده بدمشق ، وما كان من أمره إلى أن انتقـل إلى صرخد ٣١٦

ذكر الإفـراج عن جماعة من الأمراء ٣٢١

ذكر تجديد عمارة الجامع الطولونى ، وترتيب الدروس به ، والوقف على ذلك ٣٢١

ذكر تفويض القضاء بالديار المصرية والشام لمن يذكر ٣٢٣

ذكر تفويض الوزارة بالديار المصرية للأمـير شمس الدين سنقر الأعسر ٣٢٤

ذكر القبض على الأمير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة ، وتفويض نيابة السلطنة للأمـير سيف الدين منكوتمر ٣٢٥

سنة سبع وتسعين وستمائة ٣٢٩ - ٣٥٠

ذكر وصول الملك المسعود نجم الدين خضر ومن معه ، من القسطنطينية إلى الديار المصرية ٣٢٩

ذكر توجه الملك السلطان الناصر إلى الكرك وإقامته بها ٣٣٠

ذكر القبض على الأمير بدر الدين بيسرى الشمسى وغيره ٣٣١

ذكر إعادة الصاحب فخر الدين عمر بن الخليلى إلى الوزارة ٣٣٦

ذكر تجريد العساكر إلى سيس وما فتح من قلاعها ٣٣٧

ذكر حادثة غريبة ظهر فيها آية من آيات الله عز وجل ٣٤٤

ذكر ورود الإقطاعات بالديار المصرية وتحويل السنة ٣٤٥

سنة ثمان وتسعين وستمائة ٣٥١ — ٣٨١

ذكر مفارقة من نذكر من نواب السلطنة والأمراء الخدمة السلطانية ولحاقهم بقازان ملك التتار ٣٥٢

ذكر مقتل السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين المنصورى ونائبه منكوتمر ٣٥٧

ذكر ما اتفق بعد مقتل الملك المنصور ونائبه منكوتمر من الحوادث والوقائع المتعلقة بأحوال السلطنة بمصر والشام ، إلى أن عاد السلطان الملك الناصر ٣٦٣

ذكر مقتل سيف الدين طقجى وسيف الدين كرجى ٣٦٥

ذكر عود السلطان الملك الناصر ناصر الدين محمد ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون إلى السلطنة ثانيا ٣٧٠

ذكر الإفراج عن الأمير شمس الدين سنقر الأعسر وتفويض الوزارة إليه ٣٧٢

ذكر وفود سلامش بن أفال بن بيجو وأخيه قطقطوا ومن معهما ، وعود سلامش وقتله ٣٧٣

ذكر وصول مراكب الفرنج إلى ساحل الشام وتكسير بعضها ، ورجوع ما سلم منها ٣٧٦

ذكر وفاة الملك المظفر صاحب حماه ٣٧٩

ذكر توجه السلطان إلى الشام ٣٨٠

سنة تسع وتسعين وستمائة ٣٨٣ — ٤١٠

ذكر الفتنة التى أثارها الأويراتية بهذه المدينة (تل العجول) ... ٣٨٣

ذكر وقعة غازان ملك التتار بجمع المروج ببلاد حمص ٣٨٤

ذكر تسمية من استشهد ونقد فى هذه الوقعة من المشهورين ٣٨٥

ذكر ما اتفق بدمشق بعد الوقعة ومفارقة العساكر الإسلامية فى مدة استيلاء التتار عليها ، إلى أن فارقوا البلاد وعادوا إلى الشرق ... ٣٨٧

ذكر ما اعتمده السلطان الملك الناصر عند عوده إلى الديار المصرية من الاهتمام بأمر الجيوش والعساكر ٤٠١

ذكر توجه السلطان بالعساكر إلى جهة الشام ووصوله إلى منزلة الصالحية وإرسال الجيوش إلى دمشق والممالك الشامية ، وعود الأمراء

إلى الخدمة السلطانية ، ورجوع السلطان إلى قلعة الجبل ، وما تقرر من أمر النواب ٤٠٣

ذكر ما اعتمده الأمير جمال الدين أقش نائب السلطنة بدمشق ، بعد عود العساكر المصرية ٤٠٧

سنة سبعمائة ٤١١ - ٤٤٣

ذكر جباية المقرر على أرباب الأملاك والأموال بالديار المصرية والشام ٤١١

ذكر توجه السلطان الملك الناصر بالعساكر إلى الشام وعوده ٤١٢

ذكر وصول غازان إلى الشام وعوده ، وما فعلته جيوشه ٤١٣

ذكر خبر أهل الذمـــة وتغيير لباسهم وما تقرر فى ذلك ، والسبب الذى أوجبـــه ٦٤١

ذكر وصول رسل غازان ملك التتار وما وصـــل على أيديهم من من المكاتبة وما أجيبـــوا به ٤٢٦

رقم الإيداع بدار الكتب ٩٣٤٠ / ١٩٩١

الترقيم الدولى ISBN 977 - 01 - 2911 - 9

مطبعة دار الكتب ٢٥٦٣ / ١٩٩١ / ٣٣٠٠